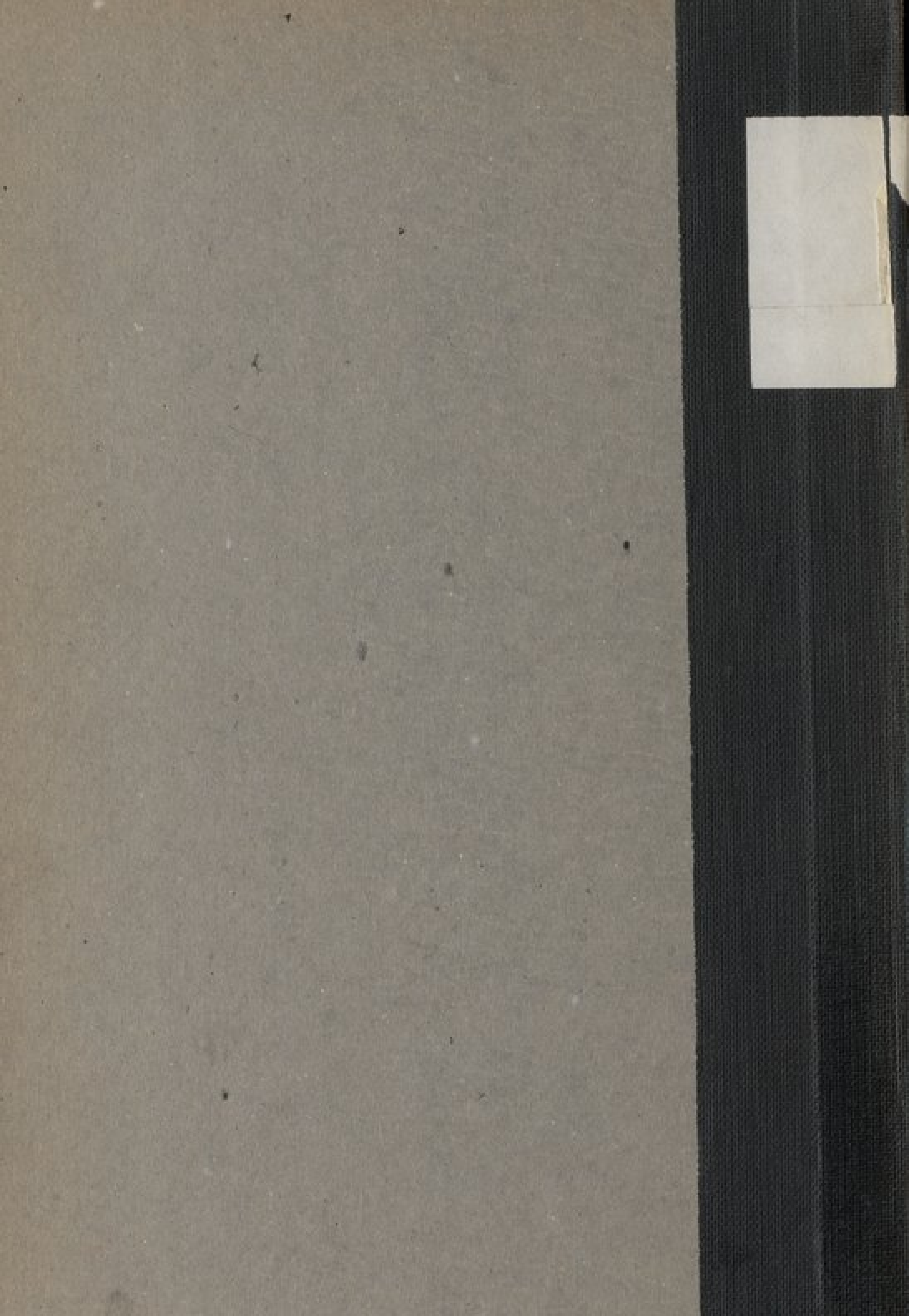


صفحة من رحلة الامام الزنجاني وخطبه

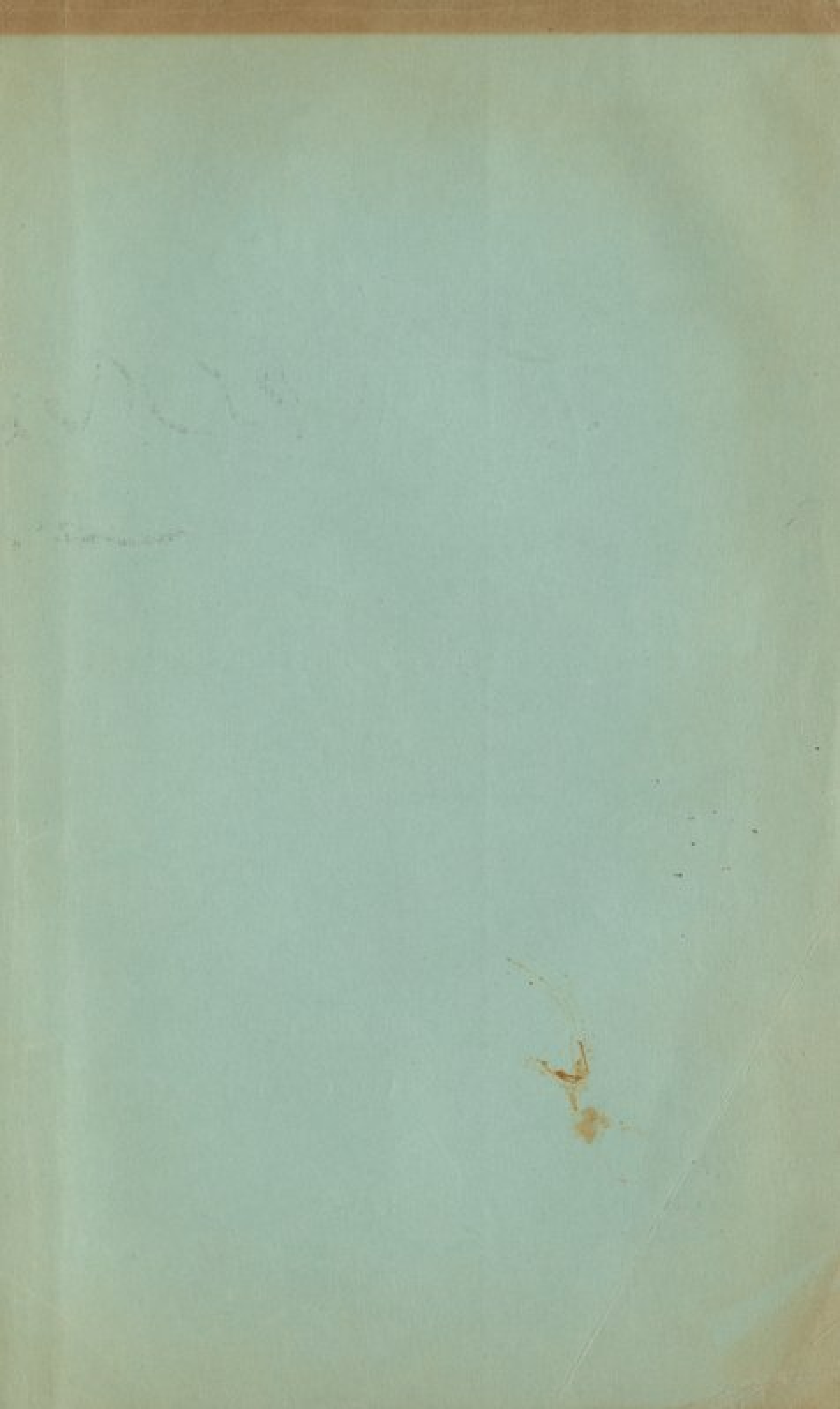
في الأقطار العربية والعواصم الاسلامية

(عني بنشره الوجيه الكبير)

الحاج محمد رشيد هويدي

سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

النجف : مطبعة الغري



صفحة من
رحلة الإمام الزنجاني
وخطبه

في الاقطار العربية والعواصم الاسلامية

تأليف

محمد هادي الدفتر

طبع على نفقة

سعادة الوجيه الكبير

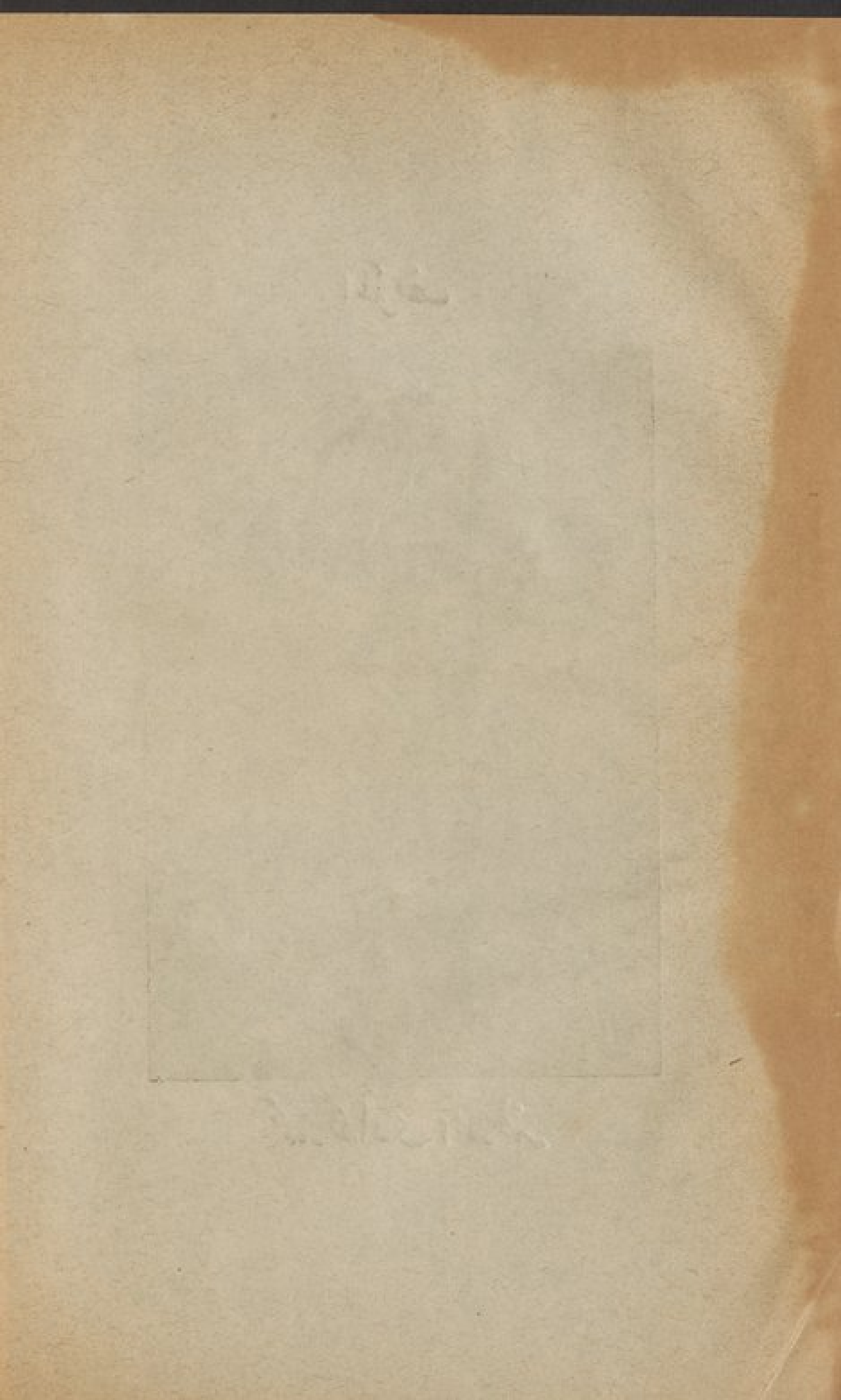
الحاج محمد رشيد هويدي

سنة ١٣٦٦ هـ — سنة ١٩٤٧ م

المؤلف



محمد هادى الدفتر



الفهرس

الصفحة

٣ كلمة الناشر
٥ الرحلة في القرآن الكريم
٦ تصدير
١٤ نشوء الرحلة وتطورها وارتقائها
١٥ رحلة الطوسي، والحلي والشهيدين الأول والثاني والكركي والعاملي
١٦ الغرض الأسمى من رحلة أئمة الدين والفلاسفة والمجتهدين
١٩ للخلود في التاريخ
٢٠ رسالته الاصلاحية
٢٢ رحلته التأريخية
٢٥ ثورته على البدع
٢٧ خطبه وكلماته
٣٠ كلمة شيخ الجامع الازهر وكلمة الدكتور طه حسين
٣٢ إعتذار الامام الزنجاني
٣٣ دلائل النجاح
٣٤ تصوير الحقيقة ومراحل الوحدة
٣٧ لباقة أو إعجاز
٣٩ التمسك بالثقلين روح التشيع

الصفحة

٤١ شواهد النجاح في مصر كتاب مشيخة الأزهر
٤٢ المنهاج والعمل
٤٣ تصريح شيخ الأزهر بان الامام الزنجاني أعلم علماء المسلمين في عصره
٤٤ القرآن يدعوا الى الاتفاق
٤٦ أصول الدين الاسلامي عند جميع المسلمين
٤٨ تحديد الخلاف الفرعي بين المذاهب الاسلامية
٤٩ هدية شيخ الأزهر الى الامام الزنجاني
٥٠ كتابة شيخ الأزهر بيده وإمكان توحيد الفروع
٥٢ نداء الى إخواننا السنيين
٥٣ نداء الى الشيعة و كتاب شيخ الجامع الأزهر وإقتراحه
٥٥ جواب الامام الزنجاني
٥٧ المبادىء : كتاب مشيخة الأزهر
٥٩ إحتفال مشيخة الأزهر لتكريم الامام الزنجاني
٦٠ مذهب الشيعة الامامية في التشريعات الحديثة بمصر
٦١ خليفة الافغاني
٦٢ الفلسفة في الازهر
٦٣ إنجلاء حقيقة تاريخية
٦٧ من كتاب السيد جمال الدين الشهير بالافغاني الى الامام الشيرازي
٧٠ الامام الزنجاني في مجلس الوصاية بالقاهرة

الصفحة الفهرس

٧١ الاجتهاد في مذهب الشيعة

٧٢ الامام الزنجاني في قصر المنيل

٧٣ الامام في الغرفة المخصوصة يرفض هدية سمو الوصي

٧٤ الامام في وليمة الرئيس الثاني

٧٥ نص كتاب عبدالعزيز عزت باشا

٧٦ النظام الاقتصادي اكبر معجزة في الاسلام

٧٧ نداء الامام العام المسجل في استوديو مصر والموجه الى مسلمي العالم

٧٨ كتاب طلعت حرب باشا

٧٩ كتاب رئيس جمعية الشبان المسلمين

٨٠ خليفة سعد زغلول ورئيس الدولة يحتفي بالامام

٨١ كتاب رئيس الوزراء

٨٢ الامام الزنجاني وزعيم مسلمي الصين

٨٣ كلمة صاحب العزة فريد وجدي

٨٤ سيدات مصر يحفظن خطب الامام الزنجاني ومحاضراته

٨٥ أشعة العظمة العلمية للشيعة الامامية وللنجف الاشرف

٨٧ كلمة الامام الزنجاني الوداعية

٨٩ شواهد نجاح الامام في سوريا يوم الوحدة الاسلامية

٩٠ منبر الامام الزنجاني تحت قبة النسر في الجامع الاموي بدمشق

٩١ رسول الوحدة الاسلامية

الصفحة

٩٢ عيد الوحدة الاسلامية
٩٣ من درس الامام الزنجاني
٩٤ أتم الزنجاني خطبة الامام السجاد (ع)
٩٥ شباب محمد يوجهون دعوة عامة للشعب
٩٦ رسول الوحدة الاسلامية
٩٧ فلسفة الدين الاسلامي
٩٨ محاضرة الامام الزنجاني في الجامعة السورية
١٠١ وفد كلية الحقوق والامام الزنجاني
١٠٣ حديث الامام الزنجاني
١٠٤ محاضرة الامام الزنجاني في جامع الدقاق بدمشق
١٠٥ الدعوة الى جمع الكلمة
١٠٦ العالم الاسلامي في حاضره ومستقبله
١٠٧ مأدبة رئيس الجمهورية السورية على شرف الامام الزنجاني
١٠٨ كتاب رئيس الجمهورية
١٠٩ كتاب الأستاذ الكبير نجيب الارمنازي
١١٠ كتاب وزير الداخلية و كتاب الزعيم البارودي
١١١ كتاب العلامة الشهير البيطار
١١٢ فتح عظيم : من كتاب زعيم شباب الشيعة في دمشق
١١٣ من كتاب زعيم شيعي

الصفحة

١١٥ الامام الزنجاني في مؤتمر العلماء الأول
١١٦ المؤتمر عالمي لا إقليمي
١٢٠ لا تأخذه في الله لومة لائم
١٢٢ بيان مؤتمر العلماء الأول
١٢٣ واجب العلماء في تبرئة الاسلام مما يصمه به المستعمرون لغاياتهم
١٢٥ غاية المؤتمر العملية
١٢٦ خلاصة مقررات المؤتمر
١٢٧ بيان مؤتمر العلماء الأول
١٢٨ شكر المؤتمر للامام الزنجاني وتأييده اقتراحه القيم الجليل
١٢٩ نجاح باهر
١٣٠ الامام الزنجاني في مأدبة رئيس الوزراء لمؤتمر العلماء
١٣١ مدينة بيروت تحتفي بالامام الزنجاني في لبنان
١٣٢ مدينة بيروت تحتفي بالامام إحتفاءاً عظيما
١٣٣ الحفلتان
١٣٤ الدعوة الى محاضرة الزنجاني في دار الايتام الاسلامية
١٣٥ على ضوء الزنجاني
١٣٧ في رأسه علم ابن سينا وابن رشد والغزالي والافغاني وعبده وفي قلبه رفق المسيح (ع) وفي صدره عزمة أحمد (ص)
١٤١ من كتاب شاهد العيان

الصفحة

١٤٢ لماذا أرتج على الغلاييني

١٤٤ الشيعة والمعاهدة

١٤٥ جواب الامام على إقتراح المندوب الافرنسي

١٤٦ الوفاء بالعهد روح التشيع

١٤٧ المثل الأعلى للوفاء بالعهد

١٤٩ إعجاب المندوب السامي الافرنسي بالنظرية الاسلامية الشيعية

١٥٠ من كتاب رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية ببيروت

١٥١ من كتاب رئيس جمعية الاصلاح

١٥٦ الامام الأكبر يشكر سوريا ولبنان

١٥٧ نص كلمة الشكر للإمام الزنجاني رسول السلام

١٥٩ شواهد نجاح الامام في فلسطين: مفتي فلسطين يدعو إمام المسلمين

١٦٠ الخطبة النارية

١٦١ صورة الامام الزنجاني في القدس

١٦٥ سماحة المفتي يشكر

١٦٦ كلمة الامام الزنجاني على ضريح جلالة الملك حسين

١٦٧ شواهد نجاح الامام الزنجاني في المملكة الأردنية الهاشمية

١٦٨ كتاب صاحب الجلالة الهاشمية

١٦٩ أسرار النجاح

١٧٠ شخصيته

الصفحة

١٧١ الاركان والأسرار ،التضحية البليغة ،الاخلاص العظيم، الحلول الصالحة ، والمنهاج الالهي

١٧٢ خطته المخصوصة المبتكرة

١٧٣ الامام الزنجاني يعطي لكل طبقة حقها

١٧٤ الارادة الصلبة القوية من وراء منطقه البليغ وعزمه الجبار

١٧٧ توحيد النزعات

١٧٩ دين تتبعه سياسة

١٨٠ إستغلال الوحدتين

١٨٣ ملكة تصوير الفكرة في أسلوب مخصوص به

١٨٤ تأثير الحرب العالمية فى سير الدعوة والأمل الجديد

١٨٥ فضيلة شيخ الأزهر الجديد من أكبر أنصار الوحدة الاسلامية

١٨٧ في السجلات الأزهرية محاضر كاملة لمجالس الامام المراغي مع الامام الزنجاني

١٨٩ موازنات

١٩٠ الزنجانى والافغاني

١٩٦ الوحي والالهام : برهان الامامة : النظرية النسبية

١٦٧ أقام الافغاني في مصر ٨ سنوات وأربعين يوماً وأقام الزنجانى خمسين يوماً

٢٠٠ الحلم العظيم

الصفحة

٢٠٢ مؤلفات الامام الزنجانى
٢٠٥ الامام اليزدي
٢٠٧ الزنجاني والامام محمد عبده
٢٠٨ مصادر التشريع الاسلامي
٢١١ التجديد في التفسير
٢١٣ أسلوب التجديد في تفسير الزنجاني
٢١٥ الآيات القرآنية في مقارنة الاديان السماوية
٢١٦ الامام الزنجاني وابن سينا
٢٢٠ محاكمة ديكارت، دارون، كانت، جاليلة، كوبرنيك، أنيشتاين
٢٢١ فلسفة قويمة صالحة للحياة والبقاء
٢٢٣ الزنجاني والطوسي
٢٢٤ الفلسفة الاسلامية حلقة غالية مفقودة من سلسلة تاريخ الفلسفة
٢٢٨ كتاب الجمهورية، والشيوعية
٢٣٢ الزنجاني والعلامة الحلي
٢٣٤ ترجمة الامام الزنجاني
٢٣٧ نال الزنجاني إجازة الاجتهاد وسنه لم تشرف بعد على العشرين
٢٣٨ صورة الامام الزنجاني في السنة التي نال فيها إجازة الاجتهاد
٢٣٩ نص إجازة الامام اليزدي
٢٤٠ تصديق الاجازة الصادر عن آية الله الفيروزآبادي

الصفحة

٢٤١ خصاله
٢٤٣ مؤلفاته
٢٤٧ الامام الزنجاني في الهند
٢٤٩ مثال من إصلاحه الاجتماعي : أيهما أعظم ؟ غاندي او الزنجاني
٢٥١ الامام الزنجاني يستنقذ المنبوذين من الديانة الهندوسية
٢٥٦ من اصلاحه العلمي : العلم والتطور
٢٥٧ ترتيب العلوم
٢٦١ محاضرة الامام الزنجاني في النظرية النسبية لأنشتاين
٢٦٩ مثال من إصلاحه الديني
٢٧٢ محاضرة الامام التاريخية في كلكتا : موضوعها · في طريقي الى عاصمة الحقيقة
٢٩٢ الامام الزنجاني في مصر
٢٩٥ صورة عن النجف
٢٩٦ مبدأ الوحدة الأنسانية
٢٩٧ إشارة أرسطو إلى قاعدة (فرّق تسد)
٢٩٨ عظمة النجف
٢٩٩ جامعة النجف
٣٠٠ صفات طلاب معاهد النجف وأساتذتها
٣٠١ المكتبات الأهلية فيها

الصفحة

٣٠٢ النهضة العلمية فيها
٣٠٣ موادالدراسة فيها : كيف أسلم ابو طالب ؟
٣٠٤ المقارنة بين الأديان السماوية والمذاهب الاسلامية
٣٠٧ المراسلات بين الامام عبده وبين الامام الزنجاني
٣٠٨ الامام الزنجاني في القاهرة
٣٠٩ من صور الاستقبال للامام الزنجاني في محطة القاهرة
٣١٠ زيارة شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية للامام الزنجاني
٣١٢ إحتفال الأزهر التاريخي لتكريم كبير علماء الشيعة
٣١٤ صورة تاريخية للامام الزنجاني وهو يتصدر المائدة الرئيسية في الأزهر
٣١٧ صورة تاريخية للامام الزنجاني في احتفال الأزهر التاريخي
٣١٨ كلمة شيخ الأزهر في حفلته التاريخية
٣١٩ صورة تاريخية للامام الزنجاني وهو يلقي كلمته التاريخية في الأزهر
٣٢٠ معهد النجف ومعهد الأزهر مؤسستان شيعيتان
٣٢٢ هذه الحفلة التكريمية في الأزهر هي المرة الأولى بعد اكثر من الف سنة
٣٢٣ فلسفة التشريع لوقت صلاة المغرب اعلنها الامام الزنجاني في الأزهر
٣٢٤ الامام الزنجاني في كليات الأزهر
٣٢٥ نصائح الامام الزنجاني في كليتي الشريعة واللغة العربية
٣٢٧ الامام الزنجاني في القسم الثانوي بالصلبية

الصفحة

٣٢٨ كلمة الامام الزنجاني في فصل الفلسفة بكلية اصول الدين في الأزهر
٣٢٩ الفلسفة وعلم الكلام
٣٣٠ رد الامام الزنجاني على المستشرق الفرنسي (بارون كارادي فو
٣٣٢ تقرير لطيف للماهية وتبعيتها للوجود في الجعل والتحقق)
٣٣٥ .مراتب الوجود
٣٣٦ كلمة الامام الزنجاني في فصل التوحيد لكلية اصول الدين في الأزهر
٣٣٩ كلمة الامام الزنجاني في كلية الشريعة الاسلامية بالأزهر
٣٤١ الدليل على وجوب فتح باب الاجتهاد
٣٤٤ موضوع علم اصول الفقه
٣٤٥ تحقيق حيثية الاستعداد
٣٤٦ إختلاف إصطلاح العلوم فى (الدليل)
٣٤٨ تعريف اصول الفقه
٣٤٩ التعريف الأسدّ الأخصر : وموضوع اصول الفقه
٣٥٠ كلمة الامام الزنجاني في التفسير (في القسم العام بالأزهر)
٣٥١ كلمة الامام الزنجاني على قبر القائد جوهر (مؤسس الأزهر)
٣٥٣ صورة للامام الزنجانى فى المقر العام لجامعة الشباب العربي
٣٥٤ محاضرة الامام الزنجاني في مقر رابطة الشباب العربى العام بالقاهرة
٣٥٦ الوحدة العربية أساس الوحدة الاسلامية

الصفحة

٣٥٨ القومية العربية بوصف السيادة على سائر الأمم الاسلامية أفضل من غيرها

٣٦٠ الجامعة الاسلامية تحققت فى العصور التاريخية

٣٦١ الوحدة الاسلامية لاتعارض القوميات الاسلامية

٣٦٢ ليس مقصد الدعاة الى الوحدة الاسلامية توحيد المذاهب

٣٦٣ إنحلال الخلافة أوجد مجالا للدعوة الى الوحدة الاسلامية

٣٦٤ صورة الامام الزنجانى وهو يلقي محاضرته التاريخية في مقر رابطة الموظفين

٣٦٥ محاضرة الامام الزنجانى التاريخية في رابطة الموظفين المشمولة برعاية صاحب الجلالة ملك مصر المعظم

٣٦٩ إيران قبل الاسلام: ومكتباتها

٣٧١ إيران بعد الفتح الأسلامي

٣٧٢ بغداد عاصمة الممالك الاسلامية ومكتباتها

٣٧٣ ماأحدثته حملة جيوش المغول في إيران وبغداد

٣٧٤ علماء الشيعة وهولاكو

٣٧٥ وفود العلامة الحليّ على الملك (الجايتوخدا بنده)

٣٧٦ نتيجة مناظرة العلامة الحلي مع علماء المذاهب الاربعة

٣٧٧ تفنيد الامام الزنجاني مزاعم مؤرخ مصري

٣٧٨ مسئولية التعصبات الذميمة على عاتق السلطان سليم الاول

الصفحة

٣٧٩ نابليون الشرق الامبراطور الأمي (نادر شاه)
٣٨٠ كلمة نادر شاه الخالدة : ووصايا (نابليون) العشرة
٣٨٣ بلاد العراق وناحية الحياة العقلية فيها
٣٨٤ جلالة الملك فيصل الأول والشعب العراقي الكريم
٣٨٥ صورة الامام الزنجاني حين خروجه من الحفلة التكريمية التي اقيمت له في المفوضية الملكية العراقية في القاهرة
٣٨٦ صورة الأمام الزنجاني في الحفلة التكريمية في دار المفوضية الايرانية
٣٩٠ صورة للامام الزنجاني في (دار العلوم)
٣٩٢ في بيت الأمة كبير علماء الشيعة
٣٩٣ صورة للامام الزنجاني حين القائه محاضرته التاريخية (تطور الفلسفة)
٣٩٤ الامام الزنجاني يحاضر في كلية الآداب
٣٩٥ صورة للامام الزنجاني وهو يلقي محاضرة فلسفية تاريخية
٤٠٠ المبتكرات في الفلسفة الأسلامية
٤٠٣ تطور الفلسفة
٤٠٥ ترتيب دراسة الفلسفة
٤٠٦ البحث عن فلسفة الذرائع البراجمتية في العلم الالهي
٤٠٧ اصول تعاليم الفلسفة الطبيعية

الصفحة

٤٠٩ علوم التعاليم
٤١٠ العلوم الفرعية
المنطق السيكولوجي والمنطق الستيمولوجي : والمنطق الرياضي
٤١١ والمنطق الصوري البحت
٤١٤ اقتناص الحد من التركيب لا يوجب تركب المحدود
٤١٦ ميزان التعادل ، وميزان التلازم ، وميزان التعاند
٤١٧ أسلوب دراسة الفلسفة
٤١٨ السيد جمال الدين ومذهب النشؤ والارتقاء
٤١٩ المصريون يعتمدون على مؤلفات المستشرقين
٤٢٠ المستشرقون وطلاسم رموز الفلسفة الاسلامية
٤٢٤ ارباب الانواع في رأي سقراط
٤٢٥ تحقيق حول كتاب (الجمهورية)
٤٢٧ رأي الفارابي في المبدعات والمخترعات والكائنات
٤٢٩ تفنيد الامام الزنجاني مزاعم كتاب (محاضرات في الفلسفة)
٤٣٣ يجب ان تؤخذ فلسفة الدين الاسلامي عن كتاب الله المعجز الخالد بواسطة العلماء المتخصصين في معرفة أسراره لا عن المستشرقين
٤٣٤ الموازنة والمقارنة بين الأديان السماوية
٤٣٥ حكاية واقعية تثبت غباوة بعض المستشرقين

الصفحة

٤٣٦ التشيع مذهب ابن سينا ، والطوسي ، والحلي ، والشيرازي ، والداماد ، والسبزواري
٤٣٧ ليس كتاب (الكافي) كصحيح البخاري
٤٣٨ شروط اعتبار الحديث عند الشيعة
٤٣٩ شكر الدكتور عزام واعجاب الدكتور طه حسين
٤٤٠ صورة للامام الزنجاني في دار الكتب بالقاهرة
٤٤١ صورة الامام الزنجاني وهو يقرر منهاج البعثة الازهرية الى الهند
٤٤٢ محاضرة الامام الزنجاني في موضوع (الوحدة الاسلامية) في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين
٤٤٤ أصول وفروع مذهب الشيعة
٤٤٦ الامامة في مذهب التشيع
٤٤٧ باب الاجتهاد مفتوح
٤٤٨ عصمة الأئمة
٤٤٩ حديث شريف عن الامام الثامن (ع)
٤٥١ تمثيل لطيف المؤرخين الجاهلين
٤٥٢ صورة تاريخية للامام الزنجاني في دار جمعية الهداية الاسلامية
٤٥٣ تكريم الامام الزنجاني في دار جمعية الهداية الاسلامية
٤٥٤ كلمة الامام الزنجاني في دار جمعية الهداية الاسلامية
٤٥٧ مراحل الأخوة الاسلامية والدينية والانسانية

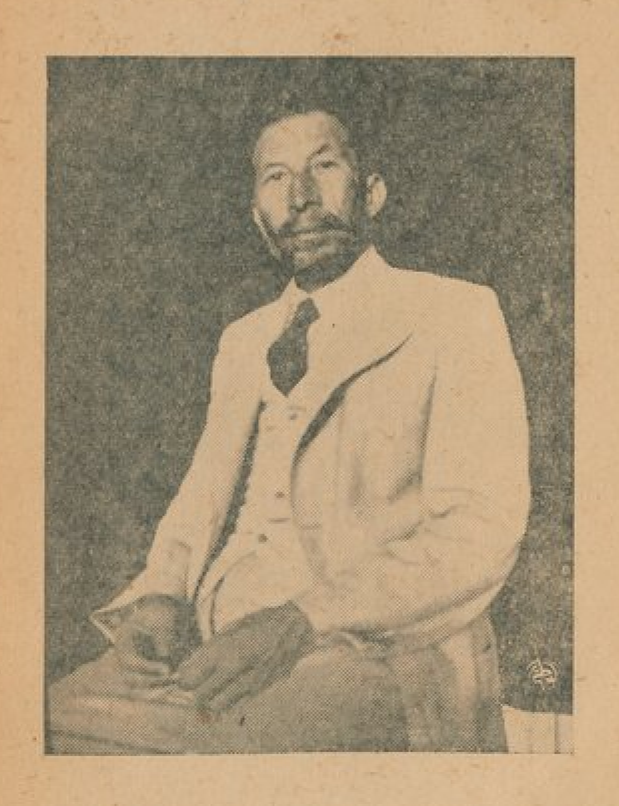
الصفحة

٤٥٨ لا مندوحة من مؤتمر اسلامي عام
٤٦٠ الامام الزنجاني يتحدث إلى الامة عن طريق المصري
٤٦٢ الدين هو الحاكم على أفكار المسلمين
٤٦٣ مبدأ البهائي ليس مذهباً وانما هو رأي سياسي ناقص
٤٦٤ النجف عاصمة العلوم الدينية والفلسفية
٤٦٥ صورة للامام الزنجاني في كليتي الشريعة واللغة العربية
٤٦٦ عقائد الشيعة
٤٦٨ العبادة بالمعنى الأعم وبالمعنى الأخص
٤٧٠ عقيدة الشيعة في التوحيد
٤٧١ عقيدة الشيعة في النبوة
٤٧٢ عقيدة الشيعة في الامامة
٤٧٣ عقيدة الشيعة في المعاد وفي فروع الدين
٤٧٤ الزعيم الصيني يتحدث الى الامام الزنجاني عن المسلمين في بلاده
٤٧٧ جواب الامام الزنجاني لزعيم مسلمي الصين
٤٧٨ الامام الزنجاني في الاحتفال الرسمي برؤية هلال رمضان
٤٧٩ تكريم الاستاذ الاكبر المراغي للامام الزنجاني
٤٧٠ صورة تاريخية للامام الزنجاني وهو يتصدر سرادق الاحتفال
٤٨١ كلام علمي وديني دار بين الامامين الزنجاني والمراغي
٤٨٢ حديث مفصل للامام الزنجاني عن طريق جريدة (الجهاد)

الصفحة

٤٨٣ الوحدة الاسلامية ، ومؤتمر اسلامي علمي لتوحيد المذاهب
٤٨٤ فارق طفيف بين السنيين والشيعة
٤٨٥ مع مجلس الوصايه
٤٨٦ في مسجد المنيل بالروضة : ورأي الأمير في الوحدة الأسلامية
٤٨٧ دولة الرئيس ، وسفر سماحة الأمام
٤٨٨ برقية سماحة مفتي فلسطين للامام الزنجاني .
٤٨٩ صورة تاريخية للأمام الزنجاني أخذت حين مغادرته القاهرة
٤٩٠ الامام الزنجاني يعود الى وطنه
٤٩١ الامام الزنجاني واضع اساس الوحدة الاسلامية
٤٩٢ كلمة الشكر والوداع

الناشر



الوجيه الكبير الحاج محمد رشيد هويدى

صفحة من
رحلة الامام الزنجاني
وخطبه

في الاقطار العربية والعواصم الاسلامية

﴿ عني بنشره الوجيه الكبير ﴾

الحاج محمد رشيد هويدي

سنة ١٣٦٦ هج — ١٩٤٧ م

النجف : مطبعة الغري

كلمة الناشر

إن من يقع نظره على هذا الكتاب ويجد كلمة « رحلة » منقوشة على أولى صفحاته لابد أن يبدر إلى ذهنه ان الامام المصلح الأكبر فيلسوف الاسلام آية الله الشيخ « عبد الكريم الزنجاني » قام برحلة ضرب فيها في الأرض وسار في الأقاليم والأقطار ليكتشف أوصاف المدن ونعوتها والطرق ومصاعبها والبحار وعجائبها والجبال وكنوزها والأقاليم وخصائصها والممالك وانظمتها والأمم وعاداتها والأقوام وفوارقها والأديان وتباينها والناس في معتقداتها ومعايشها وشتى أحوالها ، فهو لا يعدوا بذلك ما قام به رجال الرحلة قديماً وحديثاً كابن جبير وابن بطوطة ، ورواد القطبين ، وكريستوف كولمب ، وغيرهم ولهؤلاء أزمانهم فيما كتبوا واكتشفوا وللامام « الزنجاني » زمنه فيما يكتب ويكتشف

هذا ما يبدر الى الذهن عند أول وهلة ولكن سرعان ما يضمحل هذا الوهم ويزول هذا الظن اذا أغذ القارئ في كتاب « الرحلة » وأجال نظره فيه فانه عندئذ يراه ليس بكتاب رحلة كما هو الشأن في كتب الرحلات وان كان هذا الكتاب يحمل هذا الاسم « رحلة » ومطبوعاً بهذا الطابع ، بل يراه عبارة عن تأريخ رسالة إصلاحية كبرى ومواقف تأريخية فذة ، وجلائل أعمال خارقة ، ومجموعة من المحاضرات

الاصلاحية العامة الشاملة في الشؤون الدينية والفلسفية والاجتماعية والأدبية إستدعتها المناسبات الطارئة والحاجة العارضة أثناء الأسفار والرحلات التي قام بها الامام الزنجاني إلى الأقطار الاسلامية من أجل الدعوة الى الوحدة الاسلامية التي وقف سماحته نفسه من أجلها .

فلا جرم إذن أن الكتاب كتاب رحلة ولكنها رحلة علمية أدبية إجتماعية دينية فلسفية إصلاحية تنكب فيها علامتنا الكبير تخطيط البلدان ووصف الأقاليم ، لأن مقصده الروحي فوق هذه المقاصد المادية وغايته الاصلاحية فوق الغايات المتواضعة الاستقرائية . فقد تجشم سماحته مصاعب الرحلة ومتاعبها ووعثاء السفر وشدائده في سبيل الدعوة الى الوحدة الاسلامية وجمع شتات المسلمين بتوحيد كلمتهم ونبذ الفوارق التي خلقتها المماحكات ورسخت قواعدها العصبيات . وقد وفق سماحته في ذلك توفيقاً لم يبلغ مداه أحد سواه حتى الآن كما ستراه من النظر في هذه « الرحلة » . فكان سماحته اذا حل بلداً او وصل قطراً او نزل مدينة أخذ يصدع برسالته الاصلاحية الشاملة ويؤدي الأمانة التي إئتمنه الله عليها بما أخذ على العلماء من عهد ما دام الدين الحنيف يتقاضاه أداءها . فصب رسالته الكبرى . ودعوته الاصلاحية العامة في قوالب من المحاضرات والخطب والمحاورات فحصل من مجموعها كتاب « الرحلة » هذا

ولما كنت من المعجبين برأي سماحة علامتنا الامام الزنجاني ومن جملة المعتقدين به فقد أخذت على عاتقي مناصرته وتأييده بما أملك من

حول وطول غير مدخر وسعاً ولا آل جهداً فلم أتباطأ ما وسعني الأمر عما كان يدعوني الواجب اليه ، ولم أتثبط عن دعوة ينتدبني الدين اليها فكنت وسماحته على هذه السنن النبيلة والمقصد الشريف والطريقة المثلى نؤدي جهد المطيق ونقدم طاقة المجتهد .

وعند ما شعرت بأن كتاب الرحلة قد انتظم عقده واجتمع شمله وتألف شتاته واتسقت صفحاته ، رأيت أن لا تفوتني المساهمة في طبعه ونشره لتكون مساهمتي في الجهود المبذولة من أجل الوحدة الاسلامية مساهمة مادية وعملية وروحية . بيد أن الأزمة الحربية التي استحوذت على المسكونة فأخذت بكظم الأعمال وقطعت على الناس سبل الانبعاث حالت بين كتاب الرحلة وبين الطبع فلم أجد لي من محيص دون أن أسلم للأمر الواقع فانزويت عن المساهمة في طبعه وقعدت عن العمل ريثما هدأت أعاصير الحروب ووضعت الوغى أوزارها فشرعت بالأخذ بقسطي والقيام بنصيبي مستمداً العون من الله سبحانه والتوفيق من منه وكرمه . وأنا أرجوا أن يكون عملنا هذا عام النفع واسع البركة عظيم الفائدة مؤيداً للدعوة ومسدداً من الله عز وجل لأنه عمل خالص متمحض لوجهه الكريم إنه هو البر الرحيم

محمد رشيد هويدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله
الخاتم محمد (ص) وآله وصحبه

الرحلة في القرآن الكريم

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ
يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ

(الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كان ولا يزال العلامة الأكبر فيلسوف الاسلام الامام المصلح آية الله الشيخ عبد الكريم الزنجاني ممن وقف نفسه على الدعوة الى الوحدة الاسلامية ، وتقريب وجهات النظر بين طوائف المسلمين المختلفة ونبذ الفوارق التي فرقتهم ، واجتثاث جراثيم العصبيات المذهبية التي ذهبت بريحهم ومزقتهم . تلك الفوارق والعصبيات التي كانت ولا تزال سوساً ينخر في جسم المجتمع الاسلامي ومعولا هداما يهدم في كيان الاسلام والمسلمين ، فتوزعوا شيعاً ، وتشتتوا طرائق قدداً فتراشقوا بالشحناء ، وتنابذوا بالبغضاء . فانفرجت بذلك أمام خصوم الاسلام الثغور وتبدت المحارم ، فولجوا الى الصميم ، ودخلوا في البهرة ، وجلبوا على الاسلام والمسلمين بخيلهم ورجلهم ، وشنوا الغارة بعددهم وعددهم . لأن الاسلام شوكة شاكت عيونهم ، وحربة وجأت صدورهم ، وصارم مصلت على رؤوسهم . فلامحيص لهم عنه إلا بالاجهاز عليه ، ولا مناص إلا بالتعرض اليه . فاصبح الاسلام (وهو دين

العزة والسعادة والسيادة) على سعة الرقعة التي يشغلها ، وملايين النفوس التي يعمرها ليس له راية سابغة الظل يستظل المسلمون بظلها ، ولا علم مرموق الرفعة يلتف المسلمون حوله ، ويحدقون به . وذلك على كثرة الرايات وتعدد الأعلام »

فكانوا هم المخاطبين بقوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ... الخ . ولا تفرقوا فتذهب ريحكم .. الخ)

لا جرم ان الاسلام أتي من يومه ، وجوبه من ساعته ، فما زال أعداؤه يكيدون له الكيد ، ويدسون اليه الدسائس ، ويتربصون به الدوائر والنبي صلى الله عليه وآله قابض على الأزمة ماسك بالأعنة ، ما يقر لهم قرار ، ولا يطمئن بهم مضجع . ولكن شخصية الرسول الأعظم القوية ، وسهر الآل والصحاب اقامت سدوداً في رد كيد الكائدين ، ودس الدساسين . حتى إذا إستأثر الله سبحانه بحبيبه ، ودعاه إلى جواره : نجم قرن الشيطان فأطلع رأسه من مغرزه ، واخذ يوسوس في الصدور ، ويسول للنفوس فانقلب من إنقلب على عقبيه ، فكان مصداق قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل إنقلبتم على اعقابكم .. الخ)

واوشكت الطامة الكبرى على الوقوع ، والكارثة العظمى على النزول لولا ان تدارك الله سبحانه الأمة الاسلامية بلطفه ، وأحاطها بعنايته . ولكن الشيطان بقي يعمل عمله ، والدساسون المدلسون يقومون بدسائسهم وتدليسهم ، والكائدون يكيدون الكيد ويبثون

الأحابيل . فانصرف المسلمون (إلا قليلا منهم) عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وتركوا ما خلف فيهم رسول الله (ص) من الثقلين ، وتعلقوا بحبال الزيغ ، وعرى البغي ، وانصاعوا الى التهالك على الدنيا ، وتوخي الغضارات ، وتطلب الملذات ، وشغلوا بالمادة عن الروح وبالنفس عن العقل . فعصفت بهم الأطماع ، وتنازعتهم الأنانية فاقام كل لنفسه جنة من السفسطة يستجن بها ، وابتنى كل صرحاً من المغالطة يتشرف منه . واستعان كل على كل بعدو ؛ وركن كل الى مؤيد ، فبيعت الضمائر بالأموال ، والنفوس بالشهوات فانتشرت الفوضى المذهبية ، وقامت السوق الطائفية فاتخذ كل من وسائله وذرائعه وسيلة وذريعة ينافس بها منافسه ، ويناوي بها مناوءه . فكانت الحروب الطاحنة وكانت الآراء المتباينة ، وكانت الحجج المصطنعة ، وكانت البراهين المفتعلة ، وكانت الشعوبية الممقوتة ، وكانت الطرائق الملتوية ، فلم يأخذوا بقوله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فانتشرت الزندقة وتفشى الالحاد ، وظهر الاستخفاف والتهاون بالفروض والواجبات الدينية .

وبذلك فقد أصبح المسلم الذي كان قبل برهة أخاً للمسلم عدواً لدوداً ، وخصماً عنيداً .

فحينئذ انفتح الباب للاعداء ، واتسعت لهم المداخل ، فاستأجروا الأدلاء واستعانوا بالأوشاب . فولجوا زرافات ووحدانا ، ثم دخلوا

جماعات وأسراباً ثم تكالبوا جحافل وجيوشاً ، ثم استولوا إمارات فحكومات فلما تم لهم ما أرادوا إقتسموا المملكة الاسلامية ، وطوحوا بالمسلمين في طوائح الجهالة والغرور . ثم اخذوا يعملون على تغيير تعاليم الدين وتسميج جماله ، وتهوين جلاله ، وتشويه محاسنه ، وطمس معالمه وإغماض أحكامه ، وإبهام مفاهيمه حتى يسهل عليهم إنتزاعه من الأفئدة والصدور . ونبذه وراء الأقفاء والظهور . فصار الناس يبتعدون عنه وهم لا يشعرون . ويتنكبون وهم لايدرون ، ويجنحون إلى التعاليم الفاسدة وهم لا يدركون . وينتحلون لأنفسهم ما تزينه لهم الأهواء ، ومازوقه لهم الأعداء . وبذلك فقد عاد الدين غريباً كما بدأ غريباً .

فلذلك نرى اليوم الأغرار من ابنائنا قد دخنت في أدمغتهم مداخن المذاهب الاشتراكية ، وطاشت في رؤوس الآخرين خمرة الفلسفة المادية ، وتمذهب فريق آخر منهم بالمذاهب الفاشية ، فأصبحوا بذلك أجساماً من غير أرواح . وأجساداً من غير معان وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ظانين أن ذلك هو السبيل الى العزة التي فقدوها والمنجاة من الهوة التي تردوا فيها ، ولم يستشعروا أنهم بذلك يجنون على أنفسهم وعلى الأجيال القادمة من بعدهم ، فليس لهذه الأمة إلا ما صلح به أولها وليس يقومها إلا ما قوم ماضيها وهو دينها الذي إختاره الله لها وأكرمها به .

وليست المذاهب الموضوعة ، والمبادئ المصنوعة ، بموصلة الى سعادة ولا بدافعة الى سيادة وهذا متحقق فيما يضطرب في العالم من

هذه الأزمات وما يتعاور عليه من خراب ودمار وتقتيل ، لأن ما يقوم عليه نظام هؤلاء الناس فاسد فلا جرم أنه موصل إلى الفساد على الدوام ، ما دامت هذه الدساتير والأنظمة من صنع الناس ، ذلك لأن الناس مهما تسامت بهم العقول وارتفعت عندهم المدارك فأنهم بحاجة إلى تخطي مراتب النقص الى مراتب الكمال وما داموا كذلك فان ما يأتون به لابد وان يكون ناقصاً بمقدار نقصهم ، فهو يتطلب الكمال وما يتطلب الكمال فلا محالة ناقص . وما يقوم على الناقص فهو ناقص على كل حال والناقص لا يمكن أن يكفل السعادة البتة . وما كان ظاهره مشعراً بالسعادة فهو امر غير ثابت ولابد من وصوله الى ما يحتاج معه الى التخطي الى الكمال فهو عرضة الى النكبة والبلية .

أما ما كان مصدره الكمال المحض والجمال المحض والكمال المطلق والجمال المطلق فهو آت من الكمال الذي لا نقص فيه وما كان كذلك فلا جرم انه كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا هو الدين القيم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فحري بنا أن نعود اليه ليتم الله نعمته علينا وليهدينا الى سواء السبيل .

وظل حماة الاسلام والذادة عن الدين من فجر الاسلام وإلى هذا اليوم يصدون عنه عادية العادين ، ويدرأون عنه شبه الضالين المضلين ويسعون الى جمع الشتات ورأب الصدع ، والموجات الطاغية ، والهجمات القاتلة تكفكف من غربهم ، وتفل من حدهم الى هذا اليوم . ولكنهم مع ذلك ما زالوا صامدين لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يقعد بهم

عن الواجب مخذل .

ولولا هؤلاء الأئمة الأبدال ، والمؤمنون الأبطال لما بقيت في الحوض ثمالة ولا فضلت في الكأس صبابة . ومن كبار هؤلاء الأئمة في زماننا علامتنا الأكبر الامام المصلح المجدد الشيخ عبدالكريم الزنجاني الذي شد الله أزره فأخذ على نفسه الاضطلاع بهذا الأمر الجليل والتحمل لأعباء هذا العمل الكبير . فركب من أجل ذلك كل صعب وذلول ، وسار في كل حزن وسهل غير عابئ بما كان يجبهه به أعداء الاسلام والمغرضون ومرضى القلوب . وما كان يبثه حوله من الشكوك والشبهات خصوم الاسلام ، وذووا الأغراض المنحطة ، والنفوس الملوثة ، ومع ذلك كله فكان سماحته لا يفتأ عن الدعوة إلى الوحدة الاسلامية والسعادة الانسانية ولا يفتر عنها متخذاً من صحة إيمانه انصاراً ومن صادق أنصاره أعواناً ، فصار وهو يطوف البلاد الاسلامية ، ويتنقل في أقطار الشرق الاسلامي والعربي يتصل بكبرائها وبعلماء الدين ورجال الحكمة والحكم ، وأصحاب السيف والقلم ، وأرباب الصولة والعلم ، وذوي الكفاآت والقيم ، فكان سماحته أينما حل وحيثما ارتحل يحدث إنقلاباً عظيماً في الأفكار وانتباهاً كبيراً للعقول وضجة مدوية ، يعقبها أثر محمود المنفعة او سعي مشكور العاقبة وفتح عظيم من فتوحه النافعة فكان توفيقه في مسعاه عظيماً ، وسعيه في منحاه موفقاً اذا قورنت نتائج أعماله التاريخية بنتائج الأعمال التي قام بها سواه والآثار التي تركها غيره من رجال الاصلاح في القرنين الأخيرين والذي

يمعن في مطالعة (كتاب الرحلة) هذا يتبين له ذلك ولا ينبئك مثل خبير

و(كتاب الرحلة) هذا الذي نحن بصدد جمعه من الصحف والمجلات ، ومن مذكرات نخبة ممتازة من اساتذة شهود العيان ثمرة واحدة من ثمرات أسفار علامتنا الامام الزنجاني ، وورقة واحدة من كتاب مجهوداته ، الدينية الاصلاحية نضعه بين الأيدي ليستبين منه ما بلغ اليه السعي ، وما وصل اليه المجهود لكي يأخذ كل قسطه من المساهمة في العمل وليكون حافزاً الى تضافر العزائم فليس بعد اليوم مع التقاعد إلا العاقبة الوخيمة أو الموت ، وليس بعد اليوم مع الجهاد إلا حسن المغبة والفوز .

أما بعد : فلنأخذ في الرحلة ومعانيها ومقاصدها وتطورها وما هي عليه ونصورها تصويراً ثم نتكلم قليلا عن رحلة علامتنا الامام الزنجاني ونعرفها ونعرضها عرضاً يسيراً لأنها هي موضوع هذا الكتاب فنستغني عن القول فيها بها ونترك الاسهاب في التحدث عنها اليها فنقول :

عني المؤرخون — منذ فجر التأريخ — عناية خاصة بسير الابطال والعباقرة ، والعظماء والمصلحين . وجلائل أعمالهم ، وخالد آثارهم ، واستقراء رحلاتهم التي سجلوا بها خطط السعادة وأنماط السيادة ، والرقي لأممهم . وتناول كثير منهم كيفية نشوء الرحلة ، وعرض أطوارها التي مرت بها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن . وحاول بعضهم تصوير آفاق أخرى للذين يستهملون التأريخ ويستمدون منه العبرة ، ويشاؤون إلتماس فلسفة الرحلة ، وإستبانة أسباب النجاح التي

جعلت آثار الناجحين من رجال الرحلة جديرة بالبقاء . ومستوجبة للخلود . لما بذلوه من الجهود ، وما كابدوه من العناء بحيث تزاحمت عندهم المزايا ، ووضحت فيهم المثل العليا والخلال المثلى فكنزوا للأمم ثروة ضخمة ، وأورثوها كنوزاً ثمينة ، وتركوا من تاريخ حياتهم ما يحفز الناس الى الأخذ بطريقتهم ، والنسج على منوالهم ، أو يحمل بعضاً على اقتفاء آثارهم واقتعاد غوارب أسفارهم ، ليغترف من الغدق الذي اغترفوا منه أو يتمتع بالجمال الذي تمتعوا به أو يكتشف مثل ما اكتشفوا أو ينفع مثل ما نفعوا ولو أن تاريخ البشرية خلا من تسجيل أعمال هؤلاء الجهابذة الأفذاذ ، وسجل الانسانية تجرد من ذكر هؤلاء العلماء الأبدال الذين نبغوا في هذه الأرض وأشرقوا عليها على إختلاف الأمكنة ، والأزمنة ، وكانوا فوق المستوى العادي للبشر . أقول لو خلا التاريخ وتجرد من ذلك لعد تاريخاً باهتاً ، وسجلا خافتاً لا أثر فيه للحياة والنور .

وغير خاف ان الرحلة الى البلاد المتاخمة والمجاورة ، والأقطار البعيدة النائية لانتجاع النزهة أو للاطلاع على ما فيها والاحاطة بأوضاعها الروحية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغير ذلك فريضة طبعية توجبها غريزة حب الاستطلاع التي هي من أكبر وأهم النواميس المتممة بل المقومة لنظام الكون ويقتضيها الميل الانساني الفطري للمشاركة في منافعها الأدبية والمادية ، ويؤيده ناموس تنازع البقاء . ولولا ذلك لانكمش كل عن كل ، ولجهل كل كلا ، ولانقطع

كل عن كل ، ثم لتبني كل كلا . وبهذا تنفصم عرى المجتمع الانساني وتتباعد اجزاؤه وبهذا يكون الانحلال العام والجاهلية الجهلاء فينقطع دابر العلم ويندثر حبل العرفان ، وتدبر غوارب الاسفار فيعزب التعرف على الاقطار والبلاد فيعم الخراب وتسود البلادة ، وينمو كل شيء في مكانه ويترعرع ثم يموت .

إذن فعلى أسس الطبيعة والفطرة نشأت الرحلة وصارت من أهم العوامل التي تسبب عنها تقدم العمران ، وتوسع نطاق العقل ، وإنتشار العلم ؛ وامتزاج العقول وتزاوج الآراء ، واحتكاك الأفكار ، وصقل المشاعر ، وسمو التفكير مما تولد عنه رقي المجتمعات في الصنائع ، والفنون والمدركات ، والمحسات ، والعقائد ، وسريان الشعور في ضمائر الكون وكشف موصد الاسرار وفك مغالق الطبيعة ، وحل طلاسم الممكنات من هذا العالم البديع .

ثم تطورت الرحلة ، وتنوعت فيها الأغراض ، وسمت منها المقاصد بحسب ناموس الارتقاء فبعد أن كانت لمعرفة تخطيط البلدان ، والوقوف على الابعاد والتعداد والأشكال والألوان ، صار المقصد السامي منها معرفة أساليب الحياة في مختلف الامم بحسب اختلاف الأقاليم والبلدان وتحري أسباب الطبيعة ومكيفاتها وتأثير التربة والمناخ والهواء ، والماء . ودرس طبائعها ، وأسرار تطورها ، ونواميس رقيها وموجبات تقدمها في أدوار تطورها ، وتدرجها ، وتصاعدها في سلم إرتقائها .

ولم تقف أغراض الرحلة عند هذا الحد ايضاً بل قد ترقت الى مقصد أسمى من ذلك فصار رجل الرحلة يحمل أعباء الرسالة الاصلاحية ويصدع بالدعوة الى الاصلاح ، ويبث تعاليمه السامية في الآفاق التي يقدر له الوصول اليها ، ويغرسها في نفوس الامم التي يتعرف عليها . وبذلك تغيرت مرامي الرحلة واتجهت إتجاهاً آخر فاستقبلت عهداً جديداً . نجد فيه فيلسوف الاسلام العظيم الشيخ نصير الدين (محمد الطوسي) وآية الله العلامة الحلي جمال الدين (الحسن بن المطهر) بجانب الرحالة « ابن جبير » والرحالة (ياقوت الحموي) . ونرى شمس الملة والدين « محمد بن مكي » الشهيد الأول في جانب الرحالة (ابن بطوطة) ثم نعرض رحلات زين الدين الشهيد الثاني ونور الدين المحقق الكركي . وبهاء الدين محمد العاملي . والقاضي نور الله الشهيد الثالث . وفيلسوف الشرق السيد جمال الدين . والمصلح الكبير تلميذه محمد عبده والمصلح المجدد الأكبر الامام الزنجاني . فحينئذ تتجلى أغراض الرحلة بحسب مقاصد رجالها ويستبين للنظر تطورها وإرتقائها

فلم تعد أغراض الرحالة مقصورة على ان يسمع ويرى ويأخذ ويروي بل اخذ يساهم في تعديل القوانين وإصلاح نظم الحياة وتوجيه نفسيات الأمم فلا غرو أن يندب كتاب الله المعجز الخالد الى الرحلة ويقررها عاملا مهماً في تكوين العقل المكتسب والملكات والعلم والمعرفة بقوله جل شأنه « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ

وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »

فاذا قدر لأحد أن يعرض تاريخ رحلات هؤلاء الأبطال الأفذاذ والمصلحين العظماء ، والمجتهدين الحكماء وما سجل من آثارهم الخالدة اللامعة ، وأعمالهم المضيئة الساطعة ، امتلأت نفسه اعجاباً بهم وطفح قلبه إكباراً لهممهم ، وانشرح صدره لتمجيد سيرهم وتسامت روحه لاقتفاء آثارهم ، وتتبع أخبارهم لا سيما اذا كان الرحالة من أئمة الدين المجتهدين ، والفلاسفة المصلحين وكان الغرض من رحلته (الاصلاح الديني) . وما ذلك الا لأن خير ما يوجه اليه المصلح عنايته ، ويسوق اليه اهتمامه هو « الناحية الدينية » فاصلاح الأمة من هذه الناحية يتضمن كل اصلاح . وخصوصاً بعد أن منيت الأمة الاسلامية كما أسلفنا بالانحلال واستحوذت عليها الفوارق التي اتخذت منها معولاً هداماً يهدم أساس الدين الاسلامي ويصدع تماسك بنيان المسلمين الذي كان يشد بعضه بعضاً وابتليت بالجدل العقيم في الأصول والفروع . وضيعت جمال التعاليم الاسلامية التي ما بعد جمالها من جمال وضعفت عن ادراك جلالها الذي ما فوقه جلال . ونظرة واحدة من عارف نزيه في التشريع الاسلامي والدين الحنيف كافية للأخذ بمجامع القلوب والسيطرة على الأفئدة والعقول . فطريق الاصلاح في العالم الاسلامي المتموج اليوم بأمواج الاضطراب منحصر في الاصلاح الديني قبل كل شيء لأن عن هذه الطريق تتفرع جميع الطرائق واليه ترجع جميع الاصلاحات التي تحتاج اليها هذه الأمة اليوم . إذ به تشع تعاليم الاسلام ويثبت

نظام الأمم الاسلامية ، ويتضح ان الاسلام لا يعطل التفكير والابداع ، ولا يورث الجمود والأنحطاط ، ولا الذل والهوان ، ولا يصطدم بأسباب الرقي ، أو يتنافى مع التقدم ، ولا يخالف الحياة في نواحيها المختلفة ، ويظهر أن ما نال المسلمين من الانحطاط وما قعد بهم عن بلوغ الغاية في سعادة الحياة ليس لشيء في طبيعة التدين بالدين الاسلامي ، أو لعنة سيئة في تعاليم الاسلام كما تجرم بعض الجاهلين اذ لا سبيل الى هذا التجرم الباطل والزعم الفاشل بعد ما اتضح في فلسفة الاسلام أن أساس الدولة الاسلامية الكبرى قد ارتكز على العنصرية الانسانية ، والوطنية العالمية مترابطة بأربطة الاخاء الايماني القويم ، بعد ان أحاط العنصرية العربية ولغتها (عيبة الاسلام ونقطة مركزه) بسياج من الضمانات يجعلها على مر الزمن وثيقة الوجود ضمن جميع الروابط . وقد أثبت التأريخ الصحيح أن الأمة العربية لم ترتق الا بدينها ولم تسم فوق الامم والشعوب إلا به ، ولم تبلغ من العزة والمنعة والكرامة المنزلة التي لا منزلة فوقها الا بهذا الدين الحنيف

فقد بسطت الأمة الاسلامية يدها على العالم ودانها الملوك فدوخت القياصرة وثلت عروش الأكاسرة وبدلت من بعد تفرقها وحدة ، ومن بعد ذلها عزاً . ومن اخلاقها الغليظة الجافة . ونفوسها العاتية أخلاقاً فاضلة ونفوساً مطمئنة رضية كريمة . كل ذلك بفضل ايمانها بدينها القويم الذي جاء به عن ربه الرسول العربي خاتم الرسل محمد (ص) فأخرجها به من الظلمات الى النور .

وقد تبين مما تقدم أن أشرف أنواع الرحلة هي الرحلة التي تنتج اصلاحاً في جميع النواحي العلمية والدينية والاجتماعية ، والأخلاقية والثقافية ، وهذا النوع هو موضوع هذا الكتاب الذي وفقنا الله سبحانه وتعالى بنظم شتات لآليه من نفحات المصلح الأكبر الفيلسوف العظيم حجة الاسلام الامام المجدّد الشيخ عبد الكريم الزنجاني .

ولما كان شرف الكتاب بشرف موضوعه فهذا الكتاب على إيجازه أشرف كتب الرحلة لأنــــه لم يغادر ناحية من النواحي الاصلاحية فيما يعود على الاسلام والمسلمين وعلى الشرق والانسانية الا توخاها . ولم يترك جهة من جهات الاصلاح إلا تحراها . وهذا الكتاب (الرحلة) على جلالة قدره . وعظيم منزلته غيض من فيض إذ لم نعثر من مئات الصحف والمجلات التي نشرت فيها أخبار رحلة الأمام ومحاضراته الا على قليل ، ولم يصلنا من مذكرات الألوف من شهود العيان الا عدد ضئيل ، ولم تسمح لنا الظروف الحاضرة أن ننشر كثيراً مما اجتمع منها عندنا . والتزمنا أن نسجل نصوص عبارات الصحف والمذكرات على اختلافها في مستوى البلاغة ومع تكرر قليل من الجمل والمطالب في بعض منها رعايتاً للأمانة ، وفوق الجميع أن الصحف لم تستطع استقصاء جميع ما وقع فللامام الزنجاني جولات تاريخية في الاصلاح من جميع نواحيه وأعمال عظيمة جبارة في شأن الوحدة الاسلامية تحتاج الى غير هذا من المؤلفات القيمة . وعسى أن يكون كتاب الرحلة هذا باكورة لكتب أخرى يتحلى بها عقد جيد الزمان إنشاء الله

محمد هادي الدفتر


للخلود في التاريخ

رسالته الاصلاحية

لم ترتفع دعوة إصلاح في الشرق في القرن العشرين ، ولا في جواء العالم الاسلامي في أي عهد من عهوده أرفع من دعوة سماحة الامام المجدّد حجة الاسلام آية الله الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، الذي أشرق إسمه في مشارق الأرض ومغاربها ، وعرفته الأعاظم بأنه رجل المعجزات وفيلسوف الشرق ، ومفخرة المسلمين ، ومصلح عالمي فذ عظيم ، يملك الفكرة ووسائل التنفيذ ، ولا يكترث بمقاطعة المضلين مهما عظمت شؤونهم وعلت أقدارهم ، ولا يلين للخطوب التي تنزل به ، ولا يخنع لقوى الأرض وان اجتمعت لمقاومته ، بل هو يعمل لخير الاسلامية والانسانية بعزم تتزايل الجبال دون أن يتزلزل ، ويقين تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول ، وبذلك تهيأت له الامامة ، وسعت اليه الزعامة .

ولم تنجح دعوة كما نجحت دعوة الامام الزنجاني ، ولا بسرعة كهذه السرعة المدهشة ، والسر في ذلك أن رسالته إنسانية كبرى قوامها السلام العام ، وغايتها الاصلاح العالمي بأقسامه من الديني والعلمي والثقافي ، والاجتماعي ، والأخلاقي ، وقصارى مقصده الأسمى من رسالته الاصلاحية الكبرى ، أن يرى المسلمين رجعوا إلى عزهم تحت ظل الله ، ويرى الشرق مهبط الوحي ومبعث الأنبياء والفلاسفة إستعاد

مجـده ، ويرى الانسانية خففت آلامها وتحققت آمالها، ونالت المثل العليا في الشرف والتهذيب والكرامة .

إن للامام الزنجاني – وهو شيخ يتزاحف على الستين إن لم يكن قد إقتحمها فعلا – عظمة تفوق كل وصف، وهي تتجلى في كل ناحية من نواحي حياته ،

(كالبدر من حيث التفت وجدته يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا)

ولسماحته شخصية قوية رائعة تستوقف النظر بين صفحات التاريخ وتستمد وحي البطولة من قوة نفسية خفية ، نحس أثرها ، ونعرف وقعها في صولته الفذة ، ومقدرته العجيبة التي لازمته ومكنته من أعمال مدهشة خلدته ، ولكننا لا نستطيع فهمها ، ولا ندرك أصلها ، ولا نقوى على تحليلها مهما نرد مناقبه الغر إلى خلاله العظيمة ، ولا يسعنا الا أن نقول « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وهذه الشخصية الفذة لم تفترق عندها الأهواء ، ولا تشعبت فيها الآراء ، إحتفظت بمنزلتها ، وإعتدت بكرامتها ، على الرغم من تقلب الظروف وإختلاف الرياح ، وعلى الرغم مما عانته من عنت المستعمرين وخصوم الدين ، ورقباء المسلمين ، شقت طريقها في بلاد الشرق والغرب إلى أسمى ما تصبوا إليه النفس ، وهي مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة حتى أقر الجميع سراً وجهراً – على اختلافهم في المذاهب ، وتباينهم في العقائد – بتقديرها ، وعلو مكانتها .

وصادفت دعوته الاصلاحية الكبرى في أنحاء العالم الاسلامي عقولا خصبة ونفوساً طيبة ، تقبلتها بقبول حسن ، وأحلتها محل التقديس فكان نجاحه عظيما .

رحلته التاريخية

لم يكتف الامام الزنجاني بنشر دعوته الاصلاحية الانسانية ورسالته الاسلامية الشاملة لأربعمائة مليون مسلم من حدود الصين الى شاطئ المحيط الأطلسي ، بل قام برحلة شاقة حافلة بتوفيق يتلوه توفيق وفتح عظيم يتلوه فتح عظيم ، وأخذ يجوب الأرض ، ويركب البحر ويزور الأقطار العربية ، والعواصم الشرقية الاسلامية ، ولم يدخل بلداً إلا ترك فيه آثاراً عظيمة محسوسة ملموسة باهرة خالدة لاتقبل الانمحاء أبداً ، ولم يقتصر في رحلته على بلد واحد من بلاد العرب والمسلمين ، بل لم يقصر رحلته على قطر أو قطرين من الأقطار الشرقية إذ وسع إرشاده أكثر البلاد ، ووهب نفسه لكافة إقطار الشرق الاسلامي ، فسافر الى الهند ، وافريقيا ، ومصر ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، وسوريا ، ولبنان ، وإيران ، وقفقاسيا ، وغيرها .

وكانت هذه الرحلة تحمل مشعلا عظيما من مشاعل تقارب الشعوب بما لم يسبق اليه مثيل ، نعم قام الامام الزنجاني برحلته الواسعة التاريخية التي اعربت للعالم عن عظمته في إصلاحه ، وإخلاصه ، وعلومه ، وفلسفته ، وبطولته ، وعبقريته ، ودخل البلاد والعواصم العظيمة دخول الملك الجبار ، في حين أنه لم يعزز بمال أو دولة أو جيش

أو عصابة، وإنما عزز بروح عظيمة، وشخصية قوية، وبيان خلاب، وأسلوب معجز لا قبل لأحـــد بمقاومته، وبصيرة كاملة بمقتضيات الظروف والأحوال، وبجنود من معارفه وعلومه وعزمه وحزمه وخصاله وبموكب عظيم من جلال فلسفته، فاحتل - هذا الروحاني الذي يمثل منتهى الضعف والخضوع أمام خالقه، وشـدة البطولة والقـوة أمام مناظريه ومعارضيه - عروش القلوب، وقلوب الملوك وأدمغة المفكرين ورؤوس العلماء وأفكار الفلاسفة، ومشاعر الأدباء، وأذهان الأساتذة وصب فيها من وابل علمه وفقهه، وندى فلسفتـه وحكمته ما جعلها تتنسم الحقائق الراهنة، والآراء الناضجة، والأفكار العالية، والعلوم الصحيحة، ولذلك أخليت له منصات الخطابة من أربابها، والمحاريب الدينية من أئمتها، وكراسي التدريس من أساتذتها فى كافة الأقطار فكان الامام؛ والخطيب، والمرشد، والهادي.

وحينما حل الامام الزنجاني إلتفت حوله أكابر المصلحين؛ وزعماء الأمم وعلماء المسلمين، وتلتها جماعات من بناة المجد الخالد، وغطارفة الثورة على التقاليد المضرة الجديرين بالانتداب للمهام الخطيرة، والخطط العالمية، فى إقبال مطرد بغير دعوة الا دعوة الحق، ونداء الضمير والواقـع الذي كان يؤلف حوله عشرات الألوف من مختلف الأمم والطبقات، لخير الدين، ولصالح الشرق؛ ولمصلحه الانسانية عامة.

وكل أمة شاهدت روحه التواقة للاصلاح، والسير بهذه القوافل العظيمة في سواء السبيل إنقادت له، وخضعت لدعوته، وأخلصت فى

تعزيزه ونصرته ؛ فأيده الله برجال مخلصين ، الذين يؤازرهم تقدم الأعمال ، وتقوم الآمال ، وتشاد صروح الايمان ، ومجد الأوطان ، وبهؤلاء سجل الامام للاسلام وللتشيع ارقاماً عالمية مدهشة تفوق بها على مصلحي القرون الماضية والحاضرة وأصبح عمله إعجازاً .

وليس من غرضنا أن نصف المراحل الكثيرة التي قطعتها هذه الرحلة التاريخية ، لأن هذا سيكون من عمل التاريخ الذي سيسجل لامامنا المصلح الخالد ما بذله من جهد وتضحية لاخراج هذا العمل الجبار إلى الوجود ، ولما أظهره من كفائة ممتازة إنتهت بالظفر بأعناق الفوز ، وبلوغ الغرض الأسمى والمرمى البعيد ، وقد يحتاج الى مائة كتاب .

ثورة على البدع

إن ثورة الامام الزنجاني على البدع لا يوجد لها نظير الا في أفراد من السلف الصالح ، فقد صمد لها صموداً أشفق عليه منه حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتيها ، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير من أعداء دعوته الألداء ، والصناديد الأقوياء من مختلف طبقات الأمم والحكومات ، ولقد لقى منهم ما لو لقيه سواه لصده عن السبيل ، وما كان يكفي أن يزرع اليأس في قلوب جيش محتشد ممن ليسوا على منهاجه ، فلا يعودون يذكرون النهوض ولا تمنياً ، ولكن روح الفضيلة قوة إلهية لا يعرفها إلا الفضلاء فلم تزل تفعل فيه فعلها حتى ثبت للمعارضين ، واستبسل في الكفاح أيما إستبسال ، واستطاع بفضل إخلاصه وصبره ومثابرته وجهوده الجبارة وعلومه الجمة وتوكله على الله تعالى أن يحدث في الصفوف المتراصة حياله ثغرة إقتحمها على مناوئيه ، وفي أثره جمهور غفير ممن كانوا لا يجرأون على مواجهتها مجتمعين ، فأصبحنا وللدين الصحيح أنصار مجاهرون في أكثر الأقطار ، وفي أغلب الأمم ، وحيال البدع خصوم مجاهدون ، وأصبح الامام الزنجاني بعلومه وأعماله الجبارة المصداق الحقيقي لقول شرف الدين :

(ماتت به بدع تمادى عمرها   دهراً ، وكان ظلامها لا ينجلي)
(وعلى به الاسلام أرفع هضبة   ورسا سواه في الحضيض الأسفل)
(غلط إمرؤ بأبي علي قاسه   هيهات قصر عن مداه أبو علي)
لو أن وسطاليس يسمع لفظة   من لفظه لعراه هزة أفكل)
(ويحار بطليموس لو لاقاه من   برهانه في كل شكل مشكل)
(ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا   أن الفضيلة لم تكن للأول)



خطبه وكلماته الخالدة

لقد ألهم الله بعض الأساتذة (١) خيراً ، فوافى أمنية تجيش في صدور المعجبين بالامام الزنجاني في أقطار العالم ، بأن جمع من خطبه التأريخية ، ومقالاته الرائعة ، وكلماته الخالدة ، وآثار أسفاره ورحلاته التأريخية المباركة ، بعض ما تفرّق في مختلف الصحف والمجلات ، وفي مذكرات شهود العيان ، فاستوت كتاباً ثميناً هو في وقته كنز لأولي الألباب ، وسيظل خالداً إلى الأبد وذخراً للأعقاب .

وهذه الخطب المقتضبة الارتجالية وإن كانت دلائل عبقرية الامام وتسجل ناحية من نواحي عظمته الاصلاحية ، وترشد الأذهان الى أن تتخذ قياساً لهذه العظمة ، بما تضمنته من الفلسفة ، والحكمة ، والمنطق وأسرار التشريع ، والتفسير ، والحقائق ، ونواحي الاصلاح الاجتماعي والديني ، والعلمي ، والعواطف السامية التي تجيش بصدور عظماء البشر ولكن من المحال أن تستطيع قرائة هذه الخطب أن تصور للقارئ في خارج محيط الالقاء ، مقدار ما تركته من الآثار المدهشة العميقة في نفوس مئات الألوف من الأساتذة والناس الذين سمعوها من صوته الذي هز الأمم والحكومات هزاً لأنه صوت ضميره ، ونواته في تربة

«١» الاستاذ الاديب الكبير السيد محمد رشيد مرتضى وزملائه

هي في أعماق إحساسه الانساني ، ففي صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضية القوية الجبارة التي كأنها مولد كهربائي عظيم يبعث الحرارة والقوة والحياة في القلوب ، أو كأنها قوة مغناطيسية عظيمة ، تجذب إلى مركزها على المنصة قلوب المستمعين ومشاعرهم ، فلا يستطيعون عنها تحويلا

وعلى الرغم من ان الامام الزنجاني يبذل قصارى جهده في الابتعاد عن التفنن في توشية طراز البلاغة ، وتعمد في أن يخطب مرتجلا باللسان الذي يفهمه جميع الحاضرين ـ على إختلاف طبقاتهم ودرجات ثقافتهم ـ ولكنه مع ذلك صاحب الرأي الذي انتهت اليه الاصالة ، والقول الذي إندمجت فيه الدقة مع الجلالة فان شدّة نفسه وقوة روحه وغزارة علمه وفلسفته وحكمته رفعت بدرجة بيانه الى ما تنقطع دونه علائق الأقلام ، وتظهر خطبه الارتجالية مستحكمة الصياغة وفي أبدع تصوير ؛ ويخيل اليك وأنت تقرئها أو تسمعها أن الألفاظ والمعاني قد دانت له يصيغها في القالب الذي يراه ويخرجها فتنة للسامعين ، وومواضيعها آراء جديدة وأفكار أبكار لم يسبقه اليها سابق فيما نعلم ، وكثير منها تحف لم تفتق رتق سمع ولا خطب مثلها في جمع ، وفي بعضها يحس المستمعون أن ضوءاً جديداً قد سطع على موضوعات قديمة مألوفة فاذا الآراء والأفكار المحتجبة وراء ستار من الأساليب الملتوية قد تجلت واضحة قوية .

وقد زاد في بلاغة هذه الخطب وأنمى من روعتها ما عرف به سماحته من حسن الالقاء وجمال الافضاء فكان لها وقع عظيم في النفوس

بما جمع فيها بين البيان المرتجل واللباب المنتخل ، وود السامعون لو كان أتيح لها كاتب أستنوغرافي أو سلط عليها شريط كهربائي لينقلها كما ألقيت

ومن مر بهذه القلائد التي نظمها الامام في هذه الخطب والفرائد التي رصعها بها لم يفارقها إلا بقلب مشتاق ولب يستظهر بالذكرى على ألم الفراق .

وإن هذه الخطب التي تهز المطالع من إعجاب ، وتوجه الضد للاعلان بها ؛ وترغم الخصم على الاعتراف بها وتحل المشاكل العويصة التي عجزت عن حلها الفحول والأبطال ، وتعالج الأمراض الاجتماعية والدينية على لوحة التشريح المنطقي البرهاني ، والحس الانساني كلها خطب ارتجالية إرتجلها الامام في المناسبات وفي مواقف كان أكثر الناس على غير رأيه فيما يجول - بصورة بدهية كأنه يقرأ منها في كتاب ، وكأنها تستوحي الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب ، وبسرعة فائقة لا يستطيع أي كاتب أن يسجل كلها أو جلها ، وكان المحررون للصحف وشهود العيان يقيدون ما واتتهم سرعة اليد وما استطاعوا أن يسايروه بأيديهم ، فان سبق الامام أيديهم تركوه أو فهموا عنه بعض المطالب ثم أدوا ما فهموه بألفاظ من عند انفسهم ولعلهم إجتهدوا أن تكون هذه الألفاظ مقاربة لما قاله الامام ، وكان أصحاب الصحف يحرصون على إذاعة ما قيدوه من كلامه ، فلا غرو إذا فقدت الخطب والمحاضرات جمالها الواقعي ، ومع هذا فهي تبهر العقول وتحيرها ، وقد قال الدكتور طه حسين :

« كنت إذا سمعت محاضرة الامام الزنجاني نسيت نفسي ورأيتني في حياة غير الحياة التي أعهدها ، وظننت أن ابن سينا حي يخطب »

وقال الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر :

(اني لأوصي جميع الناشئة الأسلامية التي تريد أن تفهم الشرع والدين والاجتماع أن لا تقدم شيئاً على قرائة خطب الأمام الزنجاني وكلماته وتصانيفه وترجمته ، لقد قسم الله له من إكتناه اسرار التشريع وفلسفة الدين مالم يقسمه إلا لكبار الأئمة ، واحبار الأمة ، والله تعالى ينفع المسلمين بآثاره ، ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاهر انواره)

ثم إن كل خطبة من خطب الامام وكل كلمة من كلماته تنطوي على مالاحد له من الجهات والنواحي والمناحي ، وفيها من الفلسفة ، والحكمة وفنون العلوم ، وأسرار التشريع ، ولوامع التاريخ ؛ وأساليب السياسة والأسلوب البديع ، والأدب المعجز ؛ ما حير الفلاسفة والعلماء والأدباء وقد يتناولها محرروا الصحف أوشهود العيان مبعضة وبصورة مقتضبة وتقتصر كل صحيفة من جهات الخطبة ونواحيها الكثيرة بنشر ناحية واحدة فحسب ، وهي التي تلائم خطتها ، وتوافق ذوقها ، وتشير إلى ما تبتغي من مقصد يوحيه اليها موقع الضوء عليه في ناظرها (١) فمن

---

(١) صرحت بهذا جريدة «الأيام» الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة السادسة وهذا نصها :

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيمة التي ألقاها —

الصعب أن تجمع الخطبة كما يرام، أو تسجل كما ألقيت، ولا يمكن تصوير قوة تأثيرها، وشدة آثارها، وليس بالمستطاع استقصاء جميع الصحف والمجلات التي نشرتها بمختلف اللغات الشرقية والغربية، ولا مذكرات جميع شهود العيان التي سجلتها، فانها لا يحصيها العد والحصر، فالذي وصل إلينا من خطب الامام الزنجاني وكلماته الخالدة جمل إختزلها الكاتب واقتطفها المحرر من كل خطبة من خطبه المطولة وقطرة من بحر، وغيض من فيض، منسجم في حدود إستطاعة الكتاب وقدرة الجامع، ولو كان قد عثر على جميع تلك الصحف والمجلات ورصد جميع الخطب كاملة لما استطاع أضعاف حجم هذا الكتاب أن تسعها

وهنا ينبغي التنبيه على أنه لم يمكن أن يطلب من الامام أن يعيد النظر في هذه الخطب والكلمات لا لأنه يكره الرجوع الى ما ألقى أو أملى فحسب بل لانه من ضيق الوقت وكثرة العمل وإزدحام الواجبات من الدرس والبحث والتأليف والافتاء واجوبة المسائل وقضاء الحوائج بحيث يشفق عليه منها عارفوه من قريب ويتمنون ان يهيئ الله له بعض الراحة والهدوء حيث لا راحة له في غير الاستزادة من العمل ومن

— إرتجالا الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في الجامعة السورية تلك المحاضرة التي يصعب على الكاتب أن يدونها أو يلخصها دون أن يذهب برونقها، ويشوه محاسنها، ولكننا أقدمنا على تلخيص بعض ما جاء فيها ليطلع القراء على الفكرة التي جائت محاضرة الاستاذ الامام حولها، وان كانت هذه الفكرة لا تتسع صفحات عديدة لتلخيصها ... الخ

العمل ومن النجاح الذي يلازم العمل ، مضافاً الى ان سماحتـه مدفوع دائماً الى الأمام لا يستطيع ان يقف او يستقر فضلا من ان يلتفت إلى ما مضى ، او يعيد النظر في كلام مضت عليه اعوام ، وهو لا يجد وقتاً يمكنه من اداء واجباته اليوميـة التي يقتضيها مركزه الديني والعلمي السامي على وجهها ،

ومن الجـدير بالذكر ان بعض الاساتذة ارادوا ان يظهر الامام الزنجاني من الحرص على آثاره وآرائه اكثر مما اظهر الى الآن ، لأن محاضراته وآرائه وكلماته قد استغلت عند بعض الكتاب والباحثين استغلالا يتفاوت في الامانة والخيانة ، دون ان يشير المستغلون الى ما استغـلوا منها حين سمعوها اثناء الالقاء ، او حين قرأوها في الصحف والمجلات والمذكرات ، فأظهروا أنهم مبتكرون . ولكن سماحة الامام إعتذر منهم قائلا :

(إني أزهد الناس في أن يعرف لي السبق إلى رأي من الآراء او عمل من الأعمال ، ويدفعني إخلاصي في العمل الى ان ابيح للناس ان يأخذوا ، وان يستغلوا ؛ بل اجد سعادة لا تعد لها سعادة حين اراهم يأخذون ويستغلون آرائي ، وليس يعنيني ان يشيروا الى أنها لي ، وإنما يعنيني ان أكون نافعاً لهم وللجميع .



دلائل النجاح

إن عشرات الاحتفالات التاريخيـة المنقطعة النظير التي أقيمت تكريماً للامام الزنجاني في كل بلد دخله في مصر ، وسوريا ، ولبنان وفلسطين ، وشرق الأردن ، والهند ، وسائر أقطار الشرق الاسلامي والعربي ، والتي رسمت صحف العالم صوراً مصغرة من خطوطها الرئيسية فحسب ، كانت أصدق تعبير عبرت هذه الأمم بأسرها — على اختلاف طبقاتها ونزعاتها — عما تكنـه من الاعجاب العظيم بدعوته الاصلاحية الكبرى ، وإقتناعها برسالته العظمى وتقديرها لشخصيته الفذة ، ومظهراً جلياً من مظاهر إعترافها بعظمة هذه الشخصية ، وتأثيرها الكبير في الأمم وإذعانها بنجاح دعوة الامام ، وأياديه البيض ، وجلائل مواقفه التاريخية ، وأعماله الخارقة التي وصفها كبير أدبائها بقوله :

« ولولا ان هذه الخوارق والمعجزات — أعمال الزنجاني — وقعت بمرآى ومسمع منا ، ونشرتها جميع الصحف وتناقلتها شهود العيان ، لكانت أقرب الى أعمال أبطال الخيال ، منها الى أفعال أشخاص التاريخ »

وقال أحد شهود العيان :

« إن أشد ما كان له وقع في نفسي هو الانطباع العميق الذي أحدثته شخصية

الامام الزنجاني في نفوس المصريين كافة فصاروا جميعاً من أشياعه وتابعيه ولاحظت هذا في إحتفال الأزهر وسائر الحفلات التي اقيمت تكريماً له وبعد مغادرته مصر، أخبرني المصريون أنفسهم كم كان إعجابهم به عظيما.»

نعم بلغ الامام من النجاح ذروته، رغم أن النجاح في الاصلاح الديني صعب المرام، ملتوي الطريق، محفوف بالصعاب والعقاب، لأسباب واعتبارات وملابسات لاتخفى، سيما اذا كان في اوساط المذاهب المتخالفة، والأديان المتباينة، والعقائد المتحجرة، والتقاليد المترسخة وتجلى هذا النجاح في جميع الاصقاع والأقطار، واشتهر في العالم شهرة الشمس في رائعة النهار، حتى صار شغلا شاغلا لجميع الصحف والجرائد والمجلات برهة من الزمن في مشارق الأرض ومغاربها

تصوير الحقيقة:

ظهر لنا من تصريحات الامام الزنجاني في محاضراته التي القاها في مختلف البلاد أن لرسالته الكبرى عناصر وآفاق ومراحل، دعى سماحته في كل بلد الى ما كان يناسبه منها، وكلها حقائق راهنة، وحلقات متصلة يستدعي بعضها بعضاً، ويتوقف بعضها على بعض وقد قررها القرآن الكريم، ودعمها الدين القويم.

« المرحلة الأولى » الوحدة الاسلامية، والأخوة الايمانية المشار اليهما بقوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » وبقوله تعالى « فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

« المرحلة الثانية » الوحدة الدينية، أو توحيد الأديان السماوية

المشار اليها بقوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون »

وقوله تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

﴿ المرحلة الثالثة ﴾ الوحدة الانسانية ، والأخوة البشرية ، المشار اليهما بقوله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم » حيث أثبت التكريم الآلهي لنوع الانسان ، لا لخصوص المتدينين بالاديان الالهية منهم وعبر عن الانسان بلفظة « بني آدم » ليذكرهم انهم جميعاً أولاد شخص واحد ، وهذا معنى الأخوة ، ومن الواضح ان الأخوة تستدعي المحبة بين الاخوة ، والمحبة تمنع من وقوع النزاع والخصام ، فيصل البشر بها الى السلم العام .

بدء الامام الزنجاني دعوته بالمرحلة الأولى ، فدعى كافة المسلمين الى الوحدة الاسلامية ونجح فى دعوته في مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية نجاحاً عظيما بلغ إلى دور العمل .

ولما دخل بيروت وهي محيط الأكثرية النصرانية إقتضت حكمته أن يدعوا أصحاب الأديان السماوية قاطبة إلى مرحلة ثانية من الوحدة أوسع نطاقاً ، وهي الوحدة الدينية ، والاخاء الديني ، وبالأحرى (توحيد الأديان السماوية) ونجح في هذه الدعوة ايضاً نجاحاً باهراً

لا يعرف التاريخ نظيره ، فخضعت له علماء النصارى وزعمائهم ، ووصفوه في صفحات صحفهم المشهورة بأنه (معمدان جديد يتقدم مسيحاً جديداً) ولما إستمع فخامة الشيخ بشارة الخوري « رئيس الجمهورية اللبنانية الآن » إلى محاضرة الامام الزنجاني قال فخامته : (كأنه يوحنا جديد يبشر بمسيح جديد . »

وأعلنت صحفهم أن الامام يرفع بيده لواء الفكرة ، وفي رأسه علم ابن سينا وابن رشد والغزالي والأفغاني وعبده ؛ وفي قلبه رفق المسيح (ع) وفي صدره عزيمة أحمد (ص) .

ولم يكتف الامام بذلك أيضاً لما رأى من أن شرور العالم تغمر الانسانية وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الآلهية وأن من الواجب درء هذا الخطر ؛ ومحاربة الشهوات الجامحة ، والاباحية التي يئن منها العقلاء فوجه دعوته في المرحلة الأخيرة الى النوع البشري ، والمجتمع الانساني داعياً الى الوحدة البشرية والأخوة الانسانية المرتكزة على التكريم الآلهي والشرف الانساني ، لعلمه بأن تنمية وسائط الاخاء البشري ، وتحكيم العقل الذي يميز الانسان عن سائر أنواع الحيوان ، سيؤديان الى كبح جماح غرائز حيوانية ركبت في الانسان ؛ وتلطيفها ، ثم يوصلان هؤلاء الى فهم ما في الأديان من معان روحية سامية ، ومكارم أخلاق عالية ترد الانسان الى مواطن الشرف والفضيلة .

وكان نجاح الامام في هذه المرحلة أعظم .

فقام أحد كبراء القوم بعد ختام محاضرة الامام وأعلن بأعلى صوته وقال

« كنت أود أن لا تلقى هذه المحاضرة القيمة (محاضرة الامام الزنجاني) في هذا النادي ، بل على ساحة البرج ، حتى يسمعها العربي والعجمي ، والشرقي والغربي ، والافرنسي ، والأمريكي ، والانكليزي والأرمني ، والنصراني ، واليهودي ، وكل من يتذوق العلم ، ويسعى وراء الحقيقة الخالصة ، لنحيي في حقل الانسانية سعداء »

لباقة أو اعجاز

صرح الامام الزنجاني في محاضراته بنكتة بديعة أدمجها في دعوته بلباقة مدهشة خارقة فنجح بها ، ولو قالها غيره لكانت مدعاة إلى فشله وسقوطه ، وهي :

لا يخفى أن خضوع غير المتدينين من البشر لعامل الاخاء الانساني وقبولهم التكريم الآلهي ، يعرّفهم ما في الدين من المعاني الساميه العامة من قبيل الرفق بالبشر ، والبر بهم من حيث هم أفراد من نوع الانسان دون نظر الى الفوارق الأخرى ، ويقربهم من الدين من حيث لا يقصدون (١) بل يجعلهم في حظيرة الدين الاسلامي الذي أثبت هذه الأخوة الانسانية بصورة واضحة ، وصرح بهذا التكريم الآلهي كتابه المعجز الخالد ، فتتجلى عليهم روح الاسلام ، وبهاؤه وجماله ، ويفقهون كنه ما يرمي اليه فيتدينون به عمليًا أرادوا ذلك أو لم

«١» وذلك على إثر تفكيرهم ، ولقد أجاد (توماس كارليل) في قوله : « ولا أظن الالحاد والتفكير يجتمعان »

يريدوا . فتزول أو تخف عوامل التفرقة .

وكذلك الحال في إجابة النصارى وسائر أهل الكتاب وقبولهم التوحيد المشار اليه بقوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً الخ »

فان مآلها الى توحيد الأديان السماوية بارجاع جميعها الى أساس الاسلام ، لأن التوحيد المطلوب اجتماعهم عليه هو التوحيد الاسلامي الذي لم يقع فيه شيء من الشوائب التي وقعت في الأديان الأخرى من الحلول ، والاتحاد ، والتشبيه ، والتعطيل ، وغيرها مما يخل بمقام الألوهية وبعد قبول هذا التوحيد ، والتسليم بالصانع الواحد القديم ، والاعتقاد بالتكاليف يصبح المعاد أمراً ضرورياً لابد منه ، ولا يسع الموحد أن لا يعتقد به ، وبما ان هذين الأصلين — اعني التوحيد والمعاد — لم يكونا في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي الذي قرره الدين الاسلامي الحنيف الذي جاء به نبينا محمد (ص) فالاعتقاد بهما بهذا الشكل يحقق معنى التصديق بنبوته (ص) وهذه الثلاثة هي أصول الاسلام

وأما الوحدة الاسلامية فحالها أوضح من غيرها ، لانها تتحقق على أساسين أحدهما أصلي والثاني فرعي ﴿ الأول ﴾ انه لا خلاف عند المسلمين — على اختلاف مذاهبهم — في أن أصول الاسلام ثلاثة وهي التوحيد والمعاد والنبوة ، لأن النبي (ص) إكتفى من جميع المسلمين بأن يعتقدوا بهذه الثلاثة ولم يكلفهم بالاعتقاد بالخلافة ، ولو كان هذا الاعتقاد من جملة أصول الاسلام لكلفهم به ، وحيث نعلم

انه (ص) لم يكلفهم به فليس من أصول الاسلام.

بل ليس من المعقول أن يكون الاعتقاد بالخلافة التي حدثت بعد وفاة النبي (ص) بالانتخاب، من جملة أصول الاسلام.

﴿الثاني﴾ أن يقوم (مجمع تشريعي اسلامي علمي) بتوحيد الفروع المذهبية، بأن يعرض هذه الفروع على مصدري التشريع الاسلامي وهما، كتاب الله تعالى، والسنة التي هي بيان للقرآن الكريم؛ وقد قال الله تعالى: «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» وبيان لمتشابهاته، قال الله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب»

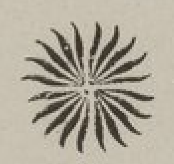
فظهر انه يمكن توحيد المذاهب الاسلامية الفرعية على هذا الاساس الذي مآله الى التمسك بالثقلين في أحكام الدين الاسلامي، وهذا هو روح التشيع التي هي دعامة مراحل الوحدة وغايتها، والهدف الاصلي الحقيقي لها، إستنبطه الامام الزنجاني من الجمع بين النبويين الصحيحين المرويين بطرق الفريقين، أحدهما، قول النبي (ص): (ستفترق أمتي من بعدي الى ثلاث وسبعين فرقة؛ فرقة منها ناجية والباقون في النار(١)

---

(١) في تفسير الرازي: المجلد الأول: الصفحة ٣ ما نصه «فقد جاء في الخبر المشهور قوله (ص) ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة الخ»

والثاني قوله (ص) (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها غرق .

وصفوة الكلام ان نجاح الامام الزنجاني في دعوته ثابت واضح ولكننا نذكر عدة شواهد تنويراً لهذا الموضوع الجليل .



شواهد النجاح فى مصر

— ١ —

تصريح مشيخة الأزهر واليك نص الكتاب :

الجامع الأزهر

مكتب شيخ الجامع

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني . السلام عليكم ورحمة الله : وبعد : فقد تسلمت كتابكم وأنا أحوج ما أكون إلى تعرف حالكم ، وإستجلاء آثاركم ، فقد حللتم في القلب مكاناً لم يكن قد حل من قبل ووجدت فيكم مشرق علم وهداية تنظرون إلى مايحيط بكم وبالاسلام والعلماء نظر المصلح الباحث المدقق ذي الأفق الواسع ، والعقل الراجح ، ويعينكم مزاج سليم الفطرة خلق لأجتذاب القلوب ، وإمتلاك العواطف ، وما أحوج المسلمين الى هذا المزاج وهذا الخلق .

وقد تركتم في مصر سيرة أعطر من أنفاس الزهر في الربيع وأطهر من ماء السحاب .

وأرجو أن ينفعني الله بدعوتكم ودعوات الاخوان من العلماء

والأشراف زادهم الله رفعة . وأن تبلغوهم تحياتي الخالصة والسلام عليكم ورحمة الله ٩ مارس ١٩٣٧ محمد مصطفى المراغي

— ٢ —

المنهاج . والعمل

لقد كثرت الزيارات المتبادلة بين الامام الزنجاني وبين فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بالقاهرة ونشرتها جميع الصحف المصرية ، وكانت كل زيارة تستغرق ساعتين أو أكثر ، وحضر بعضها أصحاب الفضيلة مفتي الديار المصرية ورئيس المحاكم الشرعية ، وبعض كبار علماء المذاهب الاسلامية ، مضافاً الى إجتماعهما في الولائم والحفلات التكريمية التي أقيمت في القاهرة تكريماً للامام الزنجاني ـ أحصى منها بعض شهود العيان أربعين حفلة ووليمة ـ وكانت المذاكرات والمفاوضات تجري بينهما خلالها في جو مملوء من الثقة المتبادلة والطمأنينة ، تسوده صفاء النية ، حتى توصل الزعيمان الكبيران الى قرارات هامة حول النقاط الرئيسية في قضايا إسلامية معقدة ، وحول الوحدة الاسلامية ، وكيفيتها الملائمة للظروف والنفسيات ، وأساليب تحقيقها ، ولكن كثيراً من هذه القرارات ظلت ولا تزال في طي الكتمان الشديد ، اذ كانت قذى عيون المستعمرين الذين حسبوا لها ألف حساب ، وأوصدوا دون تحقيق الوحدة الاسلامية كل باب ، لعلمهم بمغزى هذه الحركة وأهدافها الجليلة ، وما ستحدثه

من القوة الرهيبة في الشرق الاسلامي والعربي ؛ ربما تؤدي الى طي بساط الاستعمار الغربي عن الشرق كله ، واشتد سخط المستعمرين الذين ينفخون في نار الطائفية بعد أن أوفد فضيلة شيخ الأزهر على أثر هذه المذاكرات بعثة الأزهر الى الهند بالمنهاج الذي قرره الامام الزنجاني .

ولكن الزعيمين الاسلاميين المخلصين على رغم جهود المستعمرين قطعا في سبيل العمل للوحدة الاسلامية أشواطاً كثيرة ، نستطيع أن نعرف حدودها من الكلمة التي قالها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر لفخامة السيد نوري باشا السعيد « رئيس وزراء العراق يومئذ » حينما زار فضيلته بالقاهرة وهذا نصها :—

الأستاذ الامام الزنجاني أعلم علماء المسلمين في هذا العصر تشرفنا بزمالتــه وعملنا معه عملا مستمراً لتحقيق الوحدة الاسلامية حتى وصلنا بعون الله تعالى الى منتصف الطريق ، وأسئله تعالى أن يوفقنا لبلوغ النهاية فانه ولي التوفيق .

أعلن الامام الزنجاني في الصحف المصرية ـ بعد انتهاء مفاوضاته مع فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وسمو رئيس مجلس الوصاية وأعضائه ودولة رئيس الحكومة المصرية وعلماء مصر وعظمائها وزعمائهـا ـ أن المفاوضات قد انتهت وكان سيرها احسن مما يرام ، وحصل الاتفاق التام على الوحدة الاسلامية ، وبوشر بالعمل لأجل تحقيقها :

ولم يظهر للعالم من تفاصيل هذه المقررات واسرارها سوى

المقدار الذي أفضى به الامام إلى الصحف المصرية (١) والصحف السورية وما بثه في بعض محاضراته في القاهرة وفي دمشق (٢) والذي نشر في مجلة الأزهر عن فضيلة الأستاذ الأكبر المراغي، وما جاء في الكتب المتبادلة بينهما، ونحن نلخص ما عرفنا من مبادئ هذه الفكرة السامية التي إتخذها الزعيمان موضوعاً للقرارات فيما يأتي :

١ — القرآن الكريم يدعوا الكافرين الى الاتفاق مع المسلمين بقوله: تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من

«١» جريدة الجهاد المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥/٥ ديسمبر ١٩٣٦
جريدة المصري ٢١ شعبان ١٣٥٥ – ٦ نوفمبر ١٩٣٦
جريدة البلاغ المصرية مساء الجمعة ١٣ رمضان ١٣٥٥/٢٧ نوفمبر ١٩٣٦
« الاستقلال العربي دمشق ١٤ رجب ١٣٥٧ – ٩ ايلول ١٩٣٨ العدد ٣١٤٠٣٣٩
« الشعب الدمشقية العدد ٢٥٩٢ – ١٩ شوال ١٣٥٥ – ١ كانون الثاني ١٩٣٧
« الأيام » ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة السادسة
« الانشاء » ١٣ و١٤ رجب ٨ و ٩ ايلول ١٩٣٨ العـدد ٥٤٦

(٢) منها المحاضرة التي القاها الامام الزنجاني في مدرج الجامعة السورية في مساء الخميس ١١ شوال ١٣٥٥ و٢٢ كانون الأول ١٩٣٦ ونشرت خلاصتها في جميع الصحف الدمشقية .

ومنها المحاضرة التي القاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ونشرت خلاصتها في جريدة البلاغ مساء الثلاثاء ١٧ رمضان ١٣٥٥ – ١ ديسمبر ١٩٣٦

دون الله الخ . »

وكذلك يدعوا المسلمين الى التفاهم مع الكفار بقوله تعالى : ﴿ وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ﴾

فلماذا لا ندعوا طوائف المسلمين الى الاتفاق بعضهم مع بعض وهم يجمعهم الاعتقاد بالتوحيد والرسالة والمعاد ، والتعاليم التي جاء بها نبينا الخاتم محمد (ص) وإنما المؤمنون إخوة في صريح القرآن الكريم ، ولماذا لاندعوهم الى التعاون لمكافحة الالحاد والفوضى الأخلاقية والدفاع عن عقائدهم المشتركة ، ورفع كيان المسلمين الى المستوى الأعلى في حياتهم الاجتماعية ؟ .

٢ — إن المذاهب الفقهية التي تتوزع المسلمين اليوم مع سلامة جوهرها من كل شائبة ، أدت الخلافات فيها الى فتن بين أشياعها في أدوار شتى . وسالت بين أهلها دماء غزيزة في بقاع كثيرة من الأرض ، وقد كان حصة مصر منها موفوراً ، فكثيراً ما أدى الجدال بين الشافعية والحنفية وبينهم وبين الحنابلة إلى معارك سالت فيها الدماء فاذا كانت قد هدأت هذه الثائرة بينهم منذ نحو جيل فما ذلك إلا بسبب التطور الذي حصل في العقول في مدى القرن الأخير ، وهذا التطور نفسه هو الذي يلهم النفوس اليوم وجوب تضييق مسافة هذه الخلافات التي تؤدي الى ظاهرة الاختلاف في الأعمال الموجبة للفتن .

وأقوى ظاهرة ما نراه بين الشيعة والسنة ، فقد تباعدوا وطال عليهم الأمد في هجر بعضهم لبعض ، وتوالت على ذلك عصور ليست بالقليلة ، فكان في الأمر متسع للأراجيف المختلقة ، والتمويهات الكاذبة ، والدعايات الفارغة الجوفاء وأخذ كل منهم يعزوا إلى أخيه أقوالا أبعد في التصور مما كان يشاع في الأساطير ، كل ذلك لعوامل سياسية خلقها بعض الملوك ، وتأثرت لها الأجيال وتوارثها الأعقاب أو لآراء فقهية ليس فيها مايدعوا إلى إثارة حرب ، أوسفك قطرة من دم ، أوإلى تجريح أو تشهير أوتكفير ، مع انه ليس خلاف بين الفريقين في أصول الاسلام الثلاثة التي يجب الاعتقاد بها ، وهي التوحيد والنبوة والمعاد ، قال أستاذ الأساتذة والمجتهدين والمؤسس الأكبر والمرجع الأعلى لمراجع الشيعة المولى آغا باقر البهبهاني في مؤلفه « كتاب أصول الاسلام والايمان) ما هذا نصه حرفياً :

« فائدة » إعلم ان أصول الاسلام عند فقهائنا ثلاثة ، التوحيد الرسالة ، المعاد ، فمن أنكر واحداً منها يكون خارجاً منه .

وأما الاعتقاد بالامامة فهو أصل مذهبي عند الشيعة يوجب علو الدرجات في الآخرة ، ومن لم يعتقد بها ولكنه اعتقد بالتوحيد والرسالة ، والمعاد ، وبما جاء به النبي (ص) من التعاليم فهو عندهم مسلم غير شيعي له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وكذلك من اعتقد بهذه الأصول الثلاثة ولم يعتقد بالخلافة فهو عند السنة مسلم غير سني ، فالخلاف في الامامة والخلافة لا يعتبر عند الفريقين خلافاً في أصول الاسلام

وليس يسوغ في حال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف في الخلافة أصبح في ذمة التاريخ ، لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده الى الوجود بعد ان إنحلت الخلافة وأصبحت هي الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحتة وأصبح كل الخلاف خلافاً في التاريخ ، وخلافاً في الاجتهاد .

أما وان الخلافة منحلة ، والامام عليه السلام غائب وما يعود إلى درجات الآخرة فحكمه إلى الله تعالى مالك يوم الدين ، وما يعود الى الشؤون الاجتماعية فلا مندوحة من أن يقوم بها علماء الأمة الذين أصبح واجبهم في كل جهة مضاعفاً ، ومسئوليتهم عن الدين الذي هم حفاظه اكثر خطورة من قبل ، فقد كان العلماء في ما مضى يكتفون بالقاء ما عندهم من العلم الى تلامذتهم فيؤدون بذلك كل الواجب عليهم ، أما اليوم فهم مسئولون عن دفع الشبهات التي يلقيها الأجانب على الاسلام ، وعن إرشاد النش ، وتثبيت العقيدة عنده ، والحيلولة بينه وبين الافتتان بما يملك خصوم الاسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة

وأما في فروع الدين ، فلا يوجد رأي واحد في الفروع عند الشيعة يكون مخالفاً لجميع المذاهب الأربعة السنية بأسرها ، ويؤيده أن حجة الاسلام القاضي نور الله التستري « الشهيد الثالث » في القرن العاشر الهجري تعين في منصب قاضي القضاة في الهند ، بأمر ملك الهند ولكنه اشترط على الملك ان لا يكون مقيداً بمذهب مخصوص من المذاهب الأربعة السنية ، بل له أن يحكم بمقتضى إجتهاده بشرط أن يكون إجتهاده موافقاً لواحد من هذه المذاهب الأربعة ولا يكون

مخالفاً لجميعها ، وقبل الملك هذا الشرط ، فحكم المستري في الهند خمساً وعشرين سنة بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشريه ولكنه كان يطبقه بأحد المذاهب السنية فلم يخالف المذاهب الأربعة أصلا مدى قضائه حتى في قضية واحدة رغم أن العلماء والقضاة السنيين كانوا واقفين له بالمرصاد ، وكانوا يراقبون أعماله ، ويدققون أحكامه وهو كان يظهر انه سني .

ونظير ذلك ما صرح به فضيلة شيخ الجامع الأزهر من أن القاضي الأعلى في مصر ليس مقيداً بأن يحكم بمذهب مخصوص بعينه بل له أن يحكم بما يراه صالحاً من المذاهب الأربعة وذلك منذ سنة ١٩٣١ الميلادية .

فظهر أن الخلاف الفرعي بين مذهب الشيعة وبين المذاهب الأربعة السنية لا يزيد على الخلاف بين هذه المذاهب الأربعة بعضها مع بعض ، لقد وقع الخلاف بين الشافعية والمالكية عن البسملة هل هي جزء من القرآن أو ليست جزءاً منه ، فلو كان هذا الخلاف وقع بين الشيعة والمالكية فماذا تكون الحال ؟ كان أقل شيء يقع هو ان يكفر المختلفون بعضهم بعضاً ـ هذا خلاف على القرآن والتواتر ، ومنكرهما كافر وخلاف يتعلق بالصلاة ، وهي فقار الاسلام ، وعمود الدين . ولكنه حدث بين الشافعية والمالكية ، وقام بين السلف ، فلم يكفر بعضهم بعضا ، ولم يمنع احد من الصلوة وراء مخالفه ، ذلك لأن سوء التفاهم بينهما لم يبلغ درجته مع الشيعة ، ولأن السلف كان رائدهم جميعاً

الانصاف العلمي ، والاخلاص للحق ، فكان المخالف يرى أن صاحب الرأي الآخر يبني ما رآه على دليل قام عنده ، أو أثر صح لديه ، ولا يخطر له انه خالف لشهوة أو غرض وهذا الانصاف والاخلاص للعمل والحق هو الذي نسعى اليه فالخلاف مع الانصاف لا يجر الى التفرق ولا الى الفتن .

ثم ان المذهب الحنفي أقرب الى التوفيق مع سائر المذاهب الاسلامية ومع مذهب الامامية لما بينه فضيلة شيخ الأزهر من أن هذا المذهب يجوز تخصيص الكتاب والسنة بالعرف العام ، ويرى رفع اليد عن الخبر اذا خالفه العرف الخاص ، وتشخيص هذا العرف من وظائف العالم المجتهد ، وكذلك حال سائر المذاهب فقد كان الامام حنبل يقول : إذا كان أمامك مفت واحد فاعمل برأيه ، واذا كان أمامك مفتيان فلا تتبع احدهما مقلداً بل اعرض الأمر على قلبك فايهما احس قلبك منه ازاحة فاتبعه .

فمن الممكن توحيد الفروع حسب الأصول ومصادر التشريع التي قررها الامام الزنجاني في محاضراته وكلماته التي القاها في كليات الأزهر والتي يتضمنها هذا الكتاب .

فلأجل هذا كله اهدى فضيلة الاستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر الى الامام الزنجاني كتاباً فقهياً استدلالياً جامعاً لجميع فروع المذاهب الأربعة وهو كتاب « المغني والشرح الكبير » المدون في إثنى عشر مجلداً ، راغباً الى الامام الزنجاني ان يطالعه بصفة انه مجتهد

شيعي ، فيؤلف كتاباً جامعاً في الفقه استدلاليا ليكون هو المرجع لجميع المذاهب الخمس الاسلامية في مقام العمل ، وبهذا تتحقق حقيقة الوحدة الاسلامية .

وكتب فضيلة المراغي بخط يده على الصفحة الأولى من كتاب المغني والشرح الكبير هذه العبارة :

محمد مصطفى المراغي يهدي هذا الكتاب الى حضرة السيد الأجل الاستاذ الامام والصديق العزيز الشيخ عبد الكريم الزنجاني إعترافاً بفضله وتقديراً لشمائله . ٢١ رمضان ١٣٥٥

محمد مصطفى المراغي

٣ — إتضح مما تقدم ان توحيد الفروع الاسلامية امر ممكن ولكن لاشك في انه عمل شاق قد لا يكفي لانجازه مجهود الفرد مهما كان نابغاً وإذا قام به فرد ونجزه فربما لا يقبله غير اهل مذهبه بدافع العصبية ، ولا يعمل به اهل جميع المذاهب ، اذاً فلابد لتحقيقه من (مجمع تشريعي علمي اسلامي) يتألف من المجتهدين واعلام علماء المذاهب الخمس ، ويعرض هذا المجمع آراء الفقهاء وفروع المذاهب على الكتاب والسنة اللذين تنحصر فيهما مصادر التشريع الاسلامي ويرجع اليهما سائر المصادر والأدلة ، ويأخذ ما وافقهما ويسن تشريعاً لمسائل كثيرة جدت على حياة الأمم والأفراد لم تكن موجودة في عصور التشريع القديم ، ويكمل بها ما يحتاجه المسلمون الآن في حياتهم الخاصة والعامة ، ويقدم هذا المجمع التشريعي خلاصته الى العالم الاسلامي بعد ان يقوم بتوجيه الشعور

الديني توجيهاً نافعاً وتنقيته من الشوائب ، وجعل التدين آلة فعالة في تهذيب الناس ، وتمكين العوامل المعنوية من التأثير في الحياة الانسانية الراقية ، وتصيير الفضائل العملية التي قررها الاسلام كلها نظماً عملية ، وتشريح تعاليم الدين لكي يفهمه الجميع ، وتوضيح ان الاسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في الغرب ويأخذه من الغربيين بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الاسلامي تقليداً بلا علم ولا فهم ، ظانين انه كسائر الأديان لا يصح أن يتخذ أساساً في الحياة ، لكن الاسلام « دين » يصل الانسان بربه و (شرع) ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض ، و (سياسة) يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأمم ، و (اخلاق) ترفع الانسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال يمكن ان يصل اليها فالاسلام يجب ان يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ، والأساس الذي تبنى عليه حياتنا ، اذ للدين سلطان فوق العقل ، وسر يدق عن التعبير وبهذا يتقوى الشعور الديني في الطبقات المستنيرة وتتحد طبقات الأمة كما تتحد طوائفها .

٤ — ان كان بعض المسلمين يستبعد تحقيق الوحدة الاسلامية في الفروع والأصول ، او يستصعبه معتقداً ان هذا الأمر يحتاج الى زمن طويل ، فيقال لهم : إذا كان في الامكان الجمع بين أبناء الديانات المختلفة في أعمال تتعلق بالمصلحة العامة ، وإقامة دعائم الاتحاد بينهم باسم الوطنية ، أفلا يمكن الجمع بين الفرق المختلفة من المسلمين باسم الوحدة الدينية الاسلامية ؟ وتقريب وجهات النظر بينها ليتحرر المسلمون من

من قيود الأحقاد القديمة ويرجعوا الى صفاء الأخوة الدينيـة فيحسنوا المعاملة والمجاملة والتعاون في ما بينهم ، وفي مقدور كل منهم حينئذ أن يبين لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ ، أو الحق ان كان على الباطل وضرورة العقل تحكم بأنه اذا كان أحد الأخوين على خطأ وجب على أخيه أن ينهض له بالنصح لا بالحرب ، فعندما تصفو القلوب وتتوفر حسن النية يصبح التفاهم ميسوراً والنجاح مقدوراً .

٥ — ﴿ مؤتمر اسلامي عام على أساس توحيد الثقافة ﴾

نظن ان واجب العلماء من جميع الطوائف والمذاهب الاسلامية أن يلتقوا في مؤتمر عام تتجدد دوراته من حين لحين في مختلف الممالك الاسلامية ليتشاوروا ويضعوا الخطط للدفاع عن الجبهة المشتركة ويقودوا النشء في طريق موفق ليكون له أعظم الأثر في تثبيت العقيدة الأسلامية ضد مهاجميها من الاعداء الخارجيين والداخليين ، ونعتقد أن أحسن الوسائل لهذا التعاون بين علماء المستقبل أن ينشأوا تحت نظام من التعليم والتربية متشابه ليسهل ذلك عليهم التفاهم والعمـل لتحقيـق

نداء نوجهه

﴿ أولا ﴾ الى اخواننا السنيين

الشيعة مع إعتقادهم بالنص في الامامة وربط ما بعد وفاة النبي (ص) الى ما قبلها لا يعتبرون الاعتقاد بالامامة من جملة أصول الاسلام ، بل يقولون أن كل من اعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد ، وما جاء به

النبي (ص) من ربه فهو مسلم ولو لم يعتقد بالامامة ، والمسلم أخو المسلم

فالسنة مع اعترافهم بعدم النص وان الخلافة حدثت بعد وفاة النبي « ص » وأما قبلها فلم يكن في الاسلام والمسلمين اسم من الخلافة ولا من الخليفة كيف يتوقفون في اسلام من اعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد ، وبجميع ما جاء به نبينا محمد « ص » من ربه ولم يعتقد بالخلافة اولم يخلص للخلفاء ؟ ويجعلون هذا مانعاً من تحقيق الوحدة الاسلامية

﴿ ثانياً ﴾ الى اخواننا الشيعة :

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو مؤسس الوحدة الأسلامية التي ندعوا اليها الآن فلقد جاء صريحاً في « نهج البلاغة » في خطبته المعروفة بالشقشقية ما نصه :

(ولكني أسففت اذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا الخ) يريد انه عليه السلام وافقهم ولم يخالفهم في شيء فكيف يتوقف شيعي ؟ عن قبول ما اسسه امام الشيعة الأعظم ابو الائمة وسراج الامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

— ٣ —

المجلس الاسلامي الاعلى

الجامع الأزهر

مكتب شيخ الجامع

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد : فاني أعترف بتقصير

لاينفع معه العذر ولكن الأمل في سماحتكم الواسعة يخفف الألم من الشعور بهذا التقصير – أمامي خطابكم المؤرخ ٨–٩–١٣٥٦ وأنا معكم بقلبي كله أشعر كما تشعرون بحال المسلمين ، وأرى وجوب تحقيق الفكرة التي توافقنا معكم عليها ، وأظن أن خطابكم يشير الى حوادث الأقاليم الشمالية في الهند بين الشيعة وأهل السنة وقد كان ذلك في العام الماضي قبل سفر البعثة الأزهرية . وذلك أني بحثت وكلفت بعض من يتابع قراءة الجرائد الهندية فلم أعثر على جديد – لعلكم سمعتم خطبتي يوم عيد النحر في الراديو أو قرأتموها في الجرائد ، ولعلكم تقرأون من وقت لآخر شيئاً عما أحاوله من الوحدة بين المسلمين وفي ذلك كله ترانا على رأي واحد ومبدأ واحد هو الوحدة الاسلامية

واني أعرض عليكم الآن رأياً وهو أن يوجد مجلس اسلامي أعلى للنظر في أحوال المسلمين امراضهم وعللهم وما ينفع في علاجهم ويوحد تعليمهم وثقافتهم ويقرب بين طوائفهم ومذاهبهم ، وأن يمثل جميع المسلمين في هذا المجلس تمثيلا حكومياً او تمثيلا غير حكومي .

واني اعتقد ان مثل هذا المجلس سيكون له من الشأن ما يخفف مما تشعرون به انتم وأشعر به أنا – أرجوا عرض هذا الرأي على الأخوان وإفادتي بما ترونه وبتفصيل ما ترونه والجهة التي ترونها صالحة لهذا هل هي مصر أو بلد آخر ؟ ومتى وافقتم على هذا الرأي فأرجوا أخذ رأي أهل العراق فيه غير الشيعة والسلام عليكم وعلى جميع الاخوان ورحمة الله

٢٦ ذو الحجة ١٣٥٦ — محمد مصطفى المراغى

٢٦ فبراير ١٩٣٨

الجواب :

النجف الأشرف

العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر القاهرة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فقد تسلمت كتابكم الكريم المؤرخ ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٦ فلمحت لي بارقة الأمل في أفق الوجود طليعة تحقيق الأماني التي يتطلع عليها العالم الاسلامي .

واني وان كنت اعلم ان فكرة « الوحدة الاسلامية » من الأفكار التي تجول في عرق كل عراقي وأنه ليس هناك اي تردد بل إنما هناك نفوس متوثبة وهمم ماضية في تحقيقها وإظهارها الى الوجود ولكن لكشف الحقيقة عرضت رأيكم السامي على اعلام علماء الشيعة واشراف النجف الأشرف ، ثم مضيت الى بغداد وقابلت جلالة ملك العراق وتداولت مع علماء العاصمة وزعمائها واشرافها ومع رئيس الحكومة وكبار رجالها ، وربما قرأتم في الصحف العراقية (١) كلماتي التي إقتنعت بها الجماهير المحتشدة في جامع السيد سلطان علي من اعلام

(١) جريدة « العالم العربي » البغدادية : العدد (٤١٦٠)

العلماء ورجال الحل والعقد ، فكل اعطاه حقه من الترحيب ، واهله للبركة وطلب المبادرة الى الحركة ، فالعراق بأجمعه خاضع لمفعول هذه الفكرة السامية في جوهرها ، ولكن هل الأقطار الاسلامية الأخرى لهم علم بهذا الرأي ؟ إذ يجب ان يمثل في هذا المجلس جميع عناصر المسلمين .

واني اعتقد ان الجمعيات الدينية في جميع الأقطار الاسلامية لاتعارض هذا المشروع ، على اني احذر من العقبات السياسية وما قد تدلي به الحكومات الغربية الاستعمارية من النظريات السياسية والعراقيل في هذا المضمار .

وأما رأيي في هذا الموضوع فاني ارى اشياء تلزم للأعداد ، وما ذاك إلا من تغلغلي في الاصلاح الذي اتوخاه واصطفيه ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه .

﴿ الأول ﴾ ان التمثيل في المجلس الأعلى يجب ان يكون غير حكومي ، لأن جمهور الشيعة يرون أن كل أمر ديني يلزمه أن يتقرب به إلى الله تعالى ويطلب امتثالا لأمره تعالى ، ولذلك ترى العلماء والأتقياء يجتنبون الوظائف الحكومية والرواتب لأنهم يرون ان ذلك مبعد عن التوفيق الآلهي .

﴿ الثاني ﴾ ان تعيين بلد الانعقاد مما يتريث فيه ، لأن اختيار القطر والبلد ليس بالأمر الهين ، ولهذا يجب نبذ كل فكرة عاطفية وانما يشترط في بلد الانعقاد ان يكون في قطر متمتع بسلطة أهلية وبعيد عن

كل نفوذ سياسي أجنبي، وعليه فأي قطر من الأقطار العربية تمتع بحرية محلية تكون نتيجة التمتع السياسي المستقل فهو المعين لأن يعقد فيه المجلس الاسلامي الأعلى!.

« الثالث » المبادرة الى تشكيل لجنة تحضيرية لوضع المنهاج والمواد التي سيبحث عنها المجلس الاسلامي العام واعلانها على المسلمين كافة لكي لا يبقى مجال لخصوم الدين والجامدين والرجعيين وأعوان المستعمرين أن يختلقوا المقاصد غير الشريفة للمجلس الاسلامي الأعلى ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء عليه وقتله قبل تكونه .

« الرابع » الايعاز الى الكتاب والمؤلفين في تاريخ الطوائف والمذاهب الاسلامية ومسائل الانتقادات ان تكون مقرونة بالمجاملة ورعاية الآداب وأن يكون الجدل بالتي هي أحسن وبعبارات غير جارحة للعواطف لكي لا تثير التعصب الذي يجب تركه في مقام الارشاد والهداية وتوحيد الكلمة . والسلام عليكم وعلى جميع الاخوان ورحمة الله .

٨ ـ ٢ ـ ١٣٥٧ عبد الكريم الزنجاني

— ٣ —

المبارىء

مكتب شيخ الجامع الأزهر :

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني

العراق النجف الأشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وقد سرني خطابكم المؤرخ

٨ـ٢ـ١٣٥٧ وما فيه من الآراء الناضجة والأفكار القيمة وأفيدكم بما يأتي

١ـ لم أفاتح أهل الأقطار الاخرى ولم أكتب الا اليكم وليس لدي مانع من إتصالكم بالأخوان في الأقطار لأخذ رايهم في المشروع .

٢ـ مع رغبتي أن يكون المجلس من رجال الدين فلا أرى مانعاً أن يكون فيه بعض عظماء المسلمين النافعين من غير العلماء .

٣ـ وقد خطر في بالي الآن ان تكون المبادئ كما يأتي :

« أولا » تقوية روابط الأخاء بين المسلمين في كافة أنحاء العالم

« ثانياً » إيجاد تعاون بين الهيئات التعليمية في البلاد الاسلامية لتعاون على نشر الثقافة على وجه العموم والثقافة الاسلامية على الخصوص .

« ثالثاً » العمل على تبسيط قواعد الدين الاسلامي بحيث يسهل على عامة المسلمين فهم دينهم على وجهه الصحيح .

« رابعاً » العمل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية المختلفة بحيث يشعر الكل انهم إخوان في الاسلام يحتاجون الى التضافر والتعاون بدلا من المخاصمة والعداء .

وأرجوا قبول إجلالي وإحترامي وتحياتي لفضيلتكم والحضرات السادة العلماء في معاهد النجف والسلام عليكم ورحمة الله

٢ ربيع الأول ١٣٥٧   ٢ مايو ١٩٣٨   محمد مصطفى المراغي



— ٤ —

احتفال مشيخة الأزهر

جريدة (المصري) المصرية ٢٤ شعبان ١٣٥٥ ـ ٩ نوفمبر ١١٣٦
جريدة (الجهاد) المصرية ٢٣ شعبان ١٣٥٥ ـ ٩ نوفمبر ١٩٣٦
جريدة (الأهرام) المصرية ١١ نوفمبر ١٩٣٦

مشيخة جامع الأزهر تكرم كبير علماء النجف

وزع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر رقاع الدعوة على العظماء والعلماء والوزراء المفوضين للحكومات الاسلامية ورجال الصحافة ولفيف من الفضلاء وفريق من المشتغلين بتوثيق الروابط الشرقية ، الى حفلة شاي يقيمها فضيلته تكريماً للعالم الكبير الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الساعة الرابعة والنصف من مساء الثلاثاء بادارة الأزهر .

نص الرقعة :

يتشرف محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بدعوة حضرة ....

لتناول الشاي في يوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٦ في الساعة الرابعه والنصف بدار الادارة العامة للجامع الأزهر « بميدان الأزهر) تكريماً لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء الدين في النجف ونزيل مصر الآن ؟

المرة الاولى بعد أكثر من الف سنة

علق صاحب جريدة « البلاغ » المصرية في العدد ٤٣٥١ من السنة الرابعة ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ على إحتفال مشيخة الأزهر السالف ذكره بهذه العبارة :

ومما يذكر عن هذا التكريم العلمي مالاحظه بعض المفكرين من أن هذه هي المرة الأولى بعد أكثر من ألف سنة التي يجتمع فيها كبار العلماء السنيين برآسة أكبر زعيم ديني وهو شيخ الأزهر لتكريم كبير علماء الشيعة وهو الامام الزنجاني

— ٥ —

مذهب الشيعة الامامية في التشريعات الحديثة بمصر

جريدة « البلاغ » العدد ٤٢٧٥ مساء ٥ ديسمبر ١٩٣٦

يغادر مصر اليوم ضيفها الكبير صاحب السماحة العلامة الاكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير مجتهدي الشيعة ، وقد أقام بيننا بضعة أسابيع كان فيها موضع التقدير والتكريم لما تحلى به من علم وخلق ودين وسيعود الى بلاده ويجتمع برجالاتها من العلماء والمجتهدين والساسة فيذكر ما شهده في مصر وجماعاتها وأولي الرأي فيها ، وسيجد إخواننا الشيعة أن ما تتحدث به الدهماء عن اختلاف الشيعة والسنيين ليس له أثر في نفوس المصريين وغيرهم من السنيين .

وقد تقاربت وجوه النظر بين الشيعة والسنة بفضل سماحته وخطبه ومساعيه ، وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية ، وقد استنبطت من مذاهب متعددة منها مذهب الشيعة الامامية ، وهذا الاستنباط هو في الواقع إجتهاد ينتجه العقل الذي جعله الشيعة أحد مصادر التشريع عندهم الخ

ومن هذا ونظائره التي ستمر بالقارىء يتضح مدى نجاح الامام الزنجاني في تثبيت كيان الشيعة الامامية ، وحمله طوائف المسلمين وعلمائهم وملوكهم وزعمائهم على الاعتراف بهذا المذهب بالقول والعمل تمهيداً للوحدة الاسلامية بعد أن عجز عنه أعلام الشيعة خلال ثلاثة عشر قرناً

— ٦ —

خليفة الأفغاني

مجلة الرسالة «المصرية العدد ١٧٩ — ٢٣ رمضان ١٣٥٥ ٧ ديسمبر ١٩٣٦ الصفحة ١٩٩٨ السنة الرابعة :

: الوحدة الاسلامية :

للاستاذ عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر

سمعت المحاضرة التي ألقاها بدار جمعية الشبان المسلمين صاحب

السماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير مجتهدي الشيعة ، ورئيس مجلسهم وكانت المحاضرة في الدعوة الى الوحدة الاسلامية ، فرأيت عالماً كبيراً وإماماً مصلحاً ، يندر وجود مثله بين علماء المسلمين في هذا العصر ولا غرو أن تنجب بلاد الشرق مثله ، فقد أنجبت قبله في هذا العصر ذلك الحكيم العظيم جمال الدين الافغاني موقظ المسلمين من غفلتهم ، وباعث الدعوة الاصلاحية القائمة الآن فيهم .

وكأن الله أتى بالاستاذ الزنجاني ليكمل ما بناه قبله الحكيم الأفغاني ، فليسر الأستاذ في سبيله ، ولينسج على منواله ، فالطريق ممهدة ، والغاية مرجوة ، والأمل كبير في النجاح بعون الله تعالى اخ

ومن الخطأ أن توصف دعوة الامام الزنجاني بانها تقليدية لدعوة الأفغاني ، فان دعوته كانت سياسية في أساسها وكانت بصبغته الدينية ترمي إلى غرض سياسي وأسلوب خاص من أساليب الحكم ، فتعثرت أما دعوة الامام الزنجاني فهي دينية بحتة ، وإصلاحية بعيدة عن كل فكرة سياسية ، وغير موجهة الى مقاطعة أمة من الأمم .. ولذلك قطعت في سبيل غايتها أشواطاً بعيدة ونجحت واستفزت العالم شرقه وغربه .

— ٧ —

الفلسفة في الازهر

أبدى فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر إهتماماً عظيماً بآراء الامام الزنجاني وملاحظاته التي أبداها

في كليات الأزهر والمعاهد الدينية حينما فحصها فحصاً دقيقاً استغرق ثلاثة أيام متواليات ، والتزم أن يقرر إصلاح مواد الدراسة ومناهج الأزهر طبقاً لملاحظات الامام واليك إحدى هذه الملاحظات :

قال الامام الزنجاني في فصل الفلسفة بكلية اصول الدين في الأزهر « وقع نظري في منهج دراسة هذه الكلية على هذه العبارة :

٣ ـ الفلسفة

« مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها »

وسمعت من درس بعض الاساتذة ما ينطبق عليه هذا المنهج ، فأرى من واجبي أن أصارحكم انكم لا تدرسون الفلسفة في فصل دراسة الفلسفة ، وإنما تدرسون فيه علم الكلام باسم الفلسفة ... الخ

انجلاء حقيقة تاريخية

هذا التصريح الخطير للفيلسوف الأعظم الامام الزنجاني يسترعي الانتباه ، لقد اشتهر أن الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الحسيني الشهير بالأفغاني ، مكث في القاهرة من عام ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م الى عام ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م قضاها في تدريس الفلسفة فيها فأين النتيجة ؟ .

هل قصرت تلامذته في دراسة الفلسفة وفهمها ؟ كلا ، لأنهم كانوا نوابغ عصرهم

أو أن السيد جمال الدين ، حسبما سجله التاريخ الملفق ، ولد في الأفغان ، وأكمل دراسة العلوم والفلسفة في الهند التي سافر اليها وعمره

ثمانية عشر عاما ، على أساليب المستشرقين الحديثة التي تنظر في علم الكلام وتزعم أنه الفلسفة ، فكان فيلسوفاً بهذا المعنى ؟

كلا ، لأن كتابه الذي ألفه في رد النيچرية (الدهريين) يثبت بوضوح أن مؤلفه كان فيلسوفاً بكل معنى هذه الكلمة .

ومع العلم بأن دراسة الفلسفة العالية في ذلك العصر كانت منحصرة في دار الحكمة « طهران » عاصمة إيران .

فان هذه الملاحظات تؤيد التأريخ الدقيق الذي سجل ان السيد جمال الدين ولد في قرية (أسد آباد) بضواحي « همدان » بلد ابن سينا ، وبعد ان درس مبادىء العلوم في همدان سافر الى طهران ودرس الفلسفة فيها دراسة متقنة كما وانه أكمل دراسته على الأسلوب الحديث أيضاً في كلية « دار الفنون » وكانت هجرته الى (كابل) عاصمة الأفغان ، ومكثه فيها لأجل شدة الاضطهاد الذي لاقاه في طهران من السلطتين السياسية والدينية ، وفي الهند فقط اشتهر بالأفغاني رغم أن توقيعه كان دائماً حتى في مؤلفه « رد النيچرية » (جمال الدين الحسيني) جرياً على عادة الايرانيين في توقيعهم ، ويؤيده جواب الامام الزنجاني حينما كان يخطب في القاهرة على ألوف بضمنهم الوزيران المفوضان ، الايراني ، والأفغاني ، إذ سأله سائل عن السيد جمال الدين هل إيراني هو أو أفغاني ؟ فأجاب الامام على الفور بلباقة مدهشة وقال

ينبغي أن ينسب النابغة إلى بلد نبوغه ، فيجدر بي أن أقول انه مصري ، قبل أن أفكر في نسبته الى بلد « قطر » لم يقدره حق قدره

فيتمف لسماحته الحاضرون أجمع حتى الوزيرين المفوضين، اتضح من هذا البيان الموجز ان السيد جمال الدين كان فيلسوفاً عارفاً بدقائق الفلسفة وانه مكث في القاهرة مدة بعيدة قضاها في التدريس فاذاً يحار الانسان إذ لا يجد آثار فلسفته في معاهد القاهرة .

ولا نستطيع أن نجيب على هذا الاعتراض الواضح الا بأن نستمد ايضاً من تصريح الامام الزنجاني في بعض خطبه في القاهرة وهذا نصه

في عصور التقهقر العلمي والعقلي والسياسي في الشرق العربي، أعتبرت الفلسفة عدواً للدين ، وأدى ذلك الى تحريم دراستها في المعاهد الدينية ومراكز الثقافة ، ــ سوى معاهد طهران ، ومعاهد النجف الأشرف ــ وأخذت مصر بقسط وافر من ذلك التحريم ، حتى فيما يتعلق منها بعلم الكلام ، ولكن كانت صدور بعض النابهين من رجال الدين والعلم في القاهرة تحمل أثراً ضئيلا من علاقة الدين بالفلسفة ، وبقايا التراث الفكري العربي الاسلامي ، وهذا الأثر على قلته ، وعلى كثافة الحجب التي أحكمها عليه ضيق الفكر والتعصب والجهل ، بقيت شعلته تتأجج فساعدت على تهيئة الوسط المناسب لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الحسيني ، فوجد في بعض أساتذة الأزهر ، وفي بعض رجال مصر استعداداً لقبول أفكاره التجديدية ، وتبشيره بالاصلاح العقلي ووجد ايضاً ان مذهب النشوء والارتقاء يضم تحت لوائه عدداً غير قليل من الناشئين ، لأن هذا المذهب يستهوي العقول التي لم تتعرف الى ضروب اخرى من التفكير الفلسفي العميق ، فتصدى للرد عليه وعلى ما يتفرع عليه من

الشبهات التي يلقيها الأجانب ، وأخذ يبث الحقائق الفلسفية في مصر ليكون الاعتماد على ما أخذ فلسفية أعمق من تلك التي تمسكت بها أصحاب مذهب النشؤ والتي ارتكزت عليه الشبهات المتفرعة عليه وفي عصره تلمست مصر صوراً من الحقائق الفلسفية وتذوقت استقلال الفكر وحريته

ويظهر من هذا البيان الذي يصور الحقيقة ان الظروف الجأت الفيلسوف جمال الدين الى أن يتخذ من الفلسفة أداة لتثبيت دعائم الاسلام وترسيخ العقيدة الدينية تمهيداً للنهضة السياسية ، وبالفعل بدأ نشاطه السياسي في مصر وكان له فيها شأن عظيم

وهو وان تعثر فيها في حياته ولكنه نجح في مهيئة رجال لها نجحوا من بعده .

وتظهر هذه الحقيقة جلية واضحة في جريدة « العروة الوثقى » وفي مؤلفات تلميذه الوحيد الشيخ محمد عبده ، اذ لا يوجد فيها شيء من الفلسفة المصطلحة ، فلا غرو في أن يدرس علم الكلام في المعاهد المصريه تحت عنوان الفلسفة .

ويؤيد التأريخ الدقيق الكتابان السياسيان للسيد جمال الدين الحسيني الشهير بالأفغاني المنشوران في مجلة (المنار) المصرية وكل واحد منهما يدل دلالة واضحة صريحة على انه صادر عن رجل شيعي وايراني ، نكتفي هنا بذكر فقرات من أحدهما ، وهو الكتاب الذي أرسله السيد جمال الدين من البصرة الى رئيس مجتهدي الشيعة في السامرة (سر من رأى) وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : أن هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية (ص) أينما وجدت ، وحيثما حلت وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحققت بها ، وقامت بواجب شؤونها ، كيفما نشأت وفي أي قطر نبغت ، ألا وهم الأولياء ، فاحببت عرضه على الكل وان كان عنوانه خاصاً :

حبر الأمة ، وبارقة انوار الأئمة دعامة عرش الدين ، واللسان الناطق عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة الاسلام ، ورد كيد الزنادقة اللئام .

أقد خصك الله بالنيابة العظمى ، عن الحجة الكبرى ، واختارك من العصابة الحقة ، وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الغراء ؛ وحراسة حقوقها بها ، (١) وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها

---

(١) الراسخ في أذهان بسطاء الشيعة ان العالم الديني ومرجع التقليد يجب ان لا يعرف شيئاً من السياسة ويلزم أن يكون بعيداً عنها وان معرفة السياسة تخالف الورع وهذا الرسوخ نتيجة تأثير أشباه العلماء والدجالين في هؤلاء البسطاء ، ولكن الامام الزنجاني نبه الغافلين بكلمة قويمة تناسب ان تكون شرحاً لكلام السيد جمال الدين في هذا المقام وهي :

إن الامام الحادي عشر العسكري « ع » علم شيعته في الزيارة الجامعة الكبيرة ، أن يخاطبوا الائمة الاثنا عشر عليهم السلام بكلمة « وساسة العباد » والمجتهد المرجع لتقليد الشيعة هو نائب الامام « ع »

وأحال اليك من بين الأنام (وأنت وارث الأنبياء) مهام أمور تسعد بها الملة في دارها الدنيا وتحظى بالعقبى ، ووضع لك أريكة الرئاسة العامة على الأفئدة والنهى ، إقامة لدعامة العدل ، وإنارة لمحجة الهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والذود عنها ، والشهادة دونها على سبيل من مضى .

وان الأمة قاصيها ودانيها ، وحاضرها وباديها ووضيعها وعاليها قد اذعنت لك بهذه الرئاسة السامية الربانية ، جاثية على الركب خارة على الأذقان ، تطمح نفوسها اليك في كل حادثة تعروها ، تطل بصائرها عليك في كل مصيبة تمسها ؛ وهي ترى ان خيرها وسعدها منك ، وأن فوزها ونجاتها بك ، وأن أمنها وأمانيها فيك .

فاذا لمح منك غض طرف ، أو نيت بجانبك لحظة ، وأمهلتها وشأنها لمحة ، ارتجفت أفئدتها ، واختلت مشاعرها ، وانتكثت عقائدها ، وانهدمت دعائم ايمانها ، نعم لا برهان للعامة في ما دانوا إلا استقامة الخاصة في ما أمروا ، فان وهن هؤلاء في فريضة أو قعد بهم الضعف عن اماطة منكر ، لاعتور اولئك الظنون والأوهام ، ونكص على عقبيه مارقاً من الدين القويم ، حائداً عن الصراط المستقيم .

وبعد هذا وذاك وذلك أقول : ان الأمة الايرانية بما دهمها من

— فيجب أن يتصف النائب بصفات المنوب عنهم ويعرف سياسة العباد والبلاد لكي يتخلص عن أحابيل شياطين السياسة ، وعن اغواء أعوان المستعمرين

عراقيل الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين، وتطاول الأجانب على حقوق المسلمين الخ ...

ثم وصف السيد جمال الدين في كتابه سوء سريرة الملك (الشاه) ووزيره الأعظم وما اعطيا من الامتيازات الى الأجانب ثم يذكر إمتياز التنباك (التبغ) وحق إحتكاره الذي جعلته الحكومة الايرانية لشركة انجليزية سنة ١٣٠٩ هـ ١٧٩٠ م وما يتبعه من المراكز ومحلات الحرث وبيوت المستحفظين والحاملين والبائعين ويقول أخيراً : ومن أليق بهذه وأحري بها ممن اصطفاه الله في القرن الرابع عشر وجعله برهاناً لدينه وحجة على البشر .

. وهذه العبارات كلها لا تصدر إلا من الشيعي الايراني . وأزيد على على هذا أن بعض الثقات القريبين من آية الله الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره حكى لنا أن آية الله الشيرازي عرض له هذا الكتاب وكان التوقيع عليه بهذه العبارة (مقلدكم جمال الدين الحسيني) وأضاف هذا الناقل الموثق قائلا ان أصل الكتاب كان أخصر من المنشور في مجلة المنار، وأكد أن مستهل الكتاب هو حبر الأمة وبارقة أنوار الأئمة الخ . وما تقدم عليه زيادة اضيف اليه فيما بعد ويؤيده أن آية الله الشيرازي قبل نصيحة السيد وأصدر فتوى حرّم بها على كل مؤمن تدخين التنباك (التبغ) ما لم تعدل الحكومة عن مشروعها وقد اضطرت الى العدول عنه ودفعت للشركة تعويضاً .

ولم يكن ذلك الا لعلمه بأن السيد جمال الدين عالم شيعي ايراني

مخلص لدينه ووطنه

إذ كان في درجة المحال أن يقبل المرجع الأعلى للشيعة في ذلك الموقف الدقيق وفي تلك الظروف المليئة من الدسائس السياسية وحيل الأجانب ، نصح رجل سني أفغاني فيصدر فتواه إعتماداً عليه، ولا يشك في هذا كل من له إلمام بأوضاع ذلك الزمن .

— ٨ —

جريدة (جبره نما) المصرية العدد ٧ من السنة الثالثة والثلاثين آذر ماه ١٣١٥ ديسمبر ١٩٣٦

الترجمـــة حرفياً :

بمناسبة ذكر الحفلات التكريمية الشعبية والرسمية التي أقيمت في مصر تكريماً لسماحة الامام الزنجاني جدير بنا أن ننوه على ان سماحته قد جذب وأدهش علماء الأزهر وأساتذة الجامعة ودار العلوم وجميع الطبقات والشخصيات العلمية والدينيـة والرسمية بمتانة آرائه وغزارة علومه وفلسفته وإعجاز بيانه وساحر اسلوبه وسعة إطلاعه وعظمة نفسه وجاذبية روحه وخلوصه الاسلامي .

ولبت دعوته جميع الشخصيات البارزة حتى سمو رئيس مجلس الوصاية ودولة رئيس الوزراء وفضيلة شيخ الأزهر وغيرهم .

— ٩ —

إستقبل صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية (ولي العهد الآن) ومعه صاحبا المقام الرفيع ، عبد العزيز عزت باشا

وصبري باشا العضوان ، في سراي عابدين سماحة الأمام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني إستقبالا يليق بمقامه الديني والعلمي الرفيع وهنؤوه بما ناله من إعجاب المصريين بسماحته حكومتاً وشعباً ، وتمنوا أن يتم الاتحاد الاسلامي ، والوحدة العربية على يديه الكريمتين باخلاصه الديني ونبوغه العلمي ومركزه الديني السامي في الشرق ، فأجاب الامام الزنجاني وشكر سموه والمجلس وقال :

إن ما تذوقته من الاستعداد اللبق الذي اخذت به مصر حكومتاً وشعباً للحفاوة بي أثناء زيارتي هذه للديار المصرية ، يسبغ علي إقتناعاً بأن مصر تقدر العلم والدين والمصلحين ، وأن من نعم الله علي أن ازور مصر في عهد جلالة الملك فاروق الأول وفي الوقت الذي نالت إستقلالها ويدير دفة سياستها الاستقلالية العليا سموكم وزملاؤكم صاحبا المقام الرفيع العضوان .

ثم رغب سموه إلى سماحته في أن يتفضل ببيان بعض المميزات المذهبية وشروط الاجتهاد ومايراه صالحاً للمسلمين في الظروف الحاضرة فقال الامام الزنجاني :

إن فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد المجتهد الأعلم في مذهب الشيعة أوجدا مجالا واسعاً لعلمائهم أن يتنافسوا في درجات العلوم بالتسابق لا بالتدافع ، وهذا منشأ النشاط العلمي في معاهد النجف الأشرف وسائر الأوساط العلمية في بلاد الشيعة ، ويلزم تخصص المجتهد الشيعي في عدة علوم ، هنا قطع سمو الأمير حديث الامام مستغرباً

تخصص شخص واحد في عدة علوم ، وقال سمـوه التخصص في علم واحد صعب فكيف يمكن التخصص في علوم متعددة .؟

أجابه الامام قائلا : نعم هذا أمر ممكن وواقع فعلا وقـد حضر مجتهد الشيعة في جامع الأزهر (١) وعرف فضيلة شيخ الأزهر وعلماء الأزهر تخصصه في علوم كثيرة فاسئلوهم إن كنتم لاتستيقنون ، وحينئذ نزل سموه عن منصته الرسمية وتركها ، وجلس سموه على كرسي إعتيادي أمام الامام الزنجاني ، وانقلب ذلك المقام الرسمي السامي إلى مدرسـة علميـة يلقي فيها الامام درساً علمياً ودينياً على المستمعين ، وهم رئيس مجلس الوصاية ، والعضوان والوزيران المفوضان للعراق وايران وكبار الموظفين الذين كانوا يستمعون للدرس من الخارج ، واستغرقت الجلسة ساعـة ونصف الساعة تجلت خلالها شدة تمسك مجلس الوصاية بالدين وتعظيمه لشعائره . مع غزارة معلومات رئيسه واعضائه وإعجابهم بعلوم الامام وبيانه المعجز ، وإيمانهم برسالته الاصلاحية وتلبيتهم لدعوته إلى الوحدة الاسلامية المرتكزة على الوحدة العربية وشايعوه عنـــد الانصراف حتى باب القصر (٢)

(الامام الزنجاني في قصر المنيل)

وجه صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية

---

(١) يعني الامام نفسه

(٢) الجهاد المصريه ٢١ رمضان ١٣٥٥ — ٥ ديسمبر ١٩١٦ والفيحاء الدمشقيه ٢٠ كانون ١٩٣٦

في مصر دعوة الى سماحة الامام الزنجاني راجياً أن يشرف (قصر المنيل) في الروضة يوم الجمعة ليقيم في جامعه فريضة الجمعة إماماً وأجاب الامام الدعوة ، ولما حضر في موكب فخم تحف به الوزراء والعظماء والوزراء المفوضون للحكومات الاسلامية ورئيسا مجلسي النواب والشيوخ أطلعه سموه على كثير من مزايا المسجد وخصوصياته التي اخذت كل واحدة منها من احد المساجد الاسلامية في العواصم الشرقية والغربية .

وبعد أداء الفريضة استصحبه سموه الى غرفته المخصوصة المؤسسة بالأساس الوطني الخالص ووصفها سموه للامام بأنها غرفة وطنية لا يوجد فيها شيء غير وطني ، فمكثا فيها ساعتين تناولا خلالها اطراف الحديث في مواضيع اسلامية هامة واتفقا على مشروع الوحدة الاسلامية في جو مملوء من الصفاء والثقة المتبادلة ، حتى أن سموه شرح لسماحته أسراره العائلية وأسفاره الكثيرة وتجوله في أوربا والعارض الذي إعتراه في عينيه في حفلة تشييع جنازة الملكة فيكتوريا والأسباب التي ألجئته الى ترك الزواج رغم ان سموه يملك الأراضي الواسعة والأملاك الشاسعة وهو أول المثرين في مصر ، وحاول سموه ان يقدم مساعدة مالية كبيرة بصورة مستمرة كراتب لسماحته لينفقها على معاهد النجف الأشرف ولكن سماحته مع تقديره هذه العاطفة الساميه أبى وامتنع عن قبولها وقال : اني شخصياً لم أقبل ولن اقبل مالاً أو هدية من أحد أصلا ، واما معاهد النجف الأشرف فهي غنية عن هذه المساعدات ـ رغم عدم أوقاف لها ـ وذلك لأن العلماء والطلاب عند الشيعة يشاركون الأغنياء

في أرباحهم بمقدار الحقوق الشرعية من قبيل الخمس وسهم الامام والزكاة وأشباهها .

ومن الجدير بالذكر أن سمو الأمير كان يتكلم باللغة التركية التي يجيدها الامام ايضاً ، وفي أثناء المذاكرة قال الامام لسموه (اني أحس بشيء أجنبي في غرفتكم هذه التي وصفتموها بأن كل شيء فيها وطني ومصري ، وهذا الأجنبي لغة التخاطب ، فاعتذر سموه مبتسما وتفضل فتكلم باللغة العربية ، وبعد انتهاء المفاوضات والقرارات ودع سموه الامام الزنجاني وداعاً مؤثراً وقال سموه : اني في حياتي لم اجتمع بعالم ديني أعظم من سماحتكم ، وخرج لمشايعته لى باب القصر .

— ١٠ —

أولم صاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا الرئيس الثاني لمجلس الوصاية ـ نائب الرئيس ـ وليمتين في داره العامرة تكريماً للامام الزنجاني ، دعى الى الثانية الوزراء المفوضين للدول الاسلامية ولفيفاً من العظماء وكبار الأساتذة والعلامة الكبير صاحب العزة الاستاذ فريد وجدي وزعيم مسلمي الصين السيد عبد الرحيم ماسونتين ، وغيرهم وامتدت الحفلة من المغرب حتى الساعة التاسعة والنصف مساءاً

ودارت بينهم مفاوضات مهمة ، واقتنع جميع الحاضرين برسالة الامام الزنجاني وقرروا الشروع في العمل لتحقيق الوحدة الاسلامية

باتفاق الآراء . وكفى شاهداً لنجاح الامام كتاب سموه ، وهذا نصه :

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني السلام على فضيلتكم ورحمة الله وبركاته . تلقيت مع عظيم الغبطة كتابكم الكريم يفيض عن معان سامية ويعبر عن نفس ملأ جوانحها حب الاصلاح ، واشرأبت الى المثل العليا في هدى الدين الحنيف فما ابتغت غيره مقصداً .

وفي ظلاله الوارف طافت المدن والأمصار فما ازدادت بها إلا تمسكا . ولقد عشقنا في فضيلتكم هذه الخلال ، وتعشقنا هاتيه الفضائل فكانت حفاوتنا بكم اعترافاً بهذه الصفات ، فليس أحب الى نفوس عامرة بصادق الايمان من أن تسند الفضل الى ذويه إستمساكا بالعروة الوثقى ورعاية للأخذ بالمثل العليا ، وليس أحب الى قلبي من أن أرى الاسلام يعود اليه مجده ، وأرى مسلمي العالم والشرق خاصة متضافرين على ضوء إرشادكم ومتساندين على رفعة الاسلام ، آخذين بأحكام كتاب الله الكريم ، وهدى نبيه الرسول الأمين (ص)

ويسرني أن تعقبوا على هذه الزيارة فذلك بخير ما نرجوه لكم من صحة موفورة وهناء مقيم ، كما أرجوا أن تبلغوا أخلص تحياتي وأمثلها الى حضرات إخوانكم علماء النجف والى إخواننا في الاسلام جميعاً ، وفي الختام تقبلوا عظيم أشواقي وتحياتي . ١٧ ربيع الأول ١٣٥٦

عبد العزيز عزت

— ١١ —

النظام الاقتصادي أكبر معجزة في الإسلام

أجاب الامام الزنجاني دعوة باعث النهضة الاقتصادية في مصر سعادة محمد طلعت حرب باشا فزار الصرح الوطني العظيم اي (بنك مصر) المؤسسة القومية الكبرى والمنشآت الملحقة بها ، وكان في إستقباله سعادة صاحب الدعوة وموظفوا البنك وشركاته وبعد أن زار سماحته أقسام البنك وطاف بحجراته وخزائنه الحديدية وأعجب بما شاهده زار مكتب الرئيس ، والقى طلعت باشا كلمة نفيسة قال فيها : انه يأسف لغياب سعادة مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة البنك بسبب مرضه - وبعد أن أبلغ سعادته الى سماحته تحية مدحت باشا ، وشكر البنك ورجاله على هذه الزيارة قال : إن البنك تأسس منذ ستة عشر عاماً برأس مال قدره ٨٠ الف جنيه فنمى وترعرع في خلال هذه السنوات حتى بلغ رأسماله مليون جنيه ، وإحتياطه مليوناً آخر زيادة على الشركات الأخرى التي اسسها البنك ، وذلك بفضل الثقة العظيمة التي يوليها المصريون لهذه المؤسسة القومية : وقال سعادته ان جميع موظفي البنك من المصريين ، وان عملائه هم الأمة المصرية كلها ، وانه كان يرجوا من إنشاء هذا البنك إنشاء مدرسة فانتهى به الأمر الى إنشاء مدرسة وبنك

وقد رد سماحة الامام الزنجاني على كلمة سعادته شاكراً ما لقيه من حفاوة البنك وشركاته ، وقال : « إن ماشاهدته في مصر من عجائب إقتصادية لا يقل روعة عما شاهدته من عجائب الآثار، وأهنئكم وزملائكم على سلسلة المشاريع الناجحة التي يقوم بها بنك مصر بدقة ونظام لفت نظري في المصانع التي زرتها اليوم . كما أنني اهنئكم على الحالة الطيبة التي رأيت فيها العمال وقد بدت على وجوههم السعادة في كل مصنع من المصانع ، وهذا أهم شيء عني به الاسلام .

ودعي سماحته إلى استديو شركة مصر ، وكان طلعت باشا ينبئه بتاريخ هذه الصناعة ، ويعرض عليه بعض منتجات الشركة وطلب السماح من سماحته ان يأذن بتسجيل رسالة لسماحته ليرسل صفحتها الفنية الى اهله وذويه في النجف الأشرف فاجاب سماحته ذلك قائلا إن اهلي واخوتي جميع المسلمين ، فكانت كلمة سماحته المسجلة نداءاً عاماً وجهه إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قال فيه :

إخواني المسلمون ، إن النظام الاقتصادي اكبر معجزة في الاسلام قرره الدين الحنيف لمعالجة الفقر والجهل والمرض ، وإن الاستغناء الاقتصادي دعامة الاستقلال المعبر عنه في الفقه الاسلامي بكلمة (حفظ بيضة الاسلام) واوجب على كل مسلم ان يضحي نفسه ونفيسه دون حفظ بيضة الاسلام ، أي « استقلال الممالك الاسلامية » وبنك مصر قائم بهذا الواجب الاسلامي أحسن قيام فاتخذه قدوة لانفسكم وإعلموا ان دعوتي الى توحيد كلمة المسلمين ترمي ايضاً الى توحيد آرائهم وجهودهم

الاقتصادية ، والنهوض بالنظام الاقتصادي إلى أقصى حد مستطاع للتخلص من إرادة رؤوس الأموال الأجنبية التي تتحكم في رقاب المسلمين منذ مئات السنين ، مع العلم بأن سبب نجاح بنك مصر هو أولا في الابتعاد عن زحام السياسة والحزبية وثانياً في إخلاص أسرة البنك واعلموا أن أفضل الطرق الفعالة لتجديد قوى الحياة في الأقطار الاسلامية والشرقية إصلاح النظام التعليمي وتوجيهه في إتجاه عملي ، وفتح أبواب العمل في الصناعة والزراعة والتجارة للشبان الأذكياء الذين يبحثون عن رفاهيتهم واستقلالهم وحريتهم الصحيحة ، وأن في يد كل أمة اسلامية وشرقية ـ مهما كانت الظروف التي تحيط بها ـ أن تستعيد مجدها وعزها ، وأن تصل بقوة إرادتها ، ومثابرتها في العمل واستمرار جدها ، وقوة إيمانها إلى المكان الذي تريد أن تكون لها في الحياة .

والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين

﴿ نص كتاب نائب رئيس مجلس إدارة بنك مصر ﴾

بنك مصر : مكتب عضو مجلس إدارة المنتدب

القاهرة : في ٢٥ مارس سنة ١٩٣٧

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . تسلمت مع عظيم الشرف كتابكم الرقيق الذي يفيض بالعظمة التي تفتكر ، وتخاطر ، وتنجح لقد تبينتم ما أصاب المسلمين من الوهن والتفرق . فاعتزمتم أن تحملوا

على كتفيكم ذلك العبء الديني الأقدس ، وخطوتم خطوتكم المباركة نحو تحقيق الوحدة الاسلامية فكانت كل خطبة من خطبكم ، بل كل كلمة من كلماتكم كحكم القدر العادل ، على الوضع الخاذل ، وأصبحت أعمالكم العظيمة لدى مئات ملايين المسلمين مفخرة الاسلام وسند المستقبل الغامض ، ولست أجد غير كلمة الشكر أن أزجيها الى فضيلتكم على إحساسكم الرفيع وشعوركم النبيل وغير أطيب الدعاء أبتهل به الى الله أن يحفظكم لخدمة الاسلام والمسلمين وتفضلوا بقبول فائق الأحترام

محمد طلعت حرب

— ١٢ —

المركز العام

لجمعيات الشبان المسلمين

شارع الملكة نازلي بالقاهرة

١٠ نوفمبر ١٩٣٦

القاهرة في ٢٥ شعبان ١٣٥٥   ١٨٥٠

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان من بواعث سروري أن اتشرف بابلاغ فضيلتكم أن الجمعية العمومية المنعقدة في ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٤ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ قد خولت مجلس الادارة أن ينتدب لعضويته عضواً او اثنين من عظماء الرجال الذين

إشتهروا بالاهتمام بشؤون الاسلام عن كل قطر من الأقطار الاسلامية يكون له أو لها حق حضور جلساته ، وأن تكون آراء حضرات الأعضاء المنتدبين قاطعة في الشؤون الاسلامية العامة .

وقد وقع إختيار المجلس على فضيلتكم ويسره أن تتفضلوا بقبول هذه العضوية التي لها مغزاها النبيل السامي ، من تكوين رأي اسلامي عام في المسائل الاسلامية الهامة التي تنطوي عليها رسالتكم الاصلاحية ،

وإنا نسأل الله تعالت قدرته أن يوفقنا جميعاً الى العمل لخير الاسلام والمسلمين .

الرئيس

لجمعيات الشبان المسلمين

عبدالحميد سعيد

— ١٣ —

(خليفة سعد زغلول . ورئيس الدولة يحتفي بالامام)

كانت الحفاوة البالغة التي أظهرها صاحب الدوله مصطفى نحاس باشا ، رئيس الوزراء ، وخليفة سعد زغلول باشا ، ورئيس حزب الوفد لسماحة الامام الزنجاني ، طيلة وجوده في مصر أجل من أن توصف ، فقد رحب بالامام أجمل ترحيب منذ عنّ برسالته وكان عاملا قوياً لتحقيق دعوته وقد إنتهز دولته هذه الفرصة الثمينة فأدلى الى الامام ـ في جلسة مخصوصة إمتدت ساعتين ـ بالقضية المصرية منذ بدء تكونها الى حين إنتاجها في عهد دولته ، ببلاغته المشهورة راغباً الى الامام في أن يبدي

ملاحظاته حولها .

وقد أظهر الامام شدة إرتياحه لما ظهر له من أن الحركة الوطنية في مصر في جميع أدوارها كانت مستهدفة لأمر ممكن الحصول ، قال : أعتقد أن هذا هو سر نجاح رجال الحركة العظام هذا النجاح الباهر .

ولما أهديت كتب من دار العلوم والجامعة إلى الامام وقع نظره في كتاب (تاريخ الفتح الاسلامي في الصحيفة ٥٤٧ على كلمة تنسب إلى مصعب ، تمس كرامة قدماء أهل العراق ، فاستاء منه كثيراً وطلب من دولة الرئيس أن يأمر بان لا يوضع هذا الكتاب وأمثاله في متناول أيدي الطلاب في المعاهد العلمية ، أجاب دولته فوراً هذا الطلب . ولدولته كتاب بخط يده ارسله الى النجف الاشرف وإلى القاريء نص هذا الكتاب حرفياً :

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني أبلغكم أطيب التحيات ، وأخلص الأماني ، أما بعد ، فقد تشرفت اليوم باستلام خطابكم المؤرخ ١٧ ذي الحجة ١٣٥٥ فكان له أحسن وقع في نفسي لما إنطوى عليه من صادق الاخاء ، وخالص الوفاء واستمراركم في ارشاد الأمم ، وبث الحكم ، فقد صح في فضيلتك ذلك التعريف الذي عرف بعضهم (العالم) فقال : هو قبل كل شيء العالم

بأحوال عصره ومصره ، وإني لا يسعني إزاء ما آتيتم من فضل ، وأظهرتم من كرم إلا ترديد سجاياكم الحميدة ، وخلقكم السامي المتين الذي أسرتم به كل من كان له شرف التعرف اليكم بمصر ، فأرجو أن تتفضلوا بقبول جميل شكري وعظيم ثنائي ، مع تهنئتي القلبية بعودتكم الى النجف سالمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذو الحجة ١٣٥٥ مصطفى النحاس

— ١٤ —

(الامام الزنجاني وزعيم مسلمي الصين)

إنتهز فضيلة السيد عبد الرحيم ماسونين زعيم مسلمي الصين فرصة وجود الامام الزنجاني في القاهرة ، وقابله عدة مرات وعرض لسماحته اوضاع مسلمي الصين القاطنين في الجهة الشمالية المتاخمة لبلاد التركستان ومثلهم في الجلسات ، ووافق في القرارات المتخذة في شأن الوحدة الاسلامية ، والقضايا الاسلامية العامة ، وقال الزعيم الصيني في إحدى مقابلاته للامام : « إن مصر ملتقى الثقافات شرقيها وغربيها ، وآية ذلك أني تمكنت فيها من مقابلة أعظم أئمة المسلمين مثلك (يعني الامام الزنجاني) في مقدوره أن يمد إلينا يد المساعدة خصوصاً ؛ وان علاقة الصين ببلاد العرب والفرس علاقة قديمة ، وقد تسرب الاسلام من بلاد العرب على طريق بلاد الفرس الى الصين ؛ حتى ان أسماء العبادات الاسلامية في الصين الى الآن كلمات فارسية ، ونحن نعبر عن الوضوء

مثلا بكلمة (آب دست) فرد عليه الامام الزنجاني بما ملخصه : نحن على إستعداد لمساعدتكم سواء كان من ناحية الكتب العلمية في الثقافتين العربية والفارسية وفي أي لغة تفهم في الصين ، وكذلك من ناحية رجال الدين الذين يمكن ان تستفيد منهم اخواننا المسلمون في بلادكم وكم أكون سعيداً لو تفضل السيد ماسونتين بزيارة النجف الأشرف ؛ تلك البلدة العريقة في المدنية . فقد ازدهرت بالعلوم والمعارف منذ عهد هارون الرشيد ، وهذا كما تعلمون قبل ان يوجد الأزهر المعمور بمراحل ، ففيها تدرس جميع العلوم الدينية والدنيوية والفلسفية

فرد الاستاذ ماسونتين قائلا : من دواعي الغبطة والشرف انني نلت بتوفيق الله تعالى حظوة التحدث الى فضيلتكم وسأحمل الى بلادي بشرى رسالتكم الاصلاحية السامية التي أشرقت على الكنانة وأضاءت الأقطار الأسلامية وسيعتنقها خمسون مليوناً في بلادنا ويستعيدون بها مجدهم القديم . (١)

— ١٥ —

كلمة العلامة الجليل صاحب العزة فريد وجدي (٢)

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني

---

(١) جريدة (الجهاد) المصرية ٢٠ شعبان ١٣٥٥ ـ ٥ نوفمبر ١٩٣٦

(٢) مجلة الازهر . الجزء العاشر . المجلد الحادي عشر . شوال ١٣٥٩

شيخ علماء النجف الاشرف بالعراق : قدم راسخة في مجال الفلسفة على وجه عام ، والفلسفة الاسلامية على وجه خاص ، وقد زار مصر في سنة ١٩٣٦ فكشف عن عيلم علم ودين ، ونال اعجاب العلماء المصريين وتقديرهم العظيم .

أهدانا فضيلته بكتاب له جديد اسمه (دروس الفلسفة) وهذا الكتاب تكشف من سمو الفلسفة العربية ما لا يكشفه كتاب غيره ، ويحاكم الفلسفة العصرية محاكمة دقيقة تتبين منها حاجتها الى التكافل مع الفلسفة الاسلامية ، وهذا مرمى بعيد المدى ، جدير باطالة النظر وإجالة الروية .

ولا أظن ان الفلسفة الاسلامية وجدت مدافعاً عنها أكثر غيرة عليها وأدق نظراً فيها من فضيلة الاستاذ الامام الزنجاني ، اثابه الحق على عمله الطيب .

١٦

سيدات مصر يحفظن خطب الامام الزنجاني ومحاضراته

زارت السيدة (قوت القلوب) زعيمة الدمرداشية في القاهرة العراق ، وزارت مدينتي كربلاء والنجف الأشرف ، ولم تفتها أن تزور فيها أعلام علماء الشيعة الامامية .

ولما مثلت أمام الامام الزنجاني ـ بحضـور متصرف لواء كربلاء معالي السيد أحمد مختار بابان (رئيس الديوان الملكي الآن) قالت : سيدي الامام الزنجاني ، أحمل الى فضيلتكم تحيات سيـدات مصر المثقفات اللاتي أجبن دعوتكم الاصلاحية وحفظن من خطبكم القيمـة ، واعتدلن في نهضتهن على ضوء إرشادكم الديني السامي .

وإني لفخورة بأن أخبر فضيلتكم أني حافظة ستاًمن محاضراتكم القيمة

١٧

﴿ أشعة العظمة العلمية للشيعة الامامية وللنجف الأشرف ﴾

أشرق اسم النجف الأشرف ، وتجلت عظمتها العلمية والدينيـة والفلسفية ، واتضحت حقيقة مذهب الشيعة الامامية في مشارق الارض ومغاربها على وجه عام ؛ وفي الشرق الاسلامي والعربي على وجه خاص بسبب رحلة الامام الزنجاني التاريخية ، إشراقاً وتجلياً واتضاحاً لم يسبق لها نظير في التاريخ ، ولقد أجاد الاستاذ الجليل السيد رشيد مرتضى (شاهد العيان) في كلمة كتبها في مقدمة مذكراته عن رحلة الامام الزنجاني ، وهي : « كان شعاع مذهب الشيعة الامامية قبل رحلة الامام الزنجاني الى الأقطار الاسلامية لا يزيد فيها على ضوء ضئيل بنسبة واحد بالمائة من شعاع شمعة واحدة ضئيلة ، ولكنه بعد رحلة الامام ، وبعد إنتشار علومه في خطبه ومحاضراته زاد عن أشعة مأة مليون شمعة

كبيرة قوية » .

ويؤيده ما جاء في كلمة الأستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الازهر في إحتفال الأزهر تكريماً للامام الزنجاني ، وهذا نصه :

إعتاد الناس أن يبدؤا حفلاتهم التكريمية بذكر مناقب المحتفل به ولكني حينما أتحدث عن فضيلة الاستاذ الامام الزنجاني العالم المجتهد الشيعي الكبير الذي نحتفل به اليوم ، لا يمكنني إحصاء مناقبه وصفاته وخصاله وعلومه وفلسفته .

سأحدثكم قصيراً عن معهد النجف الأشرف الذي قام علماؤه ويقومون بدرس العلم ورعايته للعلم وحده .

هذا المعهد العظيم الذي يقوم على حب العلم للعلم ، هو الذي نكرم ممثله العظيم الآن ، ونكرم في فضيلته هذه الصفة ، مع بقية الصفات التي يمتاز بها محب العلم للعلم ، وهي ، التواضع ، وسماحة النفس .

وقد رأيتم أنني جعلت تكريم فضيلة الامام الاستاذ الزنجاني في إدارة الأزهر ، لأجعل في ذلك إشعاراً بأننا نقصد بتكريم فضيلته ، وتقدير علومه الكثيرة وشمائله ، الاعتراف بالتقدير والتحية لمعهد النجف الأشرف الذي نرجوا أن نقوم بواجب الزيارة له ، ومدفنه الشريف تأكيداً لروابط العلم والأخوة الاسلامية .

وقد أريد من هذا الاحتفال في هذا المكان — أي في إدارة المعاهد الدينية — أن نرسل تحية الأزهر ، والأزهريين الى معهد النجف الأشرف وعلماء النجف ، تحية خالصة يرسلها مسلمون الى إخوانهم المسلمين في

هذا المعهد العظيم . (١)

— ١٨ —

(كلمة الامام الزنجاني)

نشرتها جميع صحف القاهرة وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الأمة المصرية الكريمة

قد كانت زيارتي مصر استجابة لأمنية قديمة في نفسي ، وشوق مكين في فؤادي ، فقد شاقني منذ أمد بعيد أن أسعد بزيارة إخواننا المصريين ، وأشهد عن قرب نهضة مصر المباركة التي عرفتها فيما تواتر من أخبارها ، وما قرأت من آثارها ،

فلما قدمت مصر رأيت أكثر مما سمعت ، وخبرت أعظم مما أخبرت ، وزاد سروري وغبطتي بما شهدت في هذه الأمة العظيمة من مظاهر العمران ، والازدهار في العلوم والفنون والآداب .

ولست بمستطيع الابانة عما لقيت من حفاوة بي ، وإكرام لوفادتي وسعي إلى مودتي من كل من لقيت من المصريين ، أمراء ؛ ووزراء ،

---

(٢) جريدة (الاهرام) المصرية ١١ نوفمبر ٢٩٣٦ – و٩–١١
والبلاغ المصرية ١١ نوفمبر ١٩٣٦
والمصري المصرية ٩ نوفمبر ١٩٣٦
والجهاد المصرية ٨ نوفمبر ١٩٣٦

وعلماء ، وأدباء ، وكبراء ، وصحافيين ؛ فقد بالغوا حفظهم الله في إكرامي وإيناسي ، حتى شعرت أنني في وطني وبين أهلي ، وتجلت لي الأخوة الاسلامية الصادقة في كل أقوالهم وأفعالهم .

وأخص بالذكر حضرة صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الوصاية وحضرتي صاحبي المقام الرفيع عضوي المجلس الموقر ؛ وحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء ، وأصحاب المعالي زملائه الكرام وصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر ، وحضرات علماء الأزهر ، والجامعة المصرية ودار العلوم ، ولا أقصر في شكر من لا يتسع المقام لذكرهم من أعيان هذه الأمة الكريمة .

أعود إلى بلادي ناجحاً ، مسروراً ، شاكراً ؛ ذاكراً بالخير ما رأيت وما سمعت من مصر ، متحدثاً بتقدير أهلها لأواصر الاخوة الاسلامية ، مستجيباً لرغبتهم ورغبتي في التوحيد أو التقريب بين الامم الاسلامية ، داعياً لمصر بالتقدم والفلاح والسعادة في العهد المبارك عهد الاستقلال والحرية في رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول حفظه الله .

(عبد الكريم الزنجاني)



يرى الامام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الوسط يحيط
به زعماء دمشق وشباب محمد ويحاولون الانضمام بموكبه الفخيم
حين توجهه الى الجامع الأموي لالقاء خطبته التاريخية .

(شواهد نجاح الامام الزنجاني في سوريا)

— ١ —

(يوم الوحدة الاسلامية) (١)

(المسلمون الذين فرقتهم السياسة في قرون يوحد صفوفهم الامام الزنجاني في ساعة) ... وكانت المحاضرة الرائعة التي القاها الاستاذ الامام المجاهد الشيخ عبدالكريم الزنجاني مرتجلا في (الجامعة السورية) من أفضل المحاضرات الرائعة النافعة التي شهدتها دمشق ، وكان للبراهين الفلسفية والمنطقية ، والاستنتاجات العميقة الغور من القرآن الكريم ، وللبيان الساحر الذي القاه الاستاذ الامام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني أبلغ أثر على الجماهير الغفيرة من عيون دمشق وعلمائها . ورجال الحل والعقد فيها ، ومع ان المحاضرة دامت زهاء ساعتين فقد كان المستمعون يرجون أن تطول أكثر من ذلك — وكان — شباب محمد — أسبق الشباب العاملين في سبيل الوحدة الاسلامية الى الالتفاف حول الامام الزنجاني والسعي لتحقيق فكرته السامية ، فكرة الوحدة الاسلامية (لا التقريب بين المذاهب الاسلامية فحسب ، كما جاء في الدعوة التي

---

(١) نقلا عن جريدة (فتى العرب) الدمشقية العدد ٨٣١٨ الاثنين ١٥ شوال ١٣٥٥ – ٢٨ كانون اول ١٩٣٦ .

وجهت لاستماع محاضرة الاستاذ الامام في الجامعة .

فقد أعدوا تحت قبة النسر «في الجامع الأموي» منبراً عالياً للامام الزنجاني ، تزاحم الناس حوله بالمناكب ، بين جالس وقاعد — وقد تجاوز عددهم أربعين ألف نسمة — فألقى الامام الزنجاني عليهم درساً بليغاً دعى فيه لجمع كلمة المسلمين ، ولأداء أجر رسالة الرسول الاعظم (ص) والوحدة الاسلامية ... وامتد الدرس نحواً من ساعتين ، خلب به الالباب واسترعى الاعجاب ، وخضع المستمعون لرسالته السامية ، ثم وقف العلامة المجاهد الاستاذ الشيخ بهجة البيطار ، فألقى كلمة مستفيضة أثنى فيها على الامام الزنجاني ثناء جميلا ، وبحث عن الوحدة الاسلامية بحثاً مستفيضاً وقال ، ان سوريا التي لم تعرف معنى للتفرقة بين المذاهب الاسلامية تبتهج باعلان الوحدة الاسلامية على ضوء ارشاد الامام الزنجاني ، وسأل المستمعين هل يؤيدون الوحدة الاسلامية التي يدعوا اليها الامام الزنجاني ، ويحرصون عليها؟ فكان الجواب من الجميع بالايجاب .

ثم تزاحم الناس بالمناكب يصافح العلماء الامام الزنجاني ويشكرونه على جهاده الجبار ، ومساعيه الحسنة ، وعمله المبرور ، ثم يشكرون الاستاذ البيطار لانه عبر عن رأيهم احسن تعبير في كلمته القيمة ، وقبل الناس من مختلف الطبقات يد الامام الزنجاني ، شاكرين له مساعيه ، مثنين على جهوده ، داعين له بالتوفيق ، وخرج الامام الزنجاني ومعه البيطار وظبيان في مظاهرة دينية رائعة الى خارج المسجد حيث هتف شباب محمد للوحدة الاسلامية ، وسار موكب الامام الزنجاني بين الصفوف

المزدحمة وهتافها الى الدار التي يقيم فيها يرافقه عدد كبير من الاساتذة والعلماء والعظماء السنيين الخ ...

(رسول الوحدة الاسلامية)

وهذه خلاصة ما شهدته دمشق في ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة ، ١٣ شوال سنة ١٣٥٥ - و ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٣٦ - الذي أطلقنا عليه بحق إسم « يوم الوحدة الاسلامية » .

وصفوة القول: أن ما فرقته السياسة في قرون أزاله الامام الزنجاني والبيطار في ساعة ختمت « والحمد لله بأعلان (وحدة الأمة الاسلامية) وجمع شملها وكلمتها ، وقد كان جهاده مبروراً ، وسعيه مشكوراً ، وسلاحه الذي تسلح به - وهو الاخلاص في العمل ، والدعوة بالحكمة ، والتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحقيقه ، والسعي للوصول اليه بالعلم الصحيح والعقل الراجح ، - أمضى من الأسلحة التي إستعملتها السياسة في قرون وظنت أنها صدعت الصفوف صدعاً لا يمكن أن يجبر كسره ، ولكن (رسول الوحدة الاسلامية الحكيم) الامام الزنجاني ، وضع الجبر على الكسر ، ونحن ننتظر من الامام الحكيم الزنجاني ، أن يواصل مساعيه المشكورة ، وجهاده الخالد ، حتى يضم مؤتمر واحد جميع المذاهب والفرق الاسلامية ، ويعيد للاسلام مجده ، وينظم الوحدة الاسلامية تنظيما صحيحاً ، وما المؤتمرات العربية ، والوحدة التي سعينا ونسعى لتحقيقها من إقليمية ، وقومية ، إلا نواة « للوحدة الاسلامية » الكبرى وقد رأى العرب من عطف مسلمي إيران ، والهند ، والأفغان ، على قضيتهم

الفلسطينية ما يثلج الصدور ويبشر بصون حرمات هذا الجزء من وطنهم من أن تعبث به الصهيونية الشريرة الفاسدة .

وسبق أن قلنا أن سوريا لا تعرف معنى للتفريق بين المذاهب الاسلامية ، سيما بعد أن آمنت برسالة الامام الزنجاني الاصلاحية ، وقد أهدانا أمس الاستاذ الشيخ محمد علي ظبيان المسلم المخلص كراساً ضمنه عقيدة « الأخوان المسلمين » وشرح ما تنطوي عليه هذه العقيدة من تعهد بتحقيقها ، وهذا نص المادة السادسة منها .

« أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة يربطها العقيدة الاسلامية ، وأن الاسلام يأمر بالاحسان إلى جميع الناس . وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الاخاء بين جميع المسلمين ، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم .

فأكبرنا استمرار سوريا على العمل المتواصل لتحقيق الوحـــدة الاسلامية ، وأن يلمس « رسول هذه الوحدة » والمجاهد من أجلها (الامام الزنجاني) هذا السعي ، ويرتاح اليه ، وتجد فكرته السامية تربة صالحة في سوريا فتنموا ، وتترعرع ، وتؤتي أكلها - باذن ربها -

﴿ عيد الوحدة الاسلامية ﴾

والذي نقترحه على جمعية « التمدن الاسلامي » وعلى مجلتها المسماة باسمها ، والتي سدت فراغاً كبيراً في عالم الصحافة عنـدنا أن تحتفل بمثل هذا اليوم في كل عام وأن يتعاقب على منبر الخطابة فيـه الخطباء - على اختلاف مذاهبهم التعبدية - حتى اذا ما تمت الوحـدة في جميع بلاد

العالم الاسلامي ، أقر المؤتمر الاسلامي الذي يتولى الأمر هذا العيد ؛ يعيده المسلمون ، ويدعونه :

« عيد الوحدة الاسلامية » .

— ٢ —

(من درس الامام الزنجاني) (١)

زار دمشق من كبار مجتهدي النجف الأشرف الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، داعياً الى توحيد كلمة المسلمين ، حاثاً على توثيق عروة أهل السنة والشيعة بصورة خاصة ، فلقي أجمل الترحيب ، وألقى مرتجلا محاضرة في هذا الموضوع في مدرج الجامعة السورية ، فازدحم المدرج ورواقه بنخبة البلد الصالحة ، ونظراً لما رآه من الاقبال ألقى ايضاً عقب صلاة الجمعة ، تحت « قبة النسر » في (مسجد بني أمية) درساً عاماً يحوم حول ما يدعوا اليه وانتهى الدرس وقد استدر الدموع ، وارتجل فضيلة الاستاذ الشيخ بهجة البيطار (من أعضاء جمعيتنا) داعياً الى الاخاء الاسلامي ، ملبياً عن دمشق دعـوة الامام الزنجاني ، ونظراً لما رآه من بالغ الحفاوة والتأييد أجاب دعوة ثالثة ، فذهب الى (حي الميدان) فألقى في « جامع الدقاق » (٢) درساً عقب صلاة الجمعة من يوم ٩ شوال

(١) نقلا عن مجلة « التمدن الاسلامى » الدمشقية ، ذو الحجة

عام ١٣٥٥ ـ العدد العاشر ـ السنة الثانية .

(٢) اول جامع بناه المسلمون حينما فتحوا الشام .

سنة ١٣٥٥ ـ وخطب هذه المرة ايضاً ملبياً دعوته فضيلة الاستاذ الشيخ علي ظبيان « من أعضاء جمعيتنا » الخ » .

-٣-

(أتم الزنجاني خطبة الامام السجاد) « ع »

قال شيخ الشيعة في دمشق الحاج ابوطالب (محمد حسن) يضون في مجمع حاشد بالشيعة ما يأتي :

لم يذكر التأريخ أن شيعياً إرتقى منبر الجامع الأموي في دمشق خطيباً منذ بنائه في صدر الاسلام حتى الآن ، سوى إمام الشيعة السجاد زين العابدين علي بن الحسين (ع) ولكن السياسة الأموية قطعت خطبة الامام السجاد (ع) ولم يستطع أحد من الشيعة أن يصعد هذا المنبر وأن يتم تلك الخطبة المقطوعة منذ تاريخ قطعها حتى الآن .

والذي أود أن أسجله بمداد النور والفخر لزعيمنا الديني العظيم سماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، هو أن سماحته هو الشيعي الوحيد الذي إرتقى هذا المنبر في الجامع الأموي خطيباً ، لأول مرة في تاريخ الشيعة ، وتاريخ الجامع الأموي ، وتاريخ دمشق ، وأتم على ذلك المنبر تلك الخطبة السجادية التاريخية التي قطعتها السياسة الأموية على الامام السجاد (ع) وجاء هذا الأتمام بعد مرور ١٢٩٥ سنة على قطعها .

— ٤ —

(شباب محمد يوجهون دعوة عامة للشعب) «١»

لقد عرف الشعب الدمشقي خطورة المهمة التي زار دمشق من أجلها الامام الجليل الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، ألا وهي توحيد الطوائف الاسلامية ، وإعادة الدين نقياً كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد تشرف بزيارة سماحته فريق من شباب محمد ، ورجوه أن يتكرم بالقاء درس عام في الجامع الأموي عقب صلاة الجمعة في ١٢ شوال ١٣٥٥ و ٢٥ كانون الأول ٩٣٦ فتفضل بتلبية التماسهم ، وتحقيق طلبهم

فشباب محمد يشكرون لفضيلة الامام الحكيم أريحيته هـذه ، ويدعون الشعب الكريم لاستماع حكمه الفياضة ؛ والارتشاف من مواعظه الشافية .

— ٥ —

جريدة (الأيام) الدمشقية ٤ كانون الثاني ١٦٣٧

ألقى الأستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني درساً بليغاً اجتماعياً في « جامع الدقاق » في الميدان الفوقاني بعد ظهر الجمعة سمعه الألوف من العلماء الأجلاء والشباب المثقف ، ـ وقد تناوب الاساتذة الشيخ بهجة البيطار والشيخ سعيد العرفي والشيخ محمد علي ظبيان القول بتأييد الأمام الزنجاني في فكرته الطيبة التي يسعى اليها

«١» نقلاً عن جريدة (ألف باء) الدمشقية ٣٤ كانون الاول ١٩٣٦

وخرج القوم مستفيدين من الدروس القيمة التي استمعوها من الامام ومن الاساتذة الاجلاء ومؤمنين برسالة الامام وتناول الامام الزنجاني طعام الغداء على مائدة المجاهد الفاضل الشيخ محمد الاشمر .

-٦-

﴿ رسول الوحدة الاسلامية ﴾ (١)

قدم دمشق من العراق حجة الاسلام المجتهد الكبير صاحب السماحة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني رسول الوحدة الاسلامية ليقضي في ربوع سوريا بقية الصيف إنتجاعاً للراحة ونزولا عند رغبة بعض الاطباء بعد أن أجهد نفسه وبذل قصارى جهده في درس أدواء المجتمع ، وعمل على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم ، وقد استقبلته وفود كثيرة من المعجبين بعلمه وفضله وجهاده والذين يؤازرونه في ما كرس نفسه له، وتوافد عليه الكثيرون للسلام عليه والترحيب به والف باء ترحب بسماحته أجمل ترحيب وترجوا له طيب الاقامة .

-٧-

الوحدة الاسلامية

﴿ الدعوة اليها ، وأثرها بين الأمم الاسلامية ﴾ (٢)

يزور دمشق اليوم إمام جليل الأثر لمحادثة رجالها ، وأهل الحل والعقد

« ١ » نقلا عن جريدة (الف باء) الدمشقية العدد ٥٣٦٦
٣٤ جمادي الاول الثانيه ١٣٥٧ – ٢٠ آب ١٩٣٨

(٢) نقلا عن جريدة (الف باء) الدمشقيه ، العدد ٤٧٨٧
السنه السابعة عشر ٢٠ كانون الاول ١٩٣٦ – ٧ شوال ١٣٥٥

فيها : في فكرة سامية ، أخـذ الامام يبشر بها ، وينشر الدعوة لها ، وذلك الامام الجليل هو سماحة الشيـخ عبد الكريم الزنجاني ، وتلك الفكرة السامية هي توحيد المذاهب الاسلامية ، وقد زار الامام الزنجاني مصر ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، ولبنان ، داعيـاً لفكرته ، فلما تهيأت له الجو الصالح ، ونجح في دعوته نجاحاً باهراً ، وحصل على موافقة زعمائها من دون مخالف ، عاد الى دمشق ليواصل مسعاه الحميد الخ

— ٨ —

فلسفة الدين الاسلامي (١)

جمعت المحاضرة التي ألقاها الامام الحكيم الشيخ عبـد الكريم الزنجاني في مدرج الجامعة السورية ، نخبة صالحة من نواب الأمة ووزرائها وعلمائها ، وشبابها وقد شرح الامام المحاضر فلسفة الدين الاسلامي ببلاغة وبحجة دامغة أخذت بألباب المستمعين ، وأثبت ان الاسلام دين إجتماعي ، سياسي ، اشتراكي ، ثم بين بلباقة أنها ترتكز على الوحدة الاسلاميـــة ، وانتهى من محاضرته وقدملك على السامعين قلوبهم وعواطفهم ، وفي ختام المحاضرة التي دامت ساعتـين هناه دولة رئيس المجلس النيابي ، وحاول رئيس المجمـع العلمي ان يقبل يده ، وانصرف الحضور مؤمنين بدعوته ، ومعجبين بما سمعوا .

---

(١) نقـلا عن جريدة « الف باء » الدمشقية ٢٥ كانون الاول ١٩٣٦

— ٩ —

محاضرة الامام الزنجانى فى الجامعة السورية

﴿ رجال الكتلة والحكومة يستمعون الى المحاضرة ﴾ (١)

كان مساء أمس موعد الحفلة التي دعى اليها النائب السيد فخري البارودي لسماع محاضرة الاستاذ الامام الحكيم الشيخ عبد الكريم الزنجاني (٢) وقد حضر الحفلة رئيس المجلس النيابي الاستاذ فارس الخوري، ونائب الرئيس الاستاذ لطفي الحفار، ووزير الداخلية والخارجية الاستاذ سعد الله الجابري (رئيس الوزراء الآن) والاستاذ شكري القوتلي (رئيس الجمهورية الآن) والأستاذ رياض الصلح (رئيس وزراء لبنان) والنواب السادة فخري البارودي ، والدكتور إحسان الشريف ، والدكتور توفيق الشيشكلي وعبدالقادر السرّميني ،

(١) نقلا عن جريدة « الانشاء » الدمشقية ١٢ شوال ١٣٥٥ ٢٣ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الأولى

(٢) هذا نص رقعة الدعوة :

مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر

سيلقي الاستاذ الحكيم الامام «الشيخ عبد الكريم الزنجاني» محاضرة عنوانها (التوفيق بين الدين والاجتماع والسبيل الى النهوض بالمسلمين والتقريب بين الفرق الاسلامية » في مدرج الجامعة السورية (موعد المحاضرة الساعة السادسة من مساء الخميس الواقع فى ١١ شوال سنة ١٣٥٥)

والدكتور ناظم القدس ، كما حضرها الاستاذ العلامة محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي) وجمهور كبير من رجال العلم والفضل والفكر وغصت القاعة بالمستمعين من علية القوم حتى اضطر لاغلاق الأبواب ولكن الطرق المتوالي على الباب الخارجي دفع السيد فخري البارودي لان يخرج ليردع الطارقين ، وفي الساعة السادسة إعتلى سدة الجامعة النائب فخري البارودي وقدم حضرة الامام المحاضر الى المدعوين بعبارات لطيفة ، فوقف الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني المصلح الاكبر وألقى إرتجالا محاضرة ممتازة لم تشهد دمشق مثلها ، وبين الامام المحاضر أن آداب الأمم هي من أهم العوامل المؤثرة في تكوين أخلاقها ، وأن أخلاق الأمم من أقوى الأسباب الموجدة لعقائدها ، وسرد ادلة كثيرة في تأييد هذه النظرية ، واثبت الامام المحاضر بحجج قوية أن الدين الاسلامي هو دين المساواة ، ودين العلم والعمل ، كما هو دين الاشتراكية وتكلم عن نظرية دارون من الملحدين وأفاض في حديث (الوحدة الاسلامية) التي يدعوا اليها ، فقال : ان الوحدة السورية مثلا هي مقدمة للوحدة العربية ، والوحدة العربية مقدمة للوحدة الاسلامية التي تضم أربعمائة مليون مسلم .

﴿ سورية بلاد الحرية ﴾

وتكلم الامام عن حالة سوريا ، فقال : « إن هذه البلاد هي بلاد الحرية ، وامتدح الامام دمشق العاصمة العربيـة وقال : إن البلاد السورية لا تزال محافظة على التقاليد الاسلامية والعربية ، فقد رحب به

الزعماء الوطنيون والعلماء البارزون ، وأساتذة الجامعة ، ومختلف طبقات الأمة السورية الكريمة ، مؤيدة دعوته ورسالته ، وكان الامام المحاضر شديد الايمان والعقيدة بالنظرات التي أوردها في محاضرته الطيبة ، والتي اقتنع بصحتها الحاضرون اجمع وختم الامام المحاضر كلمته الطيبة بتهنئة الامة السورية بعودة الحياة الاستقلالية اليها ، وحيى رجال الكتلة الوطنية ، ورجال الحكومة الدستورية وأنتهت المحاضرة في الساعة الثامنة ، فهنأه الزعماء الحاضرون ، وقبل بعضهم يده ، وسيلقى الامام الزنجاني غداً في الجامع الأموي دروساً دينية قيمة .

— ١٠ —

محاضرة الامام الزنجانى فى الجامعة السورية (١)

وزع مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر رقاعاً للدعوة لحضور المحاضرة التي يلقيها الاستاذ الحكيم الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني على مدرج الجامعة السورية ، وفي موعد المحاضرة وهي الساعة السادسة من مساء يوم الخميس المنصرم ، تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة حتى غص المعهد وشرفاته وأكثرهم من علية القوم والشباب المثقف وكان يتقدمهم جلوساً في المقاعد الأمامية ، حضرة رئيس مجلس النواب ، وعدد غير قليل من النواب الأكرمين .

وفي الساعة السادسة تماماً دخل الامام المحاضر ، وارتقى الدكة ،

(١) نقلاً عن جريدة (الأيام) الدمشقية ٢٧ كانون الأول ١٩٣٦ العدد ١٢٧٣

وجلس في المقعد المنفرد المخصص له يحيط به الوقار والجلال ، وأجال بصره في القـوم كانه يطلب اليه الانصات لما يقول ، وساد السكوت والصمت ، والـكل مرهف الأذن ، متطلع البصر ، منتظر إبتـــداء المحاضرة ، وقبل أن يبدأ الامام المحاضر وصل معالي وزير الداخليـة والخارجية ، والزعيم رياض الصلح وجلسوا الى جانب إخوانهم النواب وتقـدم النائب السيد فخري البارودي فقـدم المحاضر للحضور بعبارة طيبة ، وعاد الى مكانه ، فابتدأ الامام القول : واخذ بامتداح الآداب في الأمم ، وأن مجد الأمم آدابها ، « وإنما الامم الأخلاق مابقيت.. » وتطرق الى الدول المستعمرة التي تقيد حرية الأديان والمذاهب وتبذل قصارى جهودها في تبديل آدابها بينما هي تتظاهر بتعظيمها الخ » .

وانتهى الامام الزنجاني من محاضرته وقد بلغت الساعة الثامنة ، فهنأه الحاضرون بصفته « رسول الوحدة الاسلامية »

وانصرف الامام المحاضر محاطاً بطائفة كبيرة من كبار المستمعين الذين سروا من هذه المحاضرة سروراً كبيراً .

— ١١ —

وفد معهد الحقوق والامام الزنجاني (١)

علمنا ان طلاب معهد الحقوق وأساتذته رغبوا إلى الامام الزنجاني

---

(١) نقلاً عن جريدة (القبس) الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الرابعة

أن يلقي عليهم محاضرة حقوقية .

وجمعوا مبلغ الف فرنك وأرسلوه الى الامام بواسطة وفدهم ليقبله لقاء محاضرته ، فاستغرب الامام عملهم ورد المبلغ اليهم وقال لهم : نحن رجال الدين روحانيون نخدم الدين والعلم والاخلاق والانسانية مخلصين لوجه الله ولا نريد من الناس جزاءاً ولا شكورا .

—١٢—

قال مندوب (الانشاء) الخاص - (١)

وصل خلال العيد من مصر الامام الشهير « الشيخ عبد الكريم الزنجاني » الذي ما برح يطوف الاقطار الاسلامية عاملا على توحيد فرقها وجمع شملها ، بما أوتيه من سعة العلم ، وقوة الحجة والاقناع وهو مالبث منذ وصوله الى العاصمة موضع الحفاوة والتكريم ، وعاملا على بث فكرته الاصلاحية السامية بين العلماء الاعلام ورجال الدين والعلم وقد زاره يوم أمس النائب السيد فخري البارودي زعيم الشباب يرافقه فريق من الشباب الوطني فاستقبلوا وشيعوا بالحفاوة والاكرام وزاره أمس ايضاً وزير المعارف الأمير مصطفى الشهابي يرافقه السيد فخري البارودي ثم زاره العلامة الاستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي)

(١) نقلاعن جريدة (الانشاء) الدمشقيه ٨ شوا ١٣٥٥ — ٢١ كانون الاول ١٩٣٦

وفريق من علية الزعماء ورجال العلم والأدب ، ودارت خلال هذه الزيارات أحاديث جمة في مختلف الشؤون الاسلامية والاجتماعية كشفت عن عظمة الامام العلمية والدينية والاصلاحية ، واوجبت إعجاب الكل به واقتناع الجميع بدعوته حتى قال الاستاذ كرد علي الامام الزنجاني يمثل السلف الصالح الخ .

— ١٣ —

حديث الامام الزنجاني «١»

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيمة التي القاها الامام الحكيم الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الجامعة السورية ، تلك المحاضرة الارتجاليه التي يصعب على الكاتب أن يلخصها دون ان يذهب برونقها ويشوه محاسنها ولكننا أقدمنا على تلخيص بعض ماجاء فيها ليطلع القراء على الفكرة السامية التي حامت محاضرة الاستاذ الامام حولها وان كانت هذه الفكرة لاتتسع صفحات عديدة لتلخيصها ..

ونقول الآن : الحفاوة البالغة التي قوبل بها الامام الزنجاني من رجال الحكومة أورجال الوطنية ورجال الدين والعلم والشباب والاعيان كانت أقل ما يجب على دمشق ان تظهره امام فضيلته الخ

(١) نقلا عن جريدة « الأيام » دمشق ١٨ شوال ١٣٥٥ ٣١ كانون الاول ١٩٣٦ « العدد ١٣٧٧ »

— ١٤ —

ملوك الجنة ... وملوك الأرض ...(١)

﴿ سطور مقتضبة من محاضرة الامام الزنجاني في جامع الدقاق ﴾

المسلمون بين الماضي والحاضر

لقد كان السلف مسلمين حقاً . ويعلمون أنهم إن قتلوا في سبيل الله فهم ملوك الجنة ، وإن غلبوا وفتحوا البلاد فهم ملوك الأرض فهم بين الملوكيتين دائماً ملوكية الدنيا ، وملوكية الآخرة .

وأما المسلمون في العهد الحاضر ، فهم مسلمون إسماً لا حقيقة ، لقد كان المسلمون في الصدر الأول من تاريخهم متمسكين بحقائق الاسلام يعملون بهدى الاسلام ونوره وقوته ، ولكن مسلمي اليوم قد حال بينهم وبين شارع الاسلام ثلاثة عشر قرناً ، خلقت خلالها في التعاليم الاسلامية فوارق ، نمت بسبب جمود الخاصة ، وجهل العامة ، وغذتها يد السياسة ، وسقاها حب الرئاسة ؛ فقطعت الامبراطورية الاسلامية وفرقت المسلمين .

وإن من أهم الأسباب التي أدت الى انحطاط المسلمين أمراضهم الاجتماعية ، والاخلاقية ؛ وعدم المبالاة ، وفقدان الارادة ، وجمود

---

(١) نقلا عن جريدة « الايام » دمشق ٢٣ شوال ١٣٥٥ ٥ كانون الثاني ١٩٣٧ « العدد ١٣٨١ » ومن مجلة « التمدن الاسلامي » الدمشقية ذو الحجة عام ١٣٥٥ العدد العاشر : السنة الثانية .

ملكة الاستنباط ، فتجد قسما منهم جامدين على الظواهر دون معرفة حقيقة الدين وفلسفته ، فيجعلون القشور وآرائهم السطحية موجبة للفوارق المذهبية . وتجد قسما آخر ، جامدين بتقليد اوربا ، آخذين من الثقافة الغربية ، والعلوم الموجودة قشورها تاركين لبابها ، وهكذا وجدت الستائر الحاجبة لحقيقة الدين فتفرق المسلمون فرقاً وأحزاباً وصرنا في المخالفة مصداقاً لما حذرنا منه تعالى شأنه بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا (وتذهب ريحكم) صرنا ضعفاء وأسراء .

دواء المسلمين : ... والعلاج نشر حقائق التعاليم الاسلامية بأسلوب عصري على أساس الفطرة كما كان في عهد النبوة (ص) وإعادة الدين الى ما كان في بدء الشريعة ، وتعميم التخلق بالاخلاق الاسلامية ؛ وإيجاد التوحيد في فرق التوحيد .

الدعوة الى جمع الكلمة:

فلننهض بتوحيد صفوفنا ، وإيجاد القوى المادية والأدبية حسبما أمرنا الله تعالى باعدادها حيث يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وليأتين كل واحد منا بما يقدر عليه ولو كان ضئيلا ، فمن تراكم ذرات التراب تكوّن أعظم الجبال ، ومن تراكد قطرات الماء تألف أعظم البحار (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) الخ .

هنا بلغ تأثر المستمعين حداً لا يمكن وصفه ، فعلت أصوات كثيرة بالبكاء والعويل من جانب ، بينما ارتفعت أصوات الشباب المتحمس

بالهتاف المرتفع الى السماء من الجانب الآخر ، تدوي دوي الرعـد ، وتنادي : أنت ... أنت إمامنا المصلح المخلص ، وقائدنا الحكيم المنقذ سر بنا حيثما شئت ووجهنا كيفما تريد ، فنحن مطيعون ، ومخلصون .

— ١٥ —

العالم الاسلامي في حاضره ومستقبله (١)

﴿ العقيدة الاسلامية وموقفها من الحضارة الراهنة ﴾

قابل مندوب هذه الجريدة الخاص الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء النجف الأشرف ، وتحدث اليه بالحديث التالي :ـ

س : ما هي مطالعات فضيلتكم عن حالة العالم الاسلامي في الآونة الحاضرة ، والطرق الخليقة بالاتباع للنهوض بالمسلمين .

ج : أرى العالم الاسلامي في الوقت الحاضر أحسن حالا من القرون السابقة الأخيرة لأنه أحس الآن بوجوب تنظيم الحياة ، وأخذ ينهض بهذه النهضة التي تشاهدونها وأحس بوجوب توحيد الصفوف الاسلامية وهذا الاحساس حدا بهم إلى تلبية دعوتي الى الوحدة الاسلامية في مصر وسوريا وسائر الأقطار الاسلاميـة باتفاق الآراء ولم أصادف مخالفاً واحداً من ذوي الرأي وأولي الألباب في كل هذه الأقطار ، بينما تعثر غيري من الدعاة الى الاصلاح في أوائل هذا القرن وفي القرن السابق عليه ، وإني أعتقد أن أحسن طريقة خليقة بالاتباع ، الجد في العلم والعمل

---

(١) نقلا عن جريدة (الشعب) الدمشقية العدد ٢٥٩٢ ١٩ شوال ١٣٥٥ ـ ١ كانون الثاني ١٩٣٧ السنة العاشرة

وتوحيد فرق التوحيد وتكميل الثقافة الدينية الصحيحة، والجمع بينها وبين ما يلائمنا من الثقافة الزمنية، كما أمر به الاسلام الخ.

—١٦—

﴿لا معارض لمشروع الوحدة ـ أنا أخشى العقبات السياسيه الغربية﴾ (١)

سأل مندوب (الأيام) الامام الزنجاني بما يأتي :—

س : هل تخشون من عقبة تعترض هذا المشروع الجليل ؟

﴿ مشروع الوحدة الاسلامية ﴾

ج : لا أخشى عقبة : وأنا أعتقد تمام الاعتقاد بأن الجمعيات الدينية في العالم الاسلامي لا تعارض هذا المشروع أبداً على أني أحذر من العقبات السياسية وما قد تدلي به الحكومات الغربية المستعمرة من النظريات السياسية في هذا المضمار.

على أن الحكومات الشرقية، وهي تستند في إتجاهها الى العقل والدراية ـ وفي ذلك حياتها ـ فاني مطمئن من جهتها كل الاطمئنان والحكومات الاسلامية كلها تعاضد هذا المشروع.

—١٧—

مأدبة رئيس الجمهورية (٢)

﴿ على شرف الامام الزنجاني ﴾

أقام فخامه رئيس الجمهورية السيد هاشم الأتاسي مساء أمس حفلة

---

(١) نقلا عن جريدة « الأيام » العدد (١٢٧٧) ١٨ شوال ٥٥ شوال ٢١ كانون الأول ١٩٣٦

(٢) نقلا عن كل الصحف الدمشقية .

عشاء فخمة في فندق « أوريان بالاس » تكريماً للامام الحكيم الشيخ عبد الكريم الزنجاني ضيف دمشق العظيم ، تصدرها الامام المحتفى به ، وحضرها رئيس المجلس النيابي ، ورئيس الوزراء ، والوزراء والبارودي وبعض الشخصيات ؛ وبعد أن تناولوا الطعام أخذ الرئيس الأول يثني على الامام الزنجاني جهوده العظيمة ، وهنأه بنجاحه الباهر ؛ وقال لفخامته :

رغب إلي أهل الحل والعقد في أن أبلغ فضيلتكم أنهم جميعاً عرفوا الحق الذي دعوتموهم اليه ، واتبعوه عن معرفة وبصيرة ، وقرروا باتفاق الآراء أن يمنع في دمشق بعد هذا كل فعل يجرح عواطف إخواننا الشيعة ويسبب التفرقة بين المسلمين ، تدشيناً للعهد الجديد ، عهد الأخوة الدينية ، والوحدة الاسلامية التي تدعون فضيلتكم اليها ، وسيشتركون بعد هذا بكل صفاء في المحافل الدينية عند إخواننا الشيعة

— ١٨ —

رئاسة ﴿ كتاب رئيس الجمهورية ﴾

الجمهورية السورية

خصوصي

حضرة العلامة المصلح الكبير الأستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني المحترم العراق النجف الأشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد : فله وحده المنة والحمد أن اطمأننت لسلامة الصديق العزيز وصحته ، ووصوله النجف الأشرف

شاكراً له عواطفه الحسنة ، وتمنياته الخالصة وآثاره الخالدة في البلاد وجهوده المبرورة في سبيل صلاح المجموع ، مد الله في عمره وأحسن جزاءه ، وأبقاه ذخراً للاسلام وأهله ، وفخراً للانسانية .

دمشق في ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٣٧ هاشم الأتاسي

— ١٩ —

رئاسة

الجمهورية السورية دمشق فى ٢٧ نيسان ١٩٣٧

خصوصي

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة العلامة المصلح الاسلامي الكبير الأستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني

تعهدتموني — أمتع الله بكم — بجميل العناية ، وحسن الرعاية ، فكان لهذا التفضل والتطول أوفى أثر في نفسي ، وأبقى مأثرة عندي ، فشكراً لكم ثم شكراً ، ولا زلتم منهلا للعلم والفضل تروى من فيض معينه القلوب الظامئة وملاذاً للمكرمات يلجأ اليه العفاة ، ويأتم به الهداة ، نصركم الله فى أداء رسالتكم ؛ وأتم الله عليكم نعمته وأبقاكم ذخراً للاسلام وأهله ، والسلام

نجيب الأرمنازي

— ٢٠ —

الجمهورية السورية
وزارة الداخلية

خصوصي

حضرة سيدي الأستاذ الامام المصلح الشيخ عبدالكريم الزنجاني
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : تلقيت بشكر عميق كتابكم اللطيف الذي تكرّمتم فأعربتم لي وللشعب السوري فيه عن رقيق شعوركم ، ونبيل عواطفكم ، ورجائكم الله تعالى لنا التوفيق في خدمة البلاد ، والاستمرار في ما افضتمونا به من الهدى والرشاد ، وإني لسعيد بان أقدم لحضرتكم عظيم شكرنا وصادق احترامنا ، راجياً من الله لكم ولنا دوام التوفيق واستمرار النجاح وتفضلوا بقبول أسمى احترامي سيدي .

دمشق في ٢٢ نيسان ١٩٣٧
المخلص
سعد الله الجابري

— ٢١ —

من كتاب زعيم الشباب

مكتب
فخري البارودي — الرقم ٣٥٨٧ دمشق في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٥
للدعاية والنشر — ١١ ـ ٣ ـ ١٩٣٧

سيدي الاستاذ الامام الحكيم المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم

الزنجاني المحترم فاني حمدت الله على سلامتكم ، ودعوته أن يأخذ بيدنا جميعاً لما فيه خير هذه الأمة العربية المحبوبة ، ويهدينا الى سواء السبيل لنصل برعايتكم الى هدفنا المنشود بوقت قريب .

بارك الله بكم ، وأمدكم بقوته ، وأعانكم على تحقيق أهدافكم التي فيها نفع للأمة العربية ، وللأمم الاسلامية وللانسانية جمعاء ، وتفضلوا بقبول تحياتي ، وتحيات شباب دمشق الذين عرفوكم فأكبروا فيكم قوة الايمان ، وصدق العزيمة ، وعناصر البطولة وعظيم الاخلاص والتضحية لازلتم ملاذاً للمسلمين .

المخلص

فخري البارودي

—٢٢—

سماحة العلامة الرحالة الشهير الأستاذ الامام المصلح الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني حفظه المولى وادام النفع به

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أغتنم فرصة عيد الأضحى المبارك لأرفع الى مقامكم الجليل خالص تحياتي ، وأجمل تهاني ، وأوفر أشواقي ، سائلا المولى سبحانه أن يعيد عليكم امثاله والاسلام مرفوعة رايته ، عزيزة امته ،

وما زلنا نذكر تلك الدروس القيمة التي نثرتم سماحتكم دررها فنظمت عقد الألفة والمودة ، وأحكمت روابط الاخاء والمحبة ، وتلك المجالس المشرفة التي أمتعنا فيها بطيب حديثكم ، ولطائف سمركم ، وبدائع مذاكراتكم في الوحدة الاسلامية ، وتوحيد الفرق ، أو

تقريب بعضها من بعض ، بقدر ما تسمح به الظروف ويساعد عليه الزمن ، وقد أثمرت (ولله الحمد) ثمراً شهياً ، وستؤتي أكلها باذن ربها قريباً ، ونرجوا أن تكونوا في هذه المدة قد أخذتم قسطكم من الراحة ، ورأيتم الآل والأصدقاء على ما تحبون ؛ وبحثتم مع العلماء الكرام ، والسادة الأعلام ، في موضوع المؤتمر الاسلامي وزمانه ومكانه لنقوم في جهتنا بما نوفق له ، ونقدر عليه إنشاء الله تعالى .

من عندنا السادة الأجلاء الأمين ، وظبيان ، والأشمر ، وسائر العلماء المحبين يهدون لسماحتكم أزكى التحية والسلام وتفضلوا بقبول التحية وتبليغها لمن لديكم ممن يعز عليكم . دام ظلكم ودمتم بالخير

المخلص

محمد بهجة البيطار

- ٢٣ -

فتح عظيم

من كتاب زعيم شباب الشيعة في دمشق

« سيدي الأعظم حجة الاسلام الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني اطال الله بقاكم ، وأبلغكم أقصى مناكم ، سلام الله وصلواته عليكم

« سيدي : لقد بارحتم دمشق جسما ، ولكنكم خالدون فيها معنى واسماً ، بما غرستموه في النفوس والألباب ، من بديع الحكمة وفصل الخطاب ، لقد دخلتموها وهي قلعة أمية المريعة ، فصيرتموها بالغ الحجة ، حصناً للشيعة ، بعد ما كان الشيعي فيها وجلا مستتر ، أصبح الآن بالتشيع جهراً يفتخر .

سيدي لقد غزوتم بجيوش علومكم صميم أمية ، وأذبتم في بودقة حكمتكم كل عصبية ، فجزاكم الله أفضل جزاء المصلحين ، ......

وجل العلماء والزعماء والأمراء يتقدمون الى فضيلتكم بعاطر التحيات ويطلبون منكم الأسراع في مشروعكم العالمي العظيم ، الذي بايعوكم على إنجازه بتضحية النفس والنفيس وتتوقف عليه حياة الاسلام والسلام العام .

...... ودم يا سيدي فخراً للمسلمين ، وذخراً للمؤمنين.... الخ

— ٢٤ —

(من كتاب زعيم شيعي)

دمشق ١٠ـ ١١ ـ ١٣٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الامام العيلم ، الحبر الأعظم الشيخ عبد الكريم الزنجاني

أمد الله في بقائه ونصره على أعدائه

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته :

تناولت بيد الاجلال كتابكم العظيم (دروس الفلسفة) وإنني لأعجز عن تأدية ما يجب علي من الشكر والامتنان لتكرمكم باهدائي هذا السفر العظيم : بعد ما تصفحته حملته الى العلامة الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي) وعنده جمع من العلماء والامراء فكان موضع التقدير والاعجاب لما يحوي من بديع الحكمة ، حتى قال لي

أحدهم : كان يجب على سماحة الامام الزنجاني ان يسميه (قرآن الفلسفة) ودام المجلس ما ينوف على ثلاث ساعات بذكر ما أوتيتم من العلم والحكمة والأخلاق السامية ، وخصوصاً ما قمتم به من الرسالة الدينية ؛ والدعوة الى الوحدة الاسلامية ، متمنياً كل منهم قبوله مساعداً لكم في هذا المشروع العظيم .

إلى أن قال العلامة (كرد علي) أنه حاول مراراً تقبيل يدكم الكريمة مع ما بينكم وبينه من التفاوت في السن فلم تمكنوه ، .

وقال ايضاً : « من المعتبر عند أهل السنة أن مصر قبة الاسلام وعلماؤها أئمة المسلمين في عصرنا هذا ، فقد شهدت حين وجودكم فيها مالم تشهده من قبل ، وأصبح أعاظم علمائها الى جانبكم كالتلامذة ، يقولون بقولكم ، ويهدون بهديكم » وكم كنت مفتخراً مسروراً حين كنت أسمع هذا الاطراء فيكم من أكابر علماء وأمراء عاصمة بني أمية ، زادكم الله رفعة منه كما رفعتم رأسنا عالياً . بعد ما كنا نكتم تشيعنا خوفاً من الاحتقار والأذى، أصبحنا نفاخر به أبناء وأشياع الأمويين وكنا نردده هو ذكركم الكريم ، وكلماتكم الخالدة في نفوس الجميع . أقدم اليكم ما كلفته من التحيات والاحترامات من حضرات السادة الأعلام والأعيان وهم: العلامة الاستاذ كردعلي . ورئيس الطريقة الشاذلية الشيخ عبدالرحيم أبو الشامات وحضرة مفتي الأحناف أبو اليسر عابدين وحضرة مفتي الشوافع الشيخ كامل القصاب . وحضرة شيخ أهل الحديث

الشيخ بهجة البيطار . وحضرة قاضي القضاة الشيخ محسن الاسطواني، وحضرة شيخ المالكية الشيخ عبد القادر المغربي وحضرة مدير الأوقاف الشيخ أحمد القاسمي . ومعالي رئيس الدولة السابق عطا بك الأيوبي . ومعالي شكري بك القوتلي ومعالي زكي بك الخطيب. وحضرة عبد الحميد بك عبد ربه ومعالي بديع بك المؤيد ورشيد بك بقدوني . ونجيب بك الأرمنازي . وكثير ممن لو أردت ذكر أسمائهم هنا لضاق بي المقام جميع إخواني المؤمنين يشاركونني بتقديم أزكى التحيات والاحترامات لذاتكم العلية سيدي الخ

— ٢٥ —

﴿ الامام الزنجاني ﴾

(في مؤتمر العلماء الأول)

(المنعقد بدمشق بعد مرور ثمانماءة سنة)

أجاب الامام الزنجاني دعوة الحضور في مؤتمر العلماء الأول (لكي يمثل فيه الشيعة الامامية) وعبثاً حاولت الحكومة الافرنسية المستعمرة أن يحول دون وصول الامام الزنجاني الى المؤتمر وحذرت الأكثرية النصرانية في لبنان من مساعي الامام الزنجاني لتحقيق الوحدة الاسلامية، وعبثاً تعنتت واعتزت بأساليبها الاستعمارية لتمنع الامام من دخول سوريا ولبنان فان زعماء العرب والمسلمين وملوكهم وفي طليعتهم ملك العراق جلالة

غازي الأول إستطاعوا أن يفتحوا الطريق ـ رغم جهود المستعمر ـ للامام الزنجاني فدخل سوريا ووصل الى المؤتمر باعزاز وإجلال لا مزيد عليهما رئاسة المؤتمر (١)

عقد مؤتمر العلماء الأول جلسته الأولى في الساعة الرابعة بعد ظهر أمس وترأسه أكبر الأعضاء سناً الأستاذ الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص (شقيق رئيس الجمهورية السورية) وكانت رغبات جميع الأعضاء متفقة على إنتخاب الامام الزنجاني رئيساً ولكن سماحته قال: إن الحكمة تقضي بأن نعين فضيلة الشيخ طاهر رئيساً (لمناسبات لا تخفى) فامتنعت الأكثرية أولاً ثم وافقت نزولا عند إرادته.

المؤتمر عالمي لا إقليمي (٢)

في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر أمس (الاربعاء) عقد مؤتمر العلماء الاول جلسته الثانية، وبعد افتتاح الجلسة ألقى الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كلمة أشار فيها الى المؤتمرات التي عقدت منذ سنين دون أن يستفيد منها أحد في العالم الاسلامي، وقال: اذا أراد أن يحصر هذا المؤتمر أبحاثه ومقرراته بالشؤون الاقليمية فانه لا يعمل عملا

«١» نقلا عن جريدة «الايام» العدد ١٦٤٦ / ٨ ايلول ١٩٣٨

«٢» نقلا عن جريدة الانشاء الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ ـ ٨ ايلول ١٩٣٨ ـ العدد ٥٤٦ «السنة الثانية» ـ وجريدة «الاستقلال العربي» الدمشقية ١٤ رجب ١٣٥٧ ـ ٩ ايلول ١٩٣٨ ـ العدد ٢٣٩ ـ ٣١٤ ـ ١٣

ولا يسجل شيئاً ، وذكر أن هذا المؤتمر سيكون أفضل من المؤتمرات السابقة ، وسيكون مؤتمراً عالمياً ، تاريخياً بمقرراته الدينيه ، لأن الدين من الشؤون العامة العالمية ، وتكلم عن رسالته التي يدعوا اليها ، وهي الوحدة الاسلامية ، وأفاض ببيان ضاف عن مذهب الشيعة الامامية البالغ عددهم ثمانين مليوناً في العالم ، وتحدث عن المخابرات التي تمت بينه وبين فضيلة المراغي شيخ الجامع الأزهر ، ثم تلى الكتب المتبادلة بينه وبين زعماء الاقطار العربية والاسلامية بشأن الوحدة الاسلامية وتأليف مجلس إسلامي أعلى ، وقدمها الى المؤتمر ، فأحيلت الى اللجنة التحضيرية لدرسها .

واستمر الامام الزنجاني فى كلامه وقال :

وأخيراً شعر العلماء بضرورة التعارف والتواثق ، وعرفوا أن التفكير بايجاد كيان منظم لهم أضحى في مقدمة الأمور التي يتطلبها هذا العصر المادي الذي لا يقدر إلا القوة ، ولا يهتم الا بالمنظمات ذات البرامج الموضوعة والأعمال البارزة ، والصوت الداوي ، أما من يعمل في زوايا البيوت ، وبين جدران المعابد والمدارس ، ولا يصل صوته الى المجتمع الصاخب الذي يعيش فيه العالم اليوم فلاحظ له في الحياة ، ولا نصيب له من مباهجها ونعائها ، وان أشد ما يأسف له العقلاء ، ان نرى علماء المسلمين قد سلكوا تلك الطريقة الخاطئة في العزلة والانزواء والصدوف عن الاهتمام بالشؤون الدنيوية الى جانب الشؤون الدينية مع أن هذا مما يتنافى مع روح الاسلام ، ومع السنن النبوية (ص)

التي إتبعها رجالات الاسلام الأولون، الذين كانت لهم الجولات المعروفة في ميادين السياسة والحرب والادارة، ولم يكن العلم ليمنعهم عن الانصراف الى العمل المتصل مباشرة بالحياة، ولم يكن الدين والانعكاف على طلبه ليحول بينهم وبين الأهتمام بالشؤون الدنيوية، لا سيما وهم يعرفون معنى قوله تعالى: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» ويعرفون معنى القول المأثور «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» ويعلمون أن الدنيا مزرعة الآخرة ...

أجل لقد كان علماء المسلمين الأول يعرفون الواجب الثقيل الملقى على عاتقهم، ويعرفون ان «العلماء ورثة الأنبياء» وهل وظيفة الأنبياء إلا الوعظ والارشاد وإنقاذ البشرية مما ترتطم به من الضلال والمفاسد والأخطاء، والسير بها الى طريق الهدى والصلاح والعمل المثمر الطيب؟ ولهذا كان للعلماء ذلك المقام السامي لدى الخلفاء والأمراء والسلاطين وكان لهم النصيب الأوفر في تسيير الأمور وإدارة الممالك والقيام بأثقل الأعباء السياسية والادارية. ولم يكن هذا حائلا دون إشتغالهم بالعلم أو يلهيهم عن أمور الدين، بل كان الأمر على العكس من ذلك، ونظرة واحدة الى التاريخ الاسلامي تثبت لنا ان أعظم رجال الانتاج العلمي في العهود الاسلاميه الماضية كان من العلماء الذين تولوا المناصب الرفيعة في الدولة ـ كالشيخ الرئيس إبن سينا، ودعامة الدين الخواجه نصير الدين الطوسي، وآية الله العلامة الحلي، وأمثالهم ـ وأن تلك العصور

الذهبية التي كان يضطلع فيها العلماء باكبر المسؤوليات والمناصب قد تركت لنا تراثاً من البحوث الدينية والعلمية والفلسفية ، والمؤلفات الثمينة لم نجد أثراً لشيء ضئيل منها في العصور التي إعتزل فيها علماء المسلمين الشؤون الدنيوية ، وإنزووا بين جدران التكايا ، وفي حجرات المدارس والمساجـــد ...

ولو رحنا نلتمس السبب في هذا الجمود الذي إستحوذ على العلماء فأنساهم المهمة التي إنتدبهم الاسلام لها ، والواجب العظيم الذي القاه إليهم العلم الذي ينتسبون إليه ، لما رأينا ذلك السبب الا كامناً في نفوسهم فهم الذين رضوا بالمكانة التي وضعوا أنفسهم فيها ، وتركوا المكانة التي عينها لهم الدين ، فكانوا في ذلك الجمود وهذا التواكل ملومين من جانب الله ، ومن جانب أنفسهم .

وإذا رأينا العلماء يفكرون - بعد نوم طويل - برابطة تجمع شملهم وجمعية ترأب صدعهم ، ويعقدون مؤتمراً للتفكير بما يعود عليهم وعلى المجتمع الإسلامي - وعلى العلم الديني الذي كاد أن يتداركه الاضمحلال - بالنفع ، فان هذا العمل - وإن جاء متأخراً - فهو يدعو الى الاعجاب والاكبار ويوحي الى النفوس الأمل باحياء ما كاد يندثر من تراث السلف ، ويبشر بأن موجة الالحاد والتبشير التي تطغى علينا من الغرب ستجد أمامها بعد اليوم سداً منيعاً يحول دون تسربها الى بعض العقول الطائشة ، وذوي الايمان المتزعزع .

ولا شك أن هذا المـؤتمر - الذي لي شرف التأسيس والانتماء

اليه – يعرف ثقل العبء الملقى على عاتقه في الاصلاح الديني وتوحيد كلمة المسلمين ، ومحاربة البدع ، وإعلاء كلمة الله ، ورفع مستوى العلماء ومتى تم له ذلك فميادين العمل بعد ذلك رحبة له أن يدخلها متى شاء ، والمؤتمر في خطواته الأولى بحاجة الى العمل في جو هادىء حيادي لا يعكر عليه فيه معكر ، ولا يترك مجالا للسلطة – بالغة ما بلغت من القوة أن تتخذ أي حجة عليه للتدخل بشؤونه ، والعمل على عرقلة مساعيه وإصلاحاته التي تحتاج إليها الأمة الاسلامية أشد الاحتياج ، كما نرجوا أن تكون مقررات المؤتمر مما يمكن تنفيذه ، ولا يستحيل القيام به ، والعبرة ليست في إتخاذ المقررات ، ووضع الخطط ، بل في تنفيذها ، والاستفادة منها ، وإن قراراً واحداً يمكن تنفيذه خير من ألف قرار تبقى مسجلة في الصحف وفي الطروس الخ .

ثم تكلم الأستاذان عبد القادر السرميني ؛ وبهجة البيطار ، في أمر توحيد المذاهب ، وأيدا الامام الزنجاني ، فتقرر عرض هذا الموضوع الى اللجنة التحضيرية ، وفي الساعة السادسة رفعت الجلسة .

لا تأخذه في الله لومة لائم

بلغ عدد أعضاء مؤتمر العلماء ماءة وخمسة أعضاء ولم يكن بينهم عالم شيعي سوى الامام الزنجاني ، وبينما كان الامام يشرح على المنصة مذهب الشيعة الامامية في أصول الدين وفروعه وكانت هيئة الحكومة وألوف المستمعين وأرباب الصحف يستمعون اليه بكل عناية ، إذ نهض

رئيس المؤتمر (وهو أكبر العلماء سناً ، وشقيق رئيس الجمهورية) وتكلم بكلام عن الشيعة لا يصور الحقيقة بل قد يمهد للفتنة ، فرد عليه الامام الزنجاني رداً شديداً أوقفه عند حده وشفعه بحكمة أفهمته أن الحق أحق أن يتبع ، وسيطر الامام على الموقف سيطرة قوية ، لو كانت دمشق وطنه ورئيس الجمهورية السورية شقيقه وأعضاء المؤتمر كلهم من الشيعة لم يمكن أن يكون موقفه أشد من هذا الذي قام به ، حتى قرر المؤتمر باتفاق الآراء ما إقترحه الامام الزنجاني المصلح المخلص العظيم .

بيان (١)
(مؤتمر العلماء الأول)

(المنعقد بدمشق بتاريخ ١١ – ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ – ٨ ايلول ١٩٣٨ (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

الفكرة العامة الموجبة للمؤتمر

لما كان هذا العصر يتميز عن غيره بتزاحم العوامل المختلفة فيه من مادية ومعنوية في شتى نواحيها وميادينها ، وكانت الأدوار الانشائية العامة في تكوين الأمم المتحفزة إلى النهوض والحياة من أخطر الأدوار التي تمر بها الأمم كما في عهدنا الانشائي الحديث اليوم ، إذ تكون تلك الأدوار مفترق طرق يقذف بالسائرين فيه إما الى هناء وإما الى شقاء – من حيث تشعر أو لا تشعر – في ركني حياتها المادي والروحي قضى الواجب المحتم على كل ذي إخلاص وإختصاص أن يبادر الى المساهمة

«١» مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م اصدرته اللجنة التنفيذية المركزية لمؤتمر العلماء الاول رقم «١»

«٢» كان هذا المؤتمر احد آثار دعوة الامام الزنجاني ومن اهم دعائم استقلال سورية

في بنيان أمته الناشئة بهمته الصادقة ، ضمن خطته واختصاصه ، ليكون ملىء الصحيفة بالآثار الناطقة الناصعة ، بريء الساحة من السؤال عن التهاون في التعاون للحياة الصالحة .

ولما كان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن للأمة تلك الحياة الصالحة ، وثمراتها اليانعة ، والعمل على ما يداوي عللها ، ويسد خللها ، ويمنع زللها ، ويصعد بها عارجاً في مراقي الكمال البشري ، وفضائل الانسانية ، كيلا تطغى عليها المادة فتغرقها في ضلالها عن خالقها ، وتجمع بها النزوات والنزعات في شهواتها ، فتنسيها أماناتها وواجباتها وأخلاقها ، فترجع القهقرى من حيث تظن التقدم وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو ، لهذه العوامل القوية وجب على العلماء — والأعباء ثقيلة متزايدة متزاحمة كبرى — أن يفكروا في الطرق الناجحة والوسائل الناجعة لجمع الجهود ، وتضافر القوى الصالحة على النهوض بتلك الأعباء التي تزداد وطأتها ثقلاً كلما اشتدت عوامل المدنية المادية عماية وضراوة والتي لم تعد تغني فيها ولا تثمر جميع الجهود الفردية المبعثرة .

— ٢ —

واجب العلماء

في تبرئة الاسلام مما يصمه به المستعمرون لغاياتهم

لما كان الدين الاسلامي في مبادئه الانسانية السامية العليا ، وفي قواعده الحكيمة الرفيعة العامة ، وفي أهدافه الاصلاحية التنظيمية

الاجتماعية الكبرى ـ لا يقتصر على أن يكون عقيدة فردية خاصة ، بل هو أيضاً عمل وأمل ، وهمة وإنتظام ، وحسن تدبير للحياة المشتركة بين من يعيشون تحت سماء واحدة تظلهم ، وفوق أرض واحدة تقلهم ، ورسالة إجتماعية عامة الى البشر قاطبة ، جاءت تحمل الاحترام للانسان مطلقاً ، والرحمة العامة بين الناس مهما إختلفت أجناسهم ومذاهبهم ، ليعيشوا بعيدين عن العصبيات الذميمة التي تقطع عليهم طريق التعاون في العمل النافع المفيد للمجموع ، تلك العصبيات التي أينما وجدت اليوم فانما هي أثر سيء ، وطابع كريه من طوابع الاستعمار الذي يئس اليوم من أن يبرر مقاصده الغاشمة فلم ير وسيلة أكبر مفعولا في إخفاء تلك المقاصد ، وسترها عن أنظار الضعفاء المبينة لهم ـ سوى إيجاد النعرات المذهبية ، والعصبيات الذميمة الطائفية ، ليلهيهم عن شؤونهم وشجونهم متباكياً بدموع الكذب على من يسميهم بالأقليات ، زاعماً حمايتها لتثبيت أقدامه فوق مخانق الجميع ، على نحو الأسلوب الشيطاني الذي قال (١) فيه نبينا عليه الصلاة والسلام : « أما بعد أيها الناس فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطمع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم » .

وإذا كان ذلك الاستعمار قد حاول ان يمس بهذه الفكرة الخبيثة وطنية رجال السياسة في شيء ما ـ فقد إستهدف أيضاً أن يجني على الدين الاسلامي في المراكز الاسلامية جناية كبرى في وصمه ،

«١» اخرجه المحب الطبري عن ابن إسحاق .

وتشويه سماحته ورحابته ، في مبادئه الحيوية الانسانية العامة والبريئة من كريه العصبيات ، وفكرة العدوان . ذلك لأن الدين الاسلامي ـ وهذه مبادئه ـ لا يأتلف مع الاستعمار في مكان أو زمان ؛ وهو أكبر ضمانة للعمل الدائب على طرده ، وحفظ وحدة الصفوف في الحياة المشتركة بين أبناء البلاد ، فقد قال (٢) الله تعالى في القرآن العظيم « يا أيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى ، وجعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عندالله أتقاكم » وقال (٣) نبينا عليه الصلاة والسلام : « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » لذلك وجب على علماء الاسلام أن يبادروا إلى وظيفتهم في مضاعفة الجهود ، لعرض حقائق الاسلام ، وصحائفه الناصعة التي تكفل بخدمتين عظيمتين هما : حسم دسائس الاستعمار ، وتمتين الاسلام في نفوس أبنائه ، ذلك التمتين الذي من نتائجه تحقيق إتحاد صحيح بين أبناء البلاد الواحدة ، مبني على أساس العقيدة النبيلة ، لا على أساس المجاملات الكاذبة الأمر الذي لا يحمل سوى العلماء إختصاص العمل في مضماره

— ٣ —

غاية المؤتمر العملية

لما كان تعاقب الحوادث قد أفقد المسلمين كثيراً من مقوماتهم الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، حتى أصبح منظوراً في حياتهم من

«١» سورة الحجرات الآية ١٣

«٢» أخرجه ابو يعلى في مسنده والبزار عن انس

هذه النواحي نواقص كثيرة ، يجب تلافيها في ظواهرها وخوافيها . وكان التطور الزمني يقضي بأن يكون ذلك التلافي منظما وعاما في جميع المراكز الاسلامية ، وقائماً على أيد دائبة دائمة في جبهة موحدة مشتركة من العلماء ـ قد عزم العلماء (بعد أن تراسلوا من مختلف البلاد) على عقد مؤتمر لهم فى مدينة دمشق عاصمة البلاد الشامية ، للنظر في سائر الشؤون المتقدمة الذكر ، واتخاذ الذرائع المنتجة لتحقيق ما يجب فيها ، وتنظيم الجبهة العلمية تنظيما يضمن النهضة والاضطلاع بأعباء هذا الأمر الجلل . وتنفيذاً لهذه العزيمة قامت (جمعية العلماء بدمشق) بتوجيه الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الميمون ، فلباها من القدس ، والنجف ونابلس ، ، وبيروت ، وصيدا ، وطرطوس ، واللاذقية ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، وانطاكية ، وأدلب ، والباب ، ومنبج ، ووادي العجم والقنيطرة ، ودير عطية ، والنبك ، جمهور عظيم من أكابر العلماء فيهم الشيخ المسن الذي لم تثن عزيمته مشقات السفر ، والشاب الذي لم يؤثر هواه على واجبه ، فانضموا جميعاً الى إخوانهم العلماء في دمشق ، فبلغوا مائة وخمسة أعضاء ، عقدوا مؤتمرهم ثلاثة أيام بلياليها وصالا ، ووضعوا مقررات لها من الشأن والخطورة في ذلك مالها . الخ

— ٤ —

خلاصة مقررات المؤتمر

١٣ ـ تأييد اقتراح الأستاذ الكبير الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء إخواننا الشيعة في النجف في وجوب جمع كلمة المسلمين من

مختلف المذاهب الاسلامية ، الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ، ومقاصد الاسلام ، لمكافحة الالحاد ، ولتنظيم العمل الاجتماعي ، والشؤون الاسلامية التي تهم الجميع . وشكر الأستاذ الامام الزنجاني على هذه الفكرة ، وتكليف اللجنة التنفيذية للمؤتمر بالسعي لتهيئة الدعوة الى مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين لتحقيق هذه الفكرة السامية وفقاً لاقتراحه الطيب .

بيان

مؤتمر العلماء الأول

الصفحة ١٦

— ٧ —

كلمة الى العلماء في أقطار العالم الاسلامي

لئن كان هذا المؤتمر الأول للعلماء اليوم إقليمياً بالنسبة إلى المشتركين فيه من علماء بلاد الشام وما جاورها ـ فانه في فكرته وأهدافه عالمي شامل .

فالى علماء المسلمين في جميع الأقطار الاسلامية يتوجه هذا المؤتمر بندائه ، مستفزاً شعورهم ؛ ومستثيراً خوالج نفوسهم المتأججة بغيرتها داعياً إياهم أن يعدوا العدة ويتأهبوا لعقد مؤتمرهم العام العالمي الذي يكون صخرة مقدسة في بناء حصن الاسلام ، وأن يكون أول معداتهم

منذ الآن تواصلهم وتعاهدهم ، وعقد المؤتمرات المحلية في مواطنهم ، لتكون نواة قوية المنبت لذلك التنادي العام الأكبر في سبيل صد طغيان المادية الجشعة ، وتحقيق المبادىء الاسلامية في خدمة الانسانية

(اللجنة التنفيذية المركزية بدمشق)

— ٢٦ —

﴿ من مقررات (مؤتمر العلماء) الأول المنعقد بدمشق بتاريخ ﴾

(١١ ـ ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ ـ ٨ ايلول ١٩٣٨ رقم ٢ (١))

« القرار الثاني عشر »

بشأن تعاون أبناء المذاهب الاسلامية وتنظيم العمل القومي

إن مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق في ١١ ـ ١٣ رجب سنة ١٣٥٧ و ٦ ـ ٨ ايلول سنة ١٩٣٨ بناءاً على إقتراح فضيلة الأستاذ الكبير الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني من كبار علماء النجف الأشرف في شأن تعاون المسلمين ، مع اختلاف مذاهبهم ، الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الاسلام لمكافحة الألحاد والفوضى الأخلاقية ، ولتنظيم العمل الاجتماعي والوحدة الروحية .

وبعد المذاكرة في هذا الاقتراح القيم الجليل ، وبعد الاطلاع على مساعي فضيلة صاحب الاقتراح في سبيل إقتراحه يقرر :

١ ـ شكره على غيرته وسعيه في ضم شمل المسلمين الذين تجمعهم

(١) مطبعة الترقي بدمشق في ٢١ شعبان ١٣٥٧

كلمة التوحيد لمكافحة الالحاد ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الاجتماعية .

٢ ـ تأييده في العمل في سبيل ذلك المقصد الأسمى .

٣ ـ تكليف اللجنة التنفيذية بالمباشرة بالاتصال مع علماء الأقطار الاسلامية لتحقيق عقد مؤتمر عام في المكان والزمان اللذين يتفق عليهما لتحقيق تلك الأمنية السامية .

نجاح باهر

ومن الجدير بالأعتبار ما جاء في مذكرات بعض شهود العيان من نجاح عظيم للامام في معالجة التفرقة وهذا نصه :

تشكلت لجنة الأستقبال في دمشق ونظمت خمسمائة سيارة لاستقبال الامام الزنجاني من (أبي الشامات) نقطة الحدود السورية واعلنته في جميع الصحف وبعد وصول موكبه السامي الى دمشق قبل إنعقاد مؤتمر العلماء بعدة أيام بلغه أن أحد المشاهير البارزين من علماء اخواننا السنة في دمشق أفتى بحرمة ذبيحة الشيعي ، حينما أحل هذا المفتي ذبيحة النصارى واليهود وأن هذه الفتوى قد أوجدت مشاكل عظيمة في الضواحي والأرياف ، فعالج الامام أدامه الله للاسلام هذه المشكلة بكلمة إفتتح بها مؤتمر العلماء ـ وكان صاحب الفتوى حاضراً ـ وجمع بها الكلمة حتى أقر المؤتمر بكيان الشيعة وقرر موافقة الامام وتأييده في جميع مقترحاته ، نقتضب منها ما يأتي :

الشيعة مع إعتقادهم بالنص في الأمامة وربط ما بعد وفاة النبي (ص)

الى ما قبلها لا يعتبرون الاعتقاد بالامامة ركناً في أصول الاسلام .

فالعجب من بعض علماء السنة انهم مع اعترافهم بعدم النص وأن الخلافة حدثت بعد وفاة النبي « ص » وقبلها لم يكن إسم من الخلافة ولا من الخليفة كيف يتوقفون في إسلام من لم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخلفاء مع اعتقاده بالوحدانية والرسالة والمعاد . وبجميع ماجاء به نبينا محمد (ص) ثم بين مذهب الشيعة في أصول الدين وفروعه الخ

— ٢٧ —

﴿ الامام الزنجاني ﴾

في مأدبة رئيس الوزراء لمؤتمر العلماء (١)

أقام رئيس الوزراء بالوكالة السيد سعد الله الجابري في الساعة الثامنه من مساء أمس (الأربعاء) مأدبة عشاء كبرى في حديقة الامة تكريماً لمؤتمر العلماء ، حضرها وزير المالية وبعض كبار الموظفين ؛ والمحافظ ، وأعضاء المجلس ، ولفيف من رجال الصحافة ، وقد تكلم السيد سعد الله الجابري في نهاية الحفلة فرحب بالعلماء أعضاء المؤتمر ، ورجا أن يكونوا رسل تهذيب الروح في هذه الأمة ، وتمنى أن يجتمع في حفلة قابلة ـ على ضوء إرشاد الامام الزنجاني ـ أرباب العمائم البيض ، والقلانس السود ؛ رمزاً لاتحاد هذه الأمة وتألف قلوب أبنائها ؛ وإنتقل الى الناحية السياسية الخ .

---

(١) نقلا عن جريده « الانشاء » الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ ٨ ايلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦ السنة الثانية

شواهد نجاح الامام الزنجانى فى لبنان

— ١ —

عودة المجتهد الأكبر(١)

أجاب صاحب السماحة حجة الاسلام « الامام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني » دعوة الوفد اللبناني الذي جاء الى دمشق برئاسة النائب المحبوب السيد رشيد بيضون فسافر مع الوفد الى بيروت في الأسبوع الماضي ، وأستقبل في الحدود إستقبالا منقطع النظير ، وكانت حفلة الاستقبال مؤلفة من خمسمائة سيارة وتجاوز عدد المستقبلين في خارج مدينة بيروت خمسين ألفا وأقيمت لتكريمه في بيروت حفلات فخمة ؛ وألقى محاضرة قيمة تاريخية في نادي « دار الايتام الاسلامية » موضوعها (الفلسفة الاجتماعية) حضر لاستماعها ألوف من مختلف الأديان فملك الألباب ، واسترعى الاعجاب ، وقال : إن مهمته ترمي أولا الى العمل للتوحيد بين الطوائف الاسلامية كمقدمة تمهيدية للتوحيد بينها وبين غيرها من مختلف الأديان ، وكان لكلمته أبلغ الأثر في نفوس المستمعين من المسلمين و المسيحين ، وفي الأمس

«١» نقلا عن جريدة «الف باء» الدمشقية ٢٢ كانون الاول ١٩٣٨ ـ ذي القعدة ١٣٥٧ ـ العدد ٥٣٦٦ السنة التاسعة عشر

عاد سماحته الى دمشق وكان في موكبه جمع غفير من وجهاء بيروت واستقبل في دمشق استقبالا يليق بمقامه السامي ، وسيغادر دمشق الى العراق في هذا الأسبوع مصحوباً بالسلامة .

وألف باء ترحب بالأستاذ الامام الزنجاني ، وترجوا له توفيقاً دائماً

— ٢ —

الامام الزنجانى فى بيروت (١)

﴿ مدينة بيروت تحتفي بالامام إحتفاءاً عظيماً ﴾

قدم الى بيروت في الأسبوع الماضي حجة الاسلام ، والمجتهد الأكبر العلامة المفضال سماحة الأستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني وحل ضيفاً في دار سعادة النائب الكريم رشيد بك بيضون ، وقد غصت الدار طيلة الأسبوع بكبار العلماء ، والوجهاء ، والأمراء ، والأعيان ، وكافة طبقات الشعب الذين جاؤوا للسلام على الضيف الكبير

والامام الزنجاني هو مفخرة من مفاخر هذا العصر ، ومصلح عظيم ومن أعلام رجال الدين الذين ينظرون إلى جوهر الدين نظرة مجردة ويعمل الى توحيد شعور المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، ويقوم بالدعوة الى الوحدة الاسلامية التي نحن في أشد الحاجة إليها ، ويحاول القضاء على النعرات المذهبية التي تؤخر إنتشار الاسلام وتقضي على وحدة المسلمين وعلى قوتهم ، لذلك فلا عجب إذا رأينا كبار المفكرين في كل

«١» نقلا عن جريدة « الكوكب » البيروتية العدد ٢١ – ٢٧٣ في ٢٧ شوال ١٣٥٧ – ١٩ كانون الاول ١٩٣٨ – السنة السادسة

الأقطار التي حل فيها الامام الزنجاني يتسابقون الى إكرامه ، وإلى الحفاوة به ، والاستماع إلى أحاديثه الفياضة ، والأخذ بآرائه السديدة .

وقد أقام له سماحة الأستاذ الشيخ منير عسيران رئيس محكمة التميز الشرعيه الجعفرية حفلة غداء ظهر الأربعاء الماضي ، دعى اليها رئيس وأعضاء محكمة التميز الشرعية والقاضي ، والنائب بيضون ، وبعض الوجهاء .

ثم أقام له الوجيه الكبير والتاجر المعتبر الحاج محمد يوسف بيضون حفلة شاي ، في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء الماضي ، حضرها جمهور كبير من العلماء ، والوزراء ، والنواب ، والقضاة ، والوجهاء والأدباء من كافة الطوائف . وقد كانت كشافة الرشيد التابعة للجمعية العاملية تستقبل المدعوين على باب آل بيضون .

وفي الساعة السادسة دعي الجميع الى مقصف فاخر حوى ألذ الحلويات العربية والافرنجية والفواكه والشاي ، وقد تجلى في هذه الدعوة ذوق وكرم صاحب الدعوة وأنجاله الكرام ، وفي هذا الأثناء ألقى النائب رشيد بيضون كلمة بأسم شقيقه رحب فيها بالمدعوين ، وأبان الغاية التي من أجلها أقيمت هذه الحفلة ، وذكر ما للمحتفى به من المنزلة السامية والمقام الرفيع ، وقال : إن هذه الحفلة هي لتكريم العلم والفضيلة والأخلاق بشخص الامام الزنجاني ، وقد قوطعت كلمته بالتصفيق ، وقوبلت بالاستحسان التام ، ثم إرتجل المحتفى به كلمة بليغة شكر فيها صاحب الدعوة الذي أتاح له التعرف الى المدعوين من مسيحيين ومسلمين

وأظهر إعجابه الشديد بما رآه من التضامن في مدينة بيروت ، ليس بين المسلمين فحسب ، بل بين المسلمين والمسيحيين ، وسر كثيراً من هذا التضامن الانساني ، ومن الثقافة العالمية التي لمسها في هذه المدينة ، وقال أنه يسعى الى الوحدة الاسلامية ، ثم الى الوحدة بين سائر الطوائف، وقد كان لكلمته أبلغ الأثر في نفوس المستمعين اليه . فقال الاستاذ الشيخ بشارة الخوري « رئيس الجمهورية الآن » كأنه ـ يريد الامام الزنجاني ـ يوحنا جديد ، يبشر بمسيح جديد ، وفي الساعة السابعة إنصرف المدعوون وكلهم ألسنة شكر لصاحب الدعوة الذي أتاح لهم التعرف الى الامام الجليل والى فصاحته وبلاغته .

وقد دعته الجمعية العاملية لالقاء محاضرة في قاعة دار الأيتام الاسلامية مساء السبت ، فحضرها جمهور كبير ، وكان موضوع المحاضرة « الفلسفة الاجتماعية »

فالكوكب ترحب بالضيف الكبير ، وتثني على جهوده في سبيل توحيد شعور المسلمين .

﴿ نص رقعة الدعوة ﴾

تتشرف الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية في بيروت بدعوة حضرتكم الى سماع المحاضرة التي يلقيها سماحة العلامة الامام حجة الاسلام

﴿ الشيخ عبد الكريم الزنجاني ﴾

« وموضوعها : الفلسفة الاجتماعية »

وذلك فى الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٢٤ شوال

١٣٥٧ ـ الموافق في ١٧ كانون الأول ١٩٣٨ في قاعة دار الأيتام الاسلامية في محلة أزمل .

فنرجوا تشريفكم في الوقت المعين لا زلتم أنصاراً للعلم والفضيلة

رئيس الجمعية

رشيد يوسف بيضون

(نائب لبنان الجنوبي)

— ٣ —

على ضوء الزنجاني (١)

ألقى في الأسبوع الماضي بدار الأيتام الاسلامية الامام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، محاضرة فلسفية إجتماعية ، كان موفقاً فيها الى أبعد حد ، وأستطيع أن أقول بوضوح أن محاضرنا العلامة الامام قل أن تسعد المحافل والنوادي بمرتجل مثله ، يملك النفس ، ويثلج الصدر ، ويصبح أحدوثة الناس على إختلاف مللها ونحلها بالثناء والشكر

تناول علامتنا الامام فلسفة الأديان ، وعللها تعليلا صحيحاً ، مبتعداً عن مرامي التعصب ، ومزالق الجهل ، في فهم الديانات الثلاث : اليهودية : النصرانية : الاسلامية : وكانت جلبة لسانه العربي الطلق تموج بالناس ؛ كما تماوج الحركة بصفحة الماء ورؤوس الأشجار ، ولقد كان يرمي من خلال أقواله الى جمع الكلمة وتوحيد القلوب بين ابناء

«١» مجلة « الامالي » بيروت العدد ١٨ ـ الجمعة ٨ ذي القعدة ١٣٥٧ ٣٠ كانون الاول ١٩٣٨

الشرق ، قائلا : ان الجنة عرضها كعرض السماوات والارض تتسع للجميع ، أجل : فليعمل الشرق اليوم يداً بيد ؛ ليساوي بقية الأمم الحية ، وينبذ العنعنات والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء ، فانما تعود بالخسران المبين ، والخيبة الفاضحة .

ولقد دعا الى توحيد الثقافة بين مختلف الطبقات ، عالماً أنه متى توحدت العقول والأفكار توحدت القلوب والأهداف ، وهذه هي الحقيقة التي لاغبار عليها ، فليطمئن الذين يخافون (بعبع) الوحدة العربية ، ويهدأون ... الخ

والعلاج الوحيد لهذا الداء المخيف أن يعمل الشرق ، وخاصة لبنان لتوحيد الثقافة . إنها نعم الرابطة ، ونعم الوحدة تجتمع تحت لوائها حملة الانجيل والقرآن على رأي الامام الزنجاني سلمه الله الخ

— ٤ —

يرفع بيده لواء الفكرة

وفي رأسه علم ابن سينا ...

وفي قلبه رفق المسيح (ع)

وفي صدره عزيمة أحمد (ص)

« الشيخ الامام الزنجاني يحاضر عن الوحدة الانسانية » (١)

الفردوس فسيح وكوثره يروي الجميع

حدثني صديق قال : إن عالماً جليلا وإماماً كبيراً سيتكلم عن بعض الشؤون الاجتماعية في الميتم الاسلامي ، فاحضر ، فستسمع ما يسرك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : تطل علينا من تحت عمامة عريضة بيضاء فوق منكبين يعلنان العزم والتؤدة والثبات .

وعليكم السلام : قصفت مهمدرة من ألوف الشفاه ، ثم صوت مخنوق يكاد ينم عن حياء وضعف .

سأجتهد في هذا المساء أن أسمعكم صوتي ، ولن أفكر في عرض بلاغتي ؛ ولذا سأتكلم باللسان العادي ...

فأحسست كأنني حملت إلى شاطئ الخليج ، وإذا بالدر يعوم

(١) نقلا عن جريدة (المكشوف) بيروت في ٢٦ كانون الأول ١٩٣٨ السنة الرابعة العدد ١٨٠

والناس يندفعون من كل صوب متلاقطين الكنوز .

من هو هذا الصوت الصارخ يا ترى ؟ أمعمدان جديد يتقدم مسيحاً جديداً ؟ وقد سمعت الحديث يدور حول السلام في توحيد النزعات الدينية الآلهية المتباينة في الصورة والمتحدة في الجوهر .

هو الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني .

وتابع المحدث : من النجف ، يسير في الطريق التي رسمها السيد جمال الدين الأفغاني ، وعبّدها الشيخ محمد عبده . يجول في الشرق ، ويوقظ النيام أن توحدوا في الوحدة حياة وسعادة .

إستقبله الأزهر فوق إستقبال الغزاة الفاتحين ، وصافحه الشيخ المراغي بيد تفتش عن رسل النور واليقين ، وقبل يده الدكتور طه حسين معلناً : هذه أول يد قبلتها …

زار افريقيا ، والهند ، والصين ، يرفع بيده لواء الفكرة ، وفي رأسه علم إبن سينا ، وابن رشد ، والغزالي ، والأفغاني ، وعبده ، وفي قلبه رفق المسيح (ع) وفي صدره عزيمة أحمد (ص) .

دخل بلاد الأفغان وبلوخستان ، وتسلق سفح حملايا (١) فقد سمع أن على سطح العالم قوماً ذوي تفكير ، فرقى إليهم ، ونظر معهم إلى صفاء النور المنعكس عن ثلوج إفرست .

«١» جبال حملايا : أعلى قمم في جبال العالم لم يتمكن من الصعود على سطحها أحد ، وهي واقعة في وراء بلدة (دارجيلن) الواقعة في شمالي (كلكتا) بمسافة ٣٥٠ ميلا

إن الدين الاسلامي يأمركم باحترام الأديان المنزلة . ولا تخافوا من ضيق المكان في العالم الثاني فتهلع قلوبكم على غير المسلمين ينزلقون إلى أعماق الجحيم ، لاشتداد الزحمة و ضيق المكان فالسماء واسعة فسيحة ، وجناتها غناء وارفة ، وأنهارها الكوثرية تسقي أضعاف أضعاف الموجودين بدون عداد ، وهي لا تنقطع ولا تتلوث ... (١)

وليس الجهاد اليوم فرضاً على المسلم بالمعنى المفهوم قبلا ، فالتفاهم بالحسنى أولى : فيا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ، ولا إكراه في الدين ...

وعلينا أولا أن نسعى الى ترتيب بيتنا ، ومن أجل هذا فاني أجول في العالم الاسلامي ، وأدعوا الى عقد مؤتمر للتفاهم ونبذ الخصام . وأملنا وطيد بأننا متى وحدنا كلمتنا سنتصل بمؤتمر الأديان العام ، ونسعى إلي التفاهم العالمي .

ماذا قال الشيخ الامام ؟ أيسعى الى مؤتمر عالمي ، تواجه فيه القلنسوة العمة فتتعانقان ؟

أجل ، وهو يقول أيضاً أنه لا يجوز أن يبقى الشعب طعمة سائغة لفئة متشحة بثوب الدين تمتطي بالتفرقة ظهره ، وبيدها لجام الجهل ، ومهماز الطمع .

لا فض فوك أيها الشيخ الامام ، وحيا الله فيك هذه الروح السامية

---

(١) قال الله تعالى (وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

ووهذك في مسعاك النبيل . وها عمة بيضاء ثانية تعتلي المنبر ، فالشيخ مصطفى الغلاييني يقول كلمته ، وقد رجي اليه ذلك ، ومن أحق منه بالاجابة باسم بيروت ، وقد خص الزنجاني الأمة اللبنانية بعاطفة كالمسك طيباً وأشاد بعزيمة اللبنانيين ؛ وهمتهم ، ورغبتهم الصادقة في العلم ...

تكلم القاضي ... وشرح معنى الوحدة التي دعا اليها الامام الزنجاني ؛ وقال : إن الأمة اللبنانية ، وعلماء بيروت ، وفي طليعتهم سماحة مفتي الديار اللبنانية ـ وكان سماحته حاضراً ـ موافقون على ما جاء به الامام الزنجاني . وحصل أنه قبل كلمته بلحظة قام من بين الحاضرين شاعر عامي إستحسنت أبياته وكاد يجره إستحسانها إلى الهيجانا

وكان الأستاذ حليم دموس حاضراً فلما ذا لا يعرض شعره الدمس ؛ والجو رائق ، والجمع متشوق ؛ والحديث ذو شجون ، وهو سيصدر في السنة القادمة ، إن شاء الله ، ملحمته عن بلاد العرب على لحن

بلاد العرب أوطاني　　من الشام لبغدان

. . . . إلى تطوان

أشكرك أيها الصديق من صميم قلبي ، لأنني رأيت في فضيلة الشيخ الامام الزنجاني روحاً أطيب من شذا المسك ، يا ليت إقامته في بيروت تطول فيتعرف إلى عاطفته النبيلة رؤساء الطوائف الأخرى ، فلعل في ذلك مقدمة لخير عميم .

من (نشيد الملحمة) نظم حليم دموس مؤلف (ملحمة العرب)
(أنشده صاحبه في الحفلة تأييداً للامام الزنجاني)

: (تغني عروس الشعر باسم محمد ... وهزي بني الدنيا بسيرة احمد)
(تغني ، بامجاد الجدود وأيقظي ... بقيثارة الالهام أجفان هجد)
(تغني بمجد العرب والعرب أمة ... لها فى ذرى العلياء ارفع مقعد)
(تغني فاذن الدهر تصغي لشاعر ... اذا كان في الانشاد غير مقلد)
(سأنشرها فى الخافقين ملاحما ... على نسج « حسان » ونغمة معبد
« فانشد الحان السلام لموطن ... مثلث أقنوم بـه كالموحـد »
« والقي بذور الحب في كل بيعة ... وألقي بذور الحب فى كل مسجد »
فالمس فى (القرآن) عيسى بن مريم ... والمح فى (الانجيل) وجه محمد »

— ٥ —

من كتاب شاهد العيان (١)

: « سيدي الأمام الزنجاني ، سمعتكم في بيروت تلقون محاضرتكم في نادي الكشاف المسلم وقد نالني من روعتهـا واعجابي الشديد بهـا ما جعلني اكبركم جداً وافتخر بكم ، خصوصاً عنـد ما ظهر لي الفرق بين المثل الأعلى في علمائنا وغيرهم بقول الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني — بعد ان أرتج عليه —

: « ماذا اقول بعد مقال الأمام الزنجانى ، ان كلامي بعد كلامه مثل أكل المخلل بعد اكل البقلاوة .

وفي ذلك النادي الحافل يخطب حليم دموس الشاعر المشهور فيقول:

« ١ » الدكتور حسن حسني جلول ٦ — ٩ — ٤٢

وكنت اود ان لا تلقى هذه المحاضرة القيمة في هذا النادي بل على ساحة البرج حتى يسمعها العربي والعجمي والشرقي والغربي والافرنسي والأميركي والأنكليزي والارمني والنصراني واليهودي وكل من يتذوق العلم ويسعى وراء الحقيقة الخالصة فنحيا في حقل الانسانيه سعداء . الخ ..»)

— ٦ —

لماذا ارتج على الغلاييني ؟

لا نستطيع ان نصف هيبة الموقف التي احدثته محاضرة الامام الزنجاني في دار الايتام الاسلاميه ببيروت ، فقد كان مفعول المحاضرة معتمداً على سلطة الامام النفسية ومقدرته الادبية فأبرز الحقيقة باجلى مظاهرها ، والقى على المجتمع الانساني نتائج علمه ، وثمار بحوثه ودروسه في اسلوب خلاب اوجد الوحدة الكيماوية في المستمعين ، وبثهم حيث أراد ، ووجههم كيف شاء ، فلا غرو حينئذ أن نري خطيب بيروت المصقع ، وأديبها البارع الشهير ، فضيلة الشيخ مصطفى الغلاييني القاضي قد ارتج عليه حينما ارتقى المنصة . ولكنه كان من ارتج عليه فابدع ، اذ قال : « يا اهل بيروت انا خطيبكم لا في مثل هذا الموقف وقد سمعتم محاضرة الامام الزنجاني التي لم تشهد بيروت نظيرها ، وانكم في طلب الكلمة مني بعد هذه المحاضرة على سبيل من اكثر من اكل البقلاوة فاشتهى المخلل . ويكفيني ان أقول : ان جميع علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي يوافقون على مادعا اليه الامام الزنجاني » .

.. وما اشبهه بخالد بن عبد الله القسري ، فانه أراد ان يخطب يوما

فأرتج عليه . فقال للناس :

ان هذا الكلام يجيء احيانا ، وربما كوبر فأبى وعولج فنبا ، والتأني لمجيئه خير من التعاطي لأبيه ، وتركه عند تنكره ، افضل من طلبه عند تعذره ، وقد يختلف من الجريء جنانه وينقطع من الادب لسانه وسأعود فأقول .

ولعل هذه العبارة على وجازتها خير من الخطبة التي كان يريد ان يدلي بها ، ولو كان كل من ارتج عليه أتى في اعتذاره بمثل هذا الابداع الخطابي للقسري والغلاييني لتمنينا أن يرتج على كل من يتصدى للقول رجاء سماع مثل هذا الاعتذار .

وقد ارتج (١) على يزيد بن ابي سفيان والي ربع من ارباع الشام حين رقى المنبر ، فاستأنف فارتج عليه فقطع الخطبة وقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عي بيانا وانتم الى امير فعال احوج منكم الى امير قوال .

— ٧ —

مجلة « العرفان » اللبنانية : الجزء ٨ من المجلد الـ ٢٨

ذو القعدة ١٣٥٧ — كانون الثاني ١٩٣٩

حول تقريب الاديان والمذاهب او توحيدها

دعانا الى هذا البحث الآن الخطاب القيم الذي القاه العلامة الشيعي الكبير الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني على الوف من الحضور وبينهم

« ١ » نقلا عن تهذيب الكامل الجزء الاول الصفحة ١٨

فريق غير قليل من الطبقة الراقية المثقفة من جميع الفرق وذلك في قاعة دار الايتام الكبرى ... الخ

« ومجمل القول ان علامتنا الامام تفنن كثيراً في خطابه الممتع وكنا نود ان يتسنى لنا نقله برمته او اختزال مواضيعه على الأقل بيد ان شيئاً من ذلك لم يكن وانما نقلنا عنه ما علق بالذاكرة فقط .

واقترح الاستاذ روحي فيصل على العلامة الغلاييني ان يقول كلمة في الموضوع ، فصعد المنبر واظهر ارتياحه لما فاه به الامام الجليل وان علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي موافقون على ما جاء به . الخ »

— ٨ —

الشيعة والمعاهدة

.. إعتذر المندوب السامي الافرنسي في لبنان وسوريا الى الامام الزنجاني عما حدث من سوء الفهم لدى السلطات الديبلوماسية الافرنسية حين تشريفه لبنان ، وقال ايضاً : « اعطينا للاقلية الشيعية في لبنان حقوقها التي كانت مهضومة في عهد الاتراك وتأسف المندوب السامي على عدم امكان الثقة بالشيعيين وعدم امكان الاعتماد على معاهدتهم لان مذهبهم – التشيع – يقضي بوجوب تقليد الشعب للمجتهد الحي ، وهذا المجتهد الحي قد يفتي بالغاء المعاهدة المعقودة في عهد سلفه المتوفي ، بل قد تمسي المعاهدة ملغية بمجرد وفاة المجتهد الذي عقدت في عهده ، وتمنى المندوب السامي ان يهتدي علماء الشيعة الى سد باب الاجتهاد والتقليد

أسوة بالعلماء السنيين الذين سدوا هذا الباب منذ مد بعيد ، لكي تثق بهم الحكومات وتعتمد الدول على معاهداتهم ، مثلما تعتمد على معاهدة السنيين .

فشكره الامام الزنجاني على ما اظهره من الاعتذار والعناية بشيعة لبنان ، ولكنه استغرب جداً ما قاله المندوب الافرنسي ، من ان التقليد او الاجتهاد قد يسبب الغاء المعاهدات ، ثم بين الامام حقيقة الاسلام وحقيقة التشيع باسلوب جذاب اندهش منه المندوب السامي فامر كاتبه حالا بتسجيل ذلك فسجل ما قرره الامام بصورة محضر ووعد ان يرسله الى باريس لكي تدرسه حكومته

ومما جاء في بيان الامام الزنجاني ، ان الدين الاسلامي ـ لكونه ديناً عاماً خالداً كلف الله تعالى باعتناقه جميع عناصر البشر الى آخر الدنيا ـ يقضي بوجوب الأجتهاد فيه لاستنباط أحكام الحوادث المستجدة في العالم وان فلسفة هذا الدين القويم تمنع بتاتاً من سد باب الاجتهاد والتقليد ، ولاجل ذلك نري في عصرنا ان اعلام العلماء السنيين يحاولون فتح باب الاجتهاد أسوة بالعلماء الشيعيين بعد ان كانت مسدودة لاسباب يقف اللسان عن نشرها

وقال ايضاً : « ولكن الأغراض والجهل هي التي صورت قضية الاجتهاد والتقليد على صورة تؤدي الى تحويل تيارات العقول والأفكار الى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها

ثم قال الامام : ان المجتهد الشيعي لو نصب متولياً على وقف ،

أو قيما على صغير لا تبطل توليته او قيمومته بموت هذا المجتهد اجماعاً وتدوم لهما التولية أو القيمومة ما داما مستجمعين للشروط المؤهلة فكيف يمكن أن يحتمل بطلان المعاهدة بموت المجتهد ؟ والمعاهدات ليست خاضعة للفتوى ، وإنما تعقد بعد مشورة الأمة حسبما أمر به الله تعالى في قوله « وشاورهم في الأمر » و « أمرهم شورى بينهم » واستطيع أن أقول : أن تعاليم الدين الاسلامي تحتوي على ما هو أجل مما اسموه في الغرب (الشرع الدولي) المرتكز على قاعدة المساوات بين الدول بموجب القواعد المقررة في حقوق الدول العامة التي ولدتها الحاجة والتعامل بعد اعتبار المساواة بين المقيمين في ارض واحدة بدون النظر الى دين أو نسب بموجب فكرة الوطنية الأرضية التي نشأت على أنقاض العصبية النسبية ، والجامعة الدينية المسيحية .

وأما العدل الاسلامي في معاملة غير المسلمين فهو أجل وأرفع مما تعامل به كل دولة الشخص المنتمي الى غيرها بموجب قواعد حقوق الدول الخاصة .

(الوفاء بالعهد روح التشيع)

ثم قال الامام الزنجاني : « إني أعلن على جميع الأمم ، والحكومات في مشارق الأرض ومغاربها ، ان الشيعة وسائر المسلمين خير من يراعي العهود ، ويحافظ على الوعود ، وترى ان الامم بأخلاقها وصدقها ووفائها ومحافظتها على وعدها وعهدها ، ولا يدور بخلد أحد منهم امكان الاعتداء على المعاهدات ، والعبث بالمحالفات ، دون سبب معقول ،

او عذر مقبول ، وأن جميع الطوائف الاسلامية ـ الشيعة وأهل السنة تعتقد ان الرسول الأعظم (ص) هو القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى لذلك ويجب على جميع المسلمين التأسي به (ص) في ذلك .

أعطيكم مثالا لذلك . « في معاهدة الحديبية » لما قرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعاهد مع قريش . دعا بكاتبه (أوس ابن خولة) وأمره بكتابة صورة المعاهدة . فأبى (سهيل ابن عمرو العامري) رئيس وفد قريش ان يكون الكاتب أحداً غير ابن عم الرسول (ص) علي ابن ابي طالب « ع » ـ إمام الشيعة الأعظم ـ فقال النبي (ص) لعلي (ع) إكتب ...

نص المعاهدة

بأسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب سهيل ابن عمرو العامري . على أن تخلي قريش بيننا وبين البيت نطوف به في العام المقبل . وأن من جائنا منهم رددناه وان كان مسلماً . ومن جاء قريشاً ممن إتبعنا لا يرد إلينا . وان من دخل في عقد محمد وعهده دخل ومن دخل في عهد قريش وعهدها دخل .

(المثل الأعلى للوفاء بالعهد)

لم يكد يتم التوقيع على المعاهدة ، ويستلم كل فريق نسخته ، حتى حدث حادث برهن على قيمة المعاهدات في نظر المسلمين وقتئذ . وذلك انه كان بمكة جماعة من مستضعفي المسلمين ، فلما أحسوا بمقدم رسول الله (ص) شرعوا يدبرون الحيل للهرب من أسر المشركين ، والالتجاء

الى حمى المسلمين ، وأول من نجح تدبيره منهم أبو جندل ، واسمه (العاص) وهو ابن « سهيل ابن عمرو العامري » (صاحب عقد الصلح) وكان من المعذبين بسبب اسلامهم ، إذ حبسه ابوه منعاله من الهجرة . فلما رآه المسلمون فرحوا به فرحاً شديداً ، وأما أبوه فقد أخــذه الحنق ، وملكه الغيظ من ذلك ، حتى قام يوسع ابنه ضرباً ولكما . وأخبر الرسول (ص) بذلك فتداخل في الأمر وطلب الى سهيل أن يجير ابنه فأبى الوالد طالباً إنفاذ العهد . وهنا توسط (حويطب بن عبد العزى) « عضو وفد قريش » فأجار أبا جندل ، وتعهد أن يكف عنه أباه

فلما رأى أبو جندل أنه لا محالة راجع الى مكة ، إستغاث بالمسلمين قائلا : « يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ فتأثر المسلمون لهذا الكلام واشفقوا عليه ، وخاطبوا رسول الله (ص) أن يكلم أباه ثانية ، فقال النبي (ص) يخاطب أبا جندل : « أبا جندل إصبر واحتسب . فانا قد اعطينا القوم عهوداً وصالحناهم قبل أن تأتي الينا ، ولا ينبغي لنا أن نغدر ، ولا يصلح الغدر في ديننا ، وقد تلطفت بأبيك فأبى . وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا » .

ولما عاد رسول الله (ص) إلى المدينة جاءه فيها أحد المستضعفين من المسلمين بمكة هارباً ، واسمه « أبو بصير » فكتبت قريش الى النبي (ص) تطلبه ، وكان مما قالته في ذلك الكتاب : لقد عرفت مـا عاهدناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنـا . فابعث الينا بصاحبنا . فقال النبي (ص) لأبي بصير : انا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً

ولا يصلح الغدر في ديننا ، فانطلق مع رسولهم » .

فقال أبو بصير : يا رسول الله (ص) أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني !؟ فقال له النبي (ص) : « إنطلق الى قومك فانا لا نغدر ، وان الله جاعل لك من الضيق فرجاً » الخ

ثم قال الامام للمندوب الفرنسي : قدمت لكم هذه الفلسفة السياسية النبوية التي هي من التعاليم الدينية للشيعة ولسائر المسلمين لتقارنوا بين درجتي التقدم الفكري ، والرقي العقلي في القرن العشرين ـ الذي يدعون أنه عصر التقدم والنور ـ وبين القرن السابع الميلادي ، ولتدركوا قيمة المعاهدات في الديانة الاسلامية لدى الشيعة والسنة جميعاً ، لتوازنوها مع قيمة المعاهدات الدولية في نظر المدنية الغربية ، ولتعرفوا المبادىء الاسلامية التي دعمت على اسس الفضيلة الحقة والعقلية الصحيحة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . فاذا رأى المسلمون ان الجانب الثاني نقض شروط المعاهدة ، ومزق بيد الغدر خيوطها ، فعندئذ يستحيل أن يكون للخائنين عند المسلمين عهد يرجى ، أو جانب يؤمن ، إتباعاً لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

فأظهر المندوب السامي إعجابه بهذه النظرية الاسلامية التي وصفها بأنها دقيقة وصحيحة وجديرة بالدرس والاعتبار ولكنه قال أنه سمعها لأول مرة بينما يعرف أن تنقيد مذهب التشيع مشهور في الغرب وتتطلب إزالة هذه الشهرة جهوداً كبيرة من علماء الشيعة لتقنيع العالم أجمع بأن هذه النظرية هي قضية متفق عليها وإجماعية ، وليست نظرية فرد واحد منهم

— ٩ —

﴿ من كتاب رئيس الجمعية الخيرية الاسلاميـــة ببيروت ﴾

بيروت في ٢٨ ـ ٣ ـ ١٩٣٩

حجة الاسلام العلامة الامام المصلح الأكبر مولانا الشيخ عبد الكريم الزنجاني هدانا الله بهداه آمين

النجف الأشرف : العراق

أقبل أناملكم ، وأرجوا دعائكم يا مشعال العلم في الأفقين ومنار الفلسفة في الخافقين . فالسلام عليكم يامن وقفتم على خدمة الاسلام نفسكم ، وضحيتم لهنائه راحتكم وفلسكم ، السلام عليكم يا محط آمال العرب والعجم ، وملاذ من تاقت نفسه الى النعم ، وحدت به الآمال الى أسمى وأعلى الحكم ، السلام عليكم يا نابذي من دعا في الاسلام الى الفراق ، والساعين بجديد قواكم الى التلاقي والوفاق .

لستم في فنائنا الا ملاكا رقت شعوره ، وشع نوره ، وعلاصوته كالرعد حينا وكالتناغي أحيانا ، أتانا في ليل مدلهم ، وبحر ملتطم ، فأنار بروحه دياجينا ، وخلصنا بحكمته ورويته من مهالكنا ، فأنت أنت الذي لا يستقر الا في السويداء ، ولا يملأ خياله الا العيون . أنت من نصح فأوعى . وساس فرعى ، وصفح عن تقصير منابداء ، ورضي عن اخلاص قد بدا . فيا منار الفضيلة ، ويا شعلة الحق الملتهبة . هل تعلمون ما كانت التأثيرات علينا بعد فراقكم ايانا وطلافكم لنا ؟ لم تعد بيروت

إلا خيالا وهمياً أمام أعيننا ... ولم تعدداً رنا إلا قفصاً أفلت منه كناره تاركا الوحشة والحنان ...

سيدي الامام ... على، اللهفة استلمت كتابكم الكريم فكان للنفس نوراً، وللخاطر بهجة وسروراً، تلوته وأعدت تلاوته فما زدت إلا شوقاً لآياتكم الحكيمة، وعظاتكم الرحيمة. وفلسفتكم القويمة . . .

لم نكن يا سيدي الأ مقصرين في أداء واجب محتم نحو رجل أضاء الاسلام والعرب دنياً وديناً. ساعياً بهم نحو شاطئهم الأمين، بانياً عليه لهم حصناً حصيناً وخلداً أميناً ...

مولاي: إني كما نصحتني رائدي الحق وهواي الاخلاص، ومناي التضحية، فهذا صراط استتبعته فدليتموني على نهجه الأقوم، وسلكه الأسلم، فسرت مجداً مطمئناً، لا ترخى لي عزيمة، ولا تكل لي همة برضى الله ودعاكم.

هذا وإن أكثر الجرائد اللبنانية نشرت كلمتكم الرقيقة، وكلها سرور لعاطفتكم، وبهجة لشعوركم الخ المخلص

رشيد يوسف بيضون

— ١٠ —

﴿من كتاب رئيس جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية في بيروت﴾

آية الله في أرضه، ووريث أوليائه، وحجته الكبرى في هذا العصر، حجة الاسلام، ورافع لوائه، سماحة المصلح العظيم، والامام الكبير، المولى الجليل، الشيخ عبد الكريم الزنجاني المعظم دام ظله

الظليل أبد الآبدين .

السلام على مولانا الجليل ورحمة الله وبركاته

وبعد : فاننا نتبرك بالتمسح بيديه الكريمتين ، ونستمطر شآبيب دعائه ، ثم نتقدم من سماحته راجين أن يرمق كتابنا هذا بعين لا ينبعث منها الا العطف .

مولانا ...

ما زالت العناية الآلهية — تعالت وعزت — ترمق الاسلام والمسلمين بعين اللطف ، فتبعث على رأس كل قرن من يقف نفسه ، وعزيمته ، وتفكيره ، على لم شعث المسلمين وحفظ الاسلام : ذلك لما يعلمه — جل جلاله — من جموح النفس البشرية ، وميلها الغريزي الى التلفت من القيود التي قيدها بها العقل ، وظاهرته عليها الشرائع .

وسماحتكم من هؤلاء الذين ما زالت تجود بهم العناية المبدعة على رأس كل قرن ، وكلما مست الحاجة ، فظهرتم في هذه الغمرة القاتمة مصباحاً لألاء يبعث بنوره الى جميع الجهات ، فتنفذ أشعته الى القلوب فتنيرها ، والى النفوس فتجعل آفاقها وضاءة ، وكنتم في هذا الزمن العصيب ، وقد أغارت السياسات — القديمة والحديثة — على وحدة المسلمين خير داعية الى لم الشعث ، ورأب الصدع ، ولم تكونوا كذلك الا لأنكم أخلصتم لله كل الاخلاص ولم تدخروا — الى الشريعة السمحاء إلا النصح والاخلاص ، والخير ؛ وقفتم نفسكم وتفكيركم على هذا ، وعاهدتم الله على الوفاء بما قطعتم على تلك النفس الكبيرة من عهود ،

وتعالى ذلك الصوت مجلجلا من أعماق القلب فتجاوب صداه في كل جو وفضاء ، ومضى يتسرب الى النفوس ، وينفذ الى القلوب ؛ فيبعث فيها الخشوع ، ويعيدها الى حظيرة الهداية :

لا يدخلن القلب صوت لم يكن　　في أعمق الاحساس ترب نواته
إن لم يكن صوت المعلم قطعة　　من نفسه ، لم يجدنا بعظاته

ياسماحة المولى

شرفتم بيروت ، وتشرفنا بلثم راحتيكم كزائرين ، ولكن لم يسعدنا الحظ بتشريفكم الى مدرستنا ؛ (مدرسة الاصلاح الخيرية الاسلامية) وهذا حملناه على أن لدى سماحتكم مشاغل لم تسمح بل تتح لكم أن تشرفونا بزيارة المدرسة . ومن كان مثل سماحتكم يحمل أثقال ملة عظيمة على كاهله بل أثقال الانسانية ، لا تساعده الظروف على تلبية جميع ما يطلب منه ... الخ

مدير الجمعية المسؤول　　رئيس جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية
عبد الكريم الزين　　في بيروت
　　محمد ماضي

— ١١ —

من العراق لبيروت (١)

قدوم الامام الزنجاني

وصل الى بيروت قادما من العراق المصلح الأكبر سماحة الامام

(١) نقلا عن جريدة (صوت الأحرار) البيروتية العدد ١٥٠٠ السنة الخامسة ١٧ شعبان ١٣٥٧ - ١٩ ايلول ١٩٣٨

الشيخ عبدالكريم الزنجاني إنتجاعاً للراحة بعد أن أجهد نفسه وبذل قصارى جهده، في درس ادواء المجتمع، وعمل على توحيد كلمة المسلمين في العالم، وكان في موكبه وفد كبير من علماء ووجهاء صيدا والنبطية فاستقبل بما يليق بمقامه السامي ونزل ضيفاً كريماً على سماحة الشيخ منير عسيران رئيس محكمة التميز الجعفرية، وتوافد عليه الكثيرون من المعجبين بعلمه وفضله وإخلاصه وجهاده، والذين يؤازرونه في رسالته وفيما كرس له نفسه، للسلام عليه والترحيب به. ونحن نرحب لسماحته ونرجو له طيب الاقامة.

— ١٢ —

العلامة الزنجانى

ضيف لبنان العزيز (١)

ولابد لي في خاتمة كلمتي هذه .. وأنا شيعي .. من أن أقول كلمة لا يردني منها أحد من أفراد الشيعة ذوي الشأن، تلك هي:

ان الطائفة الشيعيه خاصة، والأمة الاسلامية عامة، مدينتان لهذا الرجل الكبير بعلمه الكبير باخلاصه، الكبير بعمله، ولقد شهدته في مواقف عدة بين مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، ثابتاً على مبدئه، مثابراً على عمله، قاصراً همه على توحيد كلمة الاسلام وتوثيق عرى الاخاء بين المذهبين الكبيرين السنة والشيعة.

---

(١) نقلاً عن جريدة «الحديث» بيروت ٣ تشرين الأول ١٩٣٨ السنة الثانية: العدد ٢٦٨

هذه كلمة أقدمها بين يدي أمام الله والناس اعترافاً بالجميل وانصافاً للحق من الباطل ، فعسى أن تهتدي علماء الشيعة والسنة بعمل هـذا الشيخ الجليل الذي يتنقل بين الأقطار العربية في سبيل مصلحة الأمة مضحياً بكثير من راحته في سبيل أمته .

(الحوماني)   أحد أصحاب مجلة الامالي

-١٣-

تكريما للامام الزنجاني (١)

أقام سماحة الشيخ منير عسيران مأدبة غداء على شرف العلامة الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني دعي اليها نفر من العلماء والوجهاء ، في مقدمتهم الشيخ محمد الانسي ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ محمد علايا ؛ والسيد علي زين ، والشيخ مصطفى الحر ، وحضرة قنصل إيران العام ، وحضرة قنصل العراق العام ، والنائب رشيد بيضون الخ

وأقام التاجر المعروف الحاج محمد بيضون مساء أمس حفلة شاي في منزله حضرها فريق كبير من العلماء والرجال الرسميين والصحفيين

ثم أقام سماحة مفتي الديار اللبنانية حفلة مأدبة غداء تكريما للامام الزنجاني حضرها فريق كبير من العلماء والادباء والنواب ؛ والزعماء ، ورئيسا مجلسي التمييز الشرعي السني والشيعي وأعضائهما ، والقضاة .

«١» نقلا عن جريدة « النهار » البيروتية العدد ١٥٥٣ السنة السادسة ١٥ ك ١ سنة ١٩٣٨ الموافق ٢٠ شوال ١٣٥٧

— ١٤ —

الإمام الأكبر يشكر سوريا ولبنان (١)

ليس في الأوساط الاسلامية ، والأوساط العربية من لا يعرف الامام الأعظم المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ذلك الرجل العظيم الذي يسعى لأن تحل الانسانية الرحيمة محل القوميات المتنازعة والمذاهب المتشاكسة ، وقد اغتنمنا فرصة تشريفه بين ظهرانينا فتشرفنا بزيارته وسمعنا منه أضعاف أضعاف ما سمعنا عنه من رسالته الكبرى وحبه لأن يصبغ المجموع العالمي بصبغة الانسانية الرحيمة ، ويجمع العالم الاسلامي بالوحدة الاسلامية القويمة ، ولما كان (حفظه الله) للانسانية عامة ، وللمسلمين خاصة — يقدر كل التقدير الحفاوة البالغة التي لاقاها — وهو أهل لها — في الأقطار العربية التي دانت برسالته ، واتبعت دعوته أرسل بهذه الكلمة شاكراً أهل القطرين ، اللبناني ؛ والسوري ، بصورة عامة وهذا نصها :

« ١ » نقلاً عن جريدة « بيروت » ٥ — ٦ آذار ١٩٣٩ و١٤ و١٥ محرم ١٣٥٨ العدد ٧٠٥

وعن جريدة (البيرق) ٣ آذار ١٩٣٩ — العدد ٣٥٧٩)

وعن جريدة (اليوم) البيروتية ٤ آذار ١٩٣٩ — ١٣ محرم ١٣٥٨) العدد ٤٥٦

وعن جريدة « النهار » البيروتية ٢٢ شباط ١٩٣٩ — ٣ محرم ١٣٥٨ العدد ١٥٨٥ السنة السادسة »

« أحمل كلمتي هذه على متون الأجواء؛ وغوارب الأرجاء وسفير الأثير، وبريد الأبردين، ناشراً بها ما توغل في مشاعري، وتغلغل في جوانحي، من الاعجاب والاكبار، والتقدير لما غمرني من عواطف إخواني في لبنان، وسوريا، وما لقيت من حفاوة بالغة بي، وإكرام لوفادتي، وسعي الى مودتي، من كل من لقيت، من أمراء، وعلماء، ووزراء، وزعماء، وأدباء وكبراء، وصحافيين، وأساتذة نوادي العلم، وجامعات الفضل، وهامات الحكم والسياسة، من جميع الطوائف في القطرين الشقيقين، أعلا الله شأنهما بالاستقلال الجاهز، والرقي الفائز والشأو المنيع مرتلا آيات الشكر إزاء ما زهاني منهم، من كرم أخلاق وطهارة أعراق؛ ودماثة طباع، وكلما يمثل الفضيلة، ويجسم روح الانسانية والاسلامية، فسلام عليكم يا شموس المعارف وأقمار العلم، وأعلام الفضيلة، وحملة مشعل التوحيد؛ ومبلغي رسالة الوحدة من أخيكم.

(عبد الكريم الزنجاني)

— ١٥ —

رسول السلام

ما أنبل شعور الامام الزنجاني نحو السلم، ونحو الانسانية جمعاء؟ لقد تحمل مشاق السفر الطويل - وهو الشيخ المسن - ليقابل زعماء الشرق، وعلماء المسلمين، والملوك والأمراء. وليعمل معهم لاسعاد الانسانية عامة، والشرق خاصة، والمسلمين بالأخص،

فجمع الزعماء وأهل الحل والعقد في كل بلد وقطر حل فيه، وألقى

عليهم كلمات حكيمة ، وخطب من على المنابر ، وأذاع البيانات ونشر في الصحف المناهج والموضوعات ، وأدلى بالتصريحات ، حول الوحدة والاتحاد والانضمام وأقام الأرض وأقعدها ضد التفرق والانقسام ، وإنهالت البرقيات والرسائل من جميع الأنحاء على سماحته ، يشكرون مساعيه ، ويقدسون جهوده ، ويتمنون نجاح رسالته الكبرى ، ويعرفون أنه (رسول السلام) وجدير بأن يقام له تمثال .

لقد أجمع العالم على أن الامام الزنجاني ـ كبير علماء الشيعة ، واعلم علماء المسلمين ـ هو رجل إنساني يحذوا ـ بعواطفه السامية ، وأخلاقه العالية ، ونبله العظيم ، ومزاياه الانسانية ـ حذو السيد المسيح (ع) وخاتم الأنبياء (ص) في حب السلام والوئام والخير بين البشر .

فيا أيها الناس اشكروه ، ومجدوه ، واتبعوا هداه ورسالته العظمى لعلكم تهتدون .

شواهد نجاح الامام في فلسطين

— ١ —

مفتي فلسطين يدعو امام المسلمين

زار معالي محمد علي باشا علوبة الامام الزنجاني في فندق (مودرن) « بالقاهرة » وقدم للامام برقية سماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر بالديار الفلسطينية المتضمنة لدعوة الامام الزنجاني الى زيارة المسجد الأقصى وجاء فيها أن العرب والمسلمين في فلسطين يتشوقون الى زيارة إمامهم الأكبر ، ثم أيد علوبة باشا رجاء المفتي الأكبر ورجح للامام أن يجيب هذه الدعوة فأجاب الامام هـذه الدعوة بالايجاب ، وذلل الصعوبات السياسية الأجنبية التي حاولت عبثاً أن تحول دون سفر الامام الى زيارة قبلة المسلمين الأولى .

فنشر في صحف القاهرة (١) ما يأتي :

يغادر مصر ضيفها الكبير سماحـة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، اليوم بقطار الساعة الخامسة والنصف في طريقه الى فلسطين فبيروت ، فدمشق ، ثم الى وطنه ... الخ

---

(١) نقلا عن جريدة « البلاغ » المصرية مساء ٥ ديسمبر ١٩٣٦ العدد ٤٢٧٥ وعن جريدة (الجهاد) المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ ٥ ديسمبر ١٩٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف القطار الذي كان يقل موكب الامام الزنجاني في محطة « القدس » قبل ظهر يوم ٢٢ رمضان ١٣٥٥ وكانت مزدحمة بألوف المستقبلين من العلماء ، والزعماء ، والوجهاء ، والأشراف ، والقناصل العامة للحكومات الاسلامية ، وفي مقدمتهم سماحة المفتي الأكبر رئيس اللجنة العربية العليا وأعضائها الكرام . فاستقبل الامام الزنجاني استقبالا منقطع النظير ، وحل ضيفاً كريماً في الدار الفخمة التي كان سماحة المفتي الأكبر قد اعدها له وغصت الدار بالزائرين من مختلف الطبقات في الليل والنهار طيلة وجود الامام في القدس .

— ٢ —

الخطبة النارية

إستدعى سماحة المفتي من الامام الزنجاني باسم العرب والمسلمين في فلسطين أن يلقي درساً عاماً في المسجد الأقصى بعد فريضة الجمعة فأجابهم الامام وحضر لاستماعه علماء سائر البلاد الفلسطينية ورؤسائها وزعمائها وكلهم كانوا يتلهفون لاستماع المحاضرة

يحاربون الله والله هو الغالب

قال الامام الزنجاني في خطبته النارية ما نصه : إن الحكومة التي تحاول أن تؤسس دولة صهيونية يهودية في فلسطين ، وتريد لهم الملوكية والعزة ، وتحارب المسلمين والعرب فيها لتحقيق هذه الغاية ، إنها في الحقيقة تحارب الله سبحانه وتعالى الذي قدر الذلة والمسكنة لليهود بارادته



يرى في الوسط الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في القدس حين توجهه الى المسجد الاقصى ليلقي فيه محاضرته المأثورة على سبعين الف نسمة ويرى على يساره سماحة السيد امين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية وعلى يمينه القنصل العام الايراني ولفيف من الافاضل والزعماء .

التكوينية القاهرة ، إذ قال تعالى شأنه في كتابه المعجز الخالد «وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله الخ» (١) وستكون الغلبة في نتيجة هـذه الحرب لله سبحانه وتعالى ، حسبما ورد في قوله تعالى (٢) «لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز» .

إن العالم الغربي يخشى بأس الاسلام اذا إتحدت أنصاره. ولا سيما في بلاد العرب التي هبط فيها وحي الله تعالى بالدين الاسلامي ، وهي لا تزال الحصن الحصين لاتباعه إذ يرى الغربيون في وحـدة المسلمين خطراً على كيانهم وأغراضهم الاستعمارية ، ولا يخفون شعورهم في هذا الصدد بل هم يسعون بكل الوسائل لوضـع العراقيل في سبيل التفاهم والأتحاد بين البلاد والأمم الاسلامية . ورغم هذا كله نهضت إيران والهند وسائر الممالك الاسلامية لنصرة المسلمين والعرب في فلسطين الخ

ثم قال الامام :

إن موقفي في «تل أبيب» الذي كان سماحة المفتي يخشى كثيراً على حياتي منه ـ ودوي صوتي فيها الذي أذهل الصهيونيين عن أعمـالهم وانذاري الصريح المبين الذي وجهته اليهم ، أنتج أن فريقاً من زعماء الصهيونيين التمسوني أن أتوسط لتقنيع اللجنة العربية العليا ورئيسها بأن طريقة اندماج اليهود هي أنجع الحلول للمشكلة الصهيونية ، لأنني صارحتهم في إنذاري لهم بأن المسلمين البالغ عددهم في العالم اربعمائة ، مليون نسمة

(١) في سورة البقرة
« ١ » في سورة المجادلة

كلهم يعارضون القضية الصهيونية أشد المعارضة ، لانهم جميعاً يعرفون ان فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ما هي من وجهة المبدأ الانساني الا تنظيم عصابة بشرية غايتها النهب والاغتصاب ، وهي قائمة على نظرية إباحية بدون أية مراعاة للانظمة الانسانية الاجتماعية والألفة البشرية ، وقد تحلل الصهيونية هذه الأعمال المنكرة إستناداً على توراتهم - لا توراة موسى (ع) - التي تبيح السبي ، والقتل ، والنهب ، والاغتصاب وكل شيء في سبيل بني اسرائيل ... الخ

ثم قال الامام :

ولكنني رفضت التماسهم واقتراحهم لعلمي بأن طريقة الاندماج ايضاً غير صحيحة بل ليست ممكنة ، وذلك لأن مبادىء الدين الاسرائيلي جعلت الشعب اليهودي محدوداً في تفكيره وميوله ، وصيرته صعب الامتزاج ، منفرداً في طباعه وعاداته ، وتقاليده ، بحيث رسمت فيه هذه الصفات طابعاً خاصاً به ، وميزه عن سائر الشعوب ، ويعيش عيشة متميزة ، ولا يشترك في الشعور العام ، ولا يحس بما يحس به المجتمع الذي يعيش في وسطه ، ولذلك نال مقت مواطنيه في سائر البلاد والأقطار ، ولا يمكن توسيع نافذة العقلية اليهودية ، وصفوة القول أن اليهود أقلية خطرة يتعذر دمجها بأبناء البلاد الأكثرية ، وإني لا أوافق على كل حل المشكلة الصهيونية يتضمن بقاء نفر من الصهيونيين في فلسطين كشريك في هذا الوطن العربي الاسلامي .

وإني أؤيد كل التأييد الرأي الذي قد صرح به سماحة مفتي فلسطين

بقوله : (١) .

« إن فلسطين عربية بدمها وتاريخها وحاضرها ، وهي معضدة بسبعين مليوناً من العرب ، وأربعمائة مليون من المسلمين ، ولبريطانيا معهم مصالح غاية في الخطورة ، فعلى الشعب البريطاني أن يختار بين صداقة هذه المئات من الملايين وبين الاستمرار في سياسة جائرة شاذة وغير طبيعية إرضاء لمتهوسي اليهود السياسيين ، ورأسماليهم »

وإن في الحروب الصليبية درساً بليغاً وعبرة لكل من يقصد السوء بالاسلام والعروبة فالدول المسيحية مع كل ما بذلته من الجهود والتضحيات والدماء لم تفلح في قهر المسلمين واغتصاب ديارهم نهائياً ، لأن في العربية الاسلامية ديناً ومبدءاً ، وايماناً وقوة ، وهذه كلها تجعل من العرب والمسلمين رجالا يسخرون بالموت فى سبيل المجد والحق ، وان عظمة العرب والمسلمين والروحية العربية والاسلامية لا تغلب ، وان كان للمادة فوز وقتي على المسلمين ، لأن هذه الروحية العظيمة هي حية كامنة في نفوسهم أبداً ، فاذا إختفت زمناً ما فلا تلبث أن تظهر بأجلى مظاهرها وقت الضيق والشدة .

نعم ان الروح العربية تستقي إيمانها وقوتها وثباتها من منهل دينها الحنيف ، ومن مآثر ماضيها المجيد ، وقد كان الله عوناً لها إذ تغلبت ثلاثون ألفاً من أجدادنا العرب المسلمين على إمبراطوريتين عظيمتين ،

(١) نقلا عن جريدة « المصري » فى القاهرة ٣٠ نوفمبر ١٩٣٦ نقلا عن جريدة الدفاع الفلسطينية

وأسست على أنقاضهما امبراطورية اسلامية واسعة .

وستمد روحانية الاسلام سبعين ألفاً من العرب وأربعمائة مليون مسلم في كفاحها لنيل أمنيتهم ، واستعادة مجدهم وان سيف الله هو أمضى من سيف المستعمر وإذا اختفى نور الحق حيناً فلا يلبث أن تظهر أشعته الساطعة ، فتنتصر العدل والحق على الجور والباطل .

الآن وقد بعثت الحركة الصهيونية في نفوس العرب والمسلمين قوة وأملا ونشاطاً وإيماناً ، ووحدت صفوفهم في سبيل تكوين القومية والمناداة « بالوحدة الاسلامية » التي لا نجاح للعالم العربي والاسلامي بدونها ؛ يجب على كل عربي صميم وكل مسلم مؤمن صادق ، في مشارق الأرض ومغاربها أن يثور بوجه هذا الاغتصاب والظلم والباطل وأن يمتعض لهذه المأساة المؤلمة التي تمثل على مسرح فلسطين ... الخ

— ٣ —

سماحة المفتي يشكر

بعد إنتهاء خطبة الامام الزنجاني نهض سماحة المفتي الأكبر ووقف أمام المنصة وقال :

يا سماحة الامام الزنجاني : إن درسكم هذا في المسجد الأقصى كان أنفع لفلسطين وأصحابها العرب والمسلمين من مائة ألف جندي بكامل معداتها .

ولقد قلدتم فلسطين بأعمالكم الجليلة منة لن يمحوها الدهر ، وسيذكركم أبنائها كلما ذكر الجهاد في سبيلها ، والدفاع عن كيانها .

— ٤ —

طلب أحد صحافي القدس كلمة من الامام الزنجاني بمناسبة عيد الفطر لكي ينشرها في صحيفته، فقال الامام:

« لا عيد للعرب والمسلمين، مالم يطرد آخر صهيوني من فلسطين »

فلم تقم الصحافة للعيد وزناً.

— ٥ —

﴿ كلمة الامام الزنجاني على ضريح المنقذ الأعظم جلالة الملك حسين ﴾

رحمك الله: أيها المثل الأعلى للهاشمي المجاهد المخلص في سبيل الخير العام نهضت نهضتك المباركة التاريخية فبعثت بها الحياة الى نفوس الأمم العربية والاسلامية، ونفثت بارادتك الجبارة روح القوة في إرادتها وعظمة أشعرتها بسر عظمتها، فهي مدينة لك بالشعور بوجودها، وبكرامتها، وبحقها في الحياة العزيزة القوية، فكنت قوام وجودها وباعث إرتقائها واستقلالها، فجديرها أن تسجل تاريخ نهضتك المباركة مع أشبالك العظام، وورّاث خلالك العظيمة. وسجاياك الكريمة، والأمثلة العليا لعظمة النفوس، بمداد من النور الخالد، وكأني أرى روحك الطاهرة ترفرف على أولى القبلتين، وتحميها عن إعتداء المعتدين كما كنت تحمى الحرمين الشريفين طول حياتك.

وأقول: ما مات من خلف ورائه دوياً يملأ الجواء وذكراً تتعطر به الأرجاء، ونوراً تستهدي به الأحياء وسيرة ترسم خطواتها القادة والعظماء، وأشبالا يحيون آثاره ويزيدونها لألاء، وسلام الله على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين.

شواهد نجاح الامام الزنجاني

﴿ في المملكة الأردنيـــة الهاشمية ﴾

— ١ —

أوفد جلالة الملك عبد الله بن الحسين المعظم ، فخامة حسن خالد باشا أبو الهدى « رئيس الوزراء السابق » من عمان الى القدس للترحيب بسماحة الامام الزنجاني ؛ فرحب بسماحته ودعاه باسم جلالته إلى عمان « عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية » فشكر الامام الزنجاني هـــذا العطف السامي ، وأجاب الدعوة ، وتوجه الى عمان في يوم ٢٥ رمضان سنة ١٣٥٥ في موكب فخم كان يصحبه حسن خالد باشا والقنصل العام الايراني ، وفريق من عظماء القدس وعمان واستقبل الامام من حدود المملكة الأردنية الهاشمية استقبالا يليق بمقامه السامي ، واستقبله في مدخل البلد معالي شريف جميل « رئيس الديوان » ثم فخامة ابراهيم باشا « رئيس الوزراء » واستقبله جلالته في خارج القصر الملكي ، وكان مع جلالته سمو الأمير طلال « ولي العهد المعظم » وسمو الأمير نايف وعانقه جلالته مرحباً بقدومه السعيد ، وقال جلالته انه كان يراقب بدقـة كبيرة سير حوادث رحلة الأمام ، وسيرته الجميلة ، وأعماله الخارقـة ، وإصلاحاته الدينية ، وأظهر جلالته إعجابه الشديد وإ كباره بسماحته وقال جلالته مخاطباً سماحته : « إنك ياصاحب السماحه أنسيت

من جاء قبلك من المصلحين ، وأتعبت من يأتي بعدك »

ثم أيد جلالته رسالة الامام الاصلاحية ، ودعوته الى الوحدة الاسلامية ، واستحسن جلالته جداً تمهيد الامام بالوحدة العربية للوحدة الاسلامية :

— ٢ —

عبد الله بن الحسين

عمان في ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأصلي على نبيه الكريم وآله

الى حضرة العالم الحبر البحر الفهامة المجتهد الكبير والعلامة الشيخ عبد الكريم الزنجاني نفع الله به

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فمرحباً بالكتاب ومرسله وبالخطاب ومسجله ، على انقطاع في التراسل طال ، وإمتناع في الأخبار بالسلامة إستطال ، ولعل المولى قد عرج على بعض الأقطار فأراد اجابة من إستعذب موارده العلمية ، ورغبة من رتع في محاميه المحمدية العلوية ولذلك لم يتصل بالنجف الأشرف إلا متأخراً ، وكان ذلك سبب تريث الجواب ، حتى يكون صدوره عن أشرف الأعتاب وفقكم الله للخير فانكم له أهلا ولخدمة الدين وعلمه فانكم له منهلا ، ولقد سررت لدوام سلامتكم واستقرار رفاهيتكم ، وسلام الله عليكم وعلى من حف بكم من رجال الدين وخدمة علمه وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبكم

عبد الله بن الحسين

أسرار النجاح

أعتقد أن نهضة الامام الزنجاني إنما نجحت لأنها جاءت في ظروف استيقظ فيها العالم الاسلامي والشرق العربي من سباته ونفوس المسلمين جميعاً متهيئة للاستفادة وقلوبهم متوثبة مستعدة للعمل لخير دينهم وأنفسهم فقاد الامام هذه الحركة قيادة مصلح ماهر حكيم يقظ قيادة جاءت عن طبع فيه وعن سجية أنشأه الله عليها ولم يتكلفها ؛ وكانت دعوته الاصلاحية الكبرى مستوفية للشروط التي تضمن النجاح ، وهي : سداد الرأي ، وإتضاح صوابه ، ونصوع البرهان على أفضليته على سائر الآراء والتقاليد ، وتسلحه بأسلحة علميه وفلسفية وإجتماعية ودينية ، أعظم من أسلحة تتقلدها سائر الآراء ، وكونه حقيقة راهنة يمحق نورها دجية كل عقيدة أو فكرة فاسدة ، وكان جمهور المسلمين والعرب في أشد الحاجة اليه ، وأكثر ثقة فيه ، وأميل لاقتباسه ، ولم تكن أمامه مقاومة أشد منها سوى مقاومة المستعمرين له ، فان رحلة الامام مضافاً إلى انها مدرسة فلسفية وعلمية ودينية وإصلاحية تدعوا الى الاصلاح الديني والثقافي ، وتهذيب الأخلاق ولم تكن سياسية بالمعنى الذي نفهمه اليوم ولكن سرعان ما اصطدمت بسياسة الاستعمار التي كافحها الامام وتغلب عليها بما أعطى على دعوته الاصلاحية من الصبغة الدينية المجردة عن السياسة

لكي لا يكون مصيرها كمصير دعوة زميله المصلح الأفغاني المصبوغة بالصبغة السياسية، وجعل دعوته قائمة باعتبارها دينية واجتماعية محضة وبعيدة كل البعد عن السياسة لكي تستطيع هذه الدعوة أن تعيش وحدها على أساس الفكرة الدينية بدون خلطها بأي إعتبار سياسي في جميع الأقطار على اختلاف سياساتها وهذا سر قبولها من الجميع، لعلم الامام بأن الاصلاح الديني بطبعه يؤدي الى الاصلاح الاقتصادي وبذلك يحصل الاستقلال السياسي.

شخصيته

وفوق الجميع شخصية صاحب الدعوة والرأي، الممتازة بشدة الاخلاص، وقوة التوكل على الله، والاعتماد على النفس والثقة بها وحرارة الغيرة الاسلامية، وكمال العفة والزهد وقمع نائرة الطمع في جميع المواقع، وخارق الذكاء الموصل الى نواحي الضعف في الأمم والأفراد وعظيم الشجاعة والجرأة الأدبية، والنشاط الجبار، ونضوج علمي سام، وسلطة نفسية، ومقدرة أدبية، وقوة خارقة يستطيع بها ايجاد العلاقة النفسية، والوحدة الكيماوية في المجتمع وإقناع الجمهور بآرائه، وإستمالتهم لمبادئه وأعماله، فيبعثهم حيث أراد، ويوجههم حيث شاء، ونزعة فنية يتخير بها لكل مقام فكرة نبيلة مبتكرة من أفكاره السامية التي هي قبسات من نور وجدانه ونار قلبه، ولكل فكرة ما يلائمها من العبارات الرائعة والأساليب الجميلة الساحرة، ويستعين بالمفاجئة بعد تهدئة النفوس، وتهيئة القلوب، مع رعاية مقاييس الأفهام، ومقتضيات

المقام ، فتراه فى مقام يلقي خطاباً ليناً حريرياً يثلج الصدور ، وفي موقف آخر يكون كلامه أفتك من النار ، وأصلب من حديد .

الاركان والاسرار

ومن أهم هذه الأسباب خصال وأمور هي الأركان والأسرار :

١ التضحية البليغة : فان سماحته قد دفع نفسه ثمناً للوحدة – ولم تكن تضحيته هذه إلا تاج حياة كلها تضحية – فهو من زمن بعيد لم يعد من أهل هذه الدنيا إلا بالشبح ، وان كان لا يعيش في الواقع الا لتطهيرها والسمو بها عن أدران الأحقاد والمظالم والتعصب .

٢ الأخلاص العظيم : وقد وصفه أحد شهود العيان بهذه العبارة :

ولم أر في حياتي رجلا يستحق أن يوصف بأنه « مصلح مخلص » غير الامام الزنجاني – ويشهد به الشرق الاسلامي أجمع – وبفضل ذلك لم يتعذر عليه أن يقتلع المغروس من العقائد والمبادىء في الأذهان ، ويبدلها بأحسن منها من دون أن يعارضه أحد .

٣ أن الامام الزنجاني نفذ إلى عناصر المشاكل الدينية والاجتماعية ولبابها – رغم الغموض المسيطر على كثير من نواحيها – فاقترح حلولا لها تصلح أن تكون أساساً لتسوية نهائية لأنها لا تتجاهل حقوقاً تقدسها أصحابها ، وتحرص عليها ، حتى تحملهم على الدفاع عنها بالعنف والقوة .

٤ أنه يعمل بالمنهاج الآلهي في دعوته الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ويبدأ دعوته بالحكمة ، فيوحد الشعور ، ويهذب النفوس ، ويوجه العقول ، ثم يلقي موعظته الحسنة ،

فيوقف المستمعين من حين الى حين في المحطات الحزينة التي تنبههم من غفلتهم، وتوقظهم من سباتهم ، فلا ينساقون مع قطار الأوهام والخرافات التقليدية ، بزعمهم أنها الحقائق الراهنة فان شاهد منهم جموحاً جادلهم بالتي هي أحسن .

٥ خطته المخصوصة المبتكرة ، وقد أجملها في قوله :

ينبغي أن لا تتبع في حل مشكلاتنا الدينية والاجتماعية ، الوسائل القديمة التي أتبعت حتى الآن . وأضاف قائلا :

« ويجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ، والأساس الذي تبنى عليه حياتنا الاجتماعية والسياسية ، الثقة المشتركة ، وإذكاء روح الأخوة الأسلامية ، وتقوية الروابط الدينية بين المسلمين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم ، ومهد الامام لدعوته الاصلاحية بهذه الكلمة الخالدة

« يجب أن يحكم على المذاهب بالنظر الى سيرة أرقي ممثليها ؛ لا إلى انحرافات أحط الآخذين بها .. »

ثم استعمل الامام المجدد في التمهيد لدعوته التجديدية ، حكمة لا تفوقها حكمة ، حينما قال :

« إني لا أدعوكم الى جديد أو تجديد حتى تتوقفوا في قبوله ، بل أرجع بكم إلى الوراء قرونا لا رغبة في التأخر ، ولكن لنتمتع بأنوار المدنية الاسلامية التي شعت فترة فأضاءت الكون بسراج وهاج ، ولا أدعوكم الى التسامح في دينكم ، لعلمي بأن التسامح في الدين هو الذي أوجب تخلل البدع في تعاليمه الحقة ، وسبب التفرق شيعاً وأحزاباً

بل أدعوكم الى التصلب في الدين ، ورفض التسامح وما تركه من الآراء المفرقة »

ولما حاول سماحته أن يرد التوازن الى العقول والنفوس ، مهد له بمقدمة حسية موجزة كانت من أهم أسباب النجاح ، وهي قوله دام ظله

« كلكم تعلمون أن كمية من السكر مثلا الكافية لحلاوة ماء قدح إذا ألقيت في حوض كبير من الماء لا يظهر لها أثر ولا طعم ولا خاصية كذلك المبالغة الزائدة في كل شيء تذهب بخاصيته وأثره ، بل قد تغير حقيقتــــه » .

وقال أيضاً « القرآن الكريم يدعوا الكافرين الى الاتفاق مع المسلمين بقوله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الخ » فلماذا لا ندعوا طوائف المسلمين الى أن يتفق بعضهم مع بعض .

٦ الامام الزنجاني يعطي لكل طبقة حقها في لباقة مدهشة يرضي بها سائر الطبقات من دون ملل مع العلم بأن محاضراته كانت عمومية يحتشد لاستماعها عشرات الألوف من مختلف طبقات الأمم ، علماء الأديان وأئمة المذاهب ، وأساتذة العلوم والحقوق ، وعظماء الفلاسفة ، وخبراء السياسة وأفناء من الناس ، مابين مثقف بالثقافة العالية ، وما بين المثقف المتوسط ، وكان يجلس إلى هـؤلاء طبقات من عامة الناس ، ولا شك أن من يتصدى للكلام أمام هؤلاء يجب أن يكون موفور الحظ من العلوم والفنون ، والفلسفة ، والحكمة ، والمعرفة بالنفسيات والمقتضيات ، ومن وضوح العبارة ، وظهور الحجة

وجمال الأسلوب ، والقدرة على الافهام ، والاتصاف بجميع ماينبغي أن يتصف به المرشد المصالح العظيم ، ومنزهاً عما ينبغي أن يتجنبه من الأمور

والامام الزنجاني مستجمع لهذه الخصال كلها ، ومن المتفق عليه أنه صادق في شعوره ، وإحساسه ، أمين في تصوير هذا الشعور والاحساس وأن له الفطنة البالغة ، وهذه الفطنة من مميزات الزعامة ، وهي مزيج من الذكاء والحكمة ، وبعد النظر ، والصبر الجميل .

٧ الارادة الصلبة القوية من وراء منطقه البليغ وحديثه الأخاذ وعزمه الجبار .

وقد أسهب في وصفها شاهد العيان في رسالة مطولة يخاطب بها الامام الزنجاني ، نقتضب منها ما يأتي بنصه حرفياً : (١)

لقد رايتك في مصر وانت تخطب في محافلها وشهدتك في لبنان وسوريا مجاهداً مناضلا في سبيل مجدك وعزة قومك ، فرأيت منك رجلا حنكته التجارب ، وهذبته الأيام ، وقام على تكوينه وتلوينه عقل متزن ، ومقول ذرب ، وعزم ثابت ، ونفس مرحة ، وهم يقيمه ويقعده بين يدي روحه الوثابة ، وقلبه الزاخر بالحياة .

أيها الطود الراسخ

إن في صفحك عن كل ما تقرأ وتسمع ، وحلمك في وجه من يرى القذاة في عينك ولا يرى الخشبة في عينه وجهادك في تثبيت عزمك

(١) نقلا عن كتاب (وحي الرافدين) الجزء الأول : الرسالة الخامسة تأليف الأستاذ الشهير (الحوماني)

وتقرير خطتك ، وتوطيد محبتك في قلوب عارفيك وشانئيك ، وصبرك عما ينالك في طريقك الى الغاية التي تستهدف ، إن في ذلك كله سراً لعظمتك في النفوس ، ورهبتك في الأعين ، وخلودك في بطون الاجيال

رأيتك إذ تريد شيئاً من ذلك تعمد الى عقلك فتسأله الحلم عما تسمع ، وإلى قلبك فتناشده الصبر على ما تكره ، وإلى لسانك فتستميحه البيان المعجز في محو ما كان وإبداع مالم يكن ، فأذن الاذن جشعة في تلقف ما تسمع ، وإذا العين نهمة في التهام ما تبصر ، وإذا أنت بما تفكر وتنطق وتشير ، ملء العين والأذن جمالا وجلالا .

إن أعظم ما يبهر عيني من شخصيك قوة هذه الارادة التي تهزم بها جيشاً لجباً من إرادات ضعيفة تحاول كبتك والنيل منك في مغيبك ومشهدك .

هذه الارادة الجبارة التي لو كررتها على الجبال لتصدعت ، وعلى الصخور لاضمحلت ، وعلى الأنفس العاتية لمثت بين يديك صاغرة تعترف لك بالغلبة والفلج في وجه ما تحاول .

لقد أوحيت إلي بأرادتك هذه وأنت حكيم ، حكمة الارادة العليا أم الحكمة في الكون ، فشار كتك التحليل والتعليل ، وكنت من هؤلاء الذين يخوضون في بحار سحيقة الأغوار من الوهم والتخيل ، ولعل هذا الوهم أو الخيال يرمز بشيء منه الى حقيقة كامنة في صميم الحياة لا يتبينها إلا الشاعر .

فهل تسمح لي أن أملي على قراء رسالتي اليك ما أوحته إلي إرادتك

الجبارة من تحليل حول هــــذه الارادة ثم أعود بالتحليل إلى ذاتك الكريمة ؟؟

ولقد يحبب إلي إيراد هذا البحث إمتهانك الفلسفة إذ قرأت لك كثيراً من الفصول في علم النفس وتحليل كيانها

. . . .

ساقني إلى هذا البحث ما رأيته من قوة الارادة فيك ، فما رأيتك تريد شيئاً إلا نفذته بجهد جبار لما يعترضك من مشقة في سبيل تنفيــذه فتستمر آخذاً بتذليل هذه الصعوبات حتى تصل الى مرادك وتنفذ تلك الارادة غير مكترث بما يقف في طريقك من حواجز .

أيها القرم المجاهد

إن الفكر ليحار في تحليل ثباتك على نضالك المستمر في سبيل نفوذك وهيمنتك على المنصب السامي في الشعب ، ولقد وقفت حائر اللب أمام جرأتك فى كل مشهد تتبارى الأقران للفلج فيه ، وكم خضت معتركا كانت الهزيمة مقدرة لك فيه ، حتى إذا جاءت جولتك وانجلى الأفق إذاً بالغبار ينكشف عنك وأنت أبلج الغرة ناصع الجبين تمسح صفحتيك وتقول :

عندي من العزم سر لا أبوح به .

هذه الجرأة ، وتلك الارادة ، وبينهما صبرك الفاره ، وعزمك الجبار ، وما أوتيت الى ذلك من بسطة في العلم والجسم ، كل ذلك يضمن لك السعادة في الحياة والخلود بعد الموت ، على أن تتنازل إلى

سماع كلمة من تلميذك الذي قرأ عليك كثيراً من علم النفس وهو يستمع اليك ويأخذعنك ، وأنت تتحدث اليه وتملي عليه من ثقافتك على المجتمع الذي عرف الغث وأنكر السمين من رجاله ، تلك الكلمة هي : أن تثابر على حلمك وصبرك وخدماتك لأبناء قومك في المظالم التي ترهقهم من اولى الأمر فيهم ، كما ثابرت وناضلت في سبيل منصبك الذي أحرزته في قلوب كثير من عارفيك في مصر وسوريا ولبنان .

ولست في حاجة لأن أبثك ما تركته في نفوس القوم فانك أعرف به مني ، ولعل الأيام تنصف الأحرار من رجال الأمة فتضرب على يد الظالم وتأخذبيد المظلوم الى حيث يسعد بعد شقائه وينعم بجميل الذكر تلقاء ما ضحى في سبيل الحق … الخ

ويؤيد مقال هذا الاستاذ ماقرره إجماع شهود العيان من أن بيان الامام الزنجاني مقرون بصراحة الرأي النزيه مع ما يلحقه من فكرة جديدة مصقولة، قد ازدانت حواشيها بدقائق العلوم والفلسفة ، وحديثه يجمع بين مزيتين ، مزية التفوق العلمي والفلسفي ، ومزية البلاغة والحكمة ، ورعاية الأصول النفسية وتؤيدها تجارب سديدة كثيرة ، وعقلية ممتازة كبيرة ، وعذوبة نطقه بلغت إلى حد الفتون ، ومن يسمع كلامه يؤمن بأن من البيان لسحراً ، بل إعجازاً .

٨ توحيد النزعات

شخص الامام الزنجاني الداء وعرف موضع الدواء ووضع الجبر على موضع الكسر ، واعتبر بمن فشل من المصلحين ، فأبتكر

أسلوبا مخصوصا يضمن له النجاح ، وأوضحه في مناسبات عدة قائلا :

إن منشأ انحطاط الشرق سيما الاسلامي اختلاف النزعات والتعصبات البغيضة التي ان عادت علينا بشيء فانما تعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة ، كما ان بلاء العالم أجمع هو الأفراط في شعائر القومية المتطرفه ومنشأ الفشل هو اختلاف الأهداف الناشيء من اختلاف النزعات الثقافية والقوميةوالدينيه والطائفية حتى أصبحت الأديان في نظر الفريق الأكبر عبارة عن احزاب سياسية يعمل كل لشد أزر حزبه ، ومن هنا وقع التخالف والتدافع بين الدعاة الى الوحدة العربية وبين الدعاة الى الوحدة الاسلامية ، وفشلت جهود المصلحين ، وساعد على فشلهم أن الدعاية للاتحاد في أمتنا الاسلامية والعربية كانت ولا تزال ناقصة غير مأخوذ بأطرافها من جميع النواحي ؛ فكلما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة .

بدأ الامام إصلاحه بتوحيد النزعات في أسلوب معجز يحرر الفكر الانساني ويجرده عن الاشكال والصبغات التي تفرغها عليه العداوات الدينيةوالخصومات القومية والنزعات المختلفة . والنعرات الطائفية وسائر عوامل التفريق ،فيشعر المستمع له أنه قد تسامى عن مستوى الخلافات وارتقى الى عالم أعلى يتحد فيه الشعور ، ويتفق اتجاه العقول ؛ وتجمع الكل غاية واحدة قد ملكت عليهم مشاعرهم وقامت عندهم مقام العقيدة ؛ هي الولع بالحقائق الراهنة والخير العام، والمستمعون في انصرافهم لهذه الغاية التي تؤلف بينهم يطرحون وراء ظهورهم جميع الفوارق والاعتبارات

مهما كانت صبغاتها ، ويصبحون في عالم مجرد عن القيود فيه تلتقي الناس جميعاً اصدقاء متآخين ومتضامنين في العمل الصالح .

نعم إن الأمام الزنجاني — وقد بلغ المثل الأعلى — يلائم بين العواطف المتخالفة ، ويجمع العناصر المتناقضة ، ويوازن بينها ، ويجمع في كأس واحد تلك العوامل المتباينة التي تتضارب ويجري الصراع بينها في كيان مضطرب فيذيبها في بودقة الحكمة ويستخرج منها جوهرة موحدة تدفع المستمعين جميعا إلى الأتجاه المعين الذي يرسمه لهم مستهدفا تعاون الجميع في العمل لخير الدين والأنسانية دون أن يشعروا بفقدان ذرة واحدة من طابعهم الجنسي ومميزاتهم القومية وعواطفهم الدينية وذلك فضل الله يعطيه من يشاء .

دين تتبعه السياسة

وتمتاز دعوة الأمام الزنجانى الاصلاحية بأنها انتظمت بصيغة اسلامية وانسانية ينسى المساهمون فيها القائمون بها منافساتهم ومنازعاتهم الشخصية والحزبية والطائفية والدينية والأقليمية ، لأنها لصالح الجميع .

واذا كانت هذه الدعوة تحسب ظاهرة من ظواهر التشيع عند بعض — لأنه إمام الشيعة واثبت بدعوته ونهضته كياناً للشيعة في العالم الأسلامي وخارجه عجز عنه غيره في القرون الماضية — واسلوباً مؤثراً من أساليب الوحدة الأسلامية العامة الشاملة عند المسلمين كافة ، ونهضة شرقية تفوق جميع النهضات الشرقية ، ورسالة انسانية سامية لدى شعوب العالم ، فأنه لا يصح على أي حال من الاحوال ان تحسب — اذا اتسم

نطاقها ونجحت في مراميها - حركة عدائية ضد سائر الأديان والمذاهب، أو ضد الغرب - الساعي لسعادة الأنسانية - فأنها مصوغة في أسلوب لطيف يعبر عن أمر طبيعي يبين مزايا الأسلام ومصالح البلاد الأسلامية والشرق دون إحتقار غيرها، أو إظهار أو إضمار أية عداوة لها، - اذ لا فائدة في هذا العداء ولا صالح فيه - فتتبعها السعادة السياسية كما كان في عهد النبوة «ص» وفي صدر الأسلام (دين تتبعه السياسة) وتعرف صبغة دعوة الأمام من شرط ركني اعتبره فيها بقوله :

واذا أخذت الدعوة على أنها حادث طارىء من دون برنامج ديني ثابت وغرض عالمي شامل، فانها لا تلبث ان تكون كاللهيب الهشيم يتصاعد وقتاً من الأوقات ثم لا يلبث أن ينطفىء، فيعود اغلب المساهمين في بث الدعوة أو المنتفعين بثمر أتها الى تهاونهم فلا يدققون ولا يتكرون

٩ استغلال الوحدتين

ازال الأمام الزنجاني سوء التفاهم الذي كان راسخاً بين دعاة الوحدة العربية وبين دعاة الوحدة الأسلامية، بطريقة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد وخلاصتها ما جاء في محاضرته التي القاها في مقر رابطة الشباب العربي في القاهرة، نقتضب منها ما يأتي :

ان القومية العربية ليست كغيرها من القوميات الاعتبارية ومن العوارض الخارجة عن جوهر الذات، بل هي حقيقة واقعية قرر فضلها فوق عرش الله تعالى : حيث ان الانسانية لما بلغت رشدها واستحقت ديناً

عاماً خالداً ، إقتضى عدل خالق الشعوب أن ينتخب رسوله الخاتم (ص) من الشعب العربي الباسل الجدير من الناحية الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته (ص) وأيده بالقرآن المعجز الخالد الذي يساير الاسلام في البقاء بنفسه ، لا بمجرد ذكر لخبره

فمن واجب الأمة العربية أن تقدر هذين السلاحين الآلهيين وتستعين بهما على إستعمار سائر الأمم الاسلامية إستعماراً روحياً ومعنوياً في هذا الزمن الذي تتفنن فيه الشعوب لاختراع أساليب الاستعمار ، كما استعانت بهما في العهد الأول فبلغت بهما أوج العزة ، وذروة المجد والسيادة ، وحازت المثل الأعلى للامبراطوريه الاسلامية ، فسارت الراية الاسلامية بأيدي العرب تدوخ الأقطار ، وتحف بها الهيبة ، ويحدوها الجلال ، وسارت معها الدعوة الاسلامية التي شعارها « لا إكراه في الدين » .

نعم كانت الوحدة الاسلامية قوة العرب السياسية في عصورهم الذهبية الزاهرة ، وعماد سيادتهم الروحية على سائر الأمم الاسلامية ، لعلمهم بأن الوحدة الاسلامية لا تبعث إلى نبذ الوحدة القومية ، بل تعززها وتقر للعرب السيادة الأدبية على غيرهم .

فمن الواجب أن لا نجعل بعد اليوم النعرة القومية ، وصيحة الوحدة العربية ناقضة لغرضنا الأهم ، وهو سيادتنا الروحية على الامم الاسلامية كافة باستعمالنا السلاحين الآلهيين المار ذكرهما اللذين عليهما ترتكز الوحدة الاسلامية التي ليس المقصد منها سوى إستعمال هذين السلاحين

فالوحدة الاسلامية عبارة أخرى عن الوحدة العربية السائدة ، التي ينبغي أن يستهدفها دعاة الوحدة ، وأما الوحدة العربية بمعنى الدعاية القومية المجردة عن السيادة على الأمم الاسلامية فليس مغزاها سوى وضع القومية العربية في مستوى غيرها من القوميات كالقومية الفرسية، والتركية والهندية وأمثالها بنزع صفة السيادة عنها ، وتجريدها عن سلاحيها الأكمين وهذا ربما يؤدي الى تأخرها عن درجة هذه الأمم ايضالان بعضها من الكمال الحضاري ، والرشد الاداري ؛ والنضوج السياسي والثقافه الممتازة . والنهضة القومية درجات تفقدها الأمة العربية ،فليست هذه الدعوة التي يقوم بها بعض السذج ، وبعض مقلدة الغرب سوى آلة عاملة لاضعاف رابطة الجامعة الاسلامية ، وتفريق القوة المعنوية ، وتجزئة الشعوب المرتبطة بها ، ليسهل على المستعمرين إستعمارها ، وبسط سيطرتهم عليها .

ولتعلم الامم الاسلامية ودعاة الوحدة الاسلامية ان الوحدة العربية أس أساس الوحدة الاسلامية الكبرى ؛ وأن الأمة العربية دعامة الاسلام، والاساس الذي ترتكز عليه سائر الشعوب الاسلامية وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن جابر بن عبدالله ، أن رسول الله (ص) قال : « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » .

والحقيقة أن القوميات الاسلامية بمثابة معدات أساسيه ، وأركان ضروريه ، يجب تحقيقها لبناء الوحدة الاسلامية عليها . وأن سعي

أمتنا العربية التي هي منبت الدين الاسلامي الى وحدتها حجر أساس الوحدة الاسلامية ، إذ يجب أن تبنى الوحدة الاسلامية على اساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع فمن الواجب على العرب والمسلمين كافة تشييد كلتا الوحدتين، واستغلال كلتا القوتين .

١٠ ملكة تصوير الفكرة في أسلوب يستفاد منه الاحتجاج والاستعطاف والثناء والتنفيد والدعوى والدليل والارشاد والتحذير والعلاج والانذار والاعذار في نظرة واحدة ، فكأنه يطلب من المخاطب اصلاح خطاء صادر من غيره ، ويكشف عن هذه الملكة كتاب الامام الزنجاني إلى جلالة ملك المملكة العربية السعودية ، نقتضب منه ما يأتي بالنص :

« ... غير خفي عليكم أن الأغراض الاسلامية المعنوية ، والعملية لا يمكن تحقيقها إلا بتنقية إيمان المسلمين من الشوائب المفرقة ، وتوجيهه توجيهاً نافعاً ، وتنمية وسائط الاخاء الاسلامي ؛ وتقريب وجهات النظر فى المذاهب الاسلامية ، وجمع كلمة طوائف المسلمين التي تجمعها قواعد الاسلام ، وكلمة التوحيد ، ويؤلف بينها كتاب الله وسنة رسوله (ص) بعد أن تفرقت شيعاً لأسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت النقد والتحليل ، ولآراء فقهية إتسع صدر التاريخ الاسلامي لألوف منها نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الاسلامي ، ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ، ومناهضة الدليل بالدليل .

ومن المؤسف جداً أن يتخذ منها في هذا العصر بعض الطوائف

الاسلامية أداة هدم لمعالم الدين الاسلامي ، وكيانه الاجتماعي وسهاماً ترمي بها من سواها تصيب الصميم ، وكان من نصيب طائفة الشيعة الامامية — التي ساهمت في تشييد اركان التوحيد ، وكيان الاسلام منذ الصدر الأول حتى الآن — ما أصيبت به مقدسات المذهب ، وقبور أئمتها في البقيع التي كانت على غرار قبور أئمة سائر المذاهب الاسلامية المشيدة في الاقطار الاسلامية ، ويتعهدها المسلمون منذ صدر الاسلام حتى الآن ، بكل تجلة وتقديس واحترام .

وبما أن جلالتك موطن الأمل ، ومعقد الرجاء وقد اختصك الله بمواهب لا يصعب على صاحبها حل هذه المشكلة التي إن أعتبرت دينية في ظاهرها ، فهي اجتماعية بجوهرها ، فعليه أتقدم اليكم باسم هذه الطائفة ، راجياً منكم السماح بأعادة بنائها عملا بالعدل ، وحرية الاديان والمذاهب ، وضرورة تقديس شعائرها ، فتملكون بذلك قلوب طائفة يبلغ عددها في أقطار الارض مأة مليون نسمه تقريباً :.. الخ »

١١ تأثير الحرب في سير الدعوة والأمل الجديد

اتضح مما تقدم أن الامام الزنجاني لم يأل جهداً في السعي والعمل للوحدة الاسلامية ، ولما فوض اليه الاستاذ الاكبر المراغي شيخ الجامع الازهر المرحوم شؤون الاتصال بعلماء المسلمين في اقطار العالم بذل الامام قصارى جهوده في سبيل ذلك ووفقه الله تعالى في مؤتمر العلماء الاول المنعقد بدمشق فاصدر نداء المؤتمر الموجه الى علماء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية داعياً اياهم ان يعدوا العدة ، ويتأهبوا لعقد

وأن يكون اول معداتهم منذ الآن تواصلهم وتعاهدهم ، وعقدا؛ؤتمرات المحلية في مواطنهم لتكون نواة قوية المنبت لذلك التنادي العام الأكبر وبينما كانوا يعملون باتفاق الآراء اذ فاجئتهم الحرب العالمية الثانية فغيرت الظروف والأحوال والجأتهم الى ايقاف العمل والتريث فيه وإنتظار الفرج وفي الأثناء شاء القدر ان يلبي الاستاذ الأكبر المراغي داعي الموت ، ففقد الاسلام بفقده ركناً ركيناً من اركان الاصلاح الديني ، وانصار الوحدة الاسلامية ، كما فقد الامام الزنجاني زميلا عظيما قلما يسمح الدهر بمثله ، فظن بعض المسلمين ان العمل للوحدة الاسلامية لا يمكن أن يستأنف

ولكن ظهر لنا أخيراً أن الامام الزنجاني سيستأنف عمله ، وان سماحته يعتقد ان الدعوة الى الوحدة الاسلامية قطعت أصعب اشواطها ومراحلها وفيها المسلمون ، واتفقوا على ضرورة تحقيقها ، وقد تحقق (الحمد لله) اقوم اركانها ، أعني الوحدة العربية ، بشكل الاتحاد العربي الحاضر ، والأمل وطيد بأن يستمر ويستقر هذا الاتحاد وينتج النتائج المطلوبة منه

وفوق الجميع ان فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الجامع الازهر الجديد من اكبر انصار الوحدة الاسلامية وفيلسوف كبير ، وقد استمع فضيلته الى محاضرة الامام الزنجاني (١) الفلسفية

«١» نقلا عن جريدة «الجهاد» المصرية ١٣و١٥ رمضان ١٣٥٥ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ وعن «المصري» ١٥ رمضان ١٣٥٥–٢٩ نوفمبر ١٩٣٦

التاريخية التي ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية (بالقاهرة ، وتحدث فضيلته الى الامام الزنجاني في مأدبة الافطار التى أقامها تكريماً للامام معالي محمود بسيوني بك (رئيس الرابطة العربية) و (رئيس مجلس الشيوخ يومئذ) (١) وفي حفلة الشاي التي أقيمت في المفوضية الايرانية بالقاهرة تكريماً للامام (٢) وتذاكرا كثيراً في سائر الحفلات والمجالس العمومية والخصوصية والزيارات المتبادلة ، فعرف فضيلته مقاصد الامام الشريفة ، ولم يظهر منه سوى الموافقة عليها .

مضافاً الى ما يوجد في السجلات الازهرية من المحاضر الكاملة لمجالس المرحوم الاستاذ المراغي مع الامام الزنجاني ، ومحادثاتهما ومقرراتهما المدونة وكفى شاهداً بذلك ماجاء في كتاب الاستاذ الأسدي المنشور في جريدة (الهاتف) النجفية الغراء « ٤ » واليك نص ما اقتضبناه منها .

ولما تولى الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق شؤون الأزهر ، لم ينس تلاميذه وأصدقائه « الفلاسفة » فتعهد جماعتهم بالتنشيط والتشجيع واختص منهم لسكرتاريته الفنية الخاصة ؛ الاستاذ الفيلسوف (الدكتور محمود الخضيري) مستعيراً اياه من الجامعة للاستفادة من خبرته وعلمه

---

(١) نقلا عن جريدة (الأهرام) المصرية – ١٧ – ١١ – ١٩٣٦
وعن جريدة (الجهاد) المصرية ٣ رمضان ١٣٥٥ – ١٧ نوفمبر ١٩٣٦
(٢) نقلا عن جريدة (المصري) ٢٥ شعبان ١٣٥٥ – ١٠ نوفمبر ١٩٣٦
« الاهرام » ٩ و ١٠ – ١١ – ١٩٣٦
« البلاغ » ١٠ – نوفمبر – ١٩٣٦
[٤] ١٣ ايلول ١٩٤٦ – ١٧ شوال ١٣٦٥ – العدد ٤٢٨

وفي مكتبه بادارة الازهر سعدنا بزيارته اكثر من مرة ، كما ونعمنا بأحاديث طريفة مع أستاذنا الفاضل ، اقتصر منها في هذا المقام على ما ذكره لنا من أنه قرأ في السجلات الازهرية في عهد الشيخ الازهر السابق المغفور له المراغي ، المحاضر الكاملة لمجالس هذا الشيخ المصلح مع العالم الشيعي النجفي الشيخ الجليل عبد الكريم الزنجاني ـ حفظه الله ـ الذي كان قدومه الى القاهرة أيام الشيخ المراغي باعثاً للنشاط الديني والفلسفي ، وداعياً لتوجيه الافكار الى مسائل مهمة تنفع المسلمين .

في تلك المحاضر دونت محادثات الرجلين العالمين ومن ذلك :

قال الشيخ الزنجاني : لماذا لا تدرسون الفقه الجعفري في الازهر الى جانب المذاهب الاربعة يا فضيلة الشيخ ؟ !

فقال المرحوم الشيخ المراغي : يسرنا أن نفعل هذا .

فقال الشيخ الزنجاني :... في هذا نفع المسلمين ، وتعريف بعضهم ببعض ، وتخفيض عوامل الفرقة الحاصلة بسبب الجهل بحقائق الفقه الجعفري الصحيح ، ادرسوا هذا الفقه ولو على « الهامش »

فقال المرحوم الشيخ المراغي : كلا ، كلا ، بل نجعله في الصدور ، ندرسه أولا وقبل أي شيء آخر .. ـ انتهى ـ

الامل الجديد

وتوفى الشيخ المراغي قبل ان يسير بفكرة التقريب الى مجالها العملي وجاء بعده فيلسوفنا الحر الكبير الشيخ مصطفى عبد الرازق فاستبشرنا خيراً لمجيئه ، فهو خير خلف لخير سلف ، والروح العلمية الخالصة التي

يحملها هذا الرجل ارفع من ان ينالها الشك .. الخ »

وفي آخر الكتاب ذكر الاستاذ الاسدي كلمة الاستاذ الاكبر بهذه العبارة :

جواب فضيلة شيخ الازهر .

فقال : إنني كما جاء في الرسالة الصادرة من مكتبنا اليكم ليس احب الي من العمل على فكرة التقارب ، وثق أنني لا اتوانى عن بذل أي جهد في هذا السبيل . وأني مكرس حياتي لخدمة الاسلام والمسلمين وفكرة التوفيق والتقارب في مقدمة برنامج الاصلاح الذي أعمل لتحقيقه ، والامور مرهونة بأوقاتها ، ونسأل الله تعالى ان يلهمنا التوفيق ويسدد خطانا الى ما فيه الخير .

موٴازنات

— ١ —

الزنجانى والأفغانى

ما أصدق كلام القائل : أن السيد جمال الدين المشهور بالافغاني كان أوحد رجال عصره فى قوة الشخصية وسحرها وفي إيمانه بنفسه وبقدرته على ادراك ما يسعى له ، وتحقيق ما يدعوا اليه ، وتنزهه عن كل غاية شخصية ، او مأرب ذاتي ، وانما كان همه أن يوقظ الشرق الاسلامي من رقاده الطويل ، وأن يبتعث همته الدانية ، وينشله من وهدة الجهالة ، ويجمع كلمته ، ويدفعه الى التماس القوة ؛ عن سبيل العلم والحرية ، والنهوض الى سامي مكانته التي تليق به ، ليساهم في بناء صرح المدنية ، ورفع مستوى الانسانية .

ولم تكن دعوته مقصورة على العرب ، بل كانت دعوته الاسلامية عامة شاملة ، ولم يكن وهو في مصر يقصر همه عليها ، بل كان معنيا كذلك بممالك الدولة العثمانية ، وايران وأفغان والهند وغيرها ، وكان عليه في سبيل مهمته ان يحارب الجهل والجاهلين والجمود والجامدين والباطل والمبطلين ، والتفرقة ودعاتها ، كما كان عليه أن يؤازر العلم والعلماء ، والعدل والأتقياء والتجدد والمجددين ، ووحدة الكلمة ودعاتها والحق وأهله .

ولا ريب أن جمال الدين خالد في تاريخه الحافل بجسيم الأعمال العام بجليل الحسنات ، وهو قد لخص منهاجه في كلمته المشهورة وهي:

« خصصت جهاز دماغي لتشخيص داء الشرق ، وتحري دوائه فوجدت أقتل ادوائه داء انقسام أهله، وتشتت آرائهم وإختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم . »

ولقد قامت دعوته الاصلاحية الكبرى ، على أساس ديني ، إجتماعي ، سياسي فى وقت كان فيه العالم الاسلامي يغط في سبات الانحلال ، وكانت النهضة العالمية الحديثة ، تومض شعلتها في آفاقه ، فكان لدعوته هوى فى كل نفس ، وموافقة فى كل فكر ، وجعلت الأفغاني بنظر الجميع ، المصلح الاكبر الذي يقدر على بعث الشعوب من رقدتها ؛ ودفعها للمساهمة مرة جديدة فى بناء صرح الحضارة العالمية وهي التي دلت على عبقريته ، وتركت الدنيا من ورائه تردد اسمه فى غناء البطولة الخالد ..

ورغم ما لاقاه الأفغاني من عنت الحاكمين في وقته فإن آرائه أخذت طريقها الى الأفكار الحرة في كافة أنحاء العالم الاسلامي والتفت الجماعات حوله ، تقتبس تعاليم الظفر منه ، وأحلت هذه التعاليم محل التقديس ، ونافحت دونها بالدماء والدموع ، وهيأت من ابنائها تلامذة بررة يبشرون بدعوة الأستاذ الاكبر، وينشرون ألويته ويعقدون الخناصر حوله ، حتى فازوا بما سعوا ، وحتى هيأوا الارض الصالحة لتبت افكاره

التي تركبا على لسن التاريخ نشيداً حلواً يردده من فوق منبر الدهر ما بقيت الدنيا ، وما بقي الأنسان .

وكنا نعتقد أن الحياة التي جادت بالأفغاني ليست خصبة الانبات في كل حين ، وليست متهيئة لتقديم أمثال الافغاني كما طلبت الأمة منها انما هي شحيحة وستبقى كذلك ، وليس بالأمكان معالجة هذه الشحة الا بالابقاء على تعاليمه ، والابقاء على آثاره تستمد منها الامة في كل عصر . ولكن العناية الالهية جادت لنا بمثله ، ألا وهو الرجل الذي لم يكمل تعاليم الافغاني فحسب ، بل أصلح مالم يكن منها يلائم الظروف الحاضرة اعني المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني الذي قيضه الله قبل ان ينقضي ربع قرن من فقد الأمة مصلحها الافغاني .

واتضح للعالم أن الامام الزنجاني هو مثل المصلح الافغاني في الخصال والعلوم ، والمكارم والعبقرية والاقدام ، ودعوته مشابهة لدعوة الأفغاني بكل وجوه الشبه ، ولعل سبحانه وتعالى أراد أن تتكمل به دعوة الافغاني ، فبعثه في حين الفترة القائمة التي نشط الغرب فيها للقضاء على آثار الافغاني . ولكن يمتاز الأمام الزنجاني من السيد المصلح الافغاني بأمور نلخصها فيما يأتي .

١ بدأ الافغاني دعوته في الهند عام ١٢٨٥ هـ « ١٨٦٩ م » في سفره الاول الذي اعتبره التاريخ المحرف سفراً ثانياً له الى الهند وغادرها مأيوساً من رواجها فيها ، ثم عاد اليها مرة أخرى من القاهرة وسكن حيدر آباد الدكن عام ١٢٩٦ هـ « ١٨٧٩ م » وفيها ألف رسالته

في الرد على النيجريين «الدهريين» باللغة الفارسية إجابتاً لالتماس الاستاذ محمد واصل مدرس العلوم الرياضية في مدرسة حيدر آباد الدكن في محرم سنة ١٢٩٨ هـ وختمها بهذه العبارة (راقم جمال الدين حسيني) وأهدى المؤلف نسخة مطبوعـــة منها الى مدير جريدة « فرهنك » في بلدة اصفهان ، فقرظها المدير تقريظاً جميلا نشره في جريدة « فرهنك » في شهر رجب ١٢٩٨ « العدد ١٠١ » السنة الثالثة ، وبمساعيه أعيد طبعها في بمباي في غرة ذي القعدة ١٢٦٨ وصار لها رواج كبير في إيران ثم سكن السيد الافغاني كلكتا مدة ، ولم يجد لدعوته الاصلاحية فيها رواجا لاتفاقها ، فغادر الهند مأيوساً عن نهضة الهنود .

بدأ الامام الزنجاني ايضاً بدعوته الاصلاحية في الهند ، لانه رأى أن للمناظرات الدينية في بلاد الهند سوقاً رائجة ، ولا تنقطع مواسمها طول العام ، فقصدها ، وأخذ يلقن علماء الاسلام في الهند من علومه وفلسفته ، وأساليبه ، حتى أصبحوا أقوى مراساً ؛ وأغزر مادة في تفهم روح الاسلام ؛ وأعلم بطرق الجدل والنقاش مع مناظريهم من أهل الأديان ، وتعمقوا في مباحث الفلسفتين ؛ القديمة والحديثة ؛ وتذوقوا حقائق معاني القرآن الكريم ، وقدروا ما فيه من سمو وقداسة ، وفهموا أن صور الحقائق مهما كانت مستقرة في الأذهان فقد ينبغي أن تقارن بالنظائر والأشباه المطابقة لها من الفلسفة الحديثة ، وتاريخ الأديان لتكون منيرة أخاذة لها بالألباب ، مشرفة على العلم الحديث .

وأشد ما كان يحز في نفس الامام الزنجاني الألم حينما كان

يطوف في ربوع الهند أن يرى أن طوائف المسلمين في بلاد الهند الذين تجمعهم كلمة التوحيد ، وتعاليم الاسلام ، يتبارون في النضال ويحاول كل فريق أن يفني الفريق الآخر ؛ فاذا لم يستطع السبيل الى ذلك عمد الى التفسيق والتجريح ، ثم الى التشهير والتفكير ، بل يرى أن المسلمين يلقون من إخوانهم في الدين أضعاف مايلقون من أعدائهم من الاذى والاضطهاد والقتل ، بينما رأى الطوائف الأخرى ، وان تباينت في كثير من أصولها ، وتشعبت في أكثر فروعها ، لا يمنعها ذلك من ضم صفوفها ، واتحاد كلمتها ، في حين أن كثيراً منها يدين بعقائد التفريق والتمييز بين الطبقات ، كما هو معروف في الديانة الهندوكية ، ورغم ذلك فهم يتبادلون كل معونة في إدراك خيرات الحياة ، والاستمتاع بطيبات الوجود ، من بذل وتضحية وإيثار ، حتى أدركوا من اسباب النجاح مبلغاً يحسدون عليه في التقدم أدبياً ، ومادياً ، وصناعياً ، وعلماً وعملاً ، بينما المعارك الدموية تفتك بالالوف من المسلمين في بعض البلاد تلبية لدعوة التفريق التي ينشرها الجهال بالحقائق ، وبأخطار العواقب فاندفع الامام الزنجاني بدافع إخلاصه الاسلامي وبحرارة إيمانه ، وصدق عزيمته ، الى نشر دعوته الى توحيد كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وإختار لهذه الدعوة بلدة (لكنهؤ) مركز العلوم الدينية و ـ مأوى علماء الاسلام من الشيعة والسنة ، لانها البلدة التي اختارها المبشرون سابقاً لعقد مؤتمرهم التبشيري فيها ، واتخذوا في ذلك المؤتمر قرارات هامة

ضد الاسلام والمسلمين (١)

فاقتضت حكمة الامام الحكيم أن يتخذ من مقررات مؤتمر لكنهو بشأن تفريق كلمة المسلمين ذريعة الى توحيد كلمتهم وصفوفهم وألقى عدة محاضرات قيمة تاريخية علمية، وأدبية، ودينية، واجتماعية في (ندوة العلماء) وفي مدرسة «النظامية» وفي «فرنكي محل» وفي (قيصر باغ) وفي «مسلم أكاديمي» وفي (محمود آباد) وغيرها من حفلات كانت تضم عشرات الألوف من علماء الفريقين الشيعة والسنة ووجوههما وزعمائهما لأول مرة في تاريخ ذلك البلد. فكان الامام يتدفق فيها كالسيل في كلامه على أسلوبه الجميل ونجح نجاحاً باهراً. ثم سافر الى كلكتا بدعوة من زعماء المسلمين فيها، واستقبل فيها إستقبالا عظيما، وألقى فيها محاضرته القيمة موضوعها «في طريقي الى عاصمة الحقيقة» فأفاض، وأجاد وأبدع وأثر ونجح، ونشر فيها دعوته الاصلاحية فنودي فيها بالوحدة

«١» كتاب سر انحلال الأمة العربية الصفحة ٢٩٩ نقلا عن جريدة (المؤيد) المصرية العدد ٦٦٩١ وفيه قال القس سيمون: يزعم بعض الناس أن الاسلام في الهند تنقصه الحياة، وأنه غير مرتب، وأنه صبياني، ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الاسلام في الهند بمكة وفيه يقول القسيس «ورنر» إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين، والنفرة من كل شيء غير اسلامي» وقال [وليم جيفورد بالكراف]: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة»

الاسلامية بموافقة الزعيم الاسلامي السياسي الشهير « مولانا أبو الكلام آزاد » الذي أهدى الى الامام نسخة من مؤلفه (في تفسير القرآن) الكريم ثم زاره فيها فيلسوف الهند (طاغور) وفارقه معجباً بفلسفته وعلومه ومزاياه ، وخضعت له كلكتا التي لم تخضع للسيد جمال الدين ولما وصل الامام الى بلد (لاهور) عاصمة البنجاب أستقبل إستقبالا منقطع النظير ، واتصل به جميع النوابين والعلماء والوجوه والزعماء ، ورحبوا برسالته الاصلاحية ودعوته الى الوحدة الاسلامية وألقى فيها عدة محاضرات في موضوع (الوحدة الاسلامية) والتمسه شاعر الهند والفيلسوف الاسلامي الدكتور سر اقبال فألقى محاضرات أخرى في مواضيع « الوحي والالهام » و (برهان الامامة) و « رأيي في النظرية النسبية لأنشتاين » فكانت محاضراته آية في البلاغة ودلالة على سعة العلم ، وصحة التفكير ، ونشرت بلغات شرقية وغربية

وأما مناظرات الامام في الهند وأجوبته على الأسئلة فهي تزيد على ستة آلاف مسئلة وطبعت أكثر محاضراته في رسالات مستقلة وترجمت الى عدة لغات كما طبعت عشرة آلاف نسخة من رسالة الامام (وسيلة النجاة) و « مناسك الحج » بلغة الأردو الهندية ووزعت على المسلمين والشيعة المقلدين له وعندما توجه موكب الامام الزنجاني الى بمبئي كان في موكبه كثير من المهاراجات والراجات والنوابين الذين كانوا يبكون في ساعة توديعهم الامام ويقولون « اللهم ان البركة والعظمة والسعادة تغادر بلادنا إذ يغادرها إمامنا ومنقذنا »

وفي بمبئي وجه الامام دعوته الاسلامية الى المنبوذين واقتنع بها الدكتور أمبد كار . وهكذا غادر الامام الزنجاني الهند الى العراق ناجحاً، موفقاً، منصوراً، عزيزاً .

ومن الجدير بالذكر أن سعادة السيد ابراهيم الخضيري قنصل العراق العام في بمبئي (يومئذ) أقام حفلة مأدبة غداء لشرف الامام الزنجاني دعا اليها جميع المهاراجات والنوابين والراجات وبعض وجهاء البلد فاندهش الجميع مما شاهدوه من آثار الكرم العراقي وكذلك أقامت القنصلية الايرانية في بمباي حفلة الشاي تكريماً للامام دعت اليها جميع الملتزمين في موكب الامام ولفيفاً من أعيان البلد والعلماء .

٢ أقام الأفغاني في مصر أربعين يوماً ، عام ١٢٨٥ هـ ١٨٦٩ م تردد في خلالها على الجامع الأزهر ، وخالط كثيرين من طلبة العلم السوريين ، وألقى عليهم محاضرات في مسكنه . ومهد فيها للعود اليها وغادرها الى الاستانة ، ثم رحل منها الى القاهرة عام ١٢٨٨ هـ وأقام فيها ثمان سنوات ، من مارس سنة (١٨٧١ م) الى آب (١٨٧٩) وأبرز عمل قام به في مصر هو التعليم ، فكان يعلم في بيته ، ويعلم في المقهى ، ويعلم في بيوت الأغنياء عند زيارتهم ، وخدم الأدب ايضاً خدمة تجل عن الوصف بأن اتخذ الأدب أداة للتعبير عن ارادة الجماهير وما تحتاج اليه من اصلاح ؛ فأصبح الأدب بهذا معبراً حقاً عن مطامح الشعب وغاياته ، وبه صار أدباً حقيقياً ، بعد ما كان أداة للتوسل والاستعطاف ، أو تكراراً في التقليد والمحاكاة ، وكان يشجع تلاميذه

وأصدقائه على الكتابة والنشر ، فتأسست عدة جرائد وعظم اقبال الناس اليها ثم غادر مصر مكرهاً الى الهند بعدأن دفن في أرض مصر بذوراً تتهيأ في الخفاء للنماء ، وتستعد للظهور ، ثم الأزهار ، ولكنها لم تثمر إلا بعد موته على أيدي تلامذته .

أما الامام الزنجاني فأنه وصل الى القاهرة في الساعة الثالثة (١) بعد الظهر في ١٢ شعبان عام ١٣٥٥ هـ « ٢٨ اكتوبر ١٩٣٦ » وأقام فيها خمسين يوماً فغادرها يوم ٢١ رمضان ١٣٥٥ (٢) (٥ ديسمبر ١٩٣٦ وفي خلال هذه المدة الوجيزة وجدت رسالته الاصلاحية الكبرى تربة صالحة في القاهرة فنمت ، وأزهرت وترعرعت وآتت أكلها باذن ربها في أقل من سبعة أسابيع « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

٣ كان الأفغاني يتقاضى من الحكومة المصريه راتباً سنوياً مقداره مائة وعشرون جنيهاً طيلة إقامته في مصر أكرمته به لا في مقابلة عمل كما كان يتقاضى في الآستانة من الحكومة العثمانية راتباً شهرياً مقدار سبع وخمسون ليرة .

والامام الزنجاني لم يقبل أي راتب أو هدية من أحد الملوك أو الزعماء أو غيرهم في جميع حياته وأسفاره وقضاياه في رد هبات أصحاب الجلالة والسمو مشهورة واضحة ...

« ٢ » نقلا عن جريدة « الاهرام » المصرية ٢٩ اكتوبر ١٩٣٦ - ١٣ شعبان ١٣٥٥ » وقد وصفت كيفية استقباله في القاهرة .

« ١ » نقلا عن جريدة « الجهاد » المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ - ٥ ديسمبر ١٩٣٦

٤ قال الأفغاني : « خرجت من الدنيا ولم أترك ولداً الخ »
ولكن الزنجاني كان في (لاهور) عاصمة البنجاب بالهند إذ نعي اليه ولده الوحيد (محمد) المتوفي في النجف الأشرف ولم يتغير حاله فاجتمعت علماء ووجهاء وزعماء البلد ودخلوا عليه يقدمون له التعزية والتسلية ؛ فأدهشهم أن الامام أجابهم قائلا :

(أني أستحق التهنئة ، لأن قلبي فرغ من محبة الولد لمحبة الله تعالى)

فكأن الامام الزنجاني هو المعني بقول الشاعر :

(لم يتخذ ولداً إلا مبالغة   في صدق توحيد من لم يتخذ ولداً)

٥ كان المصلح الأفغاني عصبياً دموياً ، في مزاجه حدة فتعثر بسبب مزاجه كثيراً ، ومن شهوده أنه بينما كان مقيماً في الآستانة أضمر شيخ الاسلام لذلك العهد ، حسن أفندي فهمي ، له السوء وأرصد له العنت ، حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ فرغب الى السيد مدير دار الفنون أن يلقي خطاباً في الحث على الصناعات ، واحتشد الناس لسماع المحاضرة في تلك الدار ، من جميع الطبقات العالية . وكان فيما ذكره السيد تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حي ، وأن كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن ثم قال : هذا ما يتألف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح ، وروح هذا الجسم أما النبوة ، وأما الحكمة

هنالك راح شيخ الاسلام يقيم من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام ، فأشاع أن السيد جمال الدين يزعم أن النبوة صنعة ، محتجاً بأنه ذكرها في خطاب يتعلق بالصناعات . ثم أوعز الى الوعاظ في

المساجد أن يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتبديد

وأكثرت الجرائد من الخوض في المسألة وانقسم الناس فيها شيعاً وأشار بعض أصحاب السيد عليه بأن يغض على الكريهة، ويلزم السكون والزمن كفيل باضمحلال هذه الاشاعة، وتلاشي أثرها، لكن السيد جمال الدين لج في مخاصمة شيخ الاسلام، وطلب محاكمته، حتى صدر الأمر إليه بالجلاء عن الآستانة ريثما تسكن الخواطر.

أما الزنجاني فقد سجله التاريخ رجلا حنكته التجارب، وهذبته الأيام، وقام على تكوينه وتلوينه عقل متزن، ومقول ذرب وعزم ثابت وإرادة جبارة، وجرأة نادرة، وشجاعة عظيمة، وحكمة كاملة، وفي طليعتها حلمه وصبره، ولقد أدهش العالم عامة، والمتصلين به خاصة بما أظهره من الصبر الفاره في البأساء والضراء ومن الحلم العظيم في أحرج المواقف، حتى ان المؤرخ الأديب(١) في تاريخه الحديث استهل خطابه الموجه الى الامام الزنجاني بهذه العبارة :

« ما رأيت رجلا يسمع شتمه بأذنيه، ويقرأ الطعن عليه بعينيه ثم يغضي، ويقول : ماقرأت، ولا سمعت، اللهم إرحم هؤلاء الناس فانهم في عهد كعهد رسول الله (ص) ».

ما رأيت هذا الرجل في غير برديك أيها الصابر المحتسب والعامل الجبار. أيها الطود الراسخ : إن في صفحك عن كل ما تقرأ وتسمع، وحلمك في وجه من يرى القذاة في عينيك، ولا يرى الخشبة في عينه

«١» الاستاذ الخوماني في وحي الرافدين الجزء الأول الرسالة ا ه .

وجهادك في تثبيت عزمك وتقرير خطتك ، وتوطيد محبتك في قلوب عارفيك وشانئيك وصبرك عما ينالك في طريقك الى الغاية التي تستهدف إن في ذلك كله سراً لعظمتك في النفوس ، ورهبتك في الأعين ، وخلودك في بطون الأجيال . (انتهى) .

وقد إستلهم الزنجاني هذا الحلم من تأسيه بالامام الرضا عليه السلام في قوله : « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون فيه ثلاث سنن ، سنة من الله وهي ، كتمان سره ، قال تعالى : « ولا يظهر على غيبه أحداً » وسنة من رسوله « ص » وهي مداراة الناس والصبر في البأساء والضراء ، وسنة من الأئمة (ع) وهي تحمل الأذى » .

ولكن يستشف المتتبع في ما سجل من مواقف الزنجاني صورة واضحة ، يعرف منها أن الامام الزنجاني أعرف الناس بمواضع الحلم ، فيستعمله مهما أمكن لأجل بلوغ مقصده السامي ، حتى إذا دنت ساعة الخطر ، واقتضت حكمة الحال أن يستعمل الحدة والشدة والصرامة حيث لا يفيد الحلم ، رأيت وجهه المضيء يبدوا كقطعة من الفولاذ حمراء ملتهبة ، وعينيه تصرعان بتألقهما المخيف ، كل من يقف سداً دون بلوغ الصالح العام ، ووجدته شديداً ، حاداً ، صارماً الى أقصى حدود الحدة والشدة والصرامة . ويقول بصوته القاصف الذي يتحدر من فمه كالرصاص ، كلمات نارية كأنها الفولاذ المصبوب ، ويدوي كالرعد بصيحة تصم الآذان وتضعضع الشجعان ؛ ويصرخ صرخته الداوية في وجوه الأمم والملوك ، مهما كان الموقف رهيباً مخيفاً ، كمواقفه في

« المسجد الأقصى » و « تل أبيب » و « مؤتمر العلماء الأول » بدمشق و (الجامع الأموي) ومواقفه الرهيبة في الهند وسائر الأقطار .

٦ اقتصر المصلح الأفغاني بدعوة الرجال فحسب ، ولكن عمم الزنجاني دعوته الشاملة على الرجال والنساء ، وقدمر ذكر اعتراف السيدة قوت القلوب الدمرداشية المصرية والسيدات المثقفات في دمشق بذلك

٧ لم يصل الينا من مؤلفات المصلح الأفغاني سوى « كتاب الرد على النيجريين » باللغة الفارسية ، و « العروة الوثقى » وهي مجلة اسبوعية عربية أصدرها في باريس ، كان هو مدير سياستها والشيخ محمد عبده محررها ، وكانت تتولى الانفاق عليها جمعية إسمها « جمعية العروة الوثقى » ذات فروع في الهند ومصر وغيرهما من أقطار الشرق الاسلامي تعمل على إنهاض الدول الاسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤونها وبلغ ما نشر منها ١٨ عدداً صدر العدد الأول منها في ٥ جمادي الأولى ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ ، وصدر آخرها في ذي الحجة ١٣٠١ .

وأما مؤلفات الامام الزنجاني في الفلسفة ، ومختلف العلوم من الكلام ، والفقه ، وأصول الفقه ، والتفسير ، والرجال ، والمنطق ، والعلوم الرياضية فيزيد عددها على سبعين مؤلفاً وأما خطبه ومحاضراته ومقالاته وكلماته المنشورة فلا يحصيها عد .

٨ تعمد الأفغاني ان لا يصرح بعنصره ومذهبه فصار هذا سبباً لاختلاف التاريخ فى أنه أفغاني أم ايراني ، وشيعي أو سني كما أنه كان

يغير زيه كثيراً فقد رأينا خمس صور مطبوعة له في مختلف الأزياء إحداها ممثلة بملابسه العربية ، والأخرى على غرار علماء العجم ، والثالثة بملابسه التركية ، والرابعة بملابس قضاة السنة ، والخامسة على غرار قضاة الهنود .

وأما الزنجاني فقد أعلن فوق المنابر والمنصات عن عنصره ومذهبه وله زي روحاني واحد لم يغيره في أي بلد زاره ونراه على زي واحد في ألوف الصور التي نشرت له مطبوعة في مئات الصحف والجرائد بمختلف البلاد والأقطار ولعل هذا الفارق من تطور الزمن ، أو أنه كان يرى الشرق والاسلام موطناً له ، فلم يكن عنده فرق بين أفغاني وإيراني وعربي ، كما لم يكن فرق عنده بين المذاهب الاسلامية .

٩ هبط الأفغاني مصر وكان الأزهر محصوراً في الأروقة ، وكانت دروسها محدودة ، ولم يكن أثر ضئيل من الفلسفة ومن علم الكلام في موادها ، وكانت السياسة في دور النشؤ والسذاجة على قلة رجالها فلاغرو اذا أعجبت مصر يومئذ بالأفغاني واشتهر فيها بالفلسفة والعلم والسياسة .

ولكن الزنجاني دخل القاهرة والأزهر في أوج ازدهاره بالعلوم والمناهج الحديثة ، ومعاهدها الجديدة شامخة البناء ، متسقة المناهج ، وكلياتها منتظمة ، والفلسفة من أهم مواد الدراسه في كليه أصول الدين وقد جعل من مواد الدراسة في الكليات ، تاريخ التشريع الاسلامي ومقارنة المذاهب ، وفن الحديث دراية ، وآداب اللغة العربية وتاريخها

وفقه اللغة وتاريخ الأمم الاسلامية وعلم النفس ، وقد اجتمع فيها على أساتذة التوحيد، والتفسير ، والحديث ؛ أساتذة علم النفس ، والأخلاق والفلسفة ، والتأريخ ، وسنن الله الكونية . وأما أساتذة الحقوق ، والعلوم ، والآداب في جامعة فؤاد الأول التي هي الجامعة الوحيدة في الشرق العربي ، وفي دار العلوم فلا يحصيهم العد .

وأما الساسة في مصر فانهم أقطاب السياسة في الشرق واعترف الغرب بنضوج أحزابها السياسية ، وصفوة القول أن مصر أصبحت مفخرة الشرق في العلم والثقافة والسياسة وبهذا يعد نجاح الامام الزنجاني فيها إعجازاً خالداً في التاريخ .

١٠ المصلح الافغاني حينما كان يقيم في البصرة - بعد إخراجه من ايران في سنة ١٨٩٠ م - إغتنم فرصة تفويض حكومة ايران حق احتكار التمباك « التبغ » لشركة انكليزية ، وكتب خطاباً أرسله الى سامراء لآية الله ميرزا محمد حسن الشيرازي رئيس المجتهدين ، يعيب فيه على الحكومة الايرانية هذا العمل الضار بثروة البلاد واستقلالها ثم شفعه بخطاب ثان ، وكان من أثر هذين الخطابين أن أصدر الامام الشيرازي فتوى حرّم بها على كل مؤمن تدخين التمباك ما لم تعدل الحكومة عن مشروعها ، وقد إضطرت الى العدول عنه ، ودفعت للشركة تعويضاً .

وكذلك قويت دعوة الحرية والاصلاح الدستوري في ايران حتى وقعت برأس الشاه ناصر الدين .

وبعد وفاة الامام الشيرازي بمدة وجيزة أصبح الامام الاكبر آية الله السيد كاظم اليزدي خليفة الامام الشيرازي ورئيس المجتهدين وتقلد الزعامة الدينية الكبرى في النجف الاشرف وكانت جامعة النجف ومعاهدها في عهده تنزع اليها آمال الفحول من طبقة العلماء المجتهدين الجاهزة للمراكز العلياء .

وكان الامام الزنجاني في الطليعة من صفوف كبار أساتذة هذه الجامعة ، مضافاً الى أنه كان الساعد الأيمن ، والمستشار المؤتمن للامام اليزدي ، ولقد كانت تثنى له الوسادة بين يدي رئيس المجتهدين ، وكان هو المرجع الثاني في الاحكام الشرعية والفتاوى ، اذ كان الامام العظيم اليزدي يرجع الى الامام الزنجاني كثيراً من المشكلات ، ويدل عليه العامة والخاصة ، ليسترشدوا برأيه ، ويهتدوا بهداه .

ولما قال الامام اليزدي : « يعادل الزنجاني بعلمه مائة مجتهد ، وبتقواه مائة عادل ؛ وبعقله مائة وزير » تهافتت طبقات العلماء والمجتهدين على تهنئته بهذه الثقة الغالية وكان في طليعة المهنئين له ، والمغتبطين بمرتبته العظيمة آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني (الذي أصبح الآن هو المرجع الأكبر) .

ولما أعلنت الحرب العامة الأولى في عام ١٣٣١ ﻫ اغتنم الامام الزنجاني هذه الفرصة ، واستغل منزلته السامية عند آية الله اليزدي لخدمة الاسلام والمسلمين والعرب ، فاخذ سماحته مع سماحة الامام كاشف الغطاء المعتمد الأكبر لآية الله اليزدي في تقنيع الامام اليزدي ـ رغم أنه

كان بالطبع رجلا سلبياً صلباً، يؤثر التريث على الاقتحام - حتى أصدرا منه فتوى الجهاد الدفاعي؛ ولم يكتفيا منه بذلك؛ بل ألزماه أن يبعث أرشد أولاده إلى ميدان الحرب ليتولى قيادة المجاهدين، وكان الامام الزنجاني في الرعيل الأول من المجتهدين المجاهدين، الذين كسروا شوكة الجنود الكفار وألجئوهم الى التراجع والفرار، ثم استدعاه الامام اليزدي وكان يستشيره في وضع خطط النهضة العربية الكبرى التي قام بها جلالة الملك حسين إذ كانت رسله تترى على الامام اليزدي بواسطة الامام الزنجاني فكانا يديران معه شؤون النهضة العربية الناشئة ويشجعانه على تنفيذ الخطط الضرورية، وبعد أن انتهت الحرب واستقلت المملكة الحجازية أخذ الامام الزنجاني مع أستاذه الأكبر الامام اليزدي يمهدان للنهضة العراقية الاستقلالية بهدوء واتزان.

ولكن وفاة الامام اليزدي في عام ١٣٣٨ هـ - ببت تطوراً في القضية وقامت الثورة العراقية في عهد المرحوم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي المرجع الأعلى كنتيجة للخطط التي كان الامام اليزدي قررها بارشاد معتمديه الزنجاني وكاشف الغطاء.

— ٢ —

الزنجاني والامام محمد عبده

يتصف الامام الزنجاني بكثير من الأوصاف والخصال والاخلاق السامية التي كانت للامام محمد عبده ؛ حتى أنه يخيل الى كل من يتصل بالزنجاني أنه المعني فيما وصف قاسم بك به الاستاذ محمد عبده حيث قال

بلغت به طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليه ، ويسعى الى كل نفع للغير عام أو خاص . كان ملجأ للفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأي مصيبة ؛ وأهل العلم الديني الذين هم أكثر الناس احتياجاً الى المساعدة ، لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم في ميدان حياتنا الجديدة ، يبذل اليهم من ماله ؛ ويسعى لهم عند ولاة الأمور بهمة لا تعرف الملل ؛ كأنما كان يسعى لأعز إنسان لديه ، بل كان يسعى لصاحب الحاجة ؛ وهو يعلم أنه أساء اليه ، وقدح فيه ، وتحالف مع خصومه في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنه يوماً مدة حياته . كان الاستاذ يرى أن الشر لا فائدة منه مطلقاً ، وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ؛ ويفيد في اصلاح فاعله

وكذلك نجدهما متشابهين في العمل للاصلاح الديني باعتباره أساساً لكل اصلاح في الشرق ، وفي العمل لاصلاح مناهج الدراسة والتعليم وأساليب التأليف بعزم لا يعرف دون الكمال تراجعاً ولا فتوراً .

ولكن الامام الزنجاني يمتاز بأمور نلخصها فيما يأتي .

١ الامام محمد عبده يرى أن منابع الاسلام في سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه هي الكتاب وقليل من السنة في العمل .

ولما كان الثابت بالتواتر من السنة قليلا فقد صرح الشيخ في تفسير سورة الفاتحة (أنه يجب أن يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين) لهذا توجهت عزيمة الشيخ في أخريات حياته الى العناية بتفسير القرآن عناية كانت تكاد تستغرق كل مجهوده في الاصلاح الديني .

ويرى الامام الزنجاني أن مصادر التشريع الاسلامي هي الكتاب والسنة ، واليهما يرجع سائر الأدلة وأنه لا يمكن الاستغناء عن السنة ، والاكتفاء بالكتاب وحده وقد صرح برأيه هذا في بعض الاحتفالات العامة حينما قال أحد الخطباء : « ان الوحدة الاسلامية لا يمكن أن تتحقق إلا بأن تكتفي الامم الاسلامية بالقرآن الكريم ، وتستغني عن السنة ، لأن الأختلاف الواقع في السنة هو أقوى أسباب تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً . وأيده خطيب آخر وقال :

وقع الخلاف بين الشيعة والسنة حتى فى تاريخ وفاة النبي (ص) لاختلاف الروايات في مثل هذا الأمر الواضح الذي عرفه الصغير

والكبير والرجال والنساء ساعة وقوعه لأن وفاته (ص) أعظم من موت الملوك فضلا عن الأمور الخفية التي تتعلق بها الأغراض والاهواء فاذاً لا تتحد الكلمة الا برفض السنة .

فارتـقى الامام الزنجاني المنبر ، وأثنى على حسن نيات الخطباء واستقامة منطقهم ، ولكنه تأسف على أن القرآن الكريم ينفي مطلبهم ويرد اقتراحهم في قوله تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم الخ » (١)

وهذه الآية صريحة في وجود المتشابهات في الآيات القرآنيـــة وحيث لم يبينها ولم يشخصها فلا يجوز الاستدلال بآية من آياته إلا بعد معرفة أنها من المحكمات وليست من المتشابهات ، ولا سبيل الى هذه المعرفة سوى السنة المفسرة للقرآن الكريم إذ بها تعرف المحكمات وبها يميز الناسخ من المنسوخ والعام من الخاص والرخصة من العزيمة ومن الواضح أن إهمال السنة يؤدي الى الفوضى في الاستدلال بالقرآن الكريم ، فيستطيع كل مضل وضال حتى المجسم ان يستدل بآية متشابهة من القرآن الكريم . ثم قال الامام الزنجاني :

وأما حـــديث اختلاف روايات الشيعـــة وروايات السنة في تاريخ وفاة النبي (ص) فان العادة والسيرة تقضيـان بأن

«١» سورة آل عمران

يسأل وارث الميت وأهله والصق الناس به عن تاريخ وفاته ، وهذا ما فعلته الشيعة الذين لا يروون إلا عن أهل بيت النبي (ص) فاللوم واقع على غيرهم .

٢ حوكم الامام محمد عبده مع زعماء الثورة العرابية وحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، قضى شطراً منها في سورية ، ولا نعرف له فيها أثراً يذكر ، وأقام في بيروت مدة مديدة ، فعين استاذاً في المدرسة السلطانية ، وكان يشتغل مع التدريس بالتأليف والكتابة ، فالف (رسالة التوحيد) ونقل الى العربية (رسالة الرد على الدهريين) التي كتبها السيد جمال الدين الافغاني بالفارسية ، وشرح (نهج البلاغة) ومقامات بديع الزمان الهمذاني ، ونشر في الجرائد عدة مقالات ، وفي بيروت تزوج زوجته الثانية بعد وفاة زوجته الأولى .

هذه هي آثاره في سورية ولبنان . وقد مر ذكر بعض آثار الامام الزنجاني فيهما رغم أن إقامته في لبنان لم تزد على عشرة أيام وكذلك اقامته في سورية لم تزد على شهر واحد .

وكان للامام الزنجاني أعظم الأثر في نيل هذين القطرين الشقيقين استقلالهما التام .

وسيأتي فهرس مؤلفاته البالغ عددها سبعين مؤلفاً . ونتيجة الموازنة واضحة .

٣ الامام محمد عبده مجدد في التفسير .

ووجهة الطرافة في تفسير الاستاذ محمد عبده هي حسن الطريقة في

البحث ، ولطف التصوير لمعاني القرآن على ما يوافق ذوق هذه العصور وإدراكها حاجاتها والشيخ في كلا الأمرين متأثر بمناهج الفكر الحديث

ثم إقتفى أثره الاستاذ الجوهري الطنطاوي في تفسيره القرآن الكريم على ما يوافق العلوم الحديثة والاكتشافات العصرية . وقد اغتنم الاستاذ الطنطاوي فرصة وجود الامام الزنجاني في القاهرة فاهدى إلى الامام مؤلفاته وتفسيره وزاره مرات راجياً منه أن يصرّح برأيه حول أسلوبه في التفسير .

فأعلن الامام رأيه في بعض خطبه وقال : إن القرآن الكريم منع عن هذا التفسير في قوله تعالى : (ويسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس) إذ كان السؤال عن سبب اختلاف القمر فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبب اختلاف الأهلة وان القمر يبدو للرائي أول الشهر خيطاً دقيقاً ، ويبدو في ثانيه كحاجب الأشيب ، ويستوي بعده قوساً ، ولا يزال ينموا ويدرك حتى يستوي بدراً كاملا ثم يتضاءل تدريجاً حتى لا يرى .

وهذه المسألة من مسائل علم الهيئة فأعرض الوحي عن جوابه الرياضي وبيان سبب هذا الاختلاف الذي يهم علماء الهيئة فحسب وأجاب عنه ببيان فائدة هذا الاختلاف التي تهم مجموعة البشر .

وبهذا علمنا أن وظيفة النبي (ص) إصلاح المجتمع الانساني عامة وبيان ما يهمه ويفيده وليس من وظيفته أن يكون معلماً لبعض العلوم أو يبين ما يستفيد منه البعض دون الجميع فلا ينبغي أن نأول القرآن

ونفسره بآرائنا بعد مضي ثلاثة عشر قرناً نما أعرض عنه في حين نزول الوحي .

ثم قال الامام الزنجاني : « ومن حاول أن يجاري الفن الحديث في فهم القرآن الشريف وتفسيره ، ساعياً لتأويل الآيات على حسب الزمن الحاضر ، فهو ينظر الى الزمن الحاضر نظره الى الزمن الذي إكتشف كل الغوامض والأسرار ، فأراد أن يقيس على هذا الزمن كل شيء ، ومن الواضح أن كثيراً من مكتشفات العلوم العصرية حدس وتخمين ، ورجم بالغيب ، وانه عسى أن يثبت الاكتشاف غداً ضد ما ثبت اليوم ، كما ثبت اليوم ضد ما ثبت أمس ، وأن ظواهر الكون لا تكاد تتناهى ، وانه يجوز أن يكون لها أسباب ودواع خفية هي عللها الحقيقية .

نعم من يتصفح كتاب الله المعجز الخالد بامعان يرى فيه آراء أقرها علماء العصر ، ولكن قيمته الجوهرية في غير ذلك ، ولا شيء ينقص من قدر القرآن الكريم غير التأويلات البعيدة .

ومن أثبت أن كل النظريات الحديثة في القرآن الكريم وزعم أن قيمته الجوهرية في أنه يتنبأ بالنظريات الحديثة فقد أجحف القرآن الكريم إجحافاً كبيراً ، لأن العلم الحديث وقتي زائل ، وثمرة المجهود البشري ، وهو يرتكز على قوة واحدة من قوى النفس ، وهي الفكر بعد التدقيق بالحواس الظاهرة ، أما القرآن فهو وحي إلهي معجز أنزل ليكون خالداً الى آخر الدنيا ، ويرتكز على قوة غيبية خارقة فيجب أن

يرتكز فهمه على جميع قوى النفس من فكر، وشعور وعقل، وارادة وقلب، وعاطفة، ووجدان .

أسلوب التجديد في تفسير الزنجاني .

التجديد في تفسير الامام الزنجاني يرتكز على حسن الفهم والتصوير لمعاني القرآن الكريم على ما يوافق وظيفة النبوة « ص » ويستوفي حاجات الانسانية، والحقائق الراهنة التي تستفاد من ظواهر الآيات القرآنية بأدنى تنبيه، من دون حاجة الى تجشم تأويل بعيد أو قريب قال الامام الزنجاني في تفسيره :

الانسان أكرم الكائنات على الله تعالى، خلقه في أحسن تقويم وتولاه بالالهام والتعليم، وحلاه بالعقل الفطري والقلب السليم فقال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم الخ) فأثبت التكريم الالهي لنوع الانسان وبهذا التكريم امتاز الانسان عن سائر الموجودات، وصار أشرفها وحاصلا على القدرة في استخدام مافي الوجود، وتسخير المادة وقوى الطبيعة، وأمده الله بما يناسب مطامحه من حول وقوة، ووطأ له اطراف الكائنات وذللها له حيث قال تعالى « وسخر لكم ما في الأرض جميعاً » واختار سبحانه تعالى كلمة « بني آدم » على ألفاظ (الانسان) (البشر) « الناس » ليذكرهم انهم جميعاً أولاد شخص واحد، وهذا معنى الأخوة الانسانية، والأخوة ترتكز على المحبة والمحبة تمنع النزاع والحرب فبهذه الآية يمكن أن ينال العالم ما ينشده من السلم العام .

ولكن الانسان مع هذه المنح كلها ضعيف الجسد تؤلمه النسمات

واهن الجلد تستفزه الخطرات ، شديد الهلع تستطيره الهواجس قال الله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفا » وهذا الضعف لا ينافي تكريمه ولا تناقض بين الآيتين كما زعم بعض الجاهلين ، بل هذا الضعف منشأ كرامته ، ومنبع سعادته ، لأن الضعف يولد الحاجة والحاجة تفتق وجه الحيلة فيستعمل مواهبه وغرائزه وأفكاره وقواه العقلية في الاختراع والاكتشاف ، ويتأيد بهذه الآية الكريمة ما قرر في علم الاجتماع من ان القوة البدنية تؤخر التطور الاجتماعي ، وضعفها يعجله ، لأن الفرد الضعيف يضطر الى الاستعانة بالجماعة ، والى الدهاء والحيلة ، وهما من أدوات الاجتماعية ، كما يتأيد ما قرر في علم الاقتصاد من أن الحاجة هي منشأ الفعالية البشريه ، والباعث الأصلي للحركة الاقتصادية فهي اذاً المحور الوحيد الذي تدور عليه المعاملات الكونية ، لأن الانسان المتأثر بعامل الحاجة يشعر طبعاً بوجوب العمل على تهيئه الأساليب التي تكفل له وفاء حاجاته فالحاجة تولد في نفسه الرغبة في ادراك ما تصبوا اليه وترتاح ، كما ان الحرمان يثير فيها كوامن الألم والانزعاج ، فهو لذلك يحرص على دره ما يؤلمه ، وجلب ما يلذه ، وهذه الرغبة تستدعي بذل الجهد المطلوب في سبيل الوصول الى ما يضمن للانسان وفاء حاجته من الأشياء ولما كان بذل الجهد يستدعي المشقة والعناء ، فالانسان يحاول أن يصل بأقل جهد الى أعظم المنافع في سبيل سد حاجته ومن هذا الميل الغريزي إستنبط الاقتصاديون « قانون أدنى الجهد » الذي يدعى — بحق — أهم القوانين الاقتصادية لأنه الأساس الوحيد لرقي

الصنائع والاعمال ، والملهم الأصلي لكل ابداع واختراع واليه أشير في قوله تعالى : « ليس للانسان إلا ما سعى » فالحاجة التي هي منشأ أقوى شعور دافع للانسان الى الكدح والمثابرة على العمل . تغلب ميله الفطري الى الراحة والسكون ، ولذلك كانت الحاجة هي العنصر الاصلي في الفعالية الاقتصادية ، والباعث الأقوى للرقي الاجتماعي فهي (أم الاختراع) ولولاها لتبق الانسان همِلا خاملا ، لا فرق بينه وبين العجماوات ، وهي وليدة الضعف فاذا الضعف منشأ كرامة الانسان .

ولقد أبدع الامام الزنجاني في استشهاده بآيات قرآنية في موضوع مقارنة الأديان السماوية (١) اذ قال :

إن للدين الاسلامي مزية على سائر الأديان ، حيث أن دين موسى (ع) يحتوي على جهات مادية أكثر من الجهات الروحية ، فكان موسى (ع) رجل المبدأ وصاحب الغرب ، والى هذا أشير بقوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر » والغرب رمز المادة ، كما ان الدين العيسوي يحتوي على جهات روحية أكثر من الجسمانيات ، ويأمر بالتخلي والزهد عن الدار الفانية ، فكان عيسى (ع) رجل المعاد ، وصاحب الشرق واليه أشير بقوله تعالى : « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » والشرق رمز الروح ، ومبعث الأنبياء ويشاركها في هذا الأمر ولدها عيسى (ع) لقوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » أي جعلناهما

«١» نقلا عن جريدة « الجهاد » المصرية ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦

معاً آية ، ولو أراد أن كلا منهما على انفراده آية لقال « آيتين » وانما وحد سبحانه صفتهما وجعلها آية وهما اثنان ، لان الذي أعجز منهما شيء واحد ، وذلك ان مريم ولدت من غير زوج وولد عيسى (ع) من غير أب ، فلو كان زوج لمريم لكان أبا لعيسى « ع » .

وأما الاسلام فهو لا شرقي محض ولا غربي محض بل جامع بينهما ويحتوي على السعادتين الدنيوية والأخروية ، لقد توجه شارع الاسلام نحو المغرب ، ثم الى المشرق ثم قال ما بين المشرق والمغرب قبلتي ، فهو دين الاعتدال ، ودين السعادة المزدوجة .

— ٣ —

الامام الزنجاني وابن سينا

نكتفي في عظمة ابن سينا ببيان الامام الزنجاني في قوله (١) ومن الغريب ان تاريخ الفلسفة إحتفى بالفيلسوف « ديكارت » إحتفاء عظيما وسجله زعيم النهضة الفلسفية وأباها ، ولكنه اعتبر الرئيس « ابن سينا » واحداً من فلاسفة القرون الوسطى « اسكولاستيك » ولو كان التاريخ يستطيع ان يقارن بين فلسفتيهما متبعداً عن العواطف لما كان يسجل هذا الحكم الجائر ، ونحن نعترف بأن ديكارت أول فيلسوف غربي أرشد الى وجود النواقص في فلسفة أرسطاطاليس ،

«١» نقلا عن « دروس الفلسفة » تأليف الامام الزنجاني الجزء الأول الصفحة ١٩

ووفر انتاج الفلسفة القديمة ، وأزال الخصام الحادث بين الفلسفة والعلوم الحديثة منذ القرن الخامس عشر الى عصره ، مضافاً الى أنه مؤسس الهندسة التحليلية ، وصاحب الاكتشافات القيمة في الرياضيات والطبيعيات ، وبه اهتدى الغرب الى الفلسفة الحديثة ، الى غير ذلك من أوصافه وخصاله التي تؤهله لأن يعظم في تاريخ الفلسفة ، ولكنا نجد هذه الخصال والأوصاف موجودة في الرئيس (ابن سينا) فهو أول فيلسوف شرقي وإسلامي بادر الى محاكمة أرسطاطاليس واليونانيين ، وأظهر النواقص التي في فلسفتهم ، في مؤلفه « الانصاف » وفي « حكمة المشرقيين » وعمل على خلق معارف جديدة ونظريات مبتكرة يرجع اليها الفضل في جعل الفلسفة منتجة ، قبل ان يوجد ديكارت بعدة قرون ، مع ان « ابن سينا » وجد في القرن العاشر الميلادي ؛ وفي بحبوحة عظمة فلسفة أرسطاليس واتباعه اليونانيين ، وكان عصره عصر الجمود والتقليد ، والتعصب للقديم ، وفقدان وسائل الاكتشافات ؛ فكان من حق التأريخ أن يعظم ابن سينا مثل تعظيمه ديكارت ، وأن يقدر آثار ابن سينا أكثر من تقديره لآثار ديكارت لأن ديكارت ظهر في القرن السابع عشر الميلادي ، وفي عصر كانت رغبة أهله الى التجدد والنهوض بالغة أقصى درجاتها وكانت العلوم ووسائل الاكتشاف متوفرة فيه الخ .

وصفوة الكلام ان الفيلسوف (الرئيس ابن سينا) يمتاز :

أولا - بالأدب العالي وبلاغة البيان ، وتصويره أدق معضلات

الفلسفة بأحسن تعبير كان أقصى ما يستطاع في عصره .

ثانياً - إنه أول فيلسوف جاهر بالحق ، وعبر عن اتباع المشائين من اليونانيين ، بالخشب المسندة ، ووصفهم بأنهم لا يشكون في آراء أرسطاطاليس وما أورثهم اليونانيون ، ويشكون في النهار الواضح ، ونعتهم بالعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، ثم أخذ « ابن سينا » في تمحيص آراء أرسطاطاليس واستدراك أخطائه ، مع اعترافه بفضله ، وأن صنيعه أقصى ما كان يمكن في عصره ، ثم ابتدأ ابن سينا بمحاكمة أرسطاطاليس وأتباعه المشائين ، وشرع في تنقيح آراء اليونانيين ، وقضى لهم وعليهم واثقاً بصحة قضائه العدل وحكمه الحق ، ومصرحا بأنه لم يحاول الحكم عليهم وإعلان الحق في أول أمره بل تريث طويلا لكي لا يبقى مجال للشك في صحة حكمه ، ولم يتربع على منصة الحكم والقضاء إلا بعد أن أحاط في ريعان حداثته بجميع ما أورثه اليونانيون من العلوم بدقة لا مزيد عليها وذكر أنه كان في أوائل أيامه يتعصب لهم ويغطي كثيراً من خطاياهم بأغطية التغافل ، ولم يجاهر بمخالفتهم إلا في الشيء الذي لم يمكن الصبر عليه ، حتى طالت المدة ونضج فكره وأحاط بعلوم غير اليونانيين أيضاً ثم أخذ الرئيس في المحاكمة بين المشائيين وبين الاشراقيين من الحكماء في كتاب « الانصاف » ونتيجة هذه المحاكمة ظاهرة في كتابه (الاشارات) الذي أعتقد أنه آخر مؤلفات ابن سينا وهو مظهر التحول الفكري ، والتطور الواضح في فلسفة ابن سينا ،

فنرى فيه مطالب جديدة تلائم حكمة أفلاطـون ، سيما النمط الأخير الموسوم بمقامات العارفين .

ثالثاً ـ عني ابن سينا بالمعاد حتى انه ألف فيـــه رسالة أسماهـا « الأضحوية » طلب منه تأليفها الأمير أبو بكر محمد ابن عبيد في عيد الأضحى .

رابعاً ـ كان ابن سينا أعظم متخصص في الطب مضافاً الى انه رئيس الفلاسفة ؛ وكان طبه يدرس في كليات أوربا وجامعاتها من القرن الثاني عشر الميلادي الى القرن السابع عشر .

وهذه المميزات ما عدا الأخير منها في هـذا العصر منحصرة في الامام الفيلسوف الزنجاني . أما الأول فتكفي في اثباته كلمته في أول دروس الفلسفه (١) وفيها يقول :

وبعد فما أحوج معاهدنا العلمية ، ومدارسنا القوميـة وثقافتنـا الاسلامية ، الى مؤلفات فلسفية وافية دقيقة موضوعة في أسلوب عصري سلس ، تنير العقول ، وتثير الأفكار ، وتستفز النفوس وتنفث الروح وتشحذ الهمم ، وتأخذ مآخذ الذهن .

وقد تحسست بهذه الحاجة الماسة طائفة من عيون الأساتذة ، تمتلىء نفوسهم غيرة على العالم الاسلامي ، ويجمـع قلوبهم ـ على اختلاف نزعاتهم ـ الشعور بالألم من موقف العرب والمسلمين ، فأخذوا يقدرون جهودنا في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي ، وإصلاح مناهج التأليف

---

(١) المطبوع في عام ١٣٥٩هـ. ١٩٤٠م [بمطبعة الغري في النجف الاشرف

والتعليم ، وسألوني ان أتخير لهم طائفة من الدروس التي ألقيتها في سالف الزمان على طلاب الفلسفة الاسلامية في معاهد النجف الأشرف في سنة « ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م » وأجمعها في كتاب ، مراعياً في تسجيلها وضوح الفكرة ، ودقة التعبير ، وحسن الترتيب وسهولة العبارة ، وإيجازها وايضاح النظريات الفلسفية المعقدة ؛ والمذاهب العلمية الملتوية بأوضح عبارة لا ينتاب اسلوبها غموض ولا جمود ومنتخباً من المسالك الحديثة ما ألفته طباع اهل العصر ، وما يلائم اذواق جمهور المتعلمين الذين ينظرون الى هذه الفلسفة – في اسلوبها الحاضر – نظرهم الى شيء عسير الفهم بعيد الغور ، يكد الذهن ويستنفد المجهود بلا انتاج ؛ فيعرضون عن دراستها .

بيد أني ترددت طويلا في اجابة سؤلهم ، وكان السر في ذلك أني كنت أرى أن كتاب (تطور الفلسفة) أحرى بالتقديم وأوفى بالغرض ، ولكنهم عادوا ملحين ، ومستحثين ، وكلما زدتهم إعتذاراً زادوني إلحاحاً ، قائلين : ان كتاب تطور الفلسفة لا يناسب الا الخاصة بل خاصة الخاصة ، ولكن هذه دروس أولية يعم نفعها وتكثر فائدتها ، فلم أجد لي من المطاوعة بما أرادوا مفيضاً .

واما الثاني فان الفيلسوف الزنجاني في كتابه دروس الفلسفة من الصفحة ١٣ الى ٤٤ اخذ في محاكمة (ديكارت) و « داروين » و (كانت) و « جاليلية » و « كوبرنيك » و « انيشتاين » وتمحيص آرائهم وموازنتها مع نظريات « ابن سينا » و « الفارابي »

و ﴿ الطوسي ﴾ و ﴿ ابن رشد ﴾ و ﴿ اصحاب اخوان الصفا ﴾ و ﴿ ابن مسكويه ﴾ و ﴿ ابن خلدون ﴾ و ﴿ صدر المتألهين ﴾ وحكم لهم وعليهم بما لم يسبق له نظير في تاريخ الفلسفة وظهرت نتيجة هذه المحاكمة في كتاب ﴿ تطور الفلسفة ﴾ وفيه يقول الامام الزنجاني :

فاتضح ان الفلسفة الاسلامية زاخرة بالمبدعات والمبتكرات وكنوز الحقائق الراهنة في جميع انحاء المعارف الانسانية السامية ، وأنها تساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الانساني في العالم المتحضر ، وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة ، بل من أعظم مصادرها .

ولكن ليس من العدل أن نجشم هذه الفلسفة أن ترتصد ـ بظهر الغيب ـ لاصابة كل ما يجد من التجارب والأفكار بعد ألف عام

وليس المقصد من ذلك (نبذ الفلسفة الحديثة) كلا فان كلا من الفلسفتين قوة عقلية جاهزة ، وعدة فكرية ناهضة يجب إستغلالها ، ولا يجوز الاستغناء عن كل منهما .

بل يجب أن نضم نفائس (الفلسفة الحديثة الغربية) الى حقائق (الفلسفة القديمة الشرقية) على ضوء العقل والروية ، لنستخلص منهما مزيجاً إصلاحياً خالصاً ، وفلسفة قويمة صالحة للحياة والبقاء ، وكذلك أراد الله أن تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث ولن تجد لسنة الله تبديلا . انتهى

وأما الثالث فان إمتياز الزنجاني فيه واضح كما صرح به في دروس الفلسفة فقال في الصحيفة ١٠١ :

٤ البحث عن المعاد الروحاني ، وانما خصصوا المعاد بالروحاني ، لاعتقادهم بأن المعاد الجسماني لا يمكن اثباته بقواعد الفلسفة ولذلك قال «ابن سينا» في « الشفاء » المعاد (منه) ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى إثباته الا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة (ص) وهو الذي للبدن عند البعث ، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد (ص) حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن و « منه » ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة التابعتان للأنفس اه

وتصدى (صدر الفلاسفة المتألهين) لاثبات المعاد الجسماني بالبراهين الفلسفية ، ولكن المعاد الذي أثبته جسماني في الاسم فحسب .

والسبب في ذلك ان الفلاسفة إعتقدوا بأن للمادة الجسمية لوازم يستحيل انفكاكها عنها في جميع أطوارها الوجودية . ولذلك لا يتكون الجسم المادي الا من العناصر عن طريق طبيعي ولا ينموا الا بوساطة الأخلاط ، وقالوا بالتلازم بين الصورة وبين المادة في الوجود ، ومن المسلمات عندهم انه لا يمكن وجود المادة في الخارج بدون تلك اللوازم والمعاد الجسماني بزعمهم يقتضي وجود المادة في الخارج من دون لوازمها

ونحن بعون الله تعالى أثبتنا نظرية لم يسبقنا اليها غيرنا فيما نعلم ، وهي : أن اللوازم التي إعتقد هولاء أنها لوازم المادة ليست في الحقيقة ونفس الأمر من لوازمها ، وإنما هي من لوازم النشأة ووعاء هـــذا الوجود الدنيوي فمن الممكن أن توجد المادة الجسمية في خارج الذهن

وفي نشأة الآخرة بدونها ، وحيث أن الزمن يرينا في كل يوم أن الاراء القديمة في قصر الاجسام على خواص معينة وفي حد الغايات بوسائل خاصة اراء باطلة ، فينبغي أن لا تعتمد الفلسفة عليها ؛ وقد شيدنا أساسها في كتاب تطور الفلسفة وفي رسالة « المعاد الجسماني » ونوهنا بها في تضاعيف « دروس الفلسفة الآلهية » عسى أن تكون من الآثار الخالدة . « انتهى كلام الزنجاني »

— ٤ —

الزنجاني والطوسي

١ الفيلسوف الأعظم الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي جدّد الفلسفة بل أحياها في القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن أشرفت على الزوال ، وكاد ان لا يبقى لها اثر في عالم الوجود من جراء كثرة تشكيك فخر الدين الرازي في الفلسفة حينما شرح كتاب « الاشارات » لابن سيناء حتى لقب الرازي « بامام المشككين » فقيض الله تعالى الخواجة نصير الدين الطوسي لحفظ الفلسفة فألف كتاب « شرح الاشارات » واقتصر فيها على بيان مراد الشيخ ابن سينا ؛ وتوضيح مقاصد الفلاسفة فاندفعت تشكيكات الرازي بأسرها التي كانت ناشئة من عدم فهم مراد ابن سيناء ومقاصد الفلاسفة .

اما الامام الزنجاني فانه احيى المبادىء الفلسفية والمنطقية ، واصول إقليدس الهندسية ، وقوانين « نيوتن » الميكانيكية بنقضه النظرية

النسبية ﴿ للدكتور ألبرت أينشتاين ﴾ التي قلبت نظام العلم والفلسفة، وأثرت في اصول إقليدس ومبادىء حكماء يونان الفلسفية والمنطقية، وقادالعلماء الى ما وراء افكارهم الحاضرة حول المسافة والوقت والمادة حتى إقتنع اينشتاين بفساد نظريته.

وكذلك جدد الامام الزنجاني الفلسفة الاسلامية، وكشف عن عظمتها، واثبت انها الحلقة الغالية المفقودة من سلسلة تاريخ الفلسفة وقال: في دروس الفلسفة ﴿ إنتقل تاريخ الفلسفة من العصرين الأغريقي، والمسيحي الى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادي الى القرن السابع عشر، ولم يعبأ بالعصر الاسلامي، ومن الغريب كل الغرابة اجماع مؤرخي الفلسفة من الغربيين على الاغضاء عن الفلسفة الاسلامية التي هي حلقة قيمة غالية من سلسلة التفكير الانساني والحياة العقليه البشرية حيث اجمعوا على إن مدرسة الاسكندرية، وهي ﴿ الافلاطونية الحديثة ﴾ كانت آخر مصباح شع نوره على العقلية البشرية، ثم خبا، فجمد بخبوه الذهن الانساني جموداً طال مداه أكثر من إثنى عشر قرناً أي من القرن الرابع الميلادي الى نهوض ﴿ ديكارت ﴾ و ﴿ باكون ﴾ في القرن السابع عشر، واعتذر عنهم بعض الشرقيين بأنهم عنوا عدم الابداع والابتكار في الدور الاسلامي لأن الفلسفة الاسلامية لا تزيد على انها نظريات يونانية بحتة ولذلك نقرأ في الكتب الغربية: أن العالم مدين بحرية الفكر لليونان وان فضل العرب والمسلمين لم يكن الانقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى

أوربا ، وان المسلمين لا نصيب لهم من العلم الا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم في أهوائهم ، وان العلوم الاسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان ، وأفكار اليونان بل على أوهام اليونان .

ومنشأ هذه الأوهام هو الجهل بالفلسفة الاسلامية والغفلة عن أن الدور الاسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري ولم يكن إنتاج هـذا الدور منحصراً في إحياء بعض النظريات القديمـة ، بل كان عهد الابتكار والنظريات الجديدة القيمة باعتراف الغربيين ، وهل يتصور ابتكار أو ابداع ؟ اعظم مما صدر من فيلسوف الاسلام ومجدد الفلسفة (الخواجه نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي) في القرن الثالث عشر الميلادي ، من نقض القاعدة اليونانية القديمة (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد) التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية ، وقاعـدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة الى عصره ، وكانت مبتنية عليها أسس (الهيئة القديمة) والمباحث الفلسفية الكثيرة ، كمباحث العقول العشرة وما يتبعها التي ضخمت بها الأساطير ، واتسع فيها نطاق الكتب الفلسفيـــة والرياضية ، فانهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة (كوبير نيك) و (جاليلية) بعدة قرون وأعجب ما في الأمر هو أن « فيلسوف الاسلام الطوسي » اتخذ من ملاك برهان اثبات القاعدة المذكورة دليلا على نقضها .

وهل يوجد ابتكار أبدع من نظرية (الحركة الجوهرية) التي هي أساس مبدأ التحول والتطور وناموس النشوء والارتقاء بأصح المعاني

وقد اكتشفها « صدر الفلاسفة المتألهين محمد بن ابراهيم » في القرن السادس عشر الميلادي ، وقررها على اساس برهاني متين واثقاً من انها حقيقة راهنه فاتخذ منها برهاناً على اثبات الصانع ، ودليلا على حدوث العالم وكان ذلك قبل ثلاثمائة سنة من ولادة (دارون) في سنة ١٨٠٩ م وزملائه الذين نسبت اليهم هذه النظرية التي فسروها بمعنى محدود قاصر لا يساعده برهان ولا تدعمه تجربة صحيحة فاتخذ منها « شبلي شميل » وغيره سبيلا الى الالحاد وانكار الصانع ، لأنهم لم يصلوا الى حقيقته الصحيحة البرهانية . وقد كان دارون نفسه معترفاً بأنه لم يصل الى حقيقتها ، وبأن آرائه تخمينية وأن نظرية « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي » إنما بنيت على مجرد الظن بل كان يعلم أنه سوف يتضح فساد بعضها فقال في كتاب « اصل الانسان » إن كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينية للغاية ولا اشك في انه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكني قد اوضحت الأسباب التي ساقتني الى التمسك برأي دون رأي اه

وقد صح تنبؤه إذ اثبتت التجارب الحديثة فساد نظريته ، بالمعنى الذي فسرها به وابلاها التفكير الحديث واتفق العلم والمشاهدة على بطلانها ، وفندتها كبار الفلاسفة الروحيين واعلام المفكرين وجهابذة العلماء المتضلعين واثبتوا ان مايسمونه « الانتخاب الطبيعي » و « قانون التطور النوعي » ما هو إلا ضرب من ضروب الخيال ، ولكن شائت كرامة شرذمة من الذين يزعمون لأنفسهم الاستنارة في هذا القرن

أن يتباهوا عجباً وتيهاً بالانتصار لهذه النظرية المحرفة التي نبذها أصحابها خجلاً منها وترفعاً عن نسبتها اليهم .

هذا مضافاً الى أن جماعة من فلاسفة العرب والاسلام ، أمثال (ابن مسكويه) و (ابن خلدون) و (أصحاب إخوان الصفا) سبقتهم أيضاً الى القول بنظرية التطور بالمعنى الصحيح ، ولذلك قال الاستاذ الامريكي (دريبر) في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) :

إن مذهب النشؤ والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس في مدارس العرب المسلمين ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا إليه ، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضاً اه ... الخ

ولم يقتصر الامام المجدد الزنجاني باحياء الفلسفة العامة ولا بتجديد الفلسفة الاسلامية بل أسبغ ايضاً تجدداً على فلسفة أفلاطون استنقذها به عن التشويه والاضمحلال حيث قال في (دروس الفلسفة) الصفحة ٥٧

ان المفكرين في بعض الأمم الغربية السائدة فيها مذاهب (الشيوعية) و « الاشتراكية المتطرفة) و (الفاشستية) و « الاشتراكية الوطنية » يحاولون أن يبرروا التعاليم التي يحاولون أن يسيطروا بها شتى المذاهب الفلسفية والعلمية القديمة والحديثة ، ويحاولون أن يستخرجوا منها صوراً خاطفة جذابة يلمح الرائي في خطوطها أوجهاً قريبة الشبه بمبادئهم ، ولذا قام فيهم من يحاول اثبات الروابط الوثيقة التي تصل (التعاليم السياسية والاجتماعية) التي جاءت في كتاب (الجمهورية) المنسوب الى الحكيم

الالهي ﴿ أفلاطون ﴾ بتلك المذاهب المتطرفة المغالية ، حتي قبل أن الفيلسوف أفلاطون أول من ألف في الشيوعية ، فقد وضع كتاباً سماه ﴿ الجمهورية ﴾ ووصف به شعبا يعيش عيشة خيالية ، ثم تبعه (توماس موروص) في القرن السادس عشر الميلادي ، ووضع كتاباً أراد فيه إنشاء جزيرة وهمية يحكمها رجال القضاء بسلطتهم الأدبية ولا يملك الفرد فيها حرية التصرف في نفسه وبشؤونه الشخصية ، ثم ألف (كامبانه للا) الايطالي كتاباً أسماه (مدينة الشمس) وشرح فيه شيوعية النساء ، وطلب توزيع المال والأرض ، ثم تطورت الشيوعية الى الفوضوية حتى إنتهى الأمر الى (كارل ماركس) رسول الاشتراكية ، فوضع مبادىء (الشيوعية الحديثة) أو (الاشتراكية المتطرفة في القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم انعقدت مؤتمرات شيوعية وتطورت أغراضها ، فعقد في سنة ١٨٦٤ م (الانترناسيونال) الاول ، وبعده بخمسة عشر عاما عقد الانترناسيونال الاشتراكي الثاني ، ثم عقد (كومنترن) ولا يزال هو القوة التي تدير الحركة الشيوعية في العالم ، والشيوعية من أعظم التجارب الاقتصادية هولا وأشدها خطراً ، ومع أن هذه التجربة ليست جديدة فان إهتمام العالم بها لم يزل عظيما ، فتكونت من جميع ذلك عند العلماء مسئلة ، وهي : هل كان الحكيم الالهي «أفلاطون» شيوعياً ؟

ولكي نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال بجواب علمي صحيح يجب علينا ان نلم بأصول فلسفة أفلاطون ، والظروف التي أحاطت به والتي كانت بارزة الأثر في مذهبه ، ونشرح المدلول العلمي المحدود

لكلمة « الشيوعية » فانه يكاد أن يتلاشى في جو عاطفي تتجاوب أمواجه بأصداء الاعجاب والثناء ممزوجة بأصداء الذم والكراهية ، فنقول ... الخ

وبعد أن بحث الامام الزنجاني في هذه المواضيع بأدق نظره في ما يزيد على عشرين صفحة إستنتج منها مانصه :

« النتيجة »

اذا لاحظنا ما تقدم نصل منه الى النتيجة الآتية :

وهي أن (الشيوعية) وليدة المذهب المادي الالحادي ، وهي تحارب الأديان وتناقض الأخلاق والفضائل ، وتستلزم الدكتاتورية وتنكر كل مالا يقع عليه الحس ، وترفض شرف الانسانية الذي هو ركن القانون الخلقي ، وتقاوم الفطرة والطبيعة ، بتوجيه القوى النفسية والجسمية الى غير ما خلقت له .

وأن الفاشستية ، و (الاشتراكية الوطنية) تناقضان المذاهب العقلية ، وأصول الحرية الطبيعية ، ومكارم الاخلاق الفاضلة ، وتعاليم الأديان الآلهية .

وأن « أفلاطون » حكيم عقلي وتأكيدي ؛ وآلهي ، وديني ، وخلقي ، وديمقراطي ، وقائل بوجود المجردات والموجودات الغير المحسة وبشرف الانسانية ، واحترام النواميس الفطرية والطبيعية ، وبالجملة معتقد بكل ما يناقض الشيوعية الاباحية ، والفاشستية ، والاشتراكية المتطرفة ، والاشتراكية الوطنية ، تمام المناقضة ، إذاً فلا مسوغ لأن

ينسب اليه اقول بهذه المذاهب الفاسدة .

وأما كتاب « الجمهورية » فلم نجد في المصادر الصحيحة من الفلسفة الاسلامية أنه من مؤلفاته ، ولذا يرجع ذلك الى اعتبار دينى وكراهة الشرع الاسلامي ؛ والطبع العربي أيضاً أن يشترك الناس في النساء وسائر المقتنيات ، وأمثال ذلك مما جاء في ذلك الكتاب لأن الفلسفة الاسلامية لم تغادر من مهمات الفلسفة اليونانية ، وآراء فلاسفة اليونان صغيرة ولا كبيرة إلا احصتها ، حتى انها سجلت جميع المذاهب المادية الالحادية التي تناقض الاسلام في صميم اصوله واركانه

وعلى فرض التنازل وتسليم انه من مؤلفاته نرى من المتعذر إثبات ان جميع ما جاء في « الجمهورية » بحذافيره من آرائه ، اذ من الجائز أن يكون بعض الماديين الملحدين من خصوم أفلاطون ومعارضيه في العقيدة قد دسوا في هذا الكتاب على افلاطون بعض آرائهم الالحادية ونتائجها ، سيما ان الدس كان عادة مطردة عندهم فانهم تظاهروا كثيراً ما في مختلف الأشكال والمظاهر ، وتوسلوا لترويج عقائدهم الفاسدة بمختلف الطرق وشتى الوسائل .

وعلى تقدير تسليم انه بحذافيره له ، فقد سجل تأريخ الغرب ان أفلاطون بعد نضوج فكره بالتجارب العملية عدل عما اثبته في الجمهورية الى الخطة العادلة التي رسمها في كتاب (القوانين) .

ولكن الأنسب بسمو منزلة أفلاطون وعظيم شأنه في الفلسفة ان نقول — على فرض تسليم ان ما جاء في الجمهورية بحذافيره له —

انك عرفت فيما قدمنا ان في عهد افلاطون ارتكبت الهمجية الديكتاتورية تفريطات في الحكم إستدعت ما يقابلها من الافراطات ليحصل التوازن بين الشقين المتنابذين ، ويؤوب الى الاعتدال من هدى الله تعالى من اصحاب الفطر السليمة ، وهي سنة من سنن الخالق تشاهد في كل خطوة من خطوات الأفراد والأمم ، ومؤيدة بقاعدة عقلية ضرورية مسجلة في « الفلسفة » وفي علم النفس ، وهي : ان الوسط لايمكن تحققه إلا بعد تحقق طرفيه و « الاعتدال » هو التوسط بين طرفي الافراط والتفريط فلا مندوحة لكل من يروم الانتقال من تفريط الهمجية الارستقراطية الديكتاتورية الى التعديل والاعتدال ، من أن يسلك طريق الافراط ، وهذا هو الذي دعا أفلاطون الى ان اتخذ من طريق الافراط وسيلة لكي يتوصل بها الى الاعتدال .

فصفوة القول ان الجواب العلمي الصحيح عن المسألة التي عقدنا هذا البحث للاجابة عنها ، والأخرى التي ظهرت بالمشاكلة في أثنائه : إن الحكيم الآلهي « أفلاطون » لم يكن شيوعياً . ولا فاشستياً ، ولا اشتراكياً وطنياً ، ولا مغالياً اه

٢ قال الطوسي للعلامة الحلي : إني أوردت شكوكاً ضعضعت أسس العقائد الباطلة وسهلت لك أن تزيل هذه العقائد الباطلة عن قلوب المسلمين ، وعليك أن تزرع في مكانها مبادىء العقائد الصحيحة ، فتم ما أراده الطوسي بعد وفاته بجهود العلامة الحلي .

ولا خفاء في أن الزنجاني منفرداً أزال العقائد الباطلة المفرقة عن قلوب

المسلمين وزرع في مكانها المبادىء الصحيحة الموحدة ثم تعهدها ورعاها حتى نمت، وأثمرت، وأينعت وآتت أكلها باذن الله تعالى .

٣ إستعان الطوسي في إصلاحه الديني بالملوك وتقلد منصب الوزارة حسب اقتضاء الظروف المحيطة به واتخذ من السياسة وسائل لنيل مقصده الاصلاحي .

واستعان الزنجاني بالله تعالى واتخذ من علومه وتدابيره واخلاصه وتوكله على الله تعالى وسائل الاصلاح الديني ، ورفض كل ماعرض عليه من المناصب والأموال ، وإبتعد عن السياسة الباطلة قائلا :

« السياسة جمرة نار أحسها ولا ألمسها »

-٥-

الزنجاني والعلامة الحلي

ما أعظم شأن المصلح الأكبر رئيس المجتهدين آية الله العلامة الحلي جمال الدين (حسن بن يوسف بن المطهر الحلي وما أجل آثاره وما قام به من أعمال جبارة تاريخية لا تزال تشع وتلمع في أفق الاصلاح الديني منذ القرن السابع الهجري حتى العصر الحاضر .

لم يقتصر العلامة الحلي على تدريس ثلاثمائة مجتهد كانوا يحضرون يومياً في حلقة درسه عدا طلاب العلوم العقلية الذين كانوا يدرسون عنده الفلسفة وعلم الكلام . ولا على مؤلفات ألفها في مختلف العلوم والفنون العقلية والنقلية تعد بالمئات ، بل سافر الى إيران وحسم فيها

النزاع الديني البالغ يومئذ أقصى حدود الشدة بين الطوائف الاسلامية وألقى خطبته المشهورة في بلاط الملك الحنفي (أو لجايتو محمد خدابنده) في مجلس عام حضره الملك وجميع كبار علماء المذاهب الأربع ، ونجح نجاحاً باهراً ، وترك آثاراً خالدة لا تقبل الامحاء أبداً ، ومن الجدير بالذكر أن العلامة الحلي راعى استقلال العلم في مؤلفاته ، فالناظر في تعليقاته على كتاب الشفاء لابن سينا يجده فيلسوفاً في مستوى ابن سينا ولا يظهر له أنه عظيم الفقهاء والمجتهدين ومن يطالع مؤلفاته الفقهية لا يجد فيها مسحة ولا أثراً من فلسفته . وهكذا في سائر العلوم .

وقد ترسم الامام الزنجاني خطوات العلامة الحلي فانه أيضاً لم يقتصر على التدريس والتأليف بل سافر ايضاً الى الاقطار الاسلامية والعواصم العربية وألقى عشرات الخطب في مجالس كانت أعظم من مجلس العلامة الحلي .

واقتنع بخطب الزنجاني الملوك والأمراء وعلماء المذاهب ومختلف طبقات الأمم ولكن المقتنع بخطبة العلامة الحلي كان هو الملك وحده دون العلماء الحاضرين .

ومن يتصفح مؤلفات الزنجاني يعرف انه ايضاً يراعي فيها استقلال العلم ولكنه يماشي ايضاً فيها ناموس الارتقاء ، وتطور العلوم فيضيف الى الفلسفة القديمة نفائس الفلسفة الحديثة ويسجل في علم الفقه أسرار التشريع الاسلامي ، وكذلك يتمشى تجديده في التفسير والكلام وغيرهما من العلوم النقلية والعقلية .

ترجمة

الامام الزنجاني

نقلا عن مجلة « العرفان » اللبنانية

الجزء الثاني : المجلد ٢٨ : ١٢ ذو القعدة ١٣٥٧

٣ كانون الثاني ١٩٣٩



«الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني»

﴿ أسرتـــه ﴾

نجم سماحة الحجة « الشيخ عبدالكريم الزنجاني » من أسرة عربية علمية شريفة كريمة عريقة في المجد ، كانت ساكنـــة في بلدة

(النجف الأشرف) بالعراق بمحلة (شرفشاه) الواقعة في (حي العمارة) منذ أقدم عصورها .

وكان جده الأعلى حجة الاسلام الحاج ﴿ الشيخ محمد العلي ﴾ من أعيان العلماء المبرزين ، وهو الذي هاجر من النجف الأشرف الى بلاد إيران في سنة ١٢١٧ هجرية لاختلال الأمن في تلك البلاد المقدسة بعد إغارة الوهابيين عليها فاحتفت الأمة الايرانية لقدومه الى بلادها باجلال وإعظام ، واستقبله جلالة ملك إيران من بلدة (قم) فزار مشهد الرضا (ع) ثم طاف في بلاد ايران بدعوة من أهاليها ولرغبتهم في الأخذ من بركاته ، وتوزيع كراماته حتى دخل بلدة ﴿ زنجان ﴾ (بلدة جميلة واقعة بين قزوين وتبريز) فاستقبله مجتهدها الأعظم السيد محمد المعروف ﴿ السيد المجتهد ﴾ وهو الذي سجلت اصلاحاته الدينية وأعماله الجبارة التأريخية في كتاب ﴿ ناسخ التواريخ ﴾ تأليف لسان الملك

رغب السيد المجتهد الى العلامة الحجة ﴿ الشيخ محمد الحسن ﴾ نجل حجة الاسلام الحاج الشيخ محمد العلي في مصاهرته ، وبقبوله تلك المصاهرة تمت اقامته في زنجان ، وأصبح زعيما عظيما ومرجعاً دينياً وملك أزمة الحل والعقد وأربى سنه على مائة وأربعة وعشرين عاماً . وله مؤلفات عدة في الفلسفة والعلوم الدينية .

أنجبت كريمة السيد المجتهد للحجة الشيخ محمد الحسن ابنه الوحيد العلامة الحجة ﴿ الشيخ محمد الرضا ﴾ وكان على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والنبوغ والعلم ، وآية في صحة الرأي فأحسن التدبير والتنظيم

إختصه خاله إمام الجمعة ، ﴿ الميرزا عبد الواسع ﴾ نجل السيد المجتهد بمصاهرته ، فولد للحجة الشيخ محمد الرضا من كريمة امام الجمعة إبنه الوحيد صاحب الترجمة ، علامتنا الامام الحجة ؛ معجزة القرن العشرين سماحة ﴿ الشيخ عبدالكريم الزنجاني ﴾ في سنة ١٣٠٤ هـ يوافقه عدد حروف الآية الكريمة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ .

﴿ نشأته ﴾

نشأ الحجة الزنجاني في النسب والغنى ، ودخل المدارس العلمية والفلسفية والدينية في مختلف البلاد ، وفاق أقرانه وصرف كثيراً من استعداده التام الى تمرين تلك الموهبة العظيمة التي خصه الله بها حتى إستاثر بجميع العلوم العقلية والنقلية ، وما برح له السبق حتى أصطفى لحضور الدروس العالية الفلسفية ، والدينية المعروفة بأسم ﴿ البحث الخارج ﴾ فخرج منها بأعلى شهاداتها ، ونال إجازة الاجتهاد من فطاحل أعلام عصره وسنه لم تشرف بعد على العشرين .

حدثنا من رآه تلميذاً في المدارس العلمية يزور مع والده وخاله إمام الجمعة عالماً من أجل علماء عصره فأخذ هذا الفتى يجادله في مسائل من علوم الدين وأبحاث فلسفية مجادلة الأكفاء ويحاوره في تعاليل أحكامه محاورة النظراء ، حتي إنبعث لسان الشيخ العالم بتسبيح من خلق هذا الغلام .

هبط الحجة سماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني الى النجف الاشرف منذ نيف وثلاثين سنة فاستفاد من علومه أعيان علمائها واتصل به كثير



صورة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في السنة التي نال فيها الشهادة العالية و (اجازة الاجتهاد) بعد ان اكمل الدراسة النهائية الدينية والفلسفية واستقل بالتدريس سنة ١٣٢٥ هجرية المصادف ١٩٠٥ ميلادية .

من أهل المواهب والذكاء وكان يعلمهم من علومه على منهاج صالح .

وقد أمد الحجة الزنجاني أذهان تلامذته الى كثير مما يحيط بهم ففجر عقولهم ، وجرأ قلوبهم ، ودرب ألسنتهم على المنطق والمغالبة بفنون الجدل والبرهان ، وعودهم الجهر بالرأي دون الخوف من أحد وفي ثنايا هذه كان يبعث في نفوسهم دعوة إصلاحية جريئة فأنار لدعاة الاصلاح طريق الدعوة ، وعلمهم كيف يكون الصبر والاحتمال في

سبيلها ؛ وسماحة الحجة الزنجاني من مراجع التقليد للمسلمين في الأقطار العربية ، والهند ، وايران ، وأفريقيا ، والصين وغيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اكرم العلماء بجعلهم ورثة الأنبياء والصلوة والسلام على
سيد الرسل والأولياء وعلى آله البررة الأزكياء وبعد فان افضل اعمال
اهل العلم مدارسته وذكره وتعليمه ونشره واعلاء شان حملته وتنزيل كل في مرتبته
ولما كان العالم الفاضل والمجتهد التقي العادل جامع المعقول والمنقول
الشيخ ميرزا عبد الكريم الزنجاني ادام الله بركات وجوده ممن طالت معه
المعاشرة وكثرت المحاورة والمذاكرة فما وقفنا منه على علم كثير وفضل جم
واحاطة بالأحكام واجتهاد في مسائل الحلال والحرام واقتدار على تطبيقها
مستنبطا فروعها من اصولها وقد استجاز منا ان يروي عنا ما نرويه
نحن عن علمائنا الأعلام واساتذتنا الكرام فأجزناه إجازة علمية تقتضاه
لحقه واعترافا بعلمه وفضله مؤكدين عليه وعلى انفسنا مهما امكن العمل بالاحتياط
وتجنب طرفي التفريط والافراط سائلين من الله تعالى ان يوفقه للارشاد
والهداية كما هو شأن امثاله وان يرزق المؤمنين للاخذ عن جنابه
والمراجعة اليه بما يسعه الله تعالى في الأحكام الشرعية والحمد لله رب العالمين

صورة « اجازة الاجتهاد » الصادر عن آية الله الكبرى رئيس المجتهدين والمرجع الأعلى للمسلمين « السيد محمد كاظم اليزدي » الطباطبائي بخطه وتوقيعه وختمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اكرم العلماء ، وجعل مدادهم افضل من دماء الشهداء
والصلوة والسلام على اشرف الأنبياء ، محمد وآله البررة الأذكياء اما بعد
فان العالم المتبحر الجليل العامل والمجتهد الورع التقي العادل جامع
المعقول والمنقول عين اعيان العلماء الفحول قدوة الفقهاء الأعلام
حجة الإسلام الشيخ العظيم حضرة الآقا الميرزا عبد الكريم الزنجاني
دام ظله حري بأن يجيز وأجل شأناً من أن يستجيز كيف ؟
وهو دام ظله قد تربع منصة الأفتاء والقضاء وصار مرجعاً للتقليد
منذ زمن بعيد بأجازة علية من سيدنا الأستاذ الأكبر
آية الله العظمى حضرة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره
لكني أردت أداء بعض التكاليف الواجبة بالتنويه بمراتبه
السامية في درجات العلم والأجتهاد والتصريح بلياقته الكاملة
وأهليته التامة للأفتاء والأرشاد فللناس أن يقلدوه ويقتبسوا
من علومه الباهرة النافعة ويتبعوا فتاويه وآرائه الساطعة
فأنه دام ظله من أدلة الرشاد والحمد لله رب العالمين

٤ صفر الخير ١٣٤٥ محمد الحسيني اليزدي الفيروزآبادي

صورة تصديق « الاجازة » الصادر عن آية الله المجتهد الأكبر

« السيد محمد الفيروز آبادي خليفة الامام اليزدي »

خصاله

من الغرور أن أظن بقلمي الوفاء بوصف خصال الحجة الزنجاني مهما تفرج له في جوانب البيان ، فان البيان إنما يجري في غايته الى ما شاهده الناس من الشمائل والطبائع أما تلك المكارم السامية والخصال العالية ، والصفات اللامعة التي لا يترامى له حد فذلك ما يقصر من دونه البيان .

هو آية عظمى من آيات العلم والدين يدوي بها الشرق كله وعبقري بقدر ما يمكن ان تأذن به هذه الكلمة ؛ بليغ فى الفضل عظيم في جميع مزاياه من جميع النواحي ، هو المثل الأعلى للعلم والعظمة وشدة العقل والكفاية والعزم الجبار والذكاء العجيب وسلامة الفهم والتبصر بالأمور والرأي السديد تنقطع من دونه جهود التفكير ، وهو جبار العقل والبيان والقلم عذب الروح حلو الحديث زينة المجلس ، حاضر النكتة يرسلها في موضعها في توقر وإحتشام ، وهو متسعر الذهن ، ملتهب الذكاء حاد الفطنة ؛ تطرح عليه القضية وهي تحتاج الى تسريح النظر وإجالة الفكر وترتيب مقدمات القياس فتراه ينحط بك الى النتيجة الصحيحة السليمة قبل أن تتم لفظك وتفرغ من قولك ليست فطنته بأية حاجة الى أن تتسكع على مقدمات القياس حتى اذا استوثقت من سلامتها أقرتها في مواضعها ، ثم استخرجت النتيجة في هوادة ومطمئن أناة ، بل يمر بذهنه على هذا كله مر البرق الخاطف فيقبض على النتيجة الصحيحة في أسرع من رد الطرف .

الحجة الزنجاني من أحسن الناس بياناً، وأشد خلق الله حجة وأمضاهم قولا، لقد يقف في الجمهرة والناس أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه، فما يزال يدور على مواطن إحساسهم يجسها من هاهنا ومن هاهنا في رشاقة وخفة قول ولطف شاهد وبراعة نكتة حتى إذا آنس من الآذان تطامناً من جماح واسترخاء بعد عصيان هجم منها بأجمعه على النفوس فظل يهزها هزاً، ويرجها رجا، فما الليث إذا زأر ولا البحر إذا زخر بأشد صولة على الأسماع من الحجة الزنجاني يتدفق في الكلام فما يروعك من هذه الجماهير الواجمة إلا أن تراها برغمها قد أرسلت حناجرها بالهتاف، وبعثت أكفها بالتصفيق المرتفع الى السماء فلا يرى إلا أفواه مفغورة من إعجاب ومن افتتان، يحكم للحجة الزنجاني بهذا مختلف الطبقات في العواصم الشرقية، ولقد سمع الناس في أقطار الشرق العربي وديار الأسلام جميعاً صوته العالي الذي تردد في وادي النيل في العام الماضي داعياً الى الوحدة الاسلامية الشاملة فرن صداه في وادي بردي وسهول الرافدين وبطاح الجزيرة، وفتح مجالا واسعاً للعمل الجدي في سبيل الوحدة المنشودة، إن القارىء ليستغرق في العجب حين يقرأ الخطب الارتجالية التي ألقاها المصلح الأعظم الزنجاني في العواصم العربية ونشرتها الجرائد والمجلات، فيعرف أن صاحبها الذي لا يعرف الملل ولا الكلل إنما نزح عن العراق ليستريح هوناً ما من أعماله العلمية والدينية الكثيرة ويغير الهواء لانحراف مزاجه فما هي الا خطبة فياضة زاخرة يرتجلها هذا العلامة العظيم حتى يلوح

من ورائها فتح جديد من فتوحه النافعة الخالدة . وكأن زعيم الاسلام والاصلاح يتفق بينه وبين نفسه على أن يستريح وأن يستجم فاذا نفسه الكبيرة الغلابة تنقض الاتفاق لأنها لا تعرف الراحة والاستجمام فهو يفكر ويدرس ويحاضر ويخطب أينما حل وحيثما كان ، ومع أن حياة هذا الحجة العظمى تكاد تستغرقها بالليل والنهار أعماله العلمية ودروسه ومؤلفاته فانك تجده في بعض خطبه يحيي الشباب الجريء ويشجع الأخلاق العظيمة السامية ، ولا شك ان ذلك دليل على عظمة روحه وتأصل المبادىء العالية بين حنايا نفسه ، وصميم وجدانه .

الحجة الزنجاني يتكيء في العمل على نفسه ، لا لضعف ثقته بمن حوله ولكنه رجل قد بني على الجد والعمل ويجهر بكل معتقده ، سالكا طريق الحكمة ، ولا يبالي فيه أصلا ، وإن عالما عظيما كالحجة الزنجاني غزير العلم ، قوي العزم عظيم النزاهة وافر الاخلاص ، شديد التمكن من النفس لا يجد أية حاجة لأن يرائي الناس أو يماريهم ، بل هو حقيق بأن يعد كنفه لاحتمال كلما يحمله سعيه من التبعات .

ليس له عيب سوى أنه   لا تقع العين على شبهه

مؤلفاته

لم نستطع أن نحصل على فهرس جامع لمؤلفات الحجة الزنجاني فلنثبت هنا فهرس بعض مؤلفاته :

الفلسفة

كتاب روح الفلسفة

كتاب تطور الفلسفة

كتاب دروس الفلسفة

كتاب محاضرات الفلسفة

كتاب التوفيق بين آراء أهل التحقيق

«التعليقات» على الأسفار

» على إلاهيات الشفا

» على شرح الاشارات للطوسي

» على حكمة الأشراق

حاشية اللئالي المنظومة

كتاب النفس رسالة في المعاد الجسماني رسالة في المعراج

رسالة الوحي والالهام الجواب عن أسئلة دولت بندت رام الهندوسي

نظرة في النظرية النسبية لأنيشتاين

علم الكلام

كتاب التعليقات على الشوارق

» الأديان والاسلام

» عصمة الأنبياء والأئمة

» برهان الامامة

كتاب رد المذاهب المبتدعة

علم الفقه

كتاب فقه الاسلام

« شرح العروة الوثقى

« تعاليم الاسلام

« السياسات الاسلامية

« الحقوق في الاسلام

التعليقات على كتاب التبصرة

« على نجاة العباد

« على جواهر الكلام

كتاب شرح المكاسب

رسالة ذخيرة الصالحين

« وسيلة النجاة

« طريق النجاة

« مناسك الحج

« أحكام الربا

« أحكام العلم الاجمالي في أفعال الصلاة

العلوم الرياضية وفروعها

كتاب التعليقات على تحرير إقليدس

« التعليقات على شرح تذكرة البرجندي

« التعليقات على مفتاح الحساب

« الكامل في أصول عقد الأنامل

« الجامع في الجفر والرمل والزايرجة والاوفاق

علم أصول الفقه

كتاب حقائق الأصول

التعليقات على الرسائل

كتاب الأصول العملية

كتاب حجية الظن الاطميناني

التعليقات على كفاية الأصول

علم التفسير

كتاب أسرار التنزيل

كتاب تفسير آيات الاحكام

رسالة في تفسير آية الوضوء

علم الرجال والحديث

كتاب معضلات علم الرجال

كتاب شرح مشكلات الكتب الأربعة

كتاب صحيح البخاري والكتب الأربعة

رسالة في عدم كفاية تصحيح الغير

رسالة في توثيق عمر بن حنظلة

علم المنطق

كتاب المنطق الحديث　　كتاب التعليقات على شرح المطالع

كتاب التعليقات على منطق شرح الاشارات

كتاب شرح الايساغوجي

الامام الربانى

فى الهند

مقتطفات من الصحف الهندية وبعض مذكرات
شاهد العيان السيد عبدالله الرضوي
نزيل لاهـــور

لما رأى الامام الزنجاني أن الأمة الاسلامية في الهند التي لها المآثر الجلى في الاسلام قديماً وحديثاً قد أوشكت أن تنحل من الجامعة الاسلامية لأسباب ... ويخسرها المسلمون كما خسروا غيرها وأصبحت لا يهمها من أمر المسلمين شيء، سافر الى الهند، واجتمع بعظمائه وزعمائه وعلمائه، واستطاع بعلومه وخطبه ومحاضراته ومقالاته، ومواعظه وحكمته وإرشاداته، أن يحور فكرتهم ويجمع كلمتهم، ويهون من تفرقهم واختلافهم المؤدي إلى إراقة الدماء، فانتشرت الروح الطيبة في عواصمها، حتى نادوا بوجوب مساعدة مسلمي فلسطين، فأحدث الامام بذلك قوة للاسلام ورهبة للعدو، هذه إحدى خدماته الكثيرة للاسلام، مضافاً الى إصلاحات تاريخية قام بها في الهند واليكم أمثلة منها.

مثال

من إصلاحه الاجتماعي

أيهما أعظم ؟

أحدهما ، زعيم ديني وسياسي ، نذر الصيام ، ورقد بهيكله العظمي على فراش غير وثير ، لا يخطب ولا يتكلم بل يترجح في أرجوحة كالطفل الرضيع تحت ظلال شجرة المانجو ، والمؤتمر منعقد في ظل أرجوحته ، فتغلبت هذه الروح العظمى على مئات الملايين من الهنود ، وبدلت تقاليدهم ، ففتحوا هياكلهم للمنبوذين منهم ، الذين كانوا يعدونهم منذ ألوف السنين والحيوانات العجمى سواء ، وهذا الزعيم هو (غاندي العظيم) !

والثاني ؛ زعيم ديني ، ومصلح عالمي ، دخل الهند ، ودرس ديانة الهندوس ، على اختلاف طبقاتهم ، وإستغرب عقيدة الرجس المعنوى الملصق بالمنبوذين منهم ، الناشئة عن الطغيان السياسي الآري القديم ؛ فاندفع بدافع الانسانية والاسلامية الى إستخلاصهم ، وإستطاع أن يقنع زعيم المنبوذين (الدكتور أمبدكار) والذين على شاكلته من مثقفيهم ؛ بروعة أصول الاسلام الفطرية الخالدة ، والمساواة التامة المقررة في تعاليمه السامية ، والديمقراطية الصحيحة التي أتى بها كتاب الله المعجز الخالد ثم بواسطتهم وجه الدعوة الاسلامية الى المنبوذين البالغ عددهم

سبعين مليونا ، فانتشرت هذه الدعوة فيهم بسرعة خارقة واعتنق الاسلام ألوف منهم ، حتى رغب في اعتناقه ابن الزعيم غاندي .

حينئذ إنتبه غاندي بعد سبعين سنة من حياته مرت به وهو يرى بعينيه إضطهاد المنبوذين الشديد القاسي من دون أن يتأثر منه أو يفكر في استنقاذهم ، وأحس بالخطر المحدق على الهندوس ، من جراء إنتشار دعوة الزعيم المصلح الاسلامي واستيقن أنه وطائفته الهندوس سيخسرون القضية الوطنية ايضاً مضافاً الى خسارتهم القضية الدينية ، وان المسلمين في الهند سيربحونهما جميعاً ، لعلمه : أن سياسة الشرق قائمة على الديانات والتكاثر بين معتنقيها .

فالتجأ غاندي الى نذر الصيام ، وبالأحرى الى التضحية والانتحار

وهذا الزعيم الديني والمصلح العظيم هو الامام الزنجاني ! وكانت غاية غاندي مصلحة طائفية فحسب حينما كانت غاية الزنجاني مصلحة الانسانية وشتان بين هذه وهذه في مذهب الشعور فايهما أعظم ؟.

على ضوء الزنجاني

أتيحت فرصة للامام الزنجاني في رحلته الى الهند فدرس فيها الديانة الهندوسية ، وعرف فلسفتها ، واليك خلاصته :

إن قدماء الآريين استعمروا الهند بعد أن احتلوها احتلالا عسكريا وفرضوا اسيادتهم على السكان المقهورين ، وسلبوا من ايديهم كل مصادر الثروة ، واستحوذوا على الأعمال الاجتماعية الشريفة ، وجعلوها وراثية في أعقابهم ، وحرموا عنها سكان البلاد ، واستمر قرونا طويلة استحجرت

فيها هذه السياسة الغشوم ، واستحالت الى عقيدة دينية ، فسمت الهنود الى أربع طبقات ، ثلاثة منها للآريين ، وهي : طبقة الكهنة ورجال الدين ، وطبقة الملوك والجند ، وطبقة الزراع والتجار ، أما الطبقة الرابعة فهم العبيد المحقرون أهل البلاد الذين دعاهم الآريون (أباريا) أو (شودرا) وهم المنبوذون ، الذين يجري عليهم حكم (لامساس) الصارم ، فقد حرموا الخلطة بهم ، وعزلوهم في مقابعهم وبالغوا في مقاطعتهم حتى جعلوا كل شيء يلامسونه نجساً نجاسة عينية مغلظة غير قابلة للتطهير وحجروا عليهم أن يدخلوا الهيا كل والمعابد ، وكذلك المنازل والأسواق واستمروا يعانون ذلك الى هذا اليوم .

وكان من موجعات قلبه الشريف ما كان يسمعه من أفواه المنبوذات وهن سائرات في الطريق ، وحين يكثر العابرون ، يسمعهن يصرخن بملء أفواههن « احذروا ايها المارة انا نجسة » ولو مرت المسكينة ساكتة من غير اعلان عن نفسها ، واتصل بها طرف ثوب أحد الهندوس لشوى جلدها الغض ضرباً

فرأى الامام من واجبه الانساني استنقاذ المنبوذين ولم يجده ممكناً لأنهم يتكلمون بست لغات ليس في امكان احداها التعبير عن سمو الأفكار الدينية فوجه ارشاده أولاً الى نوابغ الهندوس المثقفين قائلاً لهم ان دينكم هذا الذي يقوم على أساس الاختلاف والتفرقة ويفصل الطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض فصلا يفكك وحدة المجتمع ينتج في الأمة التي تدين به أخطر النتائج وأسوأها في الحياة لأن كل طبقة

منها تعد نفسها كياناً منفصلاً عن بقية الطبقات ، وان أركان دينكم العملية التي لم تقم الا على مناقضات تاريخية لا مناعة فيها ، وهي غير قابلة للتمحيص باي وجه من الوجوه سيتكون منها ما يفضي بكم في نهاية الامر الى تقويضها .

ولكن وجد ان هـؤلاء النوابغ قد اتسعت لهم فلسفة التصوف لتوجيه هذه التقاليد المستنكرة توجيهاً عقلياً يستهوون به قلوب العامة من المتمدنين ، ويستنبطون لهم من ذلك معان روحية سامية توحي الى الناس حب الفناء في عقيدة وحدة الوجود .

فصرخ الامام فيهم صرخته الداوية قائلا : أيها الناس مهما اتسع صدر الفلسفة للتلفيق والترقيع والتلاعب بالألفاظ فهو لا يتسع لانكار الحقائق وستر الفظائع الواقعية ، وان من الغريب جداً أن يصعد العقل البشري الى تعاليم الانشقاق والخلاف فيستخرج منها فلسفة تذهب في تخيلاتها مذهب الاتحاد والحلول .

ثم اتجه نحو المتعلمين من طبقة المنبوذين الذين تخرجوا في مدارس الارساليات المسيحية والجامعات المختلفة ؛ فوجدهم انهم لم ينخدعوا بهذا التلفيق الهندوسي بل شرعوا يجابهون خصومهم باستنكار فلسفتهم وتقبيح الجمود على التقاليد وأخذوا يرفعون عقيرتهم في المطالبة بالحقوق الانسانية التي سلبها منهم اولئك المغيرون ودرج على ذلك أعقابهم ، وهم يأبون أن يتساهلوا لهم في شيء من هذه المطالب صيانة لتقاليدهم من الانتهاك والانهيار ، ويجهلون عواقب هذه الصلابة وما تجره خلفها من ويلات .

ولكنه وجد أن هؤلاء المتعلمين من المنبوذين قد استهوتهم الى اعتناق النصرانية إرساليات التبشير بكل ما أوتيت من بأس وقوة ، وبكل ما لديها من مدارس ومستشفيات ونواد وجمعيات وبكل ما لديها من جدل وحجاج وأموال ومغريات .

وفي نتيجة ارشاد الامام الزنجاني اهتدى هؤلاء الى انه لا ينبغي لهم أن يخرجوا من دين الطبقات الى دين آخر يماثله .

ذلك لأن الاكليروس المسيحي يعامل المتنصرين معاملة قاسية لا تتفق والديمقراطية التي يجب أن تكون من روحية الدين الذي يرغبون فيه لخلاص أنفسهم من ربقة العبودية للغير والاستخذاء للتقاليد فان الاكليروس المسيحي يحجر عليهم الصلوة في كنائس البيض . فلا يوجد فرق بين ما يحدث هذا المنع أو الانتجاس من سوء الأثر في النفوس .

ثم أرشدهم الامام الى سبب آخر يصرف المنبوذين عن اعتناق النصرانية وهو « عامل الوطنية » فأخذوا يلاحظون بحذر ضعف الروح الوطني في متنصرة الهند ، ويشعرون منهم بالميل الشديد الى استبقاء الهند تحت سيطرة دولة مسيحية ، عن أن يكون مستقلا استقلالا تاما تسود فيه كلمة الوطنيين .

ثم كون الامام فيهم رغبة صادقة شديدة في اعتناق الاسلام وتفضيله على جميع الأديان لمميزات توجد في الدين الاسلامي دون غيره .

١ تقرير مبدأ المساواة والديمقراطية الحقيقية بين معتنقيه وهـــو

لا يفرق في ذلك بين جنس وجنس ولا بين لون ولون والمؤمنون أخوة وسواسية كاسنان المشط خلق الله الجنة لمن اطاعه ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً فهم يرون كل من أسلم أخاً للمسلمين جميعاً له مالهم وعليه ما عليهم يعبد الله في اي مسجد شاء ويصلي الى جنب اي شخص أراد أميراً كان أو مأموراً وان الايمان بالله الواحد الأحد ورسله والمعاد كاف لتطهيره ومن يتأمل في المبادىء الاسلامية حول الحرية والاخاء والمساواة يجد ان المبدأ الذي يعرفه الغرب بمبدأ حقوق الانسان والذي تمخضت عنه الثورة الافرنسية كان قد سبق للاسلام أن جعله بأكمل صورة وأرقى مظاهره أساس العقيدة قبل اثنى عشر قرناً من حادثة الثورة وكان فرضه القرآن الكريم على الناس كفريضة دينية قبل أن يكون مبدءاً مع العلم بان مبدأ المساواة في الاسلام يشتمل على الميزات التي تستفز الأمم لرقيها ونهوضها وان الأمم كما قال نابليون تحتاج للمساواة أكثر من حاجتها للحرية .

٢ ان المسلم عنصر شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامز، ولا يدين بالطاعة إلا لله تعالى ، ولا يستخذي لسلطة غير مشروعة وهو منزع تلتقي فيه جميع رغبات الوطنيين .

٣ كمال الآداب الاسلامية وطهارتها وكفايتها للصيانة الاجتماعية والعدل الاجتماعي والحرية وقمع الاستعباد ، لأن الاسلام دين يشمل كل شأن من الشؤون العالمية كما ينير أمام معتنقيه السبيل في كل ما يتعلق بالأمور

الدينية ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة واجتماع ثم هو لا يعرف اقليمية ولا شعوبية اذ المسلم أخو المسلم في كل زمان ومكان له ماله وعليه ما عليه .

٤ وضوح العقائد الاسلاميـــة ومطابقتها لمنطق العلم ، والابحاث العقلية والفطرة الانسانية . فلقد سجل الاسلام للمدنية الانسانية أرقاماً عالمية مدهشة أصبحت من أعلى مراتب الاعجاز وركز ضروب الاصلاح الاجتماعي على أصل راسخ عام صالح لـكل الازمنـة ولـكل الامم والبيئات ، وقرر أنظمة عامة للمجموع البشري أسسها على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ؛ واعتبر المرأة مستقلة في نظر القانون الديني واعطاها حق حيازة الملك ، وحق الارث ، وجعلها مسؤولة عما تدخل فيه من الالتزامات .

من اصلاحه العلمي - ١

العلم والتطور

ألقى الامام الزنجاني محاضرة تاريخية في لكنهؤ بمدرسة دارالعلم ندوة العلماء، موضوعها العلم والتطور، أوجبت إنقلاباً عظيما في أفكار العلماء والاساتذة، وفي مناهج الدراسة وموادها في بلاد الهند. (١)

وأشار فيها الى أن إختلاف الفلاسفة في أن العلم هل هو من مقولة الكيف النفساني؟ أو من مقولة الاضافة؟ أو من مقولة الانفعال؟ انما نشأ من لحاظ كلواحدمن هذه الآراء لازماً من لوازم العلم، وجعل الملزوم من مقولة اللازم، مع العلم بوضوح تأخر مرتبة اللازم عن ملزومه وكونه خارجاً عن ذات الملزوم وذاتياته، فهذا الخلاف نشأ من إشتباه ما بالعرض بما بالذات ولأجل ذلك قال أهل التحقيق منهم أن العلم نحو من وجود العالم بمقتضى الحركة الجوهرية النفسانية نظراً الى أن الوجود حقيقة واحدة ذات تشكيك في المراتب ثم تسائل الامام قائلا: ولكن هل يلتزم صاحب هذا الرأي بزوال مرتبة وجود العالم عند زوال علمه بنسيان أو نحوه؟

ثم قال: انما يطلب الشيء لاجل أثره، ويكتسب العلم لأجل فائدته

---

(١) نقلاعن جريدة (سرفراز) جلد ١١ ٢٧ سبتمبر ١٩٣٥ و - ١٧ اكتوبر ١٩٣٥

وحيث لا نجد أثراً خارجياً ، وفائدة ملموسة لهذه الاختلافات فجدير بنا أن نقول :

العلوم لا شرقية ولا غربية

ان النفس الناطقة الانسانية بعد وجودها ، وفي مرحلة الفطرة المعبر عنها في مصطلح الفلسفة بمرتبة العقل بالملكة مستعدة لجميع الكمالات التي يمكن حصولها لها ، ولها قوة تحصيلها بسبب محرك خارجي يحركها نحو كمالها المطلوب ويسمى بالمعلم ، كما ان تلك الحركة هي التعليم وذلك الكمال هو العلم .

فالعلم كمال للنفس المجردة ذاتاً ، وصفة ابداعية لها ومن المعلوم أن المجرد لا يتحيز في مكان ، ولا يختص بجهة لأن المكان والجهة من لوازم المادة .

فاستنتج منها ان العلوم ــ وهي كمالات للنفس ــ لا شرقية ولا غربية وتوصيفها بالشرقية أو الغربية لكون مدونها أو العالم بها شرقياً أو غربياً ، أمر عرضي ومن باب وصف الشيء بصفة متعلقة فلا يوجب تكثراً في جوهر العلوم ثم قال : النفس مفطورة لطلب الكمال المطلق (العلم) والشرائع السماوية والأديان الالهية سيما الدين الاسلامي حثت على طلب العلم ولو في الصين وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة لمن دون تفريق بين ما كان تدوينه فى الشرق أو في الغرب .

ترتيب العلوم

ولكن يلزم رعاية الترتيب في تعلم العلوم لأن العلم بمثابة الغذاء

للروح وللنفس الناطقة ، فكما أن أغذية الجسد تختلف بالمناسبات ، فالصالح من الأغذية للشاب لا يصلح للطفل والصالح للصحيح لا يصلح للمريض ، والصالح للمزاج القوي لا يصلح للمزاج الضعيف فكذلك العلوم يجب تعلمها حسب استعداد المتعلم بروحه ونفسه ومحيطه وبيئته ورعاية الأصلح منها فالأصلح ، والأهم منها فالأهم .

وهذا سر تقسيم العلوم الى إبتدائية ، ومتوسطة ، وعالية ، وهو السبب لرعاية الأقدمين الترتيب الطبيعي في موضوعات العلوم لكي يتكون للمتعلم في العلم السابق استعداد تحصيل العلم اللاحق على وجه يترتب عليه الأثر المطلوب منه ، ولأجل ذلك التزم الحكماء والفلاسفة بتقديم تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر بتعلم بعض العلوم الرياضية على الشروع في علم المنطق ، ثم قدموا تعلم المنطق على الفلسفة ، وتعلم الفلسفة الطبيعية على العلم الآلهي .

ومن إهمال هذا الترتيب تورط الرياضي المعاصر الشهير (انشتاين) في الحيرة وأنكر الأصول الموضوعة في العلوم .

وبعد أن تكلم الامام طويلا قال :

على ان العقائد الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف ، هي مقتضيات الفطرة السليمة ويستقل العقل الفطري المجرد عن شوائب الأوهام في الحكم بصحتها ، وهي تصور مكارم الأخلاق الملائمة لكرامة الانسانية وشرفها والبراهين عليها عقلية وحسية فمن الواجب علينا بمقتضى ناموس التطور أن نصوغ مبادىء الاسلام التي هي صور صحيحة وآيات ثابتة لا يمكن

فيها تغيير ولا تبديل في أساليب عصرية ملائمة بديعة لكي نستطيع أن نرسخها في أذهان النشء في مدة وجيزة قبل حياته المدرسية فتكون العلوم الطبيعية والعصرية التي يتعلمها بعد ذلك أسلحة عصرية وقوة اسلامية يرهب بها اعداء الله وأعداء الاسلام وأعداء الانسانية والا لجعلت هذه العلوم العصرية مدارك التلاميذ مهابط الوساوس ومخازن الدسائس ويستحيلون الى زنادقة ملحدين يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يعقلون وتكون علومهم ناراً محرقة تحرق عواطفهم وعقائدهم ومكارمهم فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ويتسابقون الى الشر مسيرين لا مخيرين وهم يظنون انهم مخيرون لا مسيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون.

فيا أيها المسلمون (قوا انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين).

ثم قال الامام :

أتعجبون إذا وصم بعض أبنائنا بالجهل بعلومهم ومبادئهم الدينية التي فيها سعادة الأولى والآخرة، وهم لا يكادون يفقهون منه حديثاً، وكيف يفقه وقد طرح من أول نشأته في حجر من يجرعه الالحاد وهو لم يعرف شيئاً عن الاسلام غير انه سلم لهذا الحاضن على أثر الفطام، فصبغ بصبغته يظن أن ما نفث فيه من السم أو السحر لم يقله أحد قبل من غشه حتى، قام يتبجح بما خدع به، يعده كشفاً جديداً ونظرية حديثة، ويعده عصر النور والعلم، وعصر إكتشاف الميكروب والكهرباء .

ثم قال الامام :

إن محنة الاخلاق أشد المحن ؛ وبالتعاليم الأخلاقيـــة نادى الأنبياء (ص) والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشء وتعليمه في مختلف العصور لانها روح الدين والايمان ووسيلة اتحاد الأمة وقوة النهضة السياسية ، ومحور الحركة الوطنية والسد المنيع دون تأثير المبادىء الهدامة في المجتمع .

والخلق في علم الاجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من انواع الكائنات فخلق كل أمة هي علة تطورها في حياتها ، وهو يقرر مستقبلها وأما التأثير العقلي فضعيف على تفاوت فيه ، ولقد كان العرب والمسلمون أيام سقوطهم ذوي عقول أرقى من عقول أجدادهم القاهرين ، ولكنهم سقطوا لأنهم فقدوا صفاتهم الاخلاقية التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأولين فأضاعوا الجد والمثابرة والعزيمة الصادقة والجلد الذي لا يعرف الوهن ، وفقدوا المقدرة على التفاني في نصرة الحق ، ولابد لهم من الرجوع الى ما كانوا عليه ، وما هـذا الانحطاط الا عوارض موقتة سببتها بعض الطوارىء ، وهي لا تلبث ان تزول فاذاً يمكن للامة ان تسير الى الرقي بقليل من العلم والعرفان وتبلغ ذرى المجد والسؤدد متى كان الخلق الصحيح سائداً بين أفرادها .

واستنتج الامام من المقدمات التي مهدها ان الخلق الصحيح يجب أن تقوم عليه نهضتنا العربية والاسلامية والوطنية .

٢ إندهشت الأوساط العلمية في أنحاء العالم من مفاجئة « النظرية النسبية » التي إقترحها الدكتور البرت « أنيشتاين » لربط وتفسير جميع التجارب الحديثة والمشاهدات ، لأنها تستدعي قلب التصورات القديمة للزمان والفضاء ، وإستبدالها بتصورات أخرى غريبة جداً ، كتصور الحد الرابع وانحناء الخطوط العالمية .

كما تستدعي قلب أصول إقليدس الهندسية ، ومبادىء فلاسفة اليونان الفلسفية والمنطقية ، وقوانين « نيوتن » الميكانيكية .

وإشتهر أن الدلائل الرياضية المستعملة في إثبات قانون هذه النظرية هي أسمى وأدق من أن يدركها أكثر الرياضيين حتى قال « أنيشتاين » نفسه متبجحاً :

« إن الذين يمكنهم أن يفهموها لا يتجاوزون عدد الاصابع » حتى قيض الله الإمام الزنجاني في رحلته الى الهند فألقى محاضرته العلمية الفلسفية الرياضية في (لاهور) عاصمة البنجاب ـ استجابة لأمنية أساتذتها ـ ترجمت بعدة لغات غربية وشرقية ؛ أشار فيها الى نشوء النظرية النسبية وقال :

إن النتائج الحاصلة أخيراً من مشاهدات ظواهر الكون والكهربائية أدت الى النظرية القائلة بأن قوتيهما من جنس واحد وأنهما حاصلتان من ظواهر الاضطرابات التموجية المنتشرة في الوسط الإفتراضي (الأثير) بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية ، فقام العلماء بعدة تجارب لغرض الوصول الى غاية تستهدف قياس سرعة سير الأرض بالنسبة الى الوسط

المذكور وتسميتها بالسرعة المطلقة .

وكان أهمها تجربة « ميكلسن » و « مورلي » سنة ١٨٨٧ م التي سببت ظهور النظرية النسبية المنسوبة الى (أنيشتاين) لأنه قام بتفسيرها وتعليلها .

ومبدأ هذه النظرية قضية بسيطة مألوفة ، وهي « ان الأجسام متحركة نسبياً » ..... وهذه القضية من إفادات فيلسوف الاسلام الأكبر (الخواجة نصير الدين الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي .

ثم قال الامام :

وكان شوط الفيثاغوريين في هذه النظرية الموهومة أوسع من أشواط (ميكلسن) و (أنيشتاين) لاعتبارهم النسبة صفة لازمة لجميع الموجودات ؛ بل جعلوها جوهر الكون وقالوا :

(النسبة نظام الكون الشامل) والمعيار في هذا النظام ، إعتباراً أبعاد متساوية ووحدات قياسية .

وقال : إن هذه النظرية الفيثاغورية مغالطة نشأت من الاشتباه والخلط بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة .

ثم شرع الامام في شرح النظرية النسبية على أسلوب علمي دقيق واستعرض ادلتها وانتقدها نقداً دقيقاً .

وقال الامام :

إن نظرية أنيشتاين ، تؤكد ان الحقيقة الواقعية في جميع الظواهر الموجودة في العالم هي خليط من الزمان والمكان والمادة ، وهذا الثالوث

يشمل حقيقه واحدة هي خليط من مجموعها ، وعلى هذا فابعاد الجسم أربعة ثلاثة منها مكانية ، وهي الطول ، والعرض والسمك ، والرابع الزمان وأساس نظرية الابعاد الأربعة أن مميز الحوادث والموجودات ليس منحصراً في الموقع المكاني بل لايتكمل إمتياز بعضها عن بعض إلا بالموقع الزماني .

ثم قال الامام : « ان الأبعاد الثلاثة للجسم في مصطلح الفلسفة والعلم الرياضي عبارة عن خطوط ثلاثة متصورة في كل جسم ، تتقاطع في زوايا قوائم ؛ فهذه الابعاد مقررة في داخل حدود الجسم باعتبار التقدم والتأخر في أجزائه المجتمعة المنضمة بعضها الى بعض مع قطع النظر عن كل موجود خارج عنه سواء كان محيطاً به . أومتقدماً عليه أومتأخراً عنه ، فاذا حاولنا أن نتصور بعداً رابعاً له ، لزم أن يكون هو ايضاً على شاكلة الابعاد الثلاثة داخلا في حدوده ، إذلو كان بسبب نسبة الجسم الى وجود حادث أوجسم آخر متقدم على وجوده أو متأخر عنه لم ينسجم مع الابعاد الثلاثة ولأجل ذلك قرر صدر المتألهين (١) البعد الرابع الزماني ، إمتداداً داخلياً للجسم ، وهو مقدار صورته الطبيعية التي هي الهوية الصورية الجوهرية المتجددة بذاتها من جهة تقدمها وتأخرها الذاتيين ؛ كما أن الابعاد الثلاثة المكانية إمتدادات داخلية للجسم وهي مقادير صورته التعليمية فالزمان عنده عبارة عن مقدار الطبيعة المتجددة بذاتها من جهة تقدمها وتأخرها الذاتيين ، وحال الزمان مع الصورة الطبيعية ذات الامتداد الزماني كحال

(١) في كتابه الكبير (الاسفار) الصفحة ٢٣٨ — ٢٣٩

المقدار التعليمي مع الصورة الجرمية ذات الامتداد المكاني ، ونسبة المقدار الى الأمتداد كنسبة المتعين الى المبهم ، وهما متحدان وجوداً ، ومتغايران بالاعتبار .

ولكن أنيشتاين لم يعرف هذا المصطلح العلمي ، بل ظن أن البعد بمعناه اللغوي المقابل للقرب ، وأخذ ابعاد الجسم الثلاثة من الجهات الست المحيطة به وقرر أن جسما إذا وجد في وسط غرفة مثلا يلاحظ مقدار إبتعاده عن سقفها وعن أرضها ، فهو البعد المسمى (السمك) ويقدر البعدان الآخران ، الطول والعرض ، بمقدار إبتعاده عن جدرانها الأربعة فهذه الأبعاد الثلاثة أعتبرت بنسبة الجسم الى سقف الغرفة وجدرانها فكذلك الحد الرابع الزماني الذي لا يكمل إمتياز الجسم الا به يعرف بنسبة حدوث الجسم الى حادث متقدم عليه أو متأخر عنه .

هنا حاد أنيشتاين عن الطريق العلمي المستوي من دون ضرورة تدعوا اليه ، والحائد عن الطريق كلما زاد سيراً زاد بعداً عن المقصد .
إستنتج أنيشتاين عن هذه النظرية ، أن المسافة والحجم ، والحركة ، والاتجاه والاستقامة ، والانحناء ، أمور نسبية بالنظر الى الملاحظ ، وان المقياس يخلق المكان والزمان . . . .

هنا وقع أنيشتاين في خبط واضح ، وخلط بين مباحث العلم الطبيعي وبين مباحث علم المناظر والمرايا ، المتأخر موضوعه عن مرتبة موضوع الطبيعي ، وأخذ يستدل بمقررات العلم المتأخر على مباحث العلم المتقدم ، وهذا ينتج عكس المطلوب ، اذ كان من واجبه ان يبرهن بمقررات العلم

السابق على مباحث العلم اللاحق.

ومن البدهي أن اختلاف حجم المرئي في الصغر والكبر، بالنسبة الى بعده عن الرائي أوقربه منه، لايجوز أن يستنتج منه أن حجمه نسبي إضافي وليس له حجم حقيقي واقعي.

ومن هنا تعرف قيمة حكمه بأن السطوح كلها مقوسة بدليل كروية شكل الأرض، واستنتاجه من ذلك أنه لا يوجد خط مستقيم يكون أقصر الخطوط الموصلة بين النقطتين.

وهذا استدلال بالأخص على الأعم؛ وممنوع في جميع العلوم ودليل ناقص عند العقلاء كافة، فاذا رسمت خطاً مستقيما على سطح مستو من الورق أو الخشب مثلا، فهل توجب كروية الأرض إعوجاجه؟

لم يخف على أينشتاين، هذا الأمر البدهي، فالتجأ الى إثبات التقوس والانحناء حينئذ بالنسبة الى مشاهد يقف في كرة الشمس فينظر منها الى الأرض والى حركة يدك حينما ترسم خطاً مستقيما على سطح مستو وبسبب حركة الأرض وحركة الشمس يرى هو ذلك الخط مقوساً معوجاً طويلا حينما تراه أنت مستقيماً قصيراً وهنا ايضاً يحاول أينشتاين أن يستدل بمقررات العلم المتأخر على مسائل العلم المتقدم عليه فيستنتج من هذا أن الاستقامة والانحناء نسبيان واضافيان.

... وإذا اعتقد أينشتاين بأن السطوح مقوسة فجميع الأشياء التي تتحرك خلالها تتحرك مقوسة، ومن ضمنها «النور» ونتيجة هذه النظرية في المعادلة، أن الجاذبية ليست قوة من الطبيعة كما قال (نيوتن)

ومن سبقه من فلاسفة الاسلام ، بل هي صفة وخاصية من خواص المكان والزمان وإن ثقل المادة في المكان القوسي المنحني كاف للحركة ، فلا ضرورة للجاذبية ......

ثم استعرض الامام الأدلة الرياضية التي أقامها أينشتاين على نظريته النسبية استعراض خبير بدقائق الرياضيات وبصير بالاكتشافات الحديثة واستغرق هذه الاستعراضات ثلاث ساعات أثبت خلالها فساد صنف من أدلته الرياضية وفساد استدلاله بالصنف الآخر الذي أثبت الامام أنها صحيحة في حدود ذواتها ولكن لا دلالة في شيء منها على صحة النظرية النسبية وأخيراً قال الامام :

من أوضح الدليل على عجز أينشتاين عن إقامة الادلة الرياضية والبراهين العلمية على نفي الجاذبية ، وكفاية ثقل المادة بانضمام تقوس المكان اليه في تحقق الحركة غير المستقيمة أنه التجأ الى أن فرض إنسانا خياليا في غرفة خيالية معلقة في الخلاء تشبه (الغبارة) الوارد ذكرها في قصة « جول ورني » الخيالية ، فزعم ان أرضها لا تضغط على رجل ذلك الانسان الذي ليس له ثقل فيها أصلا ، وان كرة اللعب ترتفع من أرضها حتى تلتصق بسقفها ، مادامت ساكنة ، فاذا تحركت الغرفة الخيالية بحركة خيالية نحو الأرض يضغط أرضها رجل الانسان الخيالي الذي يتكون له ثقل بمجرد حركة الغرفة وتسقط الكرة الخيالية من سقفها الى أرضها كل ذلك لأجل المكان القوسي والثقل الطبيعي .

وهذا الخيال أساس (نظرية مساواة الانتاج) لانيشتاين

ثم قال الامام الزنجاني :

يقول أينشتاين : الحركة والاتجاه نسبيان . بالنسبة للملاحظ . فان جسما في الفراغ لايمكن بأي حال من الأحوال أن يكون في حال الحركة لأن الحركة تعني اقتراب الجسم أو إبتعاده من أو عن نقاط معينة الخ.

وهذا غريب إذ قرر في الفلسفة منذ عهد اليونان ان الحركة متوقفة على ستة أمور (١) مبدأ الحركة (٢) منتهاها (٣) المقولة التي تقع فيها الحركة (٤) الغاية التي لأجلها الحركة (٥) المحرك ومابه الحركة (٦) المتحرك وقرر ايضاً ان الحركة التوسطية (اى كون المتحرك متوسطاً بين مبدأ الحركة ومنتهاها) موجودة تحقيقاً ، وأما الحركة القطعية « وهي وصول المتحرك الى كل نقطة من نقاط مافيه الحركة) فهي آنية تنعدم حين وجودها .

فمن المغالطة إستدلاله بكون الحركة تعني ابتعاد الجسم عن مبدأ الحركة أو اقترابه من منتهاها على أن الحركة نسبية .

وأغرب من هذا ماقاله أينشتاين بهذه العبارة :

لو جلست في عربة قطار أغلقت نوافذها بحيث لا ينفذ بصرك الى الخارج ، و كان القطار يسير منسابا في إتجاه واحد لا يغير سرعــة ، فمن المستحيل أن تعرف ان القطار في حالة الحركة ، لانك في هذه الحال لا تستطيع أن تطلع على حركة القطار دون ملاحظة شيء في الخارج الخ

ومن الواضح لدى كل أحد أن انتفاء العلم بالشيء لا يستلزم انتفاءه في الواقع .

ثم قال الامام الزنجاني :

هذه كلها أشياء تمهيدية وسنرى براهين أنيشتاين وما تظهره فيما يلي الخ

هنا استعرض الامام جميع البراهين الرياضية التي أقامها أنيشتاين وأبطلها واحداً واحداً بنظريات رياضية أدق منها سجلت في مأة وأربعين صفحة ثم ترجمت الى عدة لغات شرقية وغربية ، ولما ارسل شاعر الهند وفيلسوفها الاسلامي الدكتور (سر إقبال) ترجمتها باللغة الانكليزية الى لجنة تدقيق النظرية النسبية اقتنعت اللجنة بصحة آراء الامام والبراهين الرياضية والفلسفية التي أقامها عليها ، وكان من نتائجها ما إشتهر أخيراً من تنازل أنيشتاين عن نظريته النسبية ، وإعترافه بفسادها .



مثال
من إصلاحه الديني

تمهيد

كلمة الاصلاح الديني على وضوح مفهومها ـ قد يتوهم أن المقصود منها إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين ، ويزيل هذا الوهم ما جاء فى مقالة للامام الزنجاني تكرر نشرها في أعداد كثيرة من الصحف والمجلات في مختلف الأقطار وهذا نصها مقتضباً :

كاد أن ينقطع حبل الصلة بين رجال الدين وسائر طبقات المسلمين في هذا القرن العشرين الذي إمتاز بخوارق الاختراعات ، وتهديس المادة ، وإكتشاف بعض أسرارها ، تلك الخوارق التي فتقت أذهان الناس ، وخلقت عالماً جديداً متكوناً من الفوضى في الأخلاق والأفكار والعقائد ، ووجهت أفكار الناس من مختلف الطبقات الى التفكير الحر وعدم الأذعان بشيء مما لا يقبله العقل ، ولا يساعد عليه البرهان فقويت فيها نزعات الشك ، واندكت أسس العقائد وبذلك تبدل أسلوب التفاهم

وان النقص الموجود في أسلوب تأليف الكتب الدينية ومنهاج التعليم الدينى ، أوجب إختفاء أسرار التشريع وحقيقة فلسفة الدين الاسلامي ، فقصرت عقول الناس عن نيل حقيقتها الواضحة الغامضة ، وأوجد ذلك حيرة عميقة في النفوس ، فانفسح المجال لأعداء الاسلام ، لقلب الحقائق الاسلامية ، والتلفيق فيها ، وإفراغها في غير صورها ،

وتلوينها بغير ألوانها ، حتى تشابهت بالأديان الاخرى التي لا يستفاد منها إلا في المعابد ، فاتخذها جمع من بسطاء المسلمين ، معتقدين بانها التعاليم الاسلامية ، ومجموع ذلك بعث ألسن الناس بتنقص الدين والقول بأنه يعطل التفكير والابداع ، ويدعوا الى الجمود والانحطاط ، ويصطدم بأسباب الرقي والتقدم ، ويخالف الحياة في جميع نواحيها .

فتكونت عند المسلمين قضايا معقدة ، تجب المسارعة الى حلها إذ بحلها وتحليلها تشع تعاليم الاسلام ، ويثبت نظام الامم الاسلامية وارتباط بعضها ببعض ، ويحصل التفاهم المنشود .

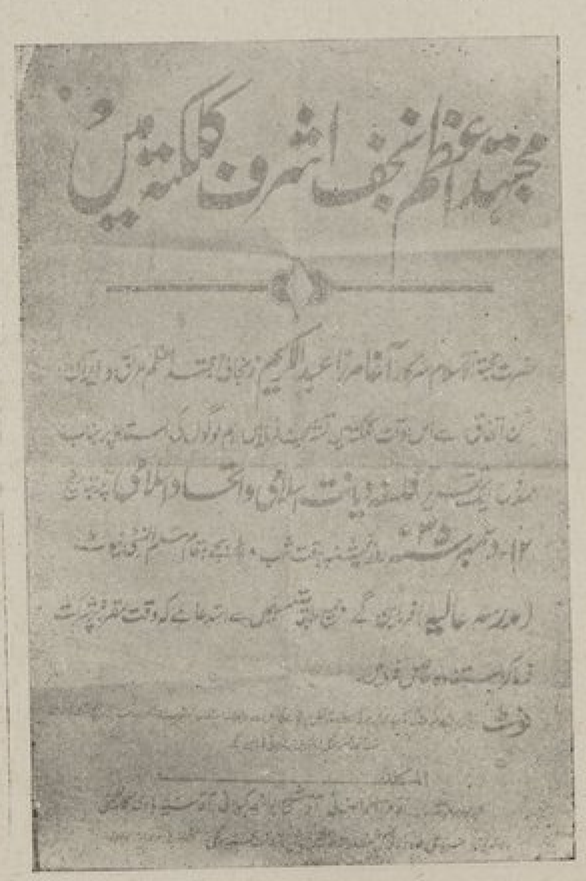
ولا يستطيع حلها إلا من كان من الراسخين في العلم ، الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل الفطري ، والبحث العلمي والتفكير الحر ، والاحاطة بسر الاسلام وعظمته . وبأسرار كتابه المعجز الخالد ومعرفة نفسيات البشر ، ومقومات الأمم التي لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها إلا بها فيصوغ فلسفة الاسلام وتعاليمه في أسلوب عصري عقلي ، لا ينتابه جمود ولا غموض ، مراعياً في تسجيلها ما ألفته طباع أهل العصر ، وجمهور المتعلمين من المسالك الحديثة ؛ لكي تكون منيرة أخاذة بالألباب راسخة في النفوس مسيطرة على المشاعر ، فسيرنا على النهج القديم الذي كثرت فيه العقبات وتشعبت فيه المشكلات ، لا يعد سيراً موصلا للأهداف السامية ، ولا سفراً مؤدياً الى الغايات الرفيعة

« وهذا هو المقصود من كلمة (الاصلاح الديني) »

وليس المقصود إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين الاسلامي

فان من خصوصيات الاسلام ، ان كل إصلاح بشري في تعاليمها الحقة يحط من قيمتها فيجب أن تؤخذ كما هي عليه بغير تعديل ولا تنقيح .

وهذا الاصلاح لا يستوحى من الخيال ، ولا يفرض من قوة خارجة عما هو الموجود ، - إنما هو يجب أن يكون وليد الحقيقة ، والوضع القائم وصنيع المؤثرات الاجتماعية والفكريه ، ومقتضيات الأحوال ، التي أمر الاسلام برعايتها .



مجتهد اعظم نجف اشرف کلکته میں

سطور مقتضبـــة

من المحاضرة التأريخية المطولة التي إرتجلها الامام الزنجاني
في « كلكتا » ونشرت في عدة لغات وهذا نصها :

في طريقي الى عاصمة الحقيقة

أعلنت الصحف وسجلت رقاع الدعوة ان موضوع محاضرتي في هذه الليلة « الاتحاد الاسلامي » وعلى هذا الأساس حضرت وحضرت عشرات الألوف في هذه الحفلة .

ولكن اخبرني رئيس هذه الحفلة الآن - وانا على المنصة - ان اكثرية الجموع المحتشدة في هذا المكان من مختلف الملل والنحل ، ولا يفيدهم الموضوع المقرر شيئاً اصلا ، فألجئني ذلك الى ان ألقي خطاباً في موضوع آخر ؛ عسى ان يستفيد منه جميع الحاضرين ، فعليه اشرح لكم حقيقة واقعية ذات نواح كثيرة يمكن ان يستفيد منها مختلف عناصر البشر على اختلاف مللها ونحلها وبلادها وطبقاتها ، ودرجات ثقافتها ، اكتشفتها « في طريقي الى عاصمة الحقيقة »

اتحدث اليكم عن حادث جلل وقع في عنفوان نشأتي فكان له عظيم الأثر في نمو فكري ، وتكوين عقليتي واتجاه ميولي في العقائد والمبادىء ، والحياة ، مما ادى بي الى سلوكي المذهب الذي سرت فيه والمبدأ الديني الذي اعتنقته .

نشأت في بيئة دينية ، وأسرة علمية ، واعتنقت ـ طبعاً بحكم المحيط والبيئة ـ عقيدة والدي « وهي العقيدة الاسلامية الاثنى عشرية » .

وكان والدي عالماً جليلا حكيما صالحاً صريحاً مستقيما ، غزير العلم ، جم الذكاء واسع الاطلاع أريحي الطباع ، يكاد ذكائه يكشف حجب السرائر ، وينفذ الى أعماق الضمائر ، ويعرف دخائل النفوس وخفايا الصدور

إهتم والدي بتعليمي وتثقيفي بنفسه ، ولم يكتف بذلك بل خصص لي أساتذة لتدريسي فنون العلوم ، من العربية ، والأدبية ، والدينية ، والرياضية ، والفلسفية ، والكلامية ، مضافاً الى الدروس التي عنيت بها في المدارس ؛ من منطق ، وتوحيد ، وتفسير ، وحديث ، وأخلاق وبعض العلوم الطبيعية ، وهذه العناية قد فتحت ذهني على آفاق جديدة من العلم ووجهتني توجيهاً جديداً .

وقد حدث ذات ليلة من ليالي الشتاء أني بينما كنت مكباً على مطالعة دروسي إذ فوجئت باستدعاء والدي إياي ، على خلاف المعتاد فأجبته مستغرباً ذلك ، .... أمرني بالجلوس أمامه ثم قال : « ياولدي الوحيد ، أصغ جيداً إلى ما أقول : واعلم أن سعادتك أو شقائك الأبديين منوطان بكلمتي هذه ـ أخذ قلبي يخفق ـ واستمر والدي في كلامه وقال : إنك تخطيت على الحياة أربعة عشر ربيعاً وإقتحمت الخامسة عشر ، ويجب عليك أن تجتهد خلالها ، في الفحص عن العقيدة الحقة (وهي العقيدة التي تسوقك إليها البراهين العقلية ، والأدلة الحسية ، وأنت مجهز بأنواع العلوم والدراسات ، تعينك على أمرك ؛ وتيسر لك سبل الاجتهاد

ولا يخفى عليك أنك أخذت عقيدتي واعتنقتها تقليداً ، وتعبدت بعباداتي كعادة حتى الآن ، ولا يجوز لك بعد هذا أن تكتفي بالتقليد والعادة، ولكن يجوز لك أن تحتمل أن هذه العقيدة يمكن أن تكون باطلة وفاسدة ما لم تتأيد عندك بالبرهان العقلي والدليل الحسي ولك أن تحتمل قبل شروعك في الفحص والتدقيق أن الحق قد يمكن أن يكون في المبدأ الدهري مثلا ما لم يثبت عندك بطلانه بالعقل والحس ، فابذل يا ولدي أقصى جهودك في زيادة التوغل في درس مواضيع الأديان واللادينية ، وسبر غورها للتوصل إلى الحقيقة الراهنة ، ويلزمك أن تستعد لمجابهة الحقيقة بشجاعة وإقدام ، غير آبه للأسوار الاجتماعية والعاطفية المحيطة بك ، فتخترقها غير هياب للعثور على ضالتك المنشودة في طريق الهداية والحق ، وأنت في زهرة العمر ، وغضاضة الصبا ، لم ترسخ في نفسك جذور المعتقدات الفاسدة ، ولم تصبح الخرافات ديناً مهيمناً على قلبك وكل ما لديك أشياء سمعتها من البيئة التي نشأت فيها ، وسرت الى ذهنك من المحيط الذي يحيط بك لم تبلغ حد الرسوخ والتمكن فما هي إلا أن تجد الحق بالبرهان العقلي والدليل الحسي حتى تذعن له ، ويخبت له قلبك .... واعلم يا ولدي انه كما أن المريض بالمرض الجسماني يلزم أن يشرح للطبيب جميع أحواله الظاهرية منذ مبدأ احساسه المرض الى النهاية ليكون على بصيرة في علاجه ، كذلك يجب على المبتلى بالأمراض النفسية والعقائد الفاسدة ، أن يستعرض أحواله الباطنية من بدأ تميزه الفكري حتى النهاية التي انعقدت له فيها صورة العقيدة ، ويعرضها على الخبراء لكي ينتبه على مواضع

الصواب والثبات ومزال الأقدام ، سكت والدي ، وساد صمت رهيب ثم أذن لي في الانصراف ...

عدت الى غرفتي ...

فماذا كان ؟

وجوم ، فذهول ، فحيرة ، ففكر ، فمرض ، فشفاء فانتباه ثم إقتناع بالعمل وقد فتحت كلمة والدي نافذة طموحي .

الآن وقد حان لي أن أقرر مسلكي في المبدأ الديني اشعر بخطورة هذه القضية لاسيما إنها جائت في أوائل القرن العشرين في القرن الذي طغت فيه المادة وسادت فيه المحسوسات والملموسات .

في مثل هذا الموقف كان يجب على ان ابحث بحثاً عميقاً وأحلل الأوضاع اللادينية وأوضاع الديانات التوحيدية تحليلا دقيقاً من مختلف نواحيها ، بطريقة علمية صحيحة صريحة بدون مراعاة القيود الاجتماعية والدينية ، أو مجاملة العناصر الأخرى وأرى أن زمن الجمود والتقليد والكتمان قد مضى ، فنحن في عصر الحقيقة عصر النور والعلم يجب ان نلج فيه الى أعماق الأعماق ونسبر أغوار الأغوار كي يتسنى لنا إخراج لؤلؤ الحقيقة اللماع المشعشع الخالي من الغش والتزييف ومن أراد أن ينتحي منحى الصراحة وعرف قيمة البحث العلمي المجرد من التحيز وجب عليه أن ينفض عنه غبار العاطفة ، الأمر الذي يقوده حتما الى الاعتصام بالحقائق مهما كانت مزعجة ، وأملي بهذا ان لا يحقد علي البعض من الطوائف والملل المختلفة الذين يمسهم هذا البحث بسردي الحقائق التي

وصلت اليها في عنفوان صفاء نفسي وفراغ قلبي بعد الدرس العميق والتحقيق الدقيق ، ومهما كان الأمر فأني لا أبالي بما أعانيه من جرّاء صراحتي ، بل بالعكس أعد نفسي سعيداً بأن أنخرط في سلك الرجال الذين دافعوا عن الحق والحقيقة ، ونزلوا الى ساحة النضال في سبيل المبدأ الحق ، مضحين كل شيء في مسالك الخدمة الانسانية العامة .

كان من الطبيعي ان يكون أول من صادفتهم في مسلك التحقيق الذين كانوا يدينون بالفلسفة المادية الحسية التي لا تعتقد بغير ما تلمسه وتحس به ، أو تدركه أو تقترب منه ، واما ما كان غير ذلك فهو في هذه الفلسفة خرافة وتضليل ، وذلك لأن تيار تقديس المادة الذي كان في الغرب تدريجاً هاجمهم في الشرق فجائياً ، فيضطرون أن يأخذوا النتائج كما هي ، والمادة قدرة خارقة ؛ أذهلتهم فوقفوا امامه حيرانين ولهانين

وكان يؤيدهم في ذلك بعض الذين يحطون من منزلة الانسان فيضعونه في مستوى الحيوان الأعجم ، ويقولون ان العلم والدين لا يجتمعان ، وان القوة والسيطرة هما في جانب العلم ، وان الدور القاسي الذي لعبه الدين على مسرح الانسانية قد انتهى بنتيجة انتشار العلم وظهور الحقيقة ، وتهدمت صروح الدين .

إتصلت بعلماء التاريخ الطبيعي ، والكيمياء ، والفلك ، فرأيت أن احدهم يقول عند كلامه على تركيب الخلية الحية ، انها مركبة من اربعة عناصر ، هي ، الأوكسجين ، والهيدروجين ، والكربون والأزت ، غير أننا لو أردنا تركيب خلية حية من هذه العناصر ، مع

المحافظة على نسبها الكيماوية لما أمكننا ذلك لأن الخلية ليست تركيباً كيماوياً فحسب بل هي جسم حي .

ويقول آخر عن الفيل انه يستخدم خرطومه كما يستخدم الانسان يده لأن ضخامة جسمه إستلزمت قصر عنقه، ولما كان تناول الطعام عسيراً عليه فقد مدت الطبيعة في أنفه وهو ما نسميه بالخرطوم وبه يستطيع ان يلتقط الاشياء الدقيقة حتى الأبر .

ويقول آخر عن الفصول : ان ميل محور الارض عن مستوى الفلك سبب حصول الفصول الاربعة التي لولاها لاستحال وجود الحياة على سطح الارض .

فوجدت هذه الأراء غير كافية وهذه العبارات غير موصلة الى التعليل العلمي الصحيح كما ان نسبة القصد والاحكام الى الطبيعة العمياء امر غير معقول ولا نستطيع ان نصل بها الى حل مرضي لأية ظاهرة من ظواهر الكون وإقتناعنا بهذه الأراء يجعل ادراكنا للاشياء ادراكاً سطحياً لا يكسبنا يقينا ولا يقفنا على حقيقة .

وبالآخرة وجدت نفسي أمام حقيقة مجهولة واشغلت بالي هذه الاسئلة .

ما سر الحياة ؟ ولماذا لا نستطيع تركيبها من عناصرها المكونة لها ؟ وكيف تولدت في الطبيعة الجامدة وبأية علة معقولة يمكن تعليلها وكيف تحفظ الحياة وجودها وتسري من كل فرد الى أمثاله في الانواع المختلفة ؟ وكيف تكونت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية

مقصودة ؟ حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالمميزات النوعية ، وكيف شعرت الطبيعة بحاجة الفيل الى الخرطوم فمدت في أنفه ؟ وما سبب الميل في محور الأرض ؟

فلم أجد في الفلسفة الطبيعية تفسير هذه الأمور التي يهمني تفسيرها ولا في أصول العلم الحديث جواباً على هذه الأسئلة أو دليلا يوصلني الى الحقيقة التي أطلبها سوى هذه الألفاظ :

الطبيعة ، الحرارة ، البيئة ، الوراثة ، الأثير ،.... وهي ليست عللا اولية بل كل منها مفتقر إلى تعليل فلم اجد في العلوم الحديثة مايشفي لي علة او يروي لي غله .

لأن العالم الطبيعي يفر من البحث عن العلل والأسباب مخافة ان يضطره بحثه الى الاعتراف بوجود العلة الاولى التي هي مصدر كل حكمة ومنبع كل إفاضة فجاءت بحوثه ناقصة مبتورة .

وقد يضيق به مجال التعبير أحياناً ، فيلجأ الى هيئات المطاوعة مثل إنفصلت الأرض عن الشمس ، إنتظمت حركتها ، تطورت الأحياء على سطحها ،... ظاناً أن هذه التعابير تغنى عن ذكر الأسباب والعلل ونسي أنها من أفعال المطاوعة التي هي معلولة بالضرورة لأفعال أخرى غيرها ، وقد تضطر فطرته أحياناً الى نسبة الأثر الى المؤثر ، فينسب مالا يرى للصدفة مجالا فيه الى الطبيعة العمياء ، وهو لو أنصف لرأى خطأه جلياً لا ابهام فيه ولا غموض. ثم لاحظت أن هذه الفلسفة المادية الحسية قد اصطدمت بفلسفة وجود الروح المبتنية على الابحاث فى علم التنويم المغناطيسي

وإستحضار الأرواح التي إعتنقها كبار فلاسفة العصر الحاضر وبذلك تلاشى تأثير فلسفة الالحاد في الأذهان، وظهر لي في أثناء التدقيق ان انكار عالم الروح ليس بنتيجة علم من العلوم اوزبدة فلسفة من الفلسفات نشأت في قرن من القرون ووقفت حيث هي بحيث ان من قرأ ذلك العلم أوشارف تلك الفلسفة أنكر الروح والخلود ، كلا وانما ذلك الانكار حال يعتري النفوس المستعدة له فيسلب عنها أجمل صفاتها وهي الطمأنينة للحق ويجعلها مسرحاً لشياطين الشكوك والريب حتى ان الواحد من المصابين بهذا المرض ليشك في وجود ذاته ووجود الكون المحيط به من كل مكان وله أسباب كثيرة منشأها التربية والمعاشرة والمحيط والمجتمع ومقام دينه من الضغط على العقول والأفكار أومن الحرية والاطلاق الخ من الأسباب التي تشكل الطباع والميول وتصب الرجال في قوالب لا يقدر على بعضها اي علم من العلوم ولذلك نرى الالحاد في الأوربيين في بعض طبقات الامة اكثر منه لدى العلماء انفسهم للأسباب الاجتماعية والأدبية التي تعيش الأمــــة في وسطها ، وربما يظهر لنا بالاستقراء والتحليل ان تلك الأسباب الاجتماعية والأدبية اشدفعلا في احداث تلك الحالة الالحادية من العلوم التي يقصد بها بث الالحاد والجمــــود،.

ثم صادفت كلمة للفيلسوف الألماني « ادوردهاتمان » خليفة « شوبنهور » في كتابه (المذهب الداروني) يمكن الاقتراب من الحقيقة على ضوئها وهذا نصها :

إن الرأي الذي مقتضاه عدم وجود القصد في الكون عند الداروينيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التي لا أساس لها من العلم (انتهى)

ومتى ثبت القصد في الكون فقد ثبت وجود المدبر الحكيم من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه (أفي الله شك فاطر السماوات والأرض)

وكيف يتصور أن يكون صدور الموجودات العالمية عن المبدأ الأول كصدور الضوء عن الشمس ، أو الحرارة من النار لأنه يستلزم إلغاء الارادة الآلهية ، ومتى ألغيت هذه الارادة تبعتها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصرا كل ما في هذا الكون من نظام وإتساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائراً يتخبط تبعاً للمصادفات الرعناء ، وهذا لا يتصوره عاقل بعد مشاهدة هذا الابداع الحكيم في كل جزئية من جزئيات العالم ، الا إذا تصور أنه اذا وضع كمية من الأحرف الحديدية في علبة ، ثم أقفلها وهزها ردحاً من الزمن ، وفتحها يجدها قد كونت من نفسها مقالة ليست منظمة الكلمات والجمل فحسب بل راقية الاسلوب عالية العبارة ، سامية المرامي والأغراض .

ان هذا القائل يسير بغير هدى ، يتلمس النور في الليل ، وينشد النظام في الفوضى ، ويتمنى الوصول الى شاطىء الأمان وهو يتخبط في بحر الظلمات .

وظهر لي جلياً من تدقيق محاضرات « غوستاف لوبون » الفرنسي خطأ الرأي القائل بأن المادة تتألف من عناصر جامدة لا يعتريها العدم وجدت في أول الأشياء ، وتبقى في خلال جميع تطوراتها بقاء سرمدياً

وخطأ الكيمياء إذ كانت تقول : لا يفنى شيء . لأن المادة كانت رغماً عن الاستحالات التي تطرأ عليها تظهر حافظة لوزنها الأول ، ولكنه برهن حسياً في تلك المحاضرات على ان المادة مركبة من مجاميع صغيرة تشبه المجاميع الشمسية . مؤلفة من ذرات يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جداً .

وهي وان كانت ثابتة في حسنا فما ذلك إلا بسبب تلك السرعة المفرطة ، وأثبت أن المادة خاضعة للناموس الحتم الذي يقضي على جميع الكائنات بالفناء والتلاشي .

وزادني إقتناعاً كتابه الذي أسماه « تولد المادة وفنائها » ثم صادفت مقال الدكتور (فيلبون) في مجلة (العلم والحياة) صفحه ٤٥١ من سنة ١٩١٧ « لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة « المادة » فما يدرينا هل تحل كلمة ﴿ روح ﴾ محل كلمة ﴿ قوة ﴾ هذه المسألة المحيرة لا تزال سراً من أسرار المستقبل . »

فعرفت ان العلم قد توصل الى إحالة المادة الى قوة ، اي الى اثبات انها عرض من أعراض القوة ، وبهذا منيت الفلسفة المادية التي حاولت في خلال عدة قرون ان تقطع كل صلة بين الانسان وما فوق المادة ـ بفشل حاسم لا قيام لها بعده من طريق العلم الطبيعي نفسه ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد في تأديب الانسان وردعه عن البت في ما ليس من شأنه ان يبت فيه ، وفي تشكيكه في كل ما أسسه من الأصول العلمية وإعادة وضعها في الميزان تحت ضوء النقد الصارم ، والتمحيص الدقيق

فسقط بذلك العجب الذي كان يخيل للعلماء أنهم أدركوا حدود كل شيء ، وأصبح لهم الحق في الحكم بالوجود أو بالعدم على كل مايعرض لهم البحث فيه حكما لايقبل المراجعة ولايحتمل التشكيك .

حينئذ فهمت المقصود من كلمة كان يكررها أستاذي في الفلسفة وهي : لاغنى للطبيعة في تعليل أسرارها عن التوحيد ، وان محل التوحيد من الطبيعة محل الشعاع من السراج ، أو النتيجة من المقدمتين .

واستغربت مقال من يحاول فصل الدين والعلم ، ويثبت التنافي بينهما ، ويرى ان التقدم والرقي لا يتفقان مع مبادىء الدين ظناً منه أن الدين مجموعة تقاليد موروثة في العقائد والعبادات ، وان العلم مبني على الحس والمشاهدة والنظر العقلي ، يعني به العلم الطبيعي ، ويزعم ان في ذلك العلم ما لا ينطبق على الدين فنسبه للقصور أو الجمود وعدم الصلاحية للقرن العشرين ، ونسي أو تناسى ان كثيراً من مكتشفات العلوم العصرية حدس وتخمين ورجم بالغيب وانه عسى أن يثبت غداً ضد ماثبت اليوم كما ثبت اليوم ضد ما أثبت أمس وعلى تقدير التسليم أرى أن كون بعض الأديان لا يتفق والعلم الطبيعي لا يلزم منه ان كل الأديان كذلك كما أن منافاتها للعلم الطبيعي لا يستلزم أنها منافية للعلوم الأخرى مضافاً الى ان العلم الطبيعي اقترب من الدين بعد ان القى الالحاد سلاحه حسبما بينا ولو كان العلم ينافي الدين ، فكيف انتشر الدين الاسلامي في أقطار العالم؟ وكانت أنوار العلوم والمعارف تضيء الكون الى جنب نهوض المسلمين واتساع سلطانهم ، وإذا كان التقدم والرقي لا يتفقان مع مبادىء الدين

فكيف إذن ازدهرت الحضارة الآثورية واليونانية والمصرية القديمة بما في ذلك العلم والصناعة ، وجميع نواحي الانتاج الانساني ، ازدهاراً بهر العالم ولم يزل موضع الاعجاب حتى الآن ، مع أن الأساس لها كان أساساً دينياً ؟.

حينئذ تمنيت لو أتيح للانسان أن يكون مؤمناً وعالماً ، ويجمع بين هاتين القوتين اللتين ليس له عنهما غنى ولا منصرف . ، فان قوة الدين تعصمه من اليأس والهلع ، وتفتح أمامه أبواباً من الأمل الذي ليس له حد ، وتمكنه من أن يلقى الخطوب ويتجشم الاخطار راضياً مطمئناً مستبشراً ، وقوة العلم تمكنه من الحياة ، كما أتيح ذلك للعالم (باستور) فانه على جلال خطره وبعد أثره في العلم كان أشد الناس تديناً وأكثرهم ايماناً .

ثم لاحظت آراء أبي الفلسفة الحديثة وزعيم نهضتها (ديكارت) فوجدت أنه بعد تشكيكه في الاحساس والقوى ومدركاتها ، وفي المنطق والاستدلال والعلوم الطبيعية والمكان والحركة إستقر على قضية إعتقد انها يقينية ، وهي :

« أنا أفكر ، إذن فأنا موجود » فاتخذ من التفكير برهاناً على الوجود ، ثم بدأ فلسفته بحلقة التفكير ، لانه فطري منبعث من قوة داخلية لا تخلوا منها أية نفس بشرية فبنى أساس فلسفته على هذه القضية اليقينية ، وأول شيء استنتجه منها هو التمييز بين النفس والجسد فحكم بأن النفس جوهر مجرد مفكر ، والجسد جوهر متحيز يقبل الشكل والوضع

وأقام لذلك أدلة ثلاثة .

ولما رأى (ديكارت) ان الفلاسفة المتقدمين عليه بدأوا سلسلة الاستدلال على وجود الله تعالى بحلقة وجود العالم المحسوس، واعتقد أن هذه الحلقة يمكن الشك فيها والطعن عليها من جانب الذين يقولون ان حقايق الأشياء غير ثابتة ، إبتدع حلقة التفكير البديهية التي لا يستطيع أحد ان يشك فيها . لأن المنكرين والأرتيابيين جميعا مجمعون على ان احكامهم بالانكار أو الريب ناشئة عن تفكير ، وإلا لكانت نوعاً من الهراء فالتفكير موجود لا نزاع فيه ، لأن كل حكم ايجاباً كان أم سلبا صادر عن تفكير ، ومن حيث أن التفكير معنى مصدري لا يقوم بنفسه فقد وجب ان يوجد كائن واقعي وموجود خارجي يصلح لأن يكون ظرفاً للفكير ، ولا يمكن ان يكون هذا الكائن غير الانسان ، لأن بقية الكائنات الحية لا تشمل الا على حيوية (ما كينكية) تسير اجسامها وإذن فالكائن المفكر – وهو الانسان – موجود فانتظمت لدينا قضية بديهية ؛ وهي : أنا أفكر واذاً فأنا موجود) يستنتج منها أن المفكر هو جوهر مجرد في الانسان وهو نفسه وعقله ، لا جسمه ؛ لأنه كغيره من الاجسام ، والموجود لا بد له من موجد يفوقه في صفات التشريف والطبيعة لا يمكن ان تكون هي هذا الموجد ، لانها محرومة من العنصر المشرف الذي يستمتع به الانسان وهو العقل والجوهر المجرد المفكر فلا تستطيع أن تمنحه اياه ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وإذن فموجد هذا الكون ذات عاقلة مدبرة أزلية أبدية مستمتعة بأسمى أنواع الكينونة

أما وجوب كونها عاقلة فلكي يمكن الايمان بأنها مانحة للعقل ، وأما وجوب كونها ازلية فلكي لاتفتقر الى موجد يحتاج هو بدوره الى موجد حتى يقودنا ذلك الى التسلسل الباطل) هذا ملخص ما أفاده ديكارت ولكنه لا يتم الا بالبرهان على بطلان التسلسل، وهذا من أشكل الامور في الفلسفة الحديثة ، ولكني استغنت فيه من ابن سينا ورأيت ان برهانه المسمى بالوسط والطرف على بطلان التسلسل مبني على قضية بدهية هي : أن الوسط لا يوجد بدون وجود الطرفين) وهذه احدى النتائج التي استفدتها من الفلسفة القديمة فاطمئنت نفسي ببلوغ بعض ما تريد. بدافع غريزة الشعور الديني ـ الفطرة ـ من معرفة مبدأ حياتها ومنتهاها .

وجلب نظري برهان آخر أقامة (ديكارت) على وجود الله فقال اني أشعر اني ناقص، واشعر كذلك أن نقصي جاء من ناحية الشك الذي صحبني زمناً . لأن الكمال مرافق لليقين ، واني أدرك أن هناك كمالا بالمقابلة الى نقصي ؛ وان هذا الكمال معنى مصدري وهو مفتقر الى موجود قائم بذاته ، وهذا الموجود لا يمكن ان يكون أنا ، لأني اثبتت نقصي لأني شككت يوما ، ولا موجوداً أقل مني لأنه أحرى بالنقص ، ولا أن يكون حادثاً ارفع وأعلى مني، لأنه لحدوثه يحتاج الى محدث يفوقه في صفات التشريف ، فهو حينئذ يكون أقل كمالا من محدثه فأن اتصف هذا الحادث الذي هو ارفع مني بالكمال المطلق لزم ان يكون أكمل من محدثه وهذا محال ، فاذن الموجود الاكمل هو منشىء

كل شيء .

ويجب تكميل هذا البرهان ايضاً بأن كمال الموجود الاكمل يلزم ان يكون كمالا حقيقيا وذاتيا وواقعيا لا من سنخ المفهوم المصدري واثبات ان المبدأ والمشتق منه في اوصاف الله يستعملان في معنى واحد .

ثم نظرت في آراء الفيلسوف (كانت) الألماني ، فرأيته يقول :

ان الفلاسفة اجمع قد اعتمدوا إما على التجربة ، وإما على ماوراء الطبيعة ، وكلاهما يؤديان الى نتيجة خاطئة ، لأنهما يعتمدان على الماهيات التي منحتها الحواس للأشياء ، والحواس أقل من أن تكون عماداً لبراهين وجود المبدأ الاعلى ، واذا فلم تبق لدنيا قوة تستطيع ان تبرهن على الوجود الأسمى الا (العقل العملي) وهو (الضمير) فمنه وحده يبرز البرهان الصحيح على وجود الله ، وهو مصدر سائر البراهين على وجود النفس وخلودها ، لأن الضمير هو مشرع (القانون الاخلاقي) والاخلاق عماد البراهين كلها ، وذلك لأن هذا القانون قد أمر بالواجب الذي لا يتم الانسجام الا به ، ومن حيث ان الواجب قد يهمل احيانا فالانسجام قطعاً يتخلف فيها ، ومن حيث اننا عجزنا عن تحقيق هذا الانسجام دون تمكينه من التخلف ولو مرة واحدة ، فيجب ان ان يكون هناك قوة قاهرة كاملة تستطيع ان تحقق هذا الانسجام دائما ، وهي (الاله) وبعبارة اخرى ان مجرد ادراك التخلق بالفضائل مرتبط ارتباطاً وثيقا بادراك السعادة ، وجدارتنا بالسعادة متعلقة بتمسكنا بالفضيلة . ولكن السعادة الواقعية لا تنبع دائما من الفضيله . فيجب ان

نعتقد ان هذه السعادة لابد ان تتحق بسبب كائن لا بحد متصف بالكمال المطلق وبالعظمة البالغة حدالنهاية ، والعدالة التامة والحكمة الوافرة . وإذاً فبرهان وجود الله هو اولى نتائج (القانون الاخلاقي)

ومن حيث ان كل ما في الارض من سعادات ونعم لا تكفي لاثابة شخص واحد على قيامه بالواجب مرة واحدة ، فاذا أضفنا الى هذا أن كثيراً من الفضائل والرذائل يعمل تحت ستار الخفاء وان ما يكتشف منها لا يكافأ او يعاقب كما ينبغي ، وان هذه المعاملة تنافي العدالة ، فيجب ان نجزم بأن هناك حياة اخرى وراء هذه الحياة تجري فيها العدالة الالهية الجديرة بالكمال مجراها وهذه هي النتيجة الثانية من « قانون الاخلاق » .

ومن حيث ان القانون لاخلاقي الذي هو من وحي (العقل العملي) (الضمير) يكلف الانسان بالواجب . وان التكليف لا يمكن ان يكون الا للقادر ، وأن القدرة لا تتحقق الا مع الحرية . فيجب ان تتحق هذه الحرية لكي يمكن تحقق الواجب وهذه هي النتيجة الثالثة (للقانون الاخلاقي) .

وإذاً فمن للأخلاق تؤخذ براهين وجود الله ، وخلود النفس أو الحياة الآخرة ، والحرية الانسانية ، اه .

وعلى هذا أصبح ماوراء الطبيعة هو المعتمد على الأخلاق والمستعين بها عند « كانت » لا الأخلاق هي المعتمدة على ما وراء الطبيعة كما كان يتصور الفلاسفة السابقون .

ويؤكد (كانت) ان الفلسفة المبنية على أسس الاخلاق تظل أبداً في مأمن من معاول الأرتيابيين ، وأما ما عداها من الفلسفات ، فهو عرضة للهدم والتحطيم ، وبهذه الخطة استطاع (كانت) أن يقلب المناهج الفلسفية التي تقدمته .

ثم تفنن الامام الزنجاني في سرد آراء فلاسفة الغرب وأطال في البيان ، وانتهى الى رأي من قال : « ان أدراك الانسان محدود ، فاذا بلغ حده استحال عليه معرفة ما وراء ذلك ، وان في الطبيعة قوة يستحيل على العقل البشري ادراكها ، أما الذي نستطيع ادراكه فهو محصور في العلل الثانوية (١) والغايات الثانوية في الأسباب التي نراها تنتج عنها وان لكل أنواع الموجودات تاريخاً يشمل كل الزمن بين خروجها مما لا يدرك بالعقل ، وبين عودها أخيراً الى ما لا يدرك به (انتهى)

قال الامام : استغربت هذا التفريط من فلاسفة الغرب مثلما استبعدت افراط الفلاسفة القدماء المغرورين بعقولهم حينما يطلبون أن يتكلف العقل ادراك كما في عالم الوجود حتى أسرار الكون ، وغوامض الطبيعة ، وفلسفة الأديان وأن يحيط بواهب العقل وعلة العلل ، وهذا أمر خارج عن نطاق إدراكه ، لوضوح قصوره عن الاحاطة به ؛ سيما بعد أن تقهقر العقل في العصور الأخيرة الى مرحلة الطفولة الأولى كي لا يحاول ان يفهم إلا العالم المادي بواسطة الحواس التي تخطىء كما

(١) مراده من العلل الثانوية العلل المتأخرة عن العلة الأولى فتشمل سلسلة العلل كلها ما عدا العلة الأولى وهذا مصطلح الفلاسفة الخاص .

كما تصيب ، وتحيد عن الحق كما تمزن وتستقيم .

وهذا مثل ان الانسان اذا القى نظرة واحدة الى حديقة كبيرة وسيعة غناء تتوسطها قصور ومايلزم من مرافق الحياة عرف فوراً حقيقتها وفائدتها وغايتها ، ولكن النملة لو تجولت فيها وطافت عليها وسارت في ازهارها واشجارها وبنائها مئات السنين فانها سوف لا تعرف شيئاً من حقيقتها ومن فوائدها ، بل تزعم في كل آن أنها صارت في عالم مخصوص مستقل من عوالم الوجود ، وهكذا يتمشى القول في نسبة بصيرة الانسان وعقله الى أسرار عالم الوجود ، وفلسفات الشرائع والأديان .

وبعد التدقيق والغور في الفلسفتين القديمة والحديثة ظهر لي جد الأعتدال ، وهو ، أن العقل يستطيع ان يثبت وجود العلة الاولى (المبدأ الأول) بالبراهين اليقينية والحسية ، ولكنه قاصر عن ادراك حقيقتها ، وصفاتها الحقيقية « انتهى » ما أردنا إقتضابه من محاضرة الامام الزنجاني الارتجاليه المطولة التي لا تتسع صفحات هذا الكتاب لنقلها فانها تستغرق مأة وعشرين صفحة .

وقد صرّح فيها الامام بأنه لم يستفد من الفلسفة الحديثة ما يفيد في هذا الموضوع سوى مسئلتين ، ولم يجد في الفلسفه القديمة سوى ثلاث مسائل ، ووجد في علم الكلام مسئلة واحدة فقط لها فائدة في هذا الموضوع واستعان الامام بهذه المسائل على اثبات وجود الصانع وتوحيده وصفاته ، وأن ثبوت المبدأ يستلزم ثبوت المعاد ، ثم بين حكمة الخلق وأسرار الوجود ، وغوامض الاجتماع وانتهى الى لزوم بعث الرسل

والانبياء (ص) وكشف عن سر تعددهم وكثرتهم، واختلاف شرائعهم حسب اختلاف الاستعداد في البشر، وتدرجها حسب ناموس الارتقاء إلى أن بلغ الانسان أقصى مراتب الرشد فاستحق أرقى الأديان

وقال: يختلف الناس في الطاعة حسب اختلافهم في درجات المعرفة فمنهم من عرفوا ان دين الله الحق مثله منزه عن الكثرة والمناقضة ولا تبديل لكلماته، وان الأديان الالهية كلها قوانين حقة انزلها الله تعالى لصالح البشر، وهي من ناحيته تعالى واحدة ليس فيها اختلاف ولا تغيير، وانما تتراءى متخالفة ومتغائرة في ناحية البشر حسب اختلاف استعدادهم، وأن الانقلاب الديني إضافي بالنسبة الى المكلفين بالدين وهؤلاء لا يصعب عليهم اعتناق الدين الجديد وقبول القانون الآلهي الجديد الذي اتى به الرسول المبعوث (ص) لعلمهم بأن المشرع واحد وهو الذي تجب طاعته، ولا غرو في ان يبدل قانونه ويغيره بحكمته لاقتضاء المصلحة له، وان امتثال القانون الجديد هو امتثال المشرع كما كان إمتثال قانونه القديم إمتثالاله قبل تشريعه قانونه الجديد، وهؤلاء العارفون لا يصعب عليهم تصديق المبعوث الجديد بالمعجزات وقبول ماأتى به بل يمتثلون كل واحدمن القديم والجديد في حينه لأنه إمتثال المشرع والناس مكلفون بامتثاله لا بامتثال القانون بما هو قانون، وعندهؤلاء جميع الأديان والشرائع الآلهية حق وصدق ويجب اتباع كل منهافي حينه وكل واحد منها يصدق سائرها، ويعاضدها، ولا مناقضة بينها أصلا لأن كلها من عند إله واحد (لا نفرق بين أحد من رسله).

ومن الناس من لا يعرف المشرع والحاكم حق معرفته ، وانما يعرف القانون الديني فحسب ، فيتوغل في عالم التضاد والمناقضة بين الأديان ، ويهمه امتثال القانون لا امتثال المشرع ، ويسيطر عليه الجمود ويتولد منه الجحود فيتعصب للدين المنسوخ ، ويصعب عليه قبول الناسخ فلا يكون نصيبه من الدين سوى الحيرة والضلال ، والقيل والقال ، والخصومة والجدال ولا يستطيع الوصول الى ساحل الحقيقة والخلاص أبداً وهؤلاء في مستوى الذين ينكرون المشرع أو يشركون به .

ثم قارن الامام بين الأديان الآلهية ، وانتهى الى تفضيل الاسلام على غيره بمزاياه ، وتقريره السعادة المزدوجة ، وشرح تعاليمه السامية في الأصول والفروع ، ثم استعرض الامام المذاهب الاسلامية ، وتكلم طويلا في موازنة بعضها مع بعض حتى إنتهى الى صحة مذهبه الذي يعتنقه

الإمام الزنجاني

في مصر

ألا ترى أنها معجزة من معجزات القدر أن يهيىء الله (جل شأنه) لسماحة الامام الزنجاني طلوعه على مصر – ومصر حاضرة الثقافة العربية ومصدر الانتاج الأدبي وزعيمة الشرق العربي في شهرتها الواسعة، ومكانتها العلميه والأدبية، وجبروت ثقافتها وهو فرد (ولكنه كان جيشاً في إهاب رجل، ورجلا في عزيمة جيش)

﴿ وكل عضو في الروع منه جموع ﴾

﴿ وكان من نفسه الكبيرة في جيش وان خيل أنـــه إنسان ﴾

لقد وقف الامام الزنجاني في مصر على ذروة توازي ذروة الهرم الأكبر بل تعلوا عليها، وكأن خيوطاً من النور تصل بينه وبين عظماء الكنانة الذين ساهموه في جهاده المقدس العظيم.

فغمرها بموجة من الهيبة الآلهيه، والروحانية القدسية، والعقلية الفياضة، والعبقرية العلمية، وتجلت ميزة العلم والفلسفة، وشدة العقل والاخلاص في أقواله وأفعاله، فقد أوتي منها ما يضمن له منزلة رفيعة في نفوس الامم، في مشارق الأرض ومغاربها، ومكانة سامية في قلوب زعمائها وأعلامها، (وبمثل هذا كان الامام يعدل أمماً وتنطوي في مؤهلاته أجيال) فأمالوا له الأعناق خضوعاً؛ وطأطأوا الرؤوس أمامه تواضعاً، وآمنوا بدعوته؛ وأحلوه مكاناً لا ثقابه، وأصبح الكل حاسة سمع لما يلقيه عليهم من بليغ القول وطيب الكلم وخالص الحكمة وخلاصة العلوم ولباب الفلسفة وشعروا انـــه مصلح عظيم لا يستهدف سوى الصلاح والاصلاح ولم يسلك الا طريق الوحدة

والسلام فقابلوه بفائق الأحترام ووافر الحشمة وأعدوا له منصة الارشاد وإئتموا به فكان خير امام وهاد .

ولقد عرف الناس في أقطار الشرق العربي وديار الاسلام جميعاً بل في مشارق الأرض ومغاربها صوته العالي الذي ترجع في وادي النيل داعياً الى الوحدة الاسلامية الشاملة والسعادة الانسانية الكاملة فرن صداه في وادي بردي وسهول الرافدين وبطاح الجزيرة ودوى به الشرق وفتح مجالا واسعاً للعمل الجدي في سبيل الوحدة المنشودة .

وهذه لمحات عذبة من نفحات هذه الرسالة السامية التي إضطلع سماحته بالدعوة لها .

قدوم عالم جليل *

الاسكندرية في : ٢٧ ـ اكتوبر ـ ١٩٣٦ ـ لمندوب الأهرام .

وصل الاسكندرية اليوم من العراق فضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني من كبار علماء النجف الأشرف في طريقه الى القاهرة

وقد زاره فضيلة شيخ المعهد السكندري ، ثم زار فضيلته دار جمعية الشبان المسلمين في الاسكندرية ، وسيسافر فضيلته في الساعة السابعة من صباح غد الى القاهرة .

«*» نقلا عن جريدة « الاهرام » المصرية ٢٨ - ١٠ - ١٩٣٦

صورة عن النجف (١)

حديث لعالم شرقي كبير

(الحياة الدينية والمدنية في بلاد النجف وشؤون هامة أخرى)

لمكاتب المقطم الاسكندري

قدم الاسكندرية من أيام العلامه الكبير الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني من كبار علماء مدينة النجف الأشرف ومن أظهر فلاسفتها ومفكريها ، وقد ضمني وسيادته بعد وصوله الى الثغر بقليل مجلس في جماعة الشبان المسلمين دارفيه بيننا حديث على هذا البلدالكريم وما فيه من فلاسفة وعلماء وكتاب وعن الحياة المدنيه والأدبية فيه أجمله فيما يلي :

هذه هي المرة الأولى التي يهبط فيها هذا الشيخ الامام الديار المصرية وقد جاءها كما قال لي لدرس أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية والزمنية والحياة في مصر من جميع نواحيها العامة والخاصة .

أما لبس الشيخ فعلى غرار ثياب أعلام علماء العراق وإيران ، وهو فصيح العبارة رصين الالقاء ولاغرو فهو من العلماء الجهابذة الواسعي الاطلاع المحيطين بكل ما في بلاد الشرق من شؤون وأحوال ونهضات

(١) نقلا عن جريدة (المقطم) مصر ـ القاهرة : مساء الجمعة ٣٠ ـ اكتوبر ـ ١٩٣٦ ـ ١٤ شعبان ١٣٥٥ وعن المذكرات

فلسفية أو ثقافية أو علمية ، وبمعنى آخر ليس هو من رجال الدين فحسب

قلت لفضيلته بعد أن رحبت بمقدمه ، سيدي زدني علماً بمهمتك

فقال لي أردت الاطلاع على أصول التدريس الديني عندكم وعلى النفسيات والمعارف الزمنية الموجودة في هذا القطر المحبوب ثم الوقوف على مبلغ العلاقات الودية التي تربط الأمة العراقية والأمم الاسلامية بالامة المصرية ومعرفة الفوائد الادبية التي تنفعنا في اصلاحات زمنية سواء في مناهج التدريس أو أصول الفحص والتنقيب في بلادنا . وبما ان جماعات الشباب من أهم العوامل المؤثرة في حياة الامم فاني لسعيد أن يكون أول من ألتقي في مصر هم ورئيسهم وسكرتيرهم الفاضل وانه لمن فضل الله علي ان أزور بلاداً مستقلة مجاهدة وفي هذه الظروف الحسنة بعد ما طال شوقي لرؤيتها .

وتذكرت من مشاهدة الاسكندرية مدرستها التاريخيـــة أعني « مدرسة الافلاطونية الحديثة » ومؤسسها الحكيم (أفلوطين) وما استهدفته تلك المدرسة من تكوين فلسفة جديدة في صورتها ، قديمة في جوهرها ، بمزيج من آراء أفلاطون ، وأرسطو ، وزينون ، محدودة في دائرة التنسك الشرقي ، .

وتذكرت ايضاً جهود الاسكندر الأكبر في سبيل تحقيق أهم مبادىء الفلسفة الاستوئيسية وهو مبدأ الوحدة الانسانية ، لاعتقاده أن اشتراك أفراد الانسان جميعاً في العنصر السامي وهو العقل يجعل فكرة إزالة الفروق الوطنية والجنسية أرقى ما تصل اليه الهيئات الاجتماعيـة

من سمو وعظمة ،

ولا يخفى أننا في معاهدنا العلمية نستعرض هذا المبدأ في تفسير قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم الخ) حيث اثبت التكريم الالهي لنوع البشر ، مع تذكيرهم بالأخوة الانسانية وأنهم من اصل واحد

ثم تذكرت القاعدة المشهورة (فرّق تسد) التي هي من وصايا الحكيم اليوناني « ارسطو » للاسكندر حينما تغلب على الممالك الفارسية قبل الميلاد وقتل الملك (دارا) واركان الأكاسرة وهم بقتل الرؤساء الباقين عن بكرة أبيهم فمنعه استاذه (أرسطو) وأشار عليه بتقسيم تلك البلاد الى عشرين مقاطعة وتمليك عشرين ملكا من أولئك الرؤساء عليها فقبل الاسكندر وصيته وهم المسمون بملوك الطوائف الأولى ، فتجزأت قواتهم ولم يجتمعوا على المصلحة العامة وبذلك أمن الاسكندر من غائلة الانتقام واستمر الحال في البلاد الفارسية على هذا المنوال يتنازعهم خلف عن سلف زهاء خمسمائة عام ، حتى قام أردشير بن بابك من أحفاد ساسان فخلص الممالك الفارسية من ملوك الطوائف المختلفين وجدد عهد الأكاسرة .

هل لي أن أعرف من سيادتكم شيئاً عن بلاد النجف .

هذا بلد تقترن شهرته باسم الخليفة العباسي هارون الرشيد فهو الذي اكتشف فيه قبر الأمام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فأمر بتحجير بناء على مرقده المقدس ، ومنذ ذلك الزمن صار مزاراً لشيعة الامام أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده واسباطه واتباعه .

ثم تأسست مدينة النجف الأشرف تدريجاً حوله . وليست عظمتها في سعتها ، بل جمال النجف روحها ومعنوياتها ، إن الانسان كلما ازداد بهذا الروح اتصالا ازداد تعلقاً وشغفاً ، وبهمم ملوك المسلمين الصالحين استبدل التحجير الهاروني ببناء عظيم يحتوي على أجمل التحف الفنية التي تبدع في زينتها ، وتتفنن في إبداعها وتملأ العين والعقل وتحيط بهذا البناء العظيم أروقة وسيعة جميلة تحتوي من بدائع الفن الساحر على ما يستوقف النظر ، ويخلب الألباب ، وتتجلى في كل جزء من بناء هذا المشهد العظيم آيات الفن والجمال ، وعظمة المقدرة الفنية ، وبراعة الفن القديم في جلاله وروعته وفي أبهى مظاهره ، وبراعة الصانع ، وذكاء الآثار الناطقة بذكاء أجيال ، فعلى كل حجر من أحجارها وكل جزء من أجزائها آية لتضامن قوة العمل البشري الذي ينظمه ويحركه جهد الفنان .

ان الزائر ليدهش مما يشاهده من جمال الفن في ذلك البناء الرائع وفي ضريح الامام الأعظم ـ مثوى القلب الذي يوزع على العالم أجمع مواد الحياة الروحية السامية ـ لا من صورها فقط بل من أوضاعها ونقوشها وعجائبها التي لا يخلص الزائر من واحدة منها حتى يرى أخرى أكثر ابتداعاً وأشد استرعاءاً للخاطر من سابقتها .

وكذلك تدهش الزائر معلقاتها المصنوعة من الذهب الأبريز غارقة بما تعرق من الأحجار الثمينة واليواقيت التي يخطف الأبصار لمعانها وتستوعب خزائن الدنيا أثمانها ، فيجمع مشاعر زائرها حس واحد بين

الذهول والروعة : هوالاكبار .

ولا أستطيع أن أصف روعة الصحن الوسيع المحيط بذلك البناء الشريف ، وبهاء تلك القبة الذهبية الشامخة التي تسامى السماء رفعة وإجلالا ، وتضاهى الشمس توهجاً وشعاعاً وتناطح السحاب ارتفاعاً وهي مشرقة السناء بهية المنظر ، ويقصدها دوماً الحشد الزخار من المسلمين من شرق الدنيا وغربها يتبركون بأعتابها ، ويسألون الله مقاصدهم عند ضريحها القدسي المشيد بأعجاز الفن المبدع جامعاً على جودة الصنعة نفاسة المادة في بهر رائع وفتون بالغ ،اؤه العظمة وماؤه الجمال .

نعم هكذا تقبل الدنيا إلى من زهد فيها وطلقها وأعرض عنها إيثاراً للدار الآخرة وهكذا يدوم على وجه الأرض ما كان لله وحده حينما أصبحت عظام مناوئيه الجبابرة الذين كانوا يعبدون الدنيا مبتذلة محتقرة تدوسها الأقدام غير متحرجة ولا آسفة .

هذه صورة مصغرة جداً من جامع النجف الأشرف . وأما جامعة النجف الأشرف فهي من أقدم الجامعات الاسلامية ومنزلته من الشرق منزلة الأزهر الشريف من حيث القدم فقد مضى على تأسيسها ألف سنة تقريباً ، وقد جعلت أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف عناصرهم وجنسياتهم ، ونظمت مناهجها على وجه تحقق آمال المسلمين فيها ، وتتناسب مع تاريخها المجيد ، وتعد خريجيها للقيام بالواجب الملقى على عاتقهم في جميع العصور على أحسن وجه .

وطائفة الطلبة فيها طائفة علمية بحتة تحتفظ بكيانها داخل البيئة العلمية

التي تكتنفها هيئة الأساتذة ، وهي هيئة لا تتعرض لغير المظاهر العلمية وهذه الغيرة على ان تبقى البيئة العلميه سليمة عن كل جرثومة سياسية أو نزعة حزبية هما اللذان يضمنان التفوق ويضمنان الانتاج الصحيح .

وأول ما تتبينه من الطلبه في معاهد النجف الأشرف هو الاقبال على العلم بروح الرغبة الصادقة ، والنشاط الكبير ، والاخلاص الاكيد لاعتقادهم بأن طلب العلم من أهم الفرائض الدينية وان العلم مطلوب لذاته وبدافع هذه العقيدة يبذلون أقصى جهودهم الجبارة في سبيل تحصيله الى درجة يستغنى معها عن تطبيق قوانين الفحص والامتحان عليهم يتجلى كل ذلك في الانصات التام لما يلقى عليهم من محاضرات الدروس ، وفي السكون الشامل الذي يسود قاعة المحاضرات وقد غصت وامتلأت مقاعدها جميعاً ، ويتجلى أيضاً في المناقشات الحادة بين الطلبة وبين أساتذتهم التي تحدث أثناء المحاضرة أحياناً ، وفي المحادثات التي تدور بين الطلبة أنفسهم خلال الفترات التي تفصل بين المحاضرات . ذلك بأنهم يفقهون أن تيار الحياة جارف ، وانهم إذا ما أتموا دراساتهم فانهم سيعملون في ميادين التخصص التي تحول بينهم وبين هذه المناهل العذبة ثم انهم في مظهرهم آيات للتواضع وحب الانزواء ، وتلوح عليهم سمات الجد والنصب وآثار السهر الطويل ، في المطالعة والمذاكرة والتحصيل ، وهم كلما علت مكانتهم العلميه ازدادوا تواضعاً ، وغاروا انزواءاً .

وأما الاساتذة في معاهد النجف الأشرف فانهم نخبة ممتازة من

المتخصصين في العلوم الدينية والفلسفية ، وأكثرهم شيوخ قد انحنت ظهورهم قليلا يمعنون في تفكيرهم ذاهبين الى معاهدهم متواضعين ، فعند ما يجيء المجد فيكلل بهالته جهودهم وابحاثهم ، يعلم ان هؤلاء الشيوخ يبتكرون النظريات العلمية ، ويجمعون ألوف المعلومات العالية التي تسطع منها في الحين بعد الحين الانوار التي تجدد شباب المسلمين بل شباب الشرق ، وتذكي في طلاب العلوم الدينيـــة والفلسفية الشعلة المقدسة الخالدة .

ولهؤلاء الشيوخ صور مختلفة المحبوبية في أنفس الطلاب ، حيث تتمثل منازلهم في أنفس الطلاب بمقدار استعداد الطالب ومقدار مافي قلوب الطلبة من شوق الى الدرس وهيام بالاستفادة من علوم الاساتذة الذين تعتز بهم معاهد النجف الأشرف .

ومن هؤلاء الشيوخ من لا يجدون دائماً في منازلهم من الكتب ماهم في حاجة اليه لتشييد دعائم العلم والحق والمجد فيذهبون الى (المكتبات الأهلية) وهي على قاب قوسين من جامع الامام الاعظم وهناك يتصفحون الكتب بشغف ويوجد بينها المجلدات العتيقة المتآكلة والاسفار التي أحالت الايام لونها ، ثم يعودون وقد حشوا أحقابهم بالأوراق المسودة ، ويمسكون بها كأنها طفل من لحمهم ودمهم ، ثم يحملونها الى منازلهم .

وفي ضمن هؤلاء الاساتذة من اذا لقيته خارج الدرس رأيته رجلا فاتراً جداً لا تشوقك رؤيته الى التطلع الى لقاءة ثانية ، ولكنه في

الدرس جذاب جداً يأخذ بعقلك وقلبك من بداية المحاضرة ولا يمكنك الانصراف عن متابعته بشوق وحماسة حتى تتم ساعة الدرس .

وخلاصة اقول : أن النجف الأشرف بجامعه وجامعته عاصمة العلوم والمعارف الكبرى ، وحصن العز العلمي ، وهي من حيث كونها وسطاً علمياً من أمتن الأوساط العلمية وأقدرها على تكوين الملكات العلمية ، وعلى تعود الافصاح عن الفكر بمنطق صحيح وبترتيب ووضوح وصبغة الحياة فيها حياة العلم الخالص والنسك القويم منزهة عن كل تلك المظاهر المموهة التي تسود حياة غيرها من البلاد ، وهي مدينة جميلة وعالمة ، وعفيفة وحازمة ، وذات جد ووقار ، وذات أسرار ، قد جمعت من البهاء والرواء مالا يمكن ان يحققه غيرها مهما حسن ، بل هي سجل للحياة الدينية ؛ ويجوز أن يقال : انها مدينة سماوية ، يسكنها صنف أشباه الملائكة .

ـ ما هي النهضة العلمية عندكم .

ـ قلت لكم ان مدينتنا تعد في الحقيقة عاصمة العلوم والمعارف والفلسفة وفيها مدارس حكومية كثيرة بين ابتدائية وثانوية ، ومدارس أهلية ومعاهد دينية توجهت عناية هذه المعاهد بكيفية خاصة الى مراحل التعليم الديني العام الذي يقصد منه التفقه في علوم الدين ، ونشر المبادىء الفاضلة والأخلاق الكريمة بين الناس على اختلاف طبقاتهم .

وفيها أقسام للتخصص في العلوم الدينية والفلسفية قديمها وحديثها وفي المواد التي تعنى بها معاهد النجف الأشرف للتبحر فيها ، ومنح

المتخرجين منها بشهادة الاجتهاد مع لقب الفقيه ، أو الفيلسوف .

وذلك لأن التخصص في العلوم هو الطريقة المنتجة التي جرى عليها علماء الاسلام في أوائل العصور ، واليها يرجع الفضل في تقدم العلوم وارتقائها قديماً وحديثاً .

ـ قلت : هل هذه المعاهد الأخيرة مقصورة على تدريس الدين .

ـ قال الامام : كلاّ . فنحن ندرس فيها الفلسفة ايضاً ، ومذاهب الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد وصدر الدين الشيرازي والرازي وابن العربي ، وكأرسطو وأفلاطون وسائر فلاسفة اليونان . وتعتبر هذه المواد الدراسية كضروريات ، وتمتاز معاهد النجف الأشرف بتدريس علوم أخرى كمالية ، وهي علوم متفرعة على أقسام الفلسفة : منها علم الأزياج ، وعلم الارصاد ، وعلم الاصطرلاب ، وعلم الربع المجيب وعلم الزائجة ، وعلم أحكام النجوم ، وعلم الخواص ، وعلم الأوفاق ، وعلم الحروف ، وعلم خواص الأعداد وعلم التكسير (التبادل) وعلم الأرقام ، وعلم صور الكواكب ، وعلم المسالك والممالك وعلم المناظر وعلم المرايا ، وعلم الجفر ، وعلم الرمل ، وعلم المزاول ، وعلم الاوزان والموازين ، وعلوم المتوسطات ، وغيرها من العلوم التي ربما يبلغ عددها ٥٩ علماً ومن جملتها علم حساب عقد الأنامل الذي وضعه العرب وكان متداولا في الامة العربية أيام الجاهلية ، وكان مستعملا في عهد النبوة وقد ورد في الحديث الصحيح : « أسلم أبو طالب (رض) بحساب الجمل فعقد بيده ثلاثاً وستين »

ونحن في نهضتنا العلمية اتخذنا منهجاً في دراسة الفلسفة يؤدي الى تحليل الآراء والمذاهب الفلسفية والمقارنة بينها وبين آراء جدت في نظر المعاصرين كآراء ديكارت وباكون ومذهب النشوء والارتقاء والنظرية النسبية التي وضعها أينشتاين ؛ ثم توسعنا في دراسة تفسير القرآن الكريم فنحن نبحث عن نظرية الجاذبية وناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع في تفسير قوله تعالى «إن الله يمسك السماوات والارض أن تزولا» ، ونعرض نظرية النشوء والارتقاء على ماجاء في القرآن الكريم في أصل الانسان .

وفي هذه النهضة إجتمع في معاهد النجف الأشرف على أساتذة الفقه وأصول الفقه والتفسير والكلام والحديث ، أساتذة الفلسفة وعلم النفس والأخلاق وآداب اللغة العربية وفقه اللغة ، وتاريخ الأمم الاسلامية ، وسنن الله الكونية وتاريخ التشريع الاسلامي ، ومقارنة الأديان السماوية ، يتعاونون على تزويد الطلاب بما يعدهم على أداء واجبهم الديني والعلمي على وجه يليق بهذا العصر ، ونحن حينما نجعل من مواد الدراسة ، مقارنة المذاهب الاسلامية نقصد منها تقريب وجهات النظر فيها لنجمع به كلمة الطوائف الاسلامية التي تفرقت شيعاً لاسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت للنقد والتحليل ، سيما في هذا العصر الذي أقبلت فيه الامم الاسلامية على عهد يتطلب منطق الاشياء فيه العمل المستمر الدائم على تبادل المنافع بينها وتوطيد علاقات المودة والولاء بينها ، وتوحيد شعورها ، فالمقصد ضم شمل الذين تجمعهم عقيدة

التوحيد ومقاصد الاسلام ، لمكافحة الالحاد والفوضى الأخلاقية ورفع كيان المسلمين الى المستوى الأعلى . في حياتهم الاجتماعية ، وليس المقصود إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين الاسلامي ، فان من خصوصيات الاسلام ان كل إصلاح في تعاليمها الحقة يحط من قيمتها ، فيجب أن تؤخذ كما هي عليه بغير تعديل ولا تنقيح . ان انحطاط المسلمين نشأ من فتورهم ، والفتور نتيجة لتعاميهم عن التعاليم ،. وغير خفي عليكم ان هذا الموضوع كثير المناحي ، لا تمكن الاحاطة به في هـــذا المجال الضيق ، إنما قصدت ان أرسم لكم صورة مصغرة لجامعة النجف الأشرف وما للعلوم الحديثة من الأثر فيها .

ثم قال السيد الامام : والحكومة العراقية تبذل كل المساعدة لهذه المعاهد وللعلم والعلماء وهي من أكبر أنصاره وانصارهم .

ـ ما هو المذهب السائد في بلادكم .

ـ الأغلبية الساحقة هم الجعفرية أي الشيعة الامامية في لوائنا ويوجد بعض الحنفيين ، ولكن هؤلاء وأولئك من دعاة الوحدة الاسلامية والاصلاح الاجتماعي ، ولا يألون جهداً في اعلاء كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .

ـ ما عدد سكان النجف ؟

ـ يربو عدد سكان قضاء النجف على مأة ألف نسمة على الأقل .

ـ هل فيها نور كهربائي وماء على النحو الذي ترى في الاسكندرية ؟

ـ نعم فيها النور الكهربائي والماء ووسائل الحضارة الحديثة وشوارع معبدة ومتسعة و نظيفة وقد بنيت فيها القصور والعمارات لا سيما في أطراف

المرقد الشريف وفي الأحياء المستجدة .

ـ ما هي وسائل النقل عندكم ؟

ـ السيارات من النجف الاشرف الى كربلاء (مدفن الامام الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله) وعدا ذلك فنحن متصلون بجميع الانحاء بسكة الحديد ، وان القادم في هناك ليدهش اذ يرى انقلاباً عمرانياً في البلاد العراقية عامة خلال هذه المدة القصيرة التي تشكلت فيها الحكومة الملكية العراقية على أساس الاستقلال التام :

ـ قلت : هل دخلت عندكم الحضارة ؟ وهل وسعتها علومكم ؟.

ـ فضحك الشيخ الامام في كمال وقال : ان هذه العلوم هي التي جلبت الحضارة الصحيحة وقد قدمت لك أن بلادنا فيها النور الكهربائي والماء النقي المنبث في جميع الدور والقصور على النحو الذي عندكم وأكثر منه

ـ قلت : أي العلماء الاقدمين أنجبت بلادكم .

ـ قال : لا يحصى عددهم . وأقدمهم شيخ الطائفة (محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي مؤسس جامعة النجف في أواخر القرن الرابع الهجري ومنهم : الآية الباهرة العلامة الحلي ، أبو منصور جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر ، وله من المؤلفات في العلوم الدينية وفي الفلسفة والكلام ، والمنطق ما ينوف على خمسمائة مؤلف ، وكان ممتازاً برعاية استقلال العلوم في مؤلفاته .

ومنهم : حجة الحق ومحيي الفلسفة ، نصير الدين الطوسي ، محمد

ابن محمد بن الحسن، ومؤلفاته في الفلسفة والكلام والعلوم الرياضية والعلوم الدينية ، والاخلاق أشهر من أن تذكر ، وترجم أغلبها إلى عدة لغات غربية ، وهو صاحب المرصد والمكتبة التي وصفها جرجي زيدان في آداب اللغة العربيه بقوله : انه قد جمع في خزانة كتبه ماينوف على أربعمائة ألف مجلد وانه أقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الاوقاف فزها العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قبس منير في ظلمة مدلهمة ، (انتهى) وغيرهم من العلماء الأعلام الذين لايحصى عدهم ولا تسع عشرات المجلدات الضخمة بذكر أسمائهم ومؤلفاتهم .

ـ وإذ كان الامام يلقي عبارته الفصيحة بلغة خلابة تشوبها لهجة جذابة تزيدها جمالا تذكرت السيد جمال الدين الأفغاني فقلت : مارأيكم في السيد جمال الدين الأفغاني ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ،.

ـ فقال الامام : لما دخلت هذه الدار وقرأت الآية المرموقة على وجهتها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتتفرقوا) تذكرت فوراً الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الحسيني وتذكرت كلمة مأثورة عنه وهي قوله (الأحزاب في الغرب دواء وفي الشرق تستحيل الى داء) وحسب هذا السيد انه زعيم النهضة الشرقية ، وأن المغفور له سعد زغلول باشا، والاستاذ الامام كانا من تلاميذه فهو فخر الشرق جميعاً .

أما الاستاذ الامام ، فقد دارت بيني وبينه مراسلات في عنفوان شبابي وعندي منه كتب أعدها من أنفس الذخائر وأثمن مايورثه الأول للآخر ، وكلا الرجلين من أبطال النهضة التي ينعم بها الشرق الآن .

— ثم خضنا بعد ذلك في أفانين شتى من الكلام أسفر فيها الشيخ الامام، عن ذهن متقد وبداهة حاضرة، وعقلية عظيمة جمعت بين كريم القديم، وطيب الحديث؛ فشكرت له في النهاية هذه المعلومات وتمنيت له طيب المقام بين ظهرانينا.

هذا ويسافر سيادته الى القاهرة غداً (الأربعاء) بقطار الظهر، لمقابلة كبار العلماء والمفكرين وسمو رئيس مجلس الوصاية ودولة رئيس الوزراء وغيره.

قدوم عالم كبير (١)

وصل القاهرة في الساعة الثالثة بعد ظهر أمس صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالكريم الزنجاني من كبار علماء الشيعة في العراق وإيران، قادماً من مدينة (النجف) في العراق عن طريق بيروت والاسكندرية، وقد استقبله في محطة العاصمة كثير من العلماء والأدباء والوزراء المفوضون ولفيف من كبار أعضاء الجاليتين الايرانية والعراقية.

وسيمكث فضيلة الشيخ الامام في القاهرة عشرة أيام يدرس في خلالها نظم التدريس ومناهجه في الجامعة الأزهرية.

(١) نقلا عن جريدة الاهرام ٢٩ اكتوبر ٩٣٦ – ١٣ شعبان ١٣٥٥

وفي الصفحة المقابلة يرى الامام الزنجاني حين وصوله القاهرة تحف به الوزراء المفوضون للحكومات الاسلامية ووجهاء القاهرة والاساتذة والأدباء والجماهير.



« فضيلة الأستاذ الأكبر والعلامة الامام الزنجاني » (١)

زار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، ومعه فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية، وفضيلة الأستاذ الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية، حضرة صاحب السماحة الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة في فندق (مودرن) الذي نزل فيه، ومكثوا معه ساعتين، وقد تناولوا في حديثهم بعض الشؤون الاسلامية العامة ونظم الدراسة في الأزهر، وقد أبدى الأستاذ الأكبر إعجابه الكبير بعلوم الامام الزنجاني وخصاله وعقله ومزاياه، وأبدى سماحته إعجابه الكبير بالتقدم الذي وصل اليه الأزهر في عهد شيخه الأكبر.

ثم انصرف مودعاً بالاكرام.

العلامة الامام الزنجاني

زيارتـــه لشيخ الأزهر (٢)

قصد قبل ظهر أمس فضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني

---

[١] نقلا عن جريدة «المصري» ٢٢ شعبان ١٣٥٥ – ٧ نوفمبر ١٩٣٦ ونقلا عن «المقطم» مساء السبت ٧ نوفمبر ١٩٣٦

(٢) نقلا عن جريدة (الاهرام) ٨ – ١١ – ١٩٣٦

ونقلا عن جريدة (المصري) ٨ نوفمبر ١٩٣٦

العالم الشيعي الكبير نزيل القاهرة الآن إدارة المعاهد الدينية ، وبصحبته وزير إيران المفوض والقائم بأعمال المفوضية العراقية ، وقد زاروا صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر واستقبلوا بكل إجلال وتكريم ومكثوا لديه حوالي الساعتين كانوا في خلالهما موضع حفاوته وتكريمه ، وقد تحدث فضيلته مع سماحته عن الدراسة في الازهر بين الماضي والحاضر وعن الخطوات التي يخطوها في سبيل خدمة الدين والعلم وأظهر استعداده التام لاطلاع سماحة الامام الزنجاني على كل ما يهمه ثم انصرف الامام ومن معه مودعين بالاجلال وقد علمنا ان سماحته يمكث في مصر مدة يزور في خلالها كليات جامعة الفؤاد الأول ودار العلوم والجمعيات الاسلامية وكبار رجال العلم .

وبعد ذلك زاروا دار الاستاذ (مؤدب زاده) صاحب جريدة « چهره نما » لمناسبة احتفاله بذكرى مرور العام الثالث على وفاة والده مؤسس الجريدة وصديق الامام الزنجاني .

احتفال الازهر التاريخي لتكريم كبير علماء الشيعة

« مشيخة الازهر تكرم الامام الزنجاني كبير علماء الشيعة » (١)

أقام صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع

---

(١) نقلا عن جريدة « الاهرام » ١١ - ١٩٣٦ و ٩ - ١١ - ١٩٣٦
« البلاغ ١١ نوفمبر - ٩٣٦
« المصري ٩ نوفمبر - ٩٣٦ و ١١ نوفمبر ٩٣٦
« الجهاد ٨ - نوفمبر - ١٩٣٦

الازهر في منتصف الساعة الخامسة من مساء أمس حفلة شاي تكريماً لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء الشيعه في إدارة المعاهد الدينية .

وقد أقبل حضرات المدعوين من العظماء والعلماء تتقدمهم أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ، وشيوخ الكليات الأزهرية الثلاث ، والشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الأزهر والمعاهد الدينية والشيخ الزيدي ، والشيخ دراز وكيل المعهد ، واعضاء جماعة كبار العلماء ، والشيخ محمد البناء مدير الشؤون الدينية برآسة مجلس الوزراء والسيد ما سونتين مندوب الجمعيات الاسلامية في الصين ، والشيخ ابراهيم شا كوشين رئيس البعثة الصينية الأزهرية ، وكثير من العلماء والمدرسين في الكليات الأزهرية الثلاث ، وقد حضر الوزراء ومعالي زكي العرابي باشا وزير المعارف ، كما حضر أصحاب السعادة وزير العراق المفوض ، ووزير ايران المفوض ، ووزير المملكة السعودية المفوض ، ووزير تركيا المفوض ، ووزير الأفغان المفوض ، وكبار موظفي المفوضيات وحضر حضرة الدكتور سعد الدين الضبع ، والاستاذ محمد فريد وجدي مدير مجلة الأزهر وكثير من رجال العلم والادب والصحافة ، وحضر الوجيه عبد الحميد بك كازروني رئيس الجمعية الخيرية ، والوجيه مهدي بك مشكي رئيس التجار والاستاذ مؤدب زاده صاحب جريـــدة (چهره نما) وكثير من أساتذة الجامعة ودار العلوم .

وكان حضرات الاستاذ محمد خالدحسنين بك ، والاستاذ محمد عزت مدير ادارة المستخدمين بادارة المعاهد الدينية ، والاستاذ محمود السيد السكرتير الخاص لفضيلة الاستاذ الأكبر ، والأديب محمد عبدالمنعم الموظف بمكتب فضيلته ، يستقبلون حضرات المدعوين ويجلسونهم في أماكنهم .

وقد أقيمت الحفلة في القاعة الصيفية لفضيلة الاستاذ الأكبر وازدانت بأصص الرياحين والأزهار .

وفي منتصف الساعة الخامسة تماماً حضر فضيلة الامام الزنجاني (المحتفل به) يحف به الجلال والوقار ، فرحب بفضيلته الجميع كما حياه فضيلة الاستاذ الأكبر بعد ان استقبله وأجلسه الى جانبه الأيمن وجلس الى جانبهما وزير المعارف يحيط بهم كبار العلماء ، وبعد ان تبادلوا عبارات التحية والاجلال مع فضيلة المحتفل به انتقل الجميع الى قاعة الاجتماعات الكبرى في الادارة العامة للمعاهد الدينية وقد بسطت

في الصفحة ال ٣١٤ يرى في الوسط الامام الزنجاني يتصدر المائدة الرئيسية المزدانة بأصص الرياحين وعلى يساره فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر فوزير المعارف المصرية فالشيخ فوزان وزير مفوض المملكة السعودية .

وعلى يمينه رئيس المحاكم الشرعية وزعيم مسلمي الصين وغيره



فيها موائد الشاي على أجمل وضع وزينت بالزهور والرياحين فجلس على المائدة الرئيسية فضيلة المحتفل به الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني وإلى يساره فضيلة الاستاذ الأكبر ؛ والى يساره وزير المعارف وإلى يمين فضيلة المحتفل به المفتي الأكبر ورئيس المحكمة العليا الشرعية فجماعة كبار العلماء فالوزراء المفوضون للحكومات الاسلامية ، وجلس الى موائد أخرى أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية الثلاث وجماعة كبار العلماء ومندوبوا الصحف العربية وأساتذة الجامعات ، والوجوه والأشراف والعظماء ، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ، وعقب انتهائهم من تناول الشاي والفاكهة والحلوى ، وقف فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر وألقى كلمة ممتعة تقوم على تحية فضيلة المحتفل به باسم مشيخة الازهر وقال :

انه يعرف ان فضيلة الامام الزنجاني يتحلى الى جانب غزارة العلم والفضل وكرم الخلق ولين الجانب بجميع الصفات الانسانية السامية وخصال المصلح العظيم ثم قال :

وفي الصفحة الـ ٣١٦ يرى الامام الزنجاني وهو جالس على المائدة الرئيسية المزدانة بالزهور والرياحين وعلى يساره فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر فوزير المعارف المصرية فالشيخ فوزان وزير مفوض المملكة السعودية ومدير الشؤون الدينية برآسة مجلس الوزراء . وعلى يمينه رئيس المحاكم الشرعية وزعيم مسلمي الصين وغيرهم



إعتاد الناس أن يبدءوا حفلاتهم التكريمية بذكر مناقب المحتفل به ولكني حينما أتحدث عن فضيلة الاستاذ الامام الزنجاني العالم الشيعي الكبير الذي نحتفل به اليوم لا يمكنني احصاء مناقبه وصفاته وخصاله وعلومه وفلسفته .

سأحدثكم قصيراً عن معهد النجف الأشرف الذي قام علمائه ويقومون بدرس العلم ورعايته للعلم وحده .

هذا المعهد العظيم الذي يقوم على حب العلم للعلم هو الذي نكرم ممثله العظيم الآن ونكرم في فضيلته هذه الصفة مع بقيه الصفات التي يمتاز بها محب العلم للعلم وهي . التواضع . وسماحة النفس وقد رأيتم أنني جعلت تكريم فضيلة الامام الاستاذ الزنجاني في إدارة الأزهر لأجعل في ذلك إشعاراً باننا نقصد بتكريم فضيلته وتقدير علومه الكثيرة وشمائله الاعتراف بالتقدير والتحية لمعهد النجف الأشرف الذي نرجوا أن نقوم بواجب الزيارة له ومدفنه الشريف تأكيداً لروابط العلم والاخوة الاسلامية .

وقد أريد من هذا الاحتفال في هذا المكان - اي في إدارة المعاهد الدينية - أن نرسل تحية الأزهر والأزهريين الى معهد النجف الاشرف وعلماء النجف تحية خالصة يرسلها مسلمون الى اخوانهم المسلمين في هذا المعهد العظيم . (١)

---

(١) نقلا عن الاهرام ١١ نوفمبر ٩١٣٦

وعلى الأثر وقف فضيلة الامام الزنجاني (المحتفل به) ورد على فضيلة الاستاذ الاكبر رداً مشبعاً بالود والاخاء ، وحيي فيه الأزهر وعلماء الأزهر وأشار فيه الى ما يشعر به من السرور والغبطة بزيارة مصر التي يحبها ، والأزهر الذي يجله ويرى فيه الشقيقة لجامعة النجف



الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني يلقي كلمته التاريخية في حفلة تكريمه في الأزهر بالإدارة العامة للمعاهد الدينية ويرى بجواره فضيلة شيخ الأزهر ووزير المعارف ووزير المملكة السعودية المفوض ومفتي الديار المصرية ورئيس المحاكم الشرعية وزعيم سيلان الضيف وغيرهم يستمعون إليها بكل عناية

الأشرف في خدمة العلم وقال :

إني أشعر بسعادة عظيمة وغبطة لوجودي بين هذا الحفل العلمي الكريم الذي تأيد فيه نجاح جهودنا الجبارة في سبيل توحيد شعور المسلمين وتقوية الروابط الدينية بينهم على اختلاف أوطانهم ، إذ كاه روح الاخوة الاسلامية في طوائفها المختلفة ، وأرى جلياً أن وجوه النظريين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين ، الشيعة والسنة ، قد تقاربت بمساعينا

ومساعي فضيلة الأستاذ الأكبر، وتجلت حقيقة هذا التقارب في التشريعات الحديثة واستنباط الأحوال الشخصية في مصر من تعاليم جميع المذاهب الاسلامية وفي ضمنها مذهب الشيعة الامامية، وكذلك تجلت حقيقة الاخوة الاسلامية في هذا الاحتفال العظيم التاريخي الذي أقامه الأزهر الشريف تكريماً للنجف الأشرف، ولا يخفى على حضراتكم أن النجف الأشرف (مدفن الامام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) كعبة العلوم الدينية والفلسفية والعربية تقصدها الوفود الاسلامية من جميع القارات ليتفقهوا في الدين ولغة القرآن الكريم وينشروا ذلك في قومهم إذا رجعوا اليهم.

وإن معاهد النجف الأشرف أنشأت منذ الف سنة تقريباً لتخريج المجتهدين وعلماء الفقه الاسلامي الذي له تاريخه المجيد وآثاره العظيمة في الحياة الفردية، والنظم الاجتماعية، فهو جامع لمجموع الحكمة العملية والعلوم الحقوقية وفنون العلوم من الاجتماعي، والاقتصادي، والأسري، والسياسي، والثقافي، والعمراني، والديني، والخلقي، والقضائي، والشرع الدولي، وعوامل التربية المقصودة. والفقه الاسلامي غني بالمبادىء التي تحقق السعادة للانسان في شخصه، وفي علاقته بغيره وقد بنيت عليه المدنية الاسلامية في عصورها الزاهرة، كما عني به الغربيون باعتباره مصدراً قوياً من مصادر التشريع.

النجف الأشرف قلب الاسلام النابض وعلمه الخفاق؛ ومصباحه الوهاج الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون وهو يرسل أشعة العلوم

والايمان والتقى ومكارم الأخلاق إلى مشارق الارض ومغاربها وبفضل علمائها إنتشرت روحانية الاسلام في أقطار الارض واهتدت الامة الاسلامية الى ما فيه مصلحتها ؛ وهكذا أخذ المهتدون سمتهم في طريق الحياة الخالدة مقتدين بنوابغ أعلامها الذين شقوا منها الصالح في وسط المشاكل المدلهمة ، والظلمات المتكاثفة ، وتوالت الأجيال على هذه الامة وهي تستنير بشموسها وأقمارها ونجومها السواطع فتنسج على منوالهم ، وتعوذ بهم في الطوارىء .

وغير خفي عليكم - ايها السادة - أن بغداد كانت عاصمة الثقافة والعلوم في الشرق كله بل في العالم ردحاً من الزمن وبعد سقوطها وضياع ذخائرها العلمية ، إضطلع معهدان بحمل عبء المعارف الاسلامية والعلوم الدينية في الشرق فصار كل منهما المثابة الاخيرة والقبلة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار .

الأول معهد النجف الاشرف في العراق وقد أسسه الطوسي شيخ الطائفة الامامية قدس سره الشريف وكان ولا يزال نبراساً تستضيء بنوره جميع الامم الاسلامية ، ومنبعاً غزيراً للعلوم الدينية والفلسفية والعربية والفنون الأدبية واللغوية منذ عشرة قرون تقريباً .

والثاني معهد الازهر الشريف في مصر الذي حمل تلك الامانة أحقاباً طوالاً في الشرق العربي وكان هدف هذين المعهدين العلميين الدينيين واحداً ، كان مؤسساهما من الشيعة فهل نريد للشيعة مأثرة أعظم منهما ؟ وهما وان إفترقا في الخطة بعد حين ، ولكنهما إحتفظا

على بث الثقافة الاسلامية والعربية .

ويمتاز معهد النجف الأشرف بما وصفه به الاستاذ الاكبر وهوان العلم فيه مقصودغايةلا وسيلة ، ومحبوب مطلوب لذاته لالغيره ومرغوب فيه للذته ويمتاز أيضاً بغزارة مواد الدراسة فيـه من أنواع العلوم والفلسفة ، كمان معهدالأزهرالشريف ممتاز بحسن النظام وجودة المناهج .

ويسرني أن أصرح بعد ذلك ان ما شاهدته في الأزهر كله، من أقسامه الحديثة الى كلياته العليا الى أقسامه الابتدائية ، الى إدارته من آثار الاصلاح العلمي والنظام الحديث سواء فيما يتعلق بمبانيه الفخمة او قوانينه ونظمه ومناهج الدراسة فيه قد دلني على المقدار العظيم الذي يتمتع به الشيخ الاكبر من التفكير العلمي ورجاحة العقل وقد أقام فضيلته الدليل الواضح للمسلمين ولعلمائهم على مكانة الازهر العلمية وعلى إنتاج الازهر العلمي في هذا العصر الحديث وأثره في تحقيق الوحدة الاسلاميـــة .

ودل بحق على انه جديرأن يلقب بشيخ الاسلام والمسلمين وجدير بهذا المعهد أن يكون على رأسه شيخ جليل مثله يسيربه في الطرق المؤدية الى الغاية التي يطلبها أهله وسائر المسلمين في أقطار الأرض بل يطلبها معهم سائر الشرقيين الذين يعتزون باقدم جامعة لهم في الشرق بعد جامعة النجف الاشرف .

وفي الختام أشارك فضيلة الاستاذ الاكبر في تمنيـاته أن يزور

فضيلته وبعض علماء الأزهر معهد النجف الأشرف ، بل أعد هذه الزيارة من أسعد الفرص لنا ولمعهدنا ، ولاشك ان الروابط بين أهل العلم الواحد واجب من أقدس الواجبات التي يجب أن تتوثق بين علماء الاسلام ومذاهبه وفرقه فان العلم رحم بين أهله ، ومن المأمول في علماء الدين الحنيف أن يستقصوا أحوال الشعوب الاسلامية ، وأن يقفوا على جلية ما هي عليه من خير أو شر في كل لحظة ، ليبصروها في سبيلها ويبعثوا في صدورها الهمم والغيرة ويتقدموا لها بالدفاع والاحتجاجات حتى يجمعوا كلمتها ، ويوحـــدوا شعورها وصفوفها ؛ وينالوا ثقتها — ومن لم يهتم في شؤون المسلمين فليس منهم — وان يدفعوا عن الدين بأموالهم وأنفسهم وأن ينفروا خفافاً وثقالا ينشرونه في البلاد وينصرونه ويدفعون عنه افتراء المفترين في جميع الجهات ، ليعزهم الله وينصرهم ويثبت أقدامهم أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها

وقد صفق الحاضرون لهذه الكلمة الجامعة .

ومما يذكر عن هذا التكريم العلمي

تكريم مشيخة الأزهر لفضيلة الامام الزنجاني (١)

ما لاحظه بعض المفكرين من أن هذه هي المرة الأولى بعد أكثر من ألف سنة التي تجتمع فيها كبار العلماء السنيين في الأزهر لتكريم كبير علماء الشيعة .

ومما يذكر كذلك أنه عندما قدم معالي العرابي باشا وزير المعارف

---

(١) نقلا عن جريدة [البلاغ] المصرية ٢٦ شعبان ١٣٥٥ — ١١ نوفمبر

وجلس بجانب الاستاذ الأكبر قال فضيلته له ضاحكا : هـذه حفلة لتكريم العلم ولذلك اكتفينا بدعوة وزير العلم والمعارف، فضحك الوزير وقال : انه يشعر بالسرور وينال شرفاً عظيما حين يشترك في هذا التكريم

وبعدئذ قام فضيلة الاستاذ الأكبر ودعا سماحة الامام والحاضرين لمشاهدة الدار الجديدة للمعاهد الدينية وسروا بما شاهدوا وصادف الوقت غروب الشمس وكانت صفوف المصلين تنتظر فضيلة الاستاذ الاكبر لصلاة المغرب ، فطلب فضيلته من سماحته أن يؤمهم فقال الاستاذ الامام الزنجاني :

لا شك في أن صلاة المغرب من فرائض الليل وفي وقتها يجوز افطار الصائم المأمور في القرآن الكريم بأن يتم صيامه الى الليل ومن الواضح أن الليل يتحقق باستتار قرص الشمس تحت دائرة الأفق ، ولا يجوز الاكتفاء فيه باستتار قرصها عن الأنظار لما قرر في علم المناظر وعلم المرايا ، من ان شعاع البصر إذا انتقل من شيء لطيف وانتهى الى جسم كثيف انكسر الشعاع الى جانب التحت ، ولذلك نجد ان الفص إذا وضع في اناء بعيد بحيث لا يراه الناظر في الاناء فانه يظهر لنظر الناظر بعد أن يوضع ماء في الأناء ، وأما إذا انتقل شعاع البصر من الكثيف الى اللطيف ، كان انكساره نحو جانب الفوق فلا يرى الناظر ما يحاذيه ، وحيث ان الهواء المحيط بالأفق ألطف دائما من الهواء المحيط بالمدن والأمصار ، فالشمس تغيب عن أبصار الناظرين قبل استتارها تحت دائرة الأفق بعدة دقائق فلا بد من رعايتها وانتظارها

للصائم والمصلي حتى يستبين بذلك دخول الليل ؛ كما أمر به الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام شيعته وعليه العمل في مذهب الشيعة وهذا التقرير مبتن على أن الابصار بخروج الشعاع ، ويناسبه قوله تعالى « ويقللكم في أعينهم » بداهة عدم تناسبه للانطباع .

وبعد صلاة المغرب انصرفوا مودعين بالحفاوة والاجلال .

فضيلة الاستاذ الامام الزنجاني

يزور كليات الأزهر (١)

علم القرآء ان فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر زار سماحة الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، وقد تحدث فضيلته مع سماحته عن الدراسة في الأزهر بين الماضي والحاضر، وعن الخطوات التي تخطوها في سبيل خدمة العلم والدين ، وأظهر استعداده التام لاطلاع سماحة الامام الزنجاني على كل ما يهمه في الأزهر ففي صباح (الاثنين) قصد سماحة الاستاذ الامام الزنجاني الى زيارة كليات الأزهر وقد بدأ بزيارة كلية أصول الدين برافقه خالد حسنين بك رئيس التفتيش في الجامعه الأزهرية والوزير الايراني المفوض والقائم باعمال المفوضية العراقية وكبار موظفي المفوضين وصاحبا العزة كازروني بك ومشكي بك وفريق من الوجوه ولفيف من الاساتذة والعلماء والادباء ومدير (چهره نما) فاستقبله فيها فضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ الكلية ، وأساتذتها أروع إستقبال ، وبعد أن استراح سماحته قليلا

---

(١) نقلا عن جريدة « الجهاد » ٥ نوفمبر ١٩٣٦ — ٢٠ شعبان ١٣٥٥

في مكتب الشيخ طاف بفصول الدراسة ، وقد حياه فيها الأساتذة والطلبة بمقطوعات نثرية وشعرية قيمـة ، وناقش سماحته في كلها الطلاب والاساتذة في مختلف مواضيع الدراسة التي حضرها مناقشة خبير بدقائق الفلسفة ، عظيم في سائر العلوم الدينيـة ، محيط بجميع شؤونها ، وقرر مباحثها باسلوب رصين ، ثم ألقى على المجموع كلمة جامعة نالت استحسان الحاضرين ، وكان لها أعظم وقع في نفوس السامعين وإعجاب كثير ببراعة الامام الزنجاني في الفلسفة والعلوم وكثرة علومه وسعة إطلاعه وجمعه بين كريم القديم وطيب الحديث .

ثم قفى سماحته يوم (الثلاثاء) إلى كليتي الشريعة واللغة العربيـة فاستقبله شيخا الكليتين أروع إستقبال وطافا به في فصول الدراسة وقد انفسح لطلاب الأزهر مجال القول فانبروا بين يديه مرتجلين نظما ونثراً ، وقد زودهم سماحته بنصائح جليلة ، وناقشهم في كثير من مواضيع الدراسة وابحاثها مناقشة لطيفة ، وجال في كلامه في نواح شتى مما يهم النفوس من أسرار الدين والتشريع وأصوله العلمية وفيما له صلة بالعالم الانساني ومراميه الأدبية فتطرق من ذلك الى اختلاف المذاهب الاسلامية ونشؤ الفرق ، وما ابتنى على ذلك من انفصام وحدة المسلمين ووقوع الشقاق بينهم الى درجة يحاول كل فريق منهم أن يفني الآخر تلبية لدعوة التفريق التي ينشرها الجاهلون بالحقائق وبأخطار العواقب وانقياداً لألاعيب السياسة واستغفال الماكرين بعقول العامة واحتفاظ أرباب الشهوات والمطامع بجاههم وسلطانهم ويتسابقون الى الشر مسيرين

لا مخيرين ، وهم يظنون انهم مخيرون لا مسيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون ثم بين سماحته الأسباب التي دعت الى ذلك والبواعث التي أوجبته ، من عوامل سياسية قديمة تأثرت منها الاجيال وتوارثها الأعقاب وآراء فقهية إتسع صدر التاريخ الاسلامي لألوف منهـا نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الاسلامي ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل وفي العصور الأخيرة اتخذ منها بعض الطوائف الاسلامية سهاماً ترمى بها من سواها تصيب الصميم ولم يكن الغرض منها أمراً بمعروف أونهياً عن المنكر وانما كان يدسها من يريد استثمار الخلاف بينهم فيتخذها أداة لتشييد ملكه وسلطانه ، ورأى سماحته ان هذا التخالف يمكن تداركه الآن ، أو على القليل حصره في دوائر ضيقة إن قام الأزهر بواجبه نحو الوحدة الاسلامية قال : وقد ذهب من المسلمين ما كانوا يختلفون عليه من ملك ، وزال عنهم ما كانوا يتنازعون عليه من سلطان وأصبحت مواضيع الخلاف والخلافة أموراً تاريخية بحتة ، لا يسوغ التنازع عليها ومن المعلوم الضروري لدى كل مسلم ان الاسلام دين توحيد وأخوة وان المسلمين جميعاً تجمعهم قواعد الاسلام ويؤلف بينهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن الممكن أن يتحرر المسلمون من قيود الاحقاد القديمة ويحسنوا معاملة الاخوة الدينية والتعارف والتعاون بينهم ، وفي مقدور كل منهم بعد ذلك أن يبين لاخيه وجه الصواب إن كان على خطأ ، والحق ان كان على الباطل ، فعندما تصفوا القلوب

ويتوفر حسن النية يصبح التفاهم ميسوراً والنجاح مقدوراً .

ثم قال سماحته بحماسة زائدة : اعلموا ان لكل شيء مهمة في هذه الحياة عليه أن يؤديها فان كمال الشيء فيما أختص به فان لم يقم بادائها وجب أن يزول من مرتبة حياته، فالفرس إذا عجز عن العدو السريع عومل معاملة الحمير ، والسيف إذا فقد صرامته استعمل استعمال السكين والانسان يمتاز بكماله في العقل والعلم والعمل الصالح لنفسه وللمجتمع ، فأن فقده نزل الى مرتبة (أولئك كالانعام بل هم أضل) وكذلك المعاهد الدينية اذا لم تقم بما عليها من الواجبات في جميع النواحي وجب أن تزول من الحياة ، وكان من العبث بقاؤها .

ثم شكر سماحته لشيخي الكليتين ما ألفاه من نظام الدراسة البديع وطيب الحفاوة .

وقد ودع سماحته مثل ما ودع به في كلية أصول الدين بعاصفة قوية من الطلاب التي خرجت من صفوفها لوداعه .

وكان أمس (الأربعاء) ختام تلك الزيارة ففي الساعة التاسعة والنصف توجه سماحته في موكبه المهيب الى ادارة القسم الثانوي بالصليبة ، يرافقه الاستاذ خالد حسنين بك رئيس التفتيش في الجامعة الأزهرية والوزراء المفوضون للحكومات الاسلامية وكبار الموظفين في هذه المفوضيات وفريق من الكبراء ولفيف من العلماء والأدباء ، ولما وصل الدار استقبله الاساتذة والطلاب استقبالا يجل عن الوصف

صورة مقتضبة من

كلمة الامام الزنجاني التي ارتجلها في فصل الفلسفة بكلية أصول الدين في الأزهر (١)

وقع نظري في منهج دراسة هذه الكلية على هذه العبارة :

٣ الفلسفة

(مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها)

وسمعت من بعض أساتذتكم في الصف ما ينطبق عليه هذا المنهج فرأيت من واجبي أن أصارحكم انكم لا تدرسون الفلسفة في فصل دراسة الفلسفة وانما تدرسون علم الكلام باسم الفلسفة ، « توضيح ذلك » ان موضوع (علم الكلام) هو الموجود من حيث كونه متعلقاً للمباحث الجارية على « قانون الاسلام » والمراد بقانون الاسلام ، أصول مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله (ص) وخلفائه ، والاجماع والمعقول الذي لا يخالف القطعيات من تلك الأصول .

ولذلك عرفوه تارة بأنه « علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها .

وأخرى بأنه (صناعة نظرية يقتدر بها على اثبات العقائد الدينية)

وبهذا الاعتبار - اعني تقييد البحث في علم الكلام بكونه جارياً على قانون الاسلام - تميز علم الكلام عن الفلسفة الالهية . لأن

---

(١) نقلا عن مذكرات الاستاذ الجليل السيد رشيد مرتضى

البحث في الفلسفة يكون جارياً على قانون العقل سواء وافق الاسلام أو خالفه .

وهذا الاعتبار ـ أي تقييد البحث في علم الكلام بكونه جارياً على قانون الاسلام هو الذي أخرج الأدلة الكلامية من البرهان الى الجدل ، بيد أن المتأخرين من المتكلمين ادرجوا في علم الكلام معظم مباحث الطبيعيات والالهيات ، وخاضوا في الرياضيات حتى تشابهت مباحث العلمين وكاد أن لا تمايز مباحث علم الكلام عن مباحث الفلسفة لولا اشتمالها على تقييد البحث في علم الكلام بأن يكون جارياً على قانون الاسلام . وبعبارة ثانية ، مباحثهما متشابهة جداً ولكن الادلة الكلامية مرتكزة على أساس الجدل حينما ترتكز أدلة الفلسفة على أساس البرهان .

ومن هذا التشابه وقع في الغلط كثير ممن ألفوا في الفلسفة وتاريخها من الغربيين والمستشرقين ، ومقلديهم من الشرقيين ، لأنهم أخذوا تلك المباحث الطبيعية والآلهية والرياضية من الكتب الكلامية ، على أساسها الجدلي المقيد باعتبار ديني ، وزعموا أنها مباحث الفلسفة الاسلامية البرهانية العقلية ، فوقعوا في الخلط ، والخبط ، وضلوا ، وأضلوا ، وأضاعوا كرامة الفلسفة الاسلامية التي وضعتها أعلام الفلسفة على أساس برهاني متين ، وفي طلاسم من الرموز يستعصي فهمها على أمثال هؤلاء الذين غاية فضلهم أنهم تعلموا اللغة العربية ، أو بعض قواعد العلوم ، فنظروا الى كتب الفلسفة الاسلامية ـ التي لا يستطيع أن يحل رموزها

سوى من تنتهي دراسته الى واضعي تلك الرموز ـ كنظرهم إلى أي كتاب أدبي .

« وأوضح دليل على قولي هذا أن الاستاذ المشهور « البارون كارادي فو » المستشرق الفرنسي المعروف بأنه نصير الاسلام قال :

ليس القرآن كتاباً فلسفياً ، وليس محمد (ص) فيلسوفاً بالمعنى الفني لهذه الكلمة ، ولكنه إلتقى أثناء تأديته مهمته ببعض المشاكل الفلسفية فمنحها حلولا إلهامية مصوغة في أسلوب أدبي ، ومجموعة هذه الحلول هي التي كونت « العقيدة الاسلامية » وهي صارت فيما بعد نقطاً محددة في النظر الفلسفي عند العرب وإذاً فلم تكن المشكلة العامة عند العرب هي البحث عن الحقيقة ، مادام أن هذه الحقيقة قد قدمت اليهم في عدة من هــــذه النقط الجوهرية ، وانما كانت هي التدليل بالبراهين التحليلية العقلية على هذه الحقيقة التي بسطت بطريقة إلهامية واستبدال الصورة الأدبية التي صيغت فيها بصورة تتفق مع مناهج الفلسفة القديمة ، وذلك هو ما يمكن أن يطلق عليه إسم « المشكلة المذهبية »

وهذا الوصف الذي وصف به الأستاذ (كارادي فو) الفلسفة الاسلامية ـ إن صح ـ ينطبق على علم الكلام ، والنظر الكلامي ، ولا ينطبق أصلا على نظريات فلاسفة الاسلام ـ إلا علي منهاج هذه الكلية ـ وان شئتم دليلا ثانياً على ذلك فاليك نص مقال ناشر (منطق المشرقيين) قال : ان فلسفة ابن سينا تكاد تكون لاهوتية ، مثال ذلك انه يقول في تأييد رأيه بضرورة كون العالم حادثاً : ان الموجودات

كلها ما سوى الله ممكنة الوجود بالطبع ، وتكون واجبة الوجود بفعل المبدع الأول ، وبتعبير آخر ، إن ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود اه

أنظروا الى هذا الفاضل مع انه عربي ومصري كيف لم يتوفق بالمطالعة الى معرفة مراد ابن سينا من عبارته الواضحة ، وفي هذه المسألة التي هي من بدهيات مباحث الفلسفة الاسلامية ، حتى أن المبتدي يعرفها ، فوقع في خبط عشواء ، ومقصود هذا الناشر من كلمة (لاهوتية) أن فلسفة ابن سينا لا يصدقه العقل ، ودليله على ذلك ان ابن سينا يرى ضرورة حدوث العالم ودليله على هذا الرأي أن ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود ، والعقل لا يصدق أن ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود بل يراه تناقضاً ولا يعرف صلة هذا الأمر بحدوث العالم

ولم يعرف هذا الناشر ان الفلاسفة اتفقت على ان العقل إذا لاحظ الموجود من حيث أنه ممكن لا يقتضي وجوداً ولا عدماً ، ويتساوى وجوده وعدمه لعدم معقولية الأولوية الذاتية وعدم كفاية الأولوية الخارجية ، طلب لا محالة مرجحاً يجب به وجود الممكن ، لجزمه بضرورة بطلان ترجح احد المتساويين من دون مرجح ، ولذلك اجمعوا على ان الممكن بالذات ما لم يجب وجوده بالعلة لا يوجد ، وسموا هذا الوجوب (الوجوب السابق) لسبقه على وجود الممكن ، ثم أثبتوا للممكن الموجود وجوباً بعد وجوده وسموه (الوجوب اللاحق) وهو مفاد الضرورة بشرط المحمول ، التي لا تخلوا عنها قضية فعلية ، ولذلك قالوا (الممكن الموجود محفوف بوجوبين بالغير مع امكانه بالذات .

فالعالم ـ أي الموجودات كلها ما سوى الله ـ ممكنة الوجود وانما ترجحت وجوداتها على اعدامها بإيجاب المبدع الأول ، فوجبت وجوداتها بفعل المبدع الأول فوجدت ، وهذا معنى الحدوث الذاتي الذي رأى ابن سينا ضرورة ثبوته للعالم .

وعلى هذا الأساس الكلامي (الجدلي) يبتنى ما سمعت من بعض أساتذتكم من مقال كان ينم عن اصالة الماهية في الجعل والتحقق وهذا رأي ناش عن خفاء الماهية على بعض الأفهام ، فعليه أقول باختصار .

لاريب في أن صانع العالم موجود ، واثر الموجود الخارجي لابد أن يكون موجوداً خارجياً ، والموجود الخارجي بذاته وبنفسه هو الوجود ، وأما الماهية فهي تابعة للوجود في التحقق ، وما لم يتحقق المتبوع لا يتحقق التابع ، وهذه التبعية تظهر بالتحليل العقلي فان العقل يحلل الوجود الصادر عن الجاعل الى (١) حيثية الوجود (٢) وحيثية نقص في الوجود المعلول ، لوضوح امتناع التكافؤ بين المعلول وعلته في درجة الوجود ومرتبة الموجودية ، اذ لو كان وجود المعلول مساوياً لوجود علته في قوة الوجود وشدته ، لزم ترجيح احد المتساويين على الآخر من دون مرجح ، اذ ليس أحدهما اولى بالافاضة من الآخر وان كان وجود المعلول أكمل من وجود علته لزم ترجيح المرجوح على الراجح ، و كلاهما محال ، فلابد من نقص وجود المعلول عن وجود علته في الشدة ، والقوة ، ونقصه عبارة عن كونه فاقداً لمرتبة الوجود العلي والمراتب المتكافئة لها ، وهذا النقص هو الذي يعبر عنه بلفظ

« الماهية » ولذلك ورد في كلمات أساطين الفلسفة : ان الماهيات هي النقائص ، وهي حدود الوجودات الامكانية ، فلكل موجود خارجي في محيط الامكان ، حد محدود ، ومرتبة خاصة من الظهور والوجود ، ودرجة مخصوصة من الفعلية والحصول بحسب الخارج ، وغاية المجد والعلو من دون حد للوجود الواجبي القيومي الذي هو محض الفعلية والكمال بلا شائبة نقص وحد وقصور أصلا ، وماسواه مصحوب بالقصور الذاتي الناشىء من الامكان الذاتي على تفاوت مراتب النقص فيها ، وكلما بعد المعلول عن منبع فيض الوجود كان قصوره ونقصه أشد وامكانه أقوى ، الى أن ينتهي الوجود في سلسلة الجواهر الى (عنصر المادة) التي يكون وجودها الجوهري عين تقومها بالصورة الحالة فيها ، ويكون فعليتها محض القوة والاستعداد ، وينتهي في سلسلة الأعراض الى (الحركة) التي وجودها نفس الشوق والطلب والسلوك الى غاية على سبيل التدريج

والعقل يحكم بأن الفائض بالذات عن العلة حيثية الوجود وأما حيثية النقص في الوجود ـ الماهية ـ فلا يمكن أن يكون فائضاً عن العلة ، لأن النقص ـ وهو حد الوجود ـ عدمي ، وقد قرر في محله ضرورة المناسبة بين العلة ومعلولها في الوجود والعدم والماهية .

ولما كانت حيثية النقص لازمة لحيثية الوجود الامكاني كانت تابعة لها في الفيضان والمجعولية ، كما كانت تابعة لها في الموجودية ،

فالنقص في الوجود الامكاني ـ الماهية مجعول بالتبع للوجود المقيد به وليس للنقص هوية سوى هوية معروضه .

وصفوة القول ان الوجودات الامكانية كلها حادثة بالذات والحدوث وصف ذاتي لها ، وفائضة عن المبدأ الاول ، وأما الماهيات أي النقائص وحدود تلك الوجودات فهي تابعة للوجودات في الحدوث والمجعولية والموجودية .

وهذا التحليل العقلي هو مراد الفلاسفة بقولهم : «كل ممكن زوج تركيبي له ماهية ووجود » أي أن للعقل أن يحلل الممكن الموجود في الخارج الى ماهية ووجود ، ولكنه في عين الحال يحكم بأن نسبة الوجود الى الماهية في الخارج إتحادية ، بمعنى انه ليس لهما في الخارج هويتان متغايرتان ، كما هو الحال في الجسم والبياض مثلا ؛ فان هوية البياض في الخارج ليست عين هوية الجسم ، ولذلك كانت نسبة البياض الى الجسم إنضمامية ، واختلاف آثار الموجودات يستند الى اختلاف حدود وجوداتها ، وهذه الحدود هي أقسام الماهيات ، وهي معلومة الاسامي والخواص ، وأما الوجود الحقيقي لكل شيء فلا يمكن التعبير عنه باسم أو نعت ، لأن انحاء الوجودات هويات عينية ؛ وليست لها صور كلية في الذهن حتى توضع لها أسماء ، والتسمية فرع التصور ولا يمكن تصور حقيقة الوجود ولا يمكن وجودها في الذهن فلا يمكن وضع اسم لها ، فالوجودات الخاصة أمور مجهولة الاسامي ، وشرح أسمائها انه وجود انسان أو وجود زيد مثلا ثم يلزم الجميع في الذهن مفهوم الوجود العام المقول عليها بالتشكيك ومن هنا نشأت أوهام المتكلمين ولا غرو في أن لا يوجد لنوع أو فرد إسم خاص يشرحه كما في

الألوان حيث أن بين طرفي التضاد الواقع فيها أنواعا كثيرة من الألوان ولا أسامي لها بالتفصيل ، ويقع على كل جملة منها إسم واحد بمعنى واحد على نحو التشكيك في الشدة والضعف ، كالبياض يطلق على اللون المفرق للبصر ، على كثرة أفراده ، وكذلك السواد والحمرة وأمثالها ووقوع لفظ على أشياء مختلفة لا يكون بالاشتراك اللفظي كوقوع لفظ العين على معانيه ، بل يكون بمعنى واحد في الجميع لكن لا على السواء كوقوع الانسان على أشخاصه ، بل على الاختلاف إما بالتقدم والتأخر كوقوع المتصل على المقدار وعلى الجسم ذي المقدار ، وإما بالأولوية وعدمها كوقوع الواحد على ما لا ينقسم أصلا وعلى ما ينقسم بوجه آخر غير الذي هو به واحد ، وأما بالشدة والضعف كوقوع الأبيض على الثلج والعاج ، ووقوع النور على الشمس ونور السراج والوجود جامع لهذه الاختلافات ـ مع كونه حقيقة واحدة ـ فان مفهوم الوجود يقع على العلة ومعلولها بالتقدم والتأخر ، وعلى الجوهر والعرض بالأولوية وعدمها ، وعلى القار وغير القار (كالسواد والحركة) بالشدة والضعف بل على الواجب والممكن بالوجوه الثلاثة ، والمعنى الواحد المقول على أشياء مختلفة لا على السواء يمتنع أن يكون ماهية أو جزء ماهية لتلك الأشياء لأن الماهية لا تختلف ولا جزئها ، بل انما يكون عارضا خارجا عن ماهيتها لازما أو مفارقا .

ومما قررنا من استناد اختلاف آثار الموجودات الى اختلاف حدود وجوداتها ظهر سر تعريفهم الماهية بما يقع في جواب السؤال

عن الشيء بما هو ،

أي انهم يجمعون الالفاظ الشارحة لتلك الآثار كالجسمية والنمو والادراك الاحساسي والحركة بالارادة للحيوان مثلا فيجيبون عن السؤال عنه بقولهم جسم نام حساس متحرك بالارادة .

صورة موجزة من

(كلمة الامام الزنجاني القاها في فصل التوحيد بكلية)

(أصول الدين في الأزهر)

ان السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس الناطقة الانسانية معرفة الصانع (جل شأنه) بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان ، وبما صدر عنه من الآثار والأفعال في النشأة الأولى والنشأة الآخرة « وبالجملة » (معرفة المبدأ والمعاد) حسبما تقتضيه الفطرة .

والطريق الى هذه المعرفة من وجهين (أحدهما) طريقة أهل النظر والاستدلال ، (وثانيهما) طريقة أهل الرياضة والمجاهـــدات ، والسالكون للطريقة الأولى إن التزموا في بحثهم ملة من ملل الأنبياء (ص) وشريعة من الأديان السماوية فهم (المتكلمون) واسم علمهم (علم الكلام) وهذه الطريقة منهاج دراسة التوحيد في هذه الكلية ، وإن لم يلتزموا دينا بل أعطوا للعقل حرية تامة في معرفة الحقائق فهم الحكماء المشاؤون ، واسم علمهم (الفلسفة المشائية) و (السالكون)

للطريقة الثانية إن التزموا في رياضاتهم موافقة أحكام الشريعة فهم (الصوفية) واسم علمهم (علم التصوف) ، وان لم يلتزموا موافقة الشريعة ، فهم (الحكماء الاشراقيون) واسم علمهم (الفلسفة الاشراقية

وينبغي أن يعلم أنه ليست نتيجة الرياضة والمجاهدة في الطريقة الثانية سوى تلطيف السر ، وتهذيب الباطن ، ليسرع النظر ويسرع الفكر ، ويصفوا الذهن فتتجرد المعقولات النظرية عن الغواشي الوهمية ويتميز المعقول من الموهوم ، وذلك هو معنى الكشف ونور الله الكاشف عن الأشياء كما هي وما اليها مما ورد في عبارات بعض مشايخ الصوفية وليس الكشف طوراً وراء العقل ، اذ ليس طور وراء العقل سوى النبوة والرسالة والوحي ، فليس التصوف الا الحكمة البالغة الى درجة المشاهدة التامة ، والمكاشفة الكاملة التي هي ارتفاع حجب الأوهام الجزئية ، والأغشية الحسية عن عين البصيرة العقلية ، التي هي حقيقة نور الله الكاشف عن الأشياء كما هي ، وأما الاستغناء بالكشف عن العقل فهو (التصوف المنحرف) .

الامام الزنجاني في كليتي الشريعة واللغة العربية (١)

وفي الساعة العاشرة من صباح أمس قصد الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبيرعلماء الشيعة الى دار كلية الشريعة الاسلامية وكلية اللغةالعربية لزيارتهما وتفقدنظم الدراسة فيهما ، ورافقه في هذه الزيارة حضرة صاحب العزة الاستاذ محمدخالد حسنين بك وأصحاب السعادة وزير ايران المفوض والقائم باعمال المفوضية العراقية ولفيف من العلماء والاساتذة والأدباء وفريق من الوجوه وقد استقبله حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ مأمون الشناوي شيخ كلية الشريعة ، وفضيلة الاستاذ الشيخ إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية وطافا بسماحته على الفصول الدراسيه في الكليتين ، فكان يناقش الاساتذة والطلاب ويفهمهم بعض المسائل العلمية وألقى في كل فصل كلمة جامعة أثارت إعجاب الحاضرين وقد انفسح لطلاب الأزهر وأساتذته مجال القول فانبروا بين يديه مرتجلين شعراً ونثراً ، وقد زودهم بالنصائح الجليلة، فشكر لشيخي الكليتين ما ألفاه من نظام الدراسة البديع وطيب الحفاوة واستراح قليلا في مكتب فضيلة الاستاذ الشيخ مأمون الشناوي شيخ كلية الشريعة وشرب الشاي ، ثم ودع بعاصفة قوية من الأساتذة والطلاب التي خرجت من فصولها لوداعه .

---

(١) نقلا عن جريدة الاهرام ٤ - ١٩٣٦ ونقلا عن جريدة الوادي مساء ٢٠ شعبان ١٣٥٥ - ٥ نوفمبر ١٩٣٦

السيد الامام الزنجاني في الأقسام الثانوية (١)

زار سماحة الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني أمس صباحاً الأقسام الثانوية في الأزهر .

﴿ صورة مقتضبة من كلمة الاستاذ الامام الزنجاني ﴾
﴿ الارتجالية التي ألقاها على أساتذة أصول ﴾
﴿ الفقه في كلية الشريعة الاسلاميـة ﴾

إمتاز الدين الاسلامي من سائر الأديان الالهية باستهدافه السعادة المزدوجة واستجماعه عناصر الخلود وموجبات عموم الدعوة ، إذ أسست تعاليمه الأصلية على صرائح العقول السليمة ، ومقتضيات الفطرة والغرائز الانسانية الطبيعية التي تثبت في كل زمان ، وتصلح لكل قوم فهو دين عام خالد صالح لكل عصر ، ويوافق كل أمة ، ولا يقبل النسخ مادامت الفطرة الانسانية موجودة في العالم وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان شرعـه الله للعباد بعد تهيئتهم للكمال الدائم بواسطة الشرائع السماوية السابقة عليه ، نعم ترقت الاقوام البشرية جيلا فجيلا وكان لها في كل مرحلة من مراحل سيرها دين يناسبها وأخيراً جاء الاسلام وقـد بلغت الانسانية رشدها ، فكان ديناً وسطاً عرف لكل من الجسم

(١) نقلاعن جريدة « الاهرام » ٥ - ١١ - ١٩٣٦

والروح حقه ، وبنيت أحكامه على الاعتدال من غير افراط ولاتفريط وكان نظاماً كاملا شاملا لايقف نفعه على الأمة الاسلامية وحدها بل هو عام للمجموع البشري ، إذ قدأسس على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ، ولذلك صارت الدعوة اليها عامة دائمية وكلف به جميع البشر على اختلاف قومياتهم الى الأبد .

فكان لابد لهذا الدين الالهي العام الخالد من قانون إلهي ودستور سماوي يسايره في البقاء والدوام بنفسه ، وهو كتاب الله المعجز الخالد أعني القرآن الكريم الذي جاء بالناموس الأعظم لكمال الحياتين ، الدنيوية والأخروية ، وهو كافل لكل ما يهم البشر لسعادته في دينه ودنياه ، وفي الحياة الفردية ، والنظم لاجتماعية من أخلاق وثقافة ، وعلوم ، وتشريع ، ففي التشريع الذي ينظم جميع أمور الدولة والأمور المدنية والجنائية ، والأحوال الشخصية جاء القرآن الكريم بالآيات القانونية التي يسميها الفقهاء (آيات الأحكام) وهي الأساس الأول في التشريع الاسلامي ، وآيات التشريع على قلتها تعرضت الى جميع ما يصدر عن المكلف من أفعال وعن الانسان من أعمال فتعرضت الى العبادات من صوم وصلاة وخمس وزكاة وحج وجهاد والى الأمور المدنية كبيع واجارة وهبة وصلح ومزارعة ومساقاة ووكالة وحوالة وربا ونحوها ، والى الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع طريق ونحو ذلك والى نظام الأسرة وعوامل التربية والأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ونحوها ، والى الأمور الدولية كالشرع

الدولي والقتال وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب وما الى ذلك، والقرآن بهذه الآيات القانونية وسائر آياته الواردة في الأخلاق ونظام الاجتماع قرر القوانين الكلية والأصول الأولية حتى تكون في نص القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على ما يجد من حاجات ويحدث من جزئيات تاركا تخريج أحكام الجزئيات لاجتهاد أهله يستنبطونها حسب الزمان والمكان من كتاب الله وما ورد في بيانه من سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان مكلفاً به في قوله تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فسنة رسول الله « ص » وخلفائه الأئمة الطاهرين نور مقتبس من نور الكتاب الكريم يهدي به الله من يشاء الى صراط مستقيم، وبنور السنة ظهرت تفاصيل ما أجمل في الآيات القرآنية وتفاسير ما خفي من غوامض الكلمات الربانية ﴿ فهو المفسر للكتاب وانما ـ نطق النبي (ص) لنا به عن ربه ﴾ والسنة ـ التي هي ﴿ وحي غير متلو ﴾ تبين القرآن الكريم من ناحية عمومه وخصوصه، ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومنطوقه ومفهومه .

فيجب أن يكون باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي مفتوحاً الى آخر الدنيا لمن تتوفر فيهم شروطه من الأئمة المطلعين والعلماء المجتهدين .

وذلك لأن الفقه الاسلامي قانون عام وضع للناس كافة في كل زمان ومكان فلابد أن تتقبل نصوصه المصالح المختلفة ، ويكون لولاة الأمور من المجتهدين الذين يتولون تشريع الأحكام والوظائف العملية

للناس بالاستنباط فيها سعة ؛ وذلك هو المثل الأعلى للتشريع الذي يراد به أن يكون شرعة لجميع الأمم في مختلف العصور ، فاتضح أن سد باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي مناقض لأغراض شارع الاسلام من جميع النواحي ، ومن هذا البيان يستطيع المنصف أن يعلم انه ليس للفقه الاسلامي وأحكامه الواقعية مصادر غير الوحي (بقسميه) وهو ما اشتمل عليه القرآن الكريم ودلت عليه السنة فجميع أحكامه الواقعيه وقواعده النفس الأمرية مأخوذة من هذين المصدرين مباشرة أو بطريق التخريج والتفريع على عموماتها ، ويلحق بهما الاجماع والعقل عندنا (الشيعة) والاجماع والقياس عند غيرنا (السنة) فانهما وان عدهما الأصوليون دليلين مستقلين نظراً لما لهما من الأحكام والشروط الخاصة بهما ، ولكنهما يرجعان في باطن الأمر الى الكتاب والسنة اما القياس عند من يعتبره من الطوائف الاسلامية ، فقد قال الأصوليون منهم : انه كاشف عن وجه تناول النص للمقيس ، ويبين طريق دلالته عليه. وهذا معنى قولهم : ان القياس مظهر لا مثبت »

وأما الاجماع في الفروع فوجه حجيته أنه يكشف كشفاً إنياً عن دليل يدل على ما انعقد عليه الاجماع ، اذ علماء الامة لا تجتمع على شيء بمجرد الميل ومحض الهوى ، وليس وجه حجيته دليل اللطف أو طريقة الحدس ، أو الملازمة العادية أو العقلية .

وأما العقل فقد ثبت بحكم الكتاب والسنة ان الأحكام الشرعية معللة بالمصالح والعقل هو الذي يدركها فيعتبر ما استكشفه كشفاً أنياً

وفي عدم كفاية كشفه اللمي وبيان مورده وثبوت الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع كلام لا يسعه المقام .

وصفوة القول ان الاجتهاد من لوازم الدين الاسلامي ، وبعد إتساع رقعة المملكة الاسلامية مست الحاجة الى الاستنباط المتوقف على معرفة الكتاب والسنة واحتاج المستنبطون في خلال القرن الأول من الهجرة الى معرفة القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام الشرعية من مصادرها ، وأول من نهض بهذه المهمة هو باقر العلوم الامام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وبعده إبنه الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ، وقد أمليا على جماعة من تلاميذهما تلك القواعد والقوانين وجمعوا منها مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحث (أصول الفقه) ككتاب « أصول آل الرسول الأصلية » وكتاب (الفصول المهمة في أصول الأئمة) وكتاب (الأصول الأصلية) وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف (هشام بن الحكم) تلميذ الامام الصادق عليه السلام الذي صنف كتاب (الألفاظ ومباحثها) وهو أهم مباحث أصول الفقه ، ثم يونس بن عبد الرحمان تلميذ الامام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام وهو صنف كتاب (اختلاف الحديث) وهو مبحث تعارض الدليلين والتعادل والترجيح بينها ، ثم كتبوها فناً قائماً برأسه سموه (أصول الفقه) وهو كتاب ألفه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (قدس سره

وليس الشافعي أول من صنف في أصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري كما زعمه السيوطي وابن خلدون .

وان علمائنا الأعلام قد بلغوا النهاية في تحقيق هـــذا العلم ، وتدقيق موضوعه وتنقيح مسائله خلفاً عن سلف ، وكانت طريقتهم ولم تزل تقرير القواعد واتباع الأدلة من دون التفات الى موافقة رأي أو مذهب .

ولكن إخواننا علماء أهل السنة عدلوا عن هذه الطريقة التي سموها (طريق المتكلمين) الى (طريق الحنفيين) في القرن الخامس ، ورائدهم فيها صوغ القواعد الأصولية موافقــة لما أثر عن أئمتهم في الفروع ، وأعتقد أن هذا إحدى نتائج سدهم باب الاجتهاد ، فاتخذوا من علم أصول الفقه الذي إنما دون لتسهيل الاجتهاد واستنباط حقائق الأحكام الشرعية الواقعية أداة للتقليد من أئمتهم ، وسد باب الاجتهاد

ثم جاء طائفة من متأخري الحنفية جمعوا بين الطريقتين ، وليت شعري كيف يمكن الجمع بين الاجتهاد وبين التقليد في طريقة واحدة ؟.

ومن نتائج هذا الانحراف ما سمعت الآن في فصول الدراسة من أن موضوع أصول الفقه مجموع أمور ثلاثة (١) الدليل السمعي من حيث يوصل العلم باحواله الى القدرة على معرفة أحكام أفعال المكلفين (٢) الحكم الشرعي من حيث يثبت بالأدلة (٣) المكلف من حيث يثبت لأفعاله الأحكام .

ومن البدهي أن موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضـــه الذاتية والعوارض الذاتية لكل من هذه الثلاثة مغايرة للعوارض الذاتية التي لغيره منها ، ولا نجد عنواناً واحداً جامعاً لهذه الأمور الثلاثة حتى يصح اعتبارها موضوعا واحداً بحسب ذلك العنوان الواحد ، فيلزم

أن يكون أصول الفقه علوماً ثلاثة .

وأما قيد الحيثية فهو لا يثبت عنواناً واحداً جامعاً ، مضافاً الى ان هـذا القيد ان اعتبر شطراً وجزءاً لموضوع العلم لزم (١) الدور (٢) أن يكون العرض المحمول على موضوع العلم داخلا في الموضوع (٣) رجوع المسائل الى المبادىء (٤) عدم إفادة الحمل .

كما يلزم الأخير لو اعتبر قيد الحيثية شرطاً لموضوع العلم لا جزءاً منه ، ولا يخفى عليكم إننا أيضاً نقيد بعض موضوعات العلوم بقيد الحيثية ، ونجعل تمايز الموضوعات بتمايز الحيثيات أحياناً ، ولكنا نقصد منه اعتبار التحيث بحيثية استعداد الموضوع وقابليته لعروض المحمولات بأن يكون التقيد داخلا والقيد خارجاً ، وهذا أمر واقعي لابد من لحاظه ، لوضوح أن طرو كل عارض لمعروضه ، وحصول كل وصف لموصوفه ، بل حصول كل صورة جوهرية للمادة لابد أن يكون مسبوقاً باستعداد المعروض والموصوف والمادة لذلك بداهة إمتناع الفعلية بدون سبقها بالقوة ، فحمل كل محمول على موضوع ما متوقف على استعداد ذاك الموضوع لحمله وعروضه ، فالمراد بالحيثيات المقيدة بها موضوعات العلوم حيثية الاستعداد الخارجة ، وبهذا تندفع الاعتراضات المذكورة والاشكالات التي استصعبتها أقوام ، وهذا الذي قررته أمر واقعي لابد من اعتباره في موضوعية الموضوع لكل مسألة وليس لمجرد التفرقة بين الموضوعات فقط كما زعمه الحكيم السبزواري في شرح المنظومة .

وسمعت أيضاً من بعض أساتذتكم أن الدليل في اللغة المرشد ،

وعند الأصوليين (مفرد يمكن التوصل بالنظر في أحواله الى مطلوب خبري) مثلا أقيموا الصلاة دليل لأنه يمكن التوصل بالنظر في أحواله من كونه أمراً الى مطلوب خبري وهو التصديق بأن أقيموا الصلاة يفيد أمراً بوجوبها ، بأن يقال : أقيموا الصلاة أمر باقامتها والأمر باقامتها يفيد وجوبها . الخ

وظاهر هذه العبارة يناسب رأي العضدي في الدليل وانه الأصغر في مصطلح الأصوليين ، وهذا الرأي غير مرغوب فيه عند المتأخرين بيانه ان الدليل في مصطلح علماء الميزان (المنطق) مجموع الصغرى والكبرى أي التصديقات المعلومة الموصلة الى التصديقات المجهولة وفي مصطلح الفلاسفة ، هو الحد الأوسط فقط ، مع العلم بان الوسط لا يوصل الى النتيجة إلا بحمله على شيء في الصغرى ووضعه لشيء في الكبرى ، فالحمل والوضع عند الفلاسفة من شرائط الدلالة لا من مقومات الدليل ، ولكنهما عند علماء الميزان من مقومات الدليل ، وإطلاقات العرف تساعد على مصطلح الفلاسفة ، حيث يعللون الشيء بما يقع وسطاً في القياس الأقتراني ، فيقال : علة تحريم المسكر إسكاره أو نهي الشارع عنه ، وعلة الحكم بحدوث العالم تغيره

ويؤيد ذلك ان المنطقيين مع ما هم عليه من الاصطلاح كثيراً ما يطلقون العلة التي هي مساوقة للدليل والحجة ـ على الوسط ، فانهم يقولون مثلا ، في مقام بيان الفرق بين البرهان اللمي وبين البرهان الانّي : ان اللمي هو الذي يكون الحد الأوسط فيه علة للنسبة في الذهن

والعين والاني هو الذي يكون الحد الأوسط فيه علة للنسبة في الذهن فقط . ولهذه الأسباب قال بعض فحول علمائنا الأصوليين أن مصطلح الأصوليين في الدليل هو عين مصطلح الفلاسفة ، وصرح شيخنا الأعظم الانصاري « قدس سره » بان الحجة ـ المساوقة للدليل ـ عبارة عن الوسط الذي به يحتج على ثبوت الأكبر للأصغر ويصير واسطة للقطع بثبوته له كالتغير لاثبات حدوث العالم .

ولكن العضدي صرح بان الدليل في مصطلح الأصوليين هو الأصغر وقال : ان الدليل عندنا « الاصوليين » على اثبات الصانع هو العالم وعندهم « المنطقيين » ان العالم حادث وكل حادث له صانع الخ

وتوجيهه في نظري « على تقدير ثبوت هذا الاصطلاح للاصوليين » ان الأصولي ينظر الى أن الداعي الاول لحركة الذهن نحو المطلوب (النتيجة) إجمالا هو الاصغر دون الأوسط ، والشيء يسند عنده الى الداعي لأنه أسبق عليه ، وأما المنطقيون فنظرهم الى العلة التامة وهي الصغرى والكبرى جميعاً ، ولكن الفلاسفة يعتبرون الجزء الأخير من العلة التامة .

وسمعت مقال بعض أساتذتكم في تعريف أصول الفقه : هو القواعد التي يتوصل بها المجتهد الى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من الادلة التفصيلية ، ولاحظت عليه :

(١) ان أصول الفقه علم بالقواعد لا نفسها :

(٢) انه ينتقض بقواعد جميع العلوم التي لابد للمجتهد من معرفتها

في توصله الى الاستنباط من مبادىء الاستنباط البعيدة كعلم النحو وسائر العلوم سيما علم معرفة احوال الرواة وعلم التفسير وغيرهما .

وهي كلها بمثابة صغريات الأقيسة التي للمجتهد ، والقواعد الاصولية مباد قريبة للاستنباط ويجب ان تكون بمنزلة كبرياتها .

ولهذا عرفه قدماء علمائنا بأنه (علم بالقواعد الممهدة لاستنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية .

وهذا التعريف وإن كان سليما عن الانتقاض بالعلوم العربية والأدبية التي ليست ممهدة للاستنباط ، ولكنه ينتقض بمثل علم الرجال وقواعده الممهدة للاستنباط ، ويخرج عنه بعض المباحث الأصولية التي لا تقع في طريق الاستنباط كمبحث حجية الظن على تقرير الحكومة ومباحث الأصول العملية في الشبهات الحكمية .

ولذلك عدل منه بعض الأعلام إلى تعريف أصول الفقه بأنه : صناعة تعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق إستنباط الأحكام ، أو التي ينتهى اليها في مقام العمل .

ولكن القيد الأخير الذي أضيف إليه ليشمل المباحث التي لا يشملها التعريف المشهور أصبح مخلا بالتعريف فان الغرض المترتب على القواعد التي يمكن وقوعها في إستنباط الأحكام هو الاستنباط ، والغرض المترتب على القواعد التي ينتهي إليها في مقام العمل هو غير الاستنباط مما يستلزم عدم الاستنباط فالغرضان متناقضان لا يعقل اعتبار أمر جامع بينهما وتعدد الغرض يوجب تعدد العلم عنده قدس الله سره .

وهذه المقالات التي سمعتها من بعض أساتذتكم ومن سواهم ألجأتني إلى أن اقول :

أعتقد ان التعريف الاسد الأخصر لعلم أصول الفقه أنه « علم يبحث فيه عن أحوال مصادر الفقه الاسلامي » .

والمراد من العلم . الفن ـ اعني الوحدة المنتزعة من المسائل ـ وإضافة الاحوال إلى المصادر تنبىء عن أن المراد بها هي المبادىء القريبة التي لاتبقى بعد معرفتها حالة منتظرة للتشريع والاستنباط فخرجت منه جميع المبادىء البعيدة حتى علم الرجال ونحوه .

وبما أن الفقه الاسلامي « وهو آداب ورسوم وأحكام ووظائف مقررة من الشارع الحكيم لترتيب الثواب أو العقاب عليها ، أو لتمييز الحقوق ، أو لحفظ سلسلة النظام » ، يشمل كل ما يحتاج إليه البشر على اختلاف عناصره إلى آخر الدنيا لسعادته في دنياه وآخرته ، وفي جميع حالاته من القطع والظن والشك والغفلة والنسيان ، وفي الحوادث المتجددة إلى الأبد ، وفي جميع وظائفه العملية ، فضلا عن الأحكام الواقعية والظاهرية .

فمصادره عبارة عن كل ما تعرف به وظيفة المسلم في أعماله ، وبذلك يشمل هذا التعريف جميع مسائل أصول الفقه ومباحثه ، حتى مباحث حجية الظن على التقريرين ، والأصول العملية في الشبهات الحكمية .

وموضوع أصول الفقه مصادر الفقه الاسلامي بهذا المعنى الذي قررناه

أي مصادر الأحكام الواقعية ثبوتاً أو تنجيزاً أو اعذاراً ، والأحكام الظاهرية ، والوظائف العملية حسب اختلاف أحوال المكلفين .

وهذا العنوان جامع لشتات موضوعات مسائل أصول الفقه التي لاتجمعها الأدلة الأربعة المعروفة ـ الكتاب والسنة والاجماع والعقل ـ لا بذواتها ولا بعنوانها ووصف دليليتها حتى مع التكلف .

وبعد ذلك قصد سماحته إلى المسجد حيث يوجد القسم العام ، وفحص نظام الأقسام العامة ومناهج فصول الدراسة فيها ، والمواد التي تدرس في مراحلها ؛ واستمع في المرحلة الثالثة إلى درس التفسير ، وناقش الأساتذة والطلاب في تفسير بعض الآيات ، ولما همّ سماحته بالانصراف خاطبهم قائلا :

ان منكم من اكتفى في تفسير القرآن الكريم بالشرح اللغوي ، ومنكم من جدّ ليعرف سر بلاغته ، ومنكم من أخذ في تجويده وترتيله دون التفقه في معناه ، ويوجد في جامعاتكم من عدّه ككتاب أدبي قد مضى وقته وأفل زمانه ، وفي أساتذة الجامعات من ظنه لتهذيب القابلية الفنية فقط . ومن واجبكم أن تكونوا من الذين تلقوه بعقولهم وأفئدتهم ، فانهم اولئك الذين اقتبسوا من نوره واستضاؤوا بضيائه ، واولئك هم المفلحون .

ثم عرج سماحته على الزاوية الجوهرية التي تضم قبر القائد جوهر الصقلي مؤسس الأزهر ، وبعد التفرج عليه وتلاوة الفاتحة له ظهرت على سماحته آثار التأثر الشديد فقال :

رحمك الله أيها القائد الخالد العظيم ، رفاتك في هذه الزاوية ، رمز خالد لعظمة المسلمين عامة وعظمة الشيعة خاصة ، وهذا الأزهر الشريف أثرك الخالد عاش ألف سنة وسيعيش إلى الأبد إنشاء الله تعالى حاملا لواء العلم والثقافة ومستهدفاً الأهداف السامية التي أسسته لأجل تحقيقها ، وممثلا خلوصك الراسخ ، وما كان لله يدوم .

ثم دعي سماحته الى زيارة المكتبة الأزهرية فتفقد أقسامها إلى أن وصل إلى القسم الخاص بمكتبة الأستاذ الشيخ محمد عبده . فشاهد سماحته مكتبه وجلس على كرسيه الذي كان يجلس عليه في داره في الزيتون . فتأثر لذلك تأثراً شديداً ، وبعد تلاوة الفاتحة قال سماحته :

رحمك الله أيها الأستاذ الامام . فلئن أصابك ما يصيب كل مصلح من أهل زمانه ، وعشت غريباً في وطنك معذباً بين قومك ، منكوراً من مواطنيك ، ورموك بالالحاد تارة ، وقذفوك بأنك صنيع الانكليز أخرى ، وقاومت الخاصة إصلاحك فتبعتهم العامة لا لسبب معقول ومنطقي ، سوى ضيق في عقولهم ، وعجزها عن النظر في الوجود وتغييره ، وهم يعيشون في هذا التبديل ولا يشعرون به ، ولئن حالت الظروف دون أن تستطيع من إصلاح الأزهر ، وربط الدين بالعلم ، وتحقيق رغائب أستاذك الأعظم معلم الشرق الأكبر السيد جمال الدين الحسيني ، رغم جهادك وصمودك لثورة الذين اتخذوها رهبانية إبتدعوها من عند أنفسهم ، وغروا الناس بظواهرهم فأنشأت قصيدتك الخالدة وأنت محتضر على فراش الموت ، وكاد أن يقع في الوجود ،

الأمر الذي كنت تحاذره ساعة ارتحالك إلى دار الخلود .

ولكن الله سبحانه وتعالى قيض من بعدك أعلاماً مصلحين وعباقرة مرشدين وفي طليعتهم تلميذك وخليفتك المراغي يحاولون الصلاح والاصلاح عن طريق ايجاد الوحدة الاسلامية بتوحيد الثقافة وتوحيد شعور المسلمين وإخراجهم من الركود إلى الحياة والانتعاش ، وها هي الأيام أخذت تحقق نظريتك الاصلاحية ، والاسلام والشرق والأمم في أمس الحاجة إلى من يقوّم عوجها ويهـــذب نواحيها ، ويجدد حواشيها ، ويبعث الحياة والروح في هيا كلها والله تعالى ولي التوفيق

الامام الزنجاني في المقر العام لجامعة الشباب العربي (١)



تقيم جمعية رابطة الشباب العربي بمقرها العام بالقاهرة بعابدين حفلة شاي في الساعة ٣٠ ـ ٧ من مساء اليوم (الأربعاء) تكريماً لسماحة الامام الزنجاني، وقد دعت اليها كثيراً من الكبراء والعظماء والأدباء والمشتغلين بتوثيق الروابط العربية

---

(١) نقلاً عن جريدة «المصري» ١١ رمضان ٣٥٥ ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦

﴿ صورة مصغرة من محاضرة الامام الأكبر الزنجاني ﴾
﴿ التي ارتجلها في مقر رابطة الشباب العربي العام بالقاهرة ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أصبحت قضية ضرورة الاتحاد والاتفاق والانضمام والوحدة في الأمم بأقرب سبب وأقل جامع من عنصر أو دين أو لغة من القضايا الضرورية والقواعد الأساسية في علم الاجتماع ، لا يجهلها جاهل ولا يرتاب في لزومها عاقل ، ولكل خطيب أو مؤلف في علم الاجتماع على اختلاف أساليبهم ونزعاتهم ، خطبة أو وقفة أو مقالة في موضوع الوحدة وضرورة الاتحاد في الأمم بجامع من عنصر أو دين ، وهذا البحث يكاد أن يكون صيغة مبتذلة أو أمراً مفروغاً منه لكثرة ما قيل فيه ، فالأمة العربية بمجموع أفرادها والأمم الاسلامية على اختلاف طوائفها وعناصرها باتت عارفة بذلك ، فترى العامي يردد في مجالسه البسيطة كلمات الدعاية للوحدة الاسلامية بما لو تفوه به خطيب النادي ليصفقوا له كثيراً .

بيد أنه قد تجلى لكل ذي لب أن القوى والمعدات الحربية والآلات الجهنمية القائمة في الماء أو المحلقة في السماء أو الراكزة على الأرض مهما تنوعت وتعاظمت فان قوة الاتحاد والاتفاق في الأمة أشد بأساً وأعظم مراساً وأبعد أثراً ، بل لا تجدي تلك القوى وإن

تسامت في الحول والطول وشدة الهول ما لم تكن مرتكزة على تلك القوة

وهل بلغ العرب المسلمون ما بلغوا اليه من أوج المجد والرفعة في بدء نهضتهم إلا بهـــذه القوة ؟ وهل سقطوا ذلك السقوط إلا حين فقدوها ؟ وهل أدل على ذلك مما نراه اليـوم من دول الغرب ما تبذله كل دولة من الجهود الجبارة في توحيد صفوفها وجمع كلمتها وجعل شعبها كجسد واحد تتصرف فيه روح واحدة ؟.

وهذا هو الذي استفز أقطاب الاصلاح والغيارى من رجال العرب ورجال الاسلام في هذا القرن فصرخوا بملوك العرب وملوك الاسلام وطوائف المسلمين صرختهم المداوية التي ملأت أخبارها الصحف والمهارق ، وتآزرناهم في جميع مؤلفاتنا وخطبنـا وأسفارنا في مختلف الأقطار العربية والعواصم الاسلامية ، كل ذلك علماً بمسيس الحاجة وضرورة استبقاء هذا الرمق الأخير من حياة العرب والاسلام والمسلمين بالتعاون والتضامن والسعي وراء عوامل الوحدة ومحققاتها .

وليس معنى دعوتنا الى الوحدة الاسلامية نبذ الوحدة القـوميـة وعدم الاهتمام بشد أمراسها وتوثيق عراها ، كلا . فان كلا من الوحدة الاسلامية والوحدة القومية قوة جاهزة وعدة ناجزة وينبغي بل يجب على عامة المسلمين وكافة العرب أن يستغلوا كلتا القوتين ويتدرعوا بكلتا العدتين ، فالعرب اخواننا وأغصان دوحتنا بجامع الدم واللغـة والأصل ، ولا ينافيه ان المسلمين من غير العرب أيضاً اخواننا بجامع الدين والتقاليد والشعور .

بل الحقيقة الراهنة ان الوحدة العربية أساس متين ضروري الوحدة الاسلامية وان الوحدة الاسلامية لا تستهدف سوى تحقيق السيادة الروحية والأدبية للعنصر العربي على سائر الامم الاسلامية ، وذلك بأن يستعمل العرب سلاحهم السماوي الذي اختصهم الله تعالى به أعني « النبي العربي » (ص) و « القرآن العربي المعجز الخالد » فلكل من الوحدتين علاقة شديدة بالأخرى .

مع العلم بأن القومية العربية ليست كغيرها من القوميات الاعتبارية ومن العوارض الخارجة عن جوهر الذات ، بل هي حقيقة واقعية معترف بفضلها من فوق عرش الله تعالى حيث ان الانسانية لما بلغت رشدها واستحقت ديناً عاماً خالداً ، إقتضى عدل خالق الشعوب أن ينتخب رسوله الخاتم (ص) مربي الانسانية ومرشد البشرية من الشعب العربي الباسل الجدير من الناحية الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته (ص) وأن يؤيده بالقرآن العربي المعجز الخالد الذي يساير الاسلام في البقاء بنفسه لا بمجرد ذكره لخبره ، ثم تكفل (عز وجل) بحفظه حيث قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وهذا وعد إلهي صريح بخلود اللغة العربية المستلزم لدوام حياة الأمة العربية وعظمتها .

وهذا كله لعلمه تعالى بأن الشعب العربي الكريم ممتاز من عناصر البشر بقوة الارادة وصدق العزيمة وثبات المبدأ واحتقار رغد العيش والاعتناء بتنفيذ ما اراد والاهتمام بكسب الشرف وانه جدير بالسيادة المعنوية

فمن واجب الأمة العربية أن تقدر هذين السلاحين الالهيين وتستعين بهما على القيام باستعمار سائر الأمم الاسلامية روحياً ومعنوياً في هذا الزمن الذي تفنن فيه الشعوب لاختراع أساليب الاستعمار ، كما استعانت بهما في العهد الأول فبلغت بهما أوج العزة وذروة المجد والسيادة ، وحازت المثل الأعلى للامبراطورية الاسلاميـة .

فسارت الراية الاسلامية بأيدي العرب تدوخ الأقطار ، تحف بها الهيبة ويحدوها الجلال ، وسارت معها الدعوة الاسلامية التي شعارها « لا إكراه في الدين » نعم كانت الوحدة الاسلامية قوة العرب السياسية في عصورهم الذهبية الزاهرة ، مستهدفة الوحـدة العربية المرتكزة على سيادتهم الروحية على سائر الأمم الاسلامية لعلمهم بأن الوحدة الاسلامية لا تبعث الى نبذ الوحدة القومية بل تعززها وتقر لهم السيادة الأدبية على غيرهم ، وبها تستقر الأحوال المتموجة بموجات الاضطراب في الشرق العربي والعالم الاسلامي ، ويتحقق التفـاهم الديني في مختلف المواضيع الحيوية بالوسائل القويمة التي يعتمد عليها علم السياسة الاسلامية العربية التي هي كفيلة برفع مستوى الأحوال السياسية في بلاد العرب والمسلمين وان كانت مخالفـة في جوهرها لسياسة الغرب المستندة الى القواعـد المكيافيلية (سياسة ، الغاية تبرر الواسطة) التي ليست تتفق والروح العربية والاسلامية .

وهذا هو الهدف الأكبر لزعماء العرب المخلصين في دعوتهم الى الوحدة العربية السائدة ، دون الدعاية القوميـة المجردة التي يقوم بها

السذج وبعض مقلدة الغرب إذ ليس مغزاها سوى وضع القومية العربية السائدة في مستوى غيرها من القوميات كالفرسية والتركية والهندية وأمثالها ونزع صفة السيادة عنها بتجريدها من سلاحيها الآلهيين ، وهذا ربما يؤدي الى تأخرها عن درجة هذه الأمم ايضاً ، لأن لبعضها من الكمال الحضاري والرشد الاداري والنضوج السياسي والثقافة العالية الممتازة والنهضة القومية درجات تفقدها الامة العربية ، فليست هذه الدعوة سوى آلة عاملة لأضعاف رابطة الجامعة الاسلامية وتفريق القوة المعنوية وتجزئة الشعوب المرتبطة بها ليسهل على المستعمرين استعمارها وبسط سيطرتهم عليها ، فمن الواجب أن لا نجعل بعد اليوم النعرة القومية وصيحة الوحدة العربية ناقضة لغرضنا الاهم وهو السيادة الروحية على جميع الأمم الاسلامية باستعمالنا السلاحين الآلهيين اللذين عليهما ترتكز الوحدة الاسلامية . فاذا تخلت العرب عن الجامعة الاسلامية فمعناه التخلي عن سيادتهم الروحية على الامم الاسلامية ، وهذا مالا يتفق والغاية التي رمى اليها زعيم العرب الأعلى محمد (ص) والاسلام الذي جاء به من ربه

وينبغي أن ننظر الى الحوادث والى أوضاعنا بعيون صحيحة مجردة ونقدر نتائجها على ضوء العقل والمنطق ، ثم نعمل بنفوس لا تهيمن عليها العواطف ليتسنى لنا مس الحقيقة والعمل المفيد واتباع الأوفق والأصلح ، وعلينا أن نستعد قبل أن يؤخذ على ايدينا فلا نستطيع أن نستعد وحينئذ نشعر بعضض الاهمال في الوقت الذي لا يفيد هذا الشعور ولا يدفع الضيم ، وعلينا أن نفكر سريعاً ونعمل بأسرع منه

بجد وعزم وحزم ونقوم بواجبنا في سبيل متطلبات بلداننا في الحال والمستقبل وإعادة كياننا وصون مقدساتنا وتأمين سبيل الوصول الى ما نصبوا إليه من الوحدتين العربية والاسلامية .

وهذا هو الذي استفز دعاة الاصلاح وقادة الرأي منذ أوائل هذا القرن الهجري . فبذلوا كل جهودهم في سبيل الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، ولكن كل ذلك لم ينتج ثمرة يعتدّ بها . بل نجدها صفراً على الشمال بمقارنتها مع ما قام به المصلحون في سائر الأمم ، والسبب في ذلك أمران « الأول » أن الدعاية للاتحاد في أمتنا العربية الاسلامية لا تزال ناقصة غير مأخوذ بأطرافها من جميع النواحي . فكلما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة لايذهب فيه الخطيب أوالكاتب إلى أكثر من الوصف لفضائل الوحدة ، ووجوب التضامن ، وضرورة الاتحاد .

وقد علم هؤلاء المفكرون وقادة الرأي أن الأمة لم يستفزها هذا الوتر إلا بصورة مؤقتة . أفليس هنالك أسلوب غير هذا الوتر وأنغامه المستجدة ؟ وناحية عملية أخرى توصل بالمجتمع الاسلامي إلى الغاية المنشودة . لقد دعوا إلى الوحدة فلم يجدوا النتيجة المرضية . أفلا يجب البحث عن السر في ذلك ، ولقد دعوا إلى نبذ العداوة والبغضاء فلم يجدوا غيرها . أفلم يلزم السعي إلى اكتشاف ناحية الضعف ؟ ومعرفة ما للمسلمين من نفسيات يتبادلون فيها سوء الظن وقبح التصور ؟ ويسيرهم بها أعداء الاسلام نحو التنابذ والخصام . ثم معالجتها بتعريف

كل فرد واجبه وكيفية القيام به . « والثاني » دسائس استعمارية كانت ولا تزال تحاك حول المصلحين في أمتنا . أفلم يتهم الامام المصلح محمد عبده بأنه ملحد وانه صنيع الانكليز كما اتهم به المصلح الزعيم الخالد سعد زغلول وقاسم أمين ؟.

وكان من نتيجة فشل هؤلاء الدعاة إلى الوحدة أن فريقاً من المسلمين زعموا أن الجامعة الاسلامية لا يمكن أن تتحقق أبداً وغفلوا عن أنها تحققت فعلا في العصور التاريخية الطويلة ، ولم ينشأ مانع جديد من تحققها مرة ثانية . عدا ما حدث في بعض الطوائف الاسلامية من التعصب والجمود ، والاسترسال في أوهام ما أنزل الله بها سلطان ، ولكنه عارض وفي الامكان إزالته وإعادة تلك الروابط الاسلامية التي كانت بين الأحاد في تلك العصور التاريخية أروع وأقوى من جميع روابط الجماعات التي نازعتها الحياة ، وكانت تلك الروابط تستمد وجودها من أعلى المبادىء الاجتماعية التي جاء بها كتاب الله المعجز الخالد ، وبها أحدث الاسلام تكافلا عاما بين الشعوب الاسلامية يقوم مقام التزاحم الحيواني . فمنشأ الزعم المذكور قصور صاحبه عن إدراك حقيقة الدين الاسلامي .

ولو أدرك الناس كافة روح الاسلام ، وفقهوا كنه ما يرمي إليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر . لأنه مطلوب كل روح ، ومرمى كل قابلية ، وأنشودة كل استعداد ، ومطمأن كل إحساس ، ومنتهى كل عقل من معنى الدين والايمان ، وهو دين

التوحيد والرحمة والمحبة والحياة والوحدة والحكمة والسعادة المزدوجة وعرفان الجميل، لا دين الخصام والانقسام والتنابذ والدمار.

ولولا أن الاسلام دين ينطبق على كل قابلية وإستعداد ويلائم كل عاطفة وإحساس، لما كلف الخالق العادل به عموم خلقه.

ثم توهم فريق آخر. أن الوحدة الاسلامية تعارض القوميات الاسلامية وتبعث إلى نبذ الوحدة القومية، وهذا وهم باطل، والحقيقة هي أن القوميات الاسلامية بمثابة معدات أساسية وأركان ضرورية يجب تحقيقها لبناء الوحدة الاسلامية عليها، وان سعي أمتنا العربية التي هي منبت الدين الاسلامي إلى وحدتها حجر أساس الوحدة الاسلامية ويجب أن تبنى الوحدة الاسلامية على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع، لتكون الوحدة الاسلامية قوة عظيمة للامة العربية إذ بها يشملها عطف العناصر الاسلامية الأخرى فمن الواجب على المسلمين تحقيق كلتا الوحدتين، واستغلال كلتا القوتين.

وزعم بعض الناس أن الوحدة الاسلامية مساوقة لتوحيد المذاهب الاسلامية، وهذا الزعم فاسد. لأن وجود المذاهب أمر ضروري لابد منه ولا ضرر فيه، واختلاف الآراء سنة الله في الكون، ولكن الضرر كله والشر كله من التعصب للرأي إلى حدّ يتخذ أداة هدم للدين الاسلامي وكيانه الاجتماعي.

فيجب أن يحكم على المذهب بالنظر إلى سيرة أرقى ممثليها. لا إلى

إنحرافات أحط الآخذين بها . فان جرينا على هذا عرفنا كيف تكون تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ؟ وكيف يحب بعضنا بعضاً ؟ وكيف لا يبغض بعضنا بعضاً على طريقة الغلاة والمتعصبين ؟

فليس مقصد دعاة الوحدة الاسلامية توحيد المذاهب ، وإنما المقصود جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد الشعور في فرق التوحيد التي تجمعها عقيدة التوحيد ، ومقاصد الاسلام للحصول على روح الاتحاد في الجهود والعمل لحفظ العقائد الاسلامية المشتركة ومكافحة الالحاد والفوضى الاخلاقية ، ولتنظيم العمل الاجتماعي والوحدة الروحية ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الاجتماعية ، والعمل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية المختلفة بحيث يشعر الكل أنهم إخوان في الاسلام يحتاجون إلى التضافر والتعاون بدلا من المخاصمة والعداء ، ودفع الشبهات التي يلقيها الأعداء على الاسلام ، وإرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنده ، والحيلولة بينه وبين الافتتان بما يملك خصوم الاسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة .

ثم ان بعض المغرضين اتهم دعاة الوحدة الاسلامية بأنهم يسعون الى إعادة الخلافة ، وهم برءآء من هذه التهمة ، لأن انحلال الخلافة هو الذي أوجد مجالا للدعوة الى الوحدة الاسلامية والعمل لها ، وتقريب طوائف المسلمين بعضها من بعض ، اذ صار لهم النظر الاستقلالي في شؤونهم الدينية والاجتماعية .

وقد مضى حين من الدهر ولم يتساءل أحد عن الخلافة ، ولاشك

أن ذلك يعود إلى عدم ملاءمة وضع الشعوب الاسلامية في الوقت الحاضر لنظام الخلافة ، إلا أن بعض الغربيين والذين يحذون حذوهم من الشرقيين أخذوا يشتغلون باثارتها والدعاية في حين ان أصحابها لا يهتمون لها .

فاتضح على ضوء الحقائق المحسوسة والدقائق المبرهنة أن قضية الوحدة كما المعنا اليه خرجت عن طور الدعوة والبرهان والحجة والبيان وصارت بحيث ترى ضرورتها بالعين وتلمس باليد وانما الأمر المهم اليوم منها السعي والعمل والدعوة الجدية العملية والاستغناء عن الكتابة والأقوال بالجهود والأعمال . نحن يلزمنا العمل . يلزمنا الصدق . يلزمنا الاخلاص . يلزمنا التضحية والمفاداة . وهي الحياة او الممات . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .



مقتطفات من :

المحاضرة الارتجالية للامام الزنجاني

« في رابطة موظفي الحكومة المصرية المشمولة »
« برعاية صاحب الجلالة الملك المعظم »

يتشرف رئيس رابطة موظفي الحكومة بدعوتكم لسماع المحاضرة التي سيلقيها سماحة الاستاذ الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة بدار الرابطة بشارع عماد الدين رقم ١٨٧ بالقاهرة في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الخميس الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ وموضوعها « الحالة الأدبية ، والاجتماعية ، والخلقية ، في إيران والعراق »

الاسلام دين يشمل كل شأن من الشؤون العالمية ، كما ينير أمام المسلم السبيل في كل ما يتعلق بالأمور الدينية ، ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة وإجتماع ، وهو لا يعرف الفوارق الاقليمية والشعوبية وهو يمزج بين السلطتين الدينية والدنيوية بحيث يشملها الدين جميعاً وهو دين الفطرة ودين الطبيعة ولذلك قرر في تعاليمه كما تتطلبه طبيعة الانسان ـ بصفة انه مدني بالطبع ـ من أنظمة إجتماعية واقتصادية وسياسية وإدارية وقضائية وحربية ، وقرر « نظام التوظيف » مرتكزاً على دعائم قويمة يرتبط بعضها ببعض ، وأهمها (حسن اختيار الموظف)

وأن يكون التعيين والعزل على أساس مراعاة المصلحة العامة وتحري الأكفاء للقيام بأعمال المسلمين ، وكان هذا سر إنتصار القادة المسلمين في ميادين الجهاد ، وإنتصار ساستهم في ادارة شؤون البلاد ، فصلحت شؤون الدولة الاسلامية في العهد الأول .

وكان رسول الله (ص) هو الذي وضع هذا الأساس القويم للتوظيف بفعله وقوله : فقد روي في الصحيح انه (ص) قال : (من قلد رجلا على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله (ص) وخان المؤمنين .

وذلك لأنه بعمله حرم الجماعة من مزايا اكفئهم ، وربما أدى التمادي في هذا إلى إماتة الكفاءات ، فرسول الله (ص) عد التعدي على الأكفاء بتعيين من هو دونهم خيانة لله وللرسول (ص) ولجميع المؤمنين ، لأن في هذا إضاعة لمصالح الأمة وإهداراً لكفائة أرباب الكفاءآت ، فتضعف العزائم وتسوء سمعة الأمة الادارية ، ولهـذا كان الرسول (ص) لا يولي عملا إلا من تحقق أنه أحق به لكفائته وقوة ارادته وسمو أخلاقه وعلمه ودرايته .

وهذا الأمر من ضروريات مذهب الشيعة وعليه ترتكز عقيدتهم في الامامة .

ولما صار العزل والتعيين على أسس العصبية والمجاملة والمحاباة ونفع المقربين والمحسوبين والمخصوصين ، وتوظيف غير الأكفاء من أناس لا يصلحون لادارة شؤونهم فضلا عن المهات الخطيرة والخطط العامة

عمت الفتنة ، وساءت حالة الدولة .

وكان رسول الله (ص) يعني كثيراً بسماع ما ينقل اليه من أخبار عماله ، ويصغي إلى شكاية من يشكوهم ، وأخذ عليهم زلاتهم ويحاسبهم ، فقرر الرسول (ص) بذلك (قانون مراقبة الموظفين) فأنتج هذا (شعور الموظف بواجبه) وقام الموظفون المسلمون بواجبهم أحسن قيام ، ونجحوا في سياستهم أحسن نجاح ، وتوفر للدولة الاسلامية في أول عهدها أعاظم القواد وبناة المجد الخالد وعباقرة الساسة الاداريين ومصلحي الجماعات والأمم ، ولم يكونوا خريجي جامعات، ولم يدرسوا نظم السياسة والحرب ولا فنون الحكم ، وانما كانوا خريجي المدرسة المحمدية في صحراء العرب ، ودرسوا أنظمة القرآن الكريم وتفقهوها

وفي عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كتبه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها مجموعة تلك الأنظمة والقوانين في أسلوب منطقي وبرهاني يعد إعجازاً ، وفيه قال عليه السلام :

« ثم أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرة ، فانهم جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام ، المتقدمة فانهم أكرم أخلاقاً ، وأصح اعراضاً ، وأقل في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك .

ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ،

فان تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فان أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك إكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة الخ .

ويؤسفني انني لا أستطيع أن أتبسط في هذا الموضوع الخطير بالرغم من شدة مناسبته لجمعية (رابطة الموظفين) اذ طلب رئيسها إلي في كتاب الدعوة أن أتحفكم بمحاضرة موضوعها « الحالة الأدبية والاجتماعية والخلقية في إيران والعراق .

وكلكم تعلمون ان هذا الموضوع كثير النواحي متشعب المناحي وسيع المراحل لا أستطيع في هذه الالمامة العجلى ان أحيط باطراف هذا الموضوع المترامية ، ونواحيه المتباعدة التي لا يمكن استقصاؤها بعشرات المحاضرات بل بما تيها وله سلسلة ممتدة ، كلها حلقات متصلة ، وعرى مرتبطة ، يستدعي بعضها بعضاً ، ويتوقف بعضها على بعض ، تجمع شتاتها حياة أمتين عظيمتين عريقتين في المجد سمتا بماضيها في زمن كانت الامبراطورية تمتد من أواسط آسيا حتى حدود أوربا ، ومن حوض البحر الأبيض المتوسط الى المحيط الهندي ، ونهضتا في حاضرهما ، وأخذتا تعدان العدة لسعادة مستقبلهما . ولكنني سأحاول ما استطعت أن أضع بين يديكم من أبرز نواحيها صورة مصغرة واضحة وافية لما نحن بصدده من الاصلاح الديني والاجتماعي .

الايران قبل الاسلام :

عني التاريخ بالبحث عن علوم إيران القديمة ـ قبل الاسلام ـ وذكر المؤرخون والعلماء مكتباتها الشهيرة « كمكتبة اصطخر » التي كانت ام مكتباتهم ومعدن علومهم وذخائرهم في الفلسفة والطبيعيات والرياضيات وأنواع العلوم ، وكانت كتبها موضوعة بالفهلوية ومنقوشة على إحجار خاصة ، ولما استولى الاسكندر على اصطخر أمر بترجمة ما ارتبط منها بالنجوم والطب والطبيعة الى القبطية وألحقها بمكتبة الاسكندرية في مصر .

ومكتبة « قهندز » وكانت كتبها بالفهلوية منقوشة على ألواح الشجر دفنت بأمر طهمورث ملك الفرس ، وعثروا عليها في أوائل القرن الرابع للهجرة ، وكان من جملتها زيج قيم استخرج منه (زيج الشهريار) المعروف حسبما جاء في كتاب « اختلاف الزيجات » لأبي معشر البلخي ومكتبة أردشير بن بابك وابنه شاپور فانهما أمرا بجمع كتب الفلسفة اليونانية والهندية وكتب سائر العلوم وترجمتها الى الفهلوية فانتعشت النهضة العلمية في عهدهما .

ومكتبة « جند شاپور » للملك أنوشيروان الذي استظلت الفلسفة بلوائه .

لقد كانت الفلسفة والدين في بدء تكونهما متآلفين ومتوافقين بل

كانا متحدين في الغاية ، وكانت معرفة مبدأ العالم ومصيره ودراسة الألوهية وصفاتها وأفعالها وآثارها من أهم عناصر الفلسفة ، وهذا سر ما يتراءى في الفلسفة الشرقيـة ، وفي الفلسفة اليونانيـة التي تكونت — على التحقيق — من العناصر الشرقية ، من مظاهر الانعطاف نحو العقيدة ، فان مزج الدين بالفلسفة انما هو من مقتضيات الطبيعة الانسانية والفطرة البشرية وغريزة التعقل ، ولذلك لا يخلوا من هذا الانعطاف وهذا المزج دور من أدوار الفلسفة ، حتى فلسفة « ديكارت » و « كانت » وغيرهما من أعلام الفلسفة الحديثة .

وقد أثبت التاريخ قبل الاسلام أن الفلسفة أعانت على اعداد الشعوب المسيحية . لأن المسيحية الخالصة والفلسفة الصحيحة كانتا متآلفتين ومتعاضدتين ما دامت المسيحية ثابتة على ناموس الفطرة ، ولما تغيرت وانحرفت عن الفطرة أنكرت الفلسفة إنكاراً شديداً ، وانتهى الأمر بالفلسفة الى أن التمست لها مقراً لا يتسلط فيه حزب المسيح (ع) فهاجرت الى الفرس ، واستظلت بلواء الساسانيين .

وأكرم (أنوشيروان) مثوى الفلاسفـــة المشردين من روما وأمرهم بتأليف الكتب في الفلسفة والمنطق فألفـوا فيها ، وترجمت مؤلفاتهم الى الفهلوية وعني بمطالعتها أنوشيروان ، وعقد لهم مجلساً للمناظرة ، وأمر أيضاً بترجمة جملة من الكتب السانسكريتية الى الفارسية وأحدث مستشفى في (جند شابور) وأحضر له الأطباء من الهند واليونان وأمرهم بتدريس الطب الهندي واليوناني فيه .

وكانت عدة الكتب الفهلوية والمترجمة من اليونانية والهندية في الطب والفلسفة والمتنوعات في مكتبتها ستة وثمانين كتاباً مرتبطاً بالأمور الدينية والمذهبية ، وسبعين كتاباً متعلقة بأمور مختلفة في البيطرة والحرب والقصص والنجوم والسير والتاريخ والآداب والموسيقى .

وأما الايران بعد الفتح الاسلامي إلى إستقلالها السياسي في سنة ٢٥٣ فقد سارت على ضوء التعاليم الاسلامية في الحالات الاجتماعية والخلقية والأدبية والثقافية حسب ناموس الارتقاء ، وكانت مراكزها العلمية كالبخارى ونيشابور وقم ، غاصة بمكتبات خصوصية وعمومية وكانت مكتبة أبي الوفاء بن أبي سلمة في همدان تحتوي على مختلف أنواع الكتب وكان فيها ثلاثمائة ديوان لأشهر مشاهير شعراء الجاهلية جمع منها (أبو تمام الطائي) كتابه المعروف بديوان الحماسة ، ونبغ منها في هذا العصر أئمة المذهب ، وأئمة الأدب ، منهم (أحمد بن حنبل) المروزي صاحب المذهب الحنبلي ، و (محمد بن اسماعيل البخاري) صاحب الصحيح ، وابن المقفع و (أبو حنيفة) النعمان بن ثابت بن زوطي ابن ماه الاصفهاني صاحب المذهب الحنفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ ثم تجلت آثار هذا النبوغ الثقافي في أكمل مظاهرها بعد إستقلال إيران السياسي ، إذ تأسست مكتبات ضخمة وكثر المؤلفون ، وتغير منهاج التأليف وزيدت مواد للدراسة وقد ألف الفضل بن شاذان المتكلم النيشابوري مائة وثمانين كتاباً ، وألف أحمد بن محمد بن خالد البرقي القمي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ كتابه (المحاسن) في أخبار الأمامية من ألف

كتاب معتبر ، كما ذكره في أول كتابه المحاسن ، وجمع أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن البخاري كتابه الجامع في الحديث من ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة .

ونبغ لهذا العصر في إيران أئمة الفلسفة وأئمة الأدب وأئمة الدين منهم (الفارابي) و (الغزالي) و (الزمخشري) و « ابن سينا » و (الخيام) و (الفردوسي) و محمد بن زكريا الرازي و (أبو حنيفة) نعمان بن محمد بن منصور الشيعي قاضي مصر ومؤلف (دعائم الاسلام) المتوفى سنة ٣٦٣ و (أبو ريحان البيروني) المتوفى سنة ٣٧٤ هـ وغير هؤلاء كثيرون لا يحصى عددهم ـ رفعوا راية العلم والأدب والابتكار وعقد (ابن خلدون) في (مقدمته) باباً خاصاً أثبت فيه ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم ، واعتقد كثير من المستشرقين بتأثير آداب الفرس في لغة العرب وان الثقافة الايرانيـة لم تكتسب كثيراً من اختلاطها بالثقافة العربية اذ كان الغنم فيها للثانية والربح لها وفيراً .

وكانت (بغداد) عاصمة الممالك الاسلامية لهذا العصر عاصمـة العلوم ومهتمة بجميع مظاهر التمدن ، وتأسيس المكتبات العموميـة والخصوصية على طراز جديد إتخذه هارون الرشيد في (بيت الحكمة) وحسن تكميله في أيام إبنه المأمون وبعده بجمع الكتب اليونانيه والهندية والفهلوية وإحضار المترجمين لها من الأقطار ، في تاريخه الذهبي .

وفي أواخر القرن الثالث للهجرة إقتفى الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل بالله ، ولفيف من وزراء الدولة العباسية وأمرائها بالمأمون في جمع الكتب

وتأسيس المكتبات العامة والخاصة على طرز بيت الحكمة وأكثروا منها وأسست للشيعة (مكتبة سابور) بالكرخ ولم تكن في بغداد مكتبة أحسن كتباً من تلك المكتبة وكانت كتبها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة ، ولكنها احترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود (طغرل بك) أول الملوك السلجوقيين الى بغداد سنة ٤٤٨ ﻫ وبعد هذا الحادث هاجر شيخ الطائفة الشيعية الطوسي قدس سره من كرخ بغداد وهبط النجف الأشرف وأسس معهدها الديني التاريخي الموجود فتسرب هذا التنافس الى إيران من عاصمتها (بغداد) في عصر (الدولة البويهية) المحبذة للعلم والعلماء فيها ، أوائل قرن الرابع للهجرة وبذلك بلغ تشكيل المكتبات والمعاهد العلمية في ايران الى حدود التكامل في عهد الملوك البويهيين ، وفي الدور الذي تلاه وقد نقلت معظم كتب الفلسفة والشعر الايرانيه الى اللغات الاوربية المتعددة كما زخرت معظم متاحف العالم الكبرى بروائع الفن الايراني .

أحدثت حملة جيوش المغول تحت إمرة (جنكيز خان) و (هولاكو خان في غزواتها المتعددة ، واحتلالهم إيران تبدلات كثيرة في حالتها السياسية والاجتماعية والثقافية فانهم سطوا على معظم ما كان مدخراً من النفائس والكنوز في بلاد ايران وتركوها صحراء جرداء بعدما أتت جنودهم وخيولهم على كل شيء فيها ، كما أحدثت مثلها في بغداد والقطر العراقي أيضاً ما عدا النجف وكربلاء ـ الحائر ـ والحلة وكانت الحلة عاصمة العلوم ومركز علماء الشيعة يومئذ فلم يدخل أحد من جنود هولاكو

لهذه البلاد الشيعية وكان سببه كتاب العهد الذي استحصله من هولاكو قبل وصوله العراق علماء الشيعة وعلى رأسهم السيد الزاهد العالم الورع رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ابن طاووس) والعالم السديد الأجل الشيخ يوسف بن المطهر الحلي ولذلك لم يفتر النشاط الزراعي في هذه البلاد الشيعية وكان نهر الفرات ينساب على ضواحي الحلة ويتدفق في أراضيها يسقي مواتها وتمد بالحياة أرضها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ومضى أهل هذه البلاد الآمنة في ركب الحياة متقدمة بالزراعة يشتد بهم الطمع ويتسع أمامهم أفق العمل واستغلوا خصوبة أرضهم ووفرة منتجاتها وخبرتهم بالزراعة ومهارتهم في السقاية حتى أقبل عليهم الغنى وأدركتهم الثراء واجتمعت عندهم كميات كثيرة من الغلات فاضت عن حاجتها واشتد الطلب عليها من بغداد بعد أن وقع القحط فيها على أثر سقوطها في أيدي قوات المغول ومست الحاجة الى الغلاة ولكن أصحاب الغلاة أبوا أن يبيعوها بالنقود وطلبوا بدل أثمانها الكتب وبهذا التدبير انتقلت كتب مكتبات بغداد الى الحلة والحائر واجتمعت عند الشيعة ثم حملها الفيلسوف الأعظم (نصير الدين الطوسي) محمد بن محمد بن الحسن منها الى مكتبته في إيران التي وصفها المؤرخ الشهير جرجي زيدان في آداب اللغة العربية بقوله :

انه قد جمع في خزانه كتبه ما ينوف على أربعمائة ألف مجلد وانه أقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف ، فزها العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قبس منير في ظلمة مدلهمة الخ .

فعاد نشاط النهضة العلمية والثقافية إلى إيران وفي أواخر القرن

السادس الهجري سنة ٥٨٢ هـ ظهر (جنگيزخان) زعيم المغول ومؤسس دولتهم التي عاشت ١٣٧ سنة ، و (أشار الى خروجه رسول الله (ص) بقوله : القيامة القيامة) فان عدد حروفها بحساب الجمل ٥٨٢ ولم يكن جنگيزخان متديناً بدين ولا متعصباً لبعض الأديان بل كان يحترمها ، ولكن جاء من بعده من أولاده من تعصب لليهود ، وهو (أرغون خان) فأسند وزارته الى اليهودي (سعد الدولة) وكاد أن يقضي هذا اليهودي على الاسلام لولا اغتياله من بعض المسلمين ، ومال (منكوقاءآن) الى الدين العيسوي وضيق على المسلمين .

ثم اعتنق الاسلام بعض ملوك المغول مثل (غازان خان) وكانوا على المذهب الحنفي الذي كان مذهب الايرانيين حتى القرن السابع ، وكان السلطان « الجايتو محمد خدابنده » مسلماً حنفي المذهب ولما وقع في مشكلة طلاق زوجته ثلاثاً في مجلس واحد ولم يعجبه ما سمعه من آراء المذاهب الاسلامية الأربعة وظهر له من مناظرة المولى « صدر جهان » البخاري الحنفي مع المولى نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي بطلان كلا الرأيين فسأل عن غيرها فاخبروه عن المذهب الجعفري ورئيسه يومئذ « المحقق الحلي » الشيخ الأجل أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى الحلي الذي كان يقيم في الحلة ـ بالعراق ـ وبطلب من السلطان أرسل المحقق الى إيران تلميذه الجليل جمال الدين حسن ابن يوسف بن المطهر الحلي ومثل أمام السلطان في بلدة (السلطانية) ـ بين قزوين وزنجان ـ التي كانت مصيفه

ثم أمر السلطان (أولجايتو محمد خدا بنده) باحضار أعاظم علماء المذاهب الاسلامية الأربعة المعروفة أمثال المولى قطب الدين الشيرازي وعمر الكاتبي القزويني ، وأحمد بن محمد الكبشي ، وركن الدين المفيد الموصلي ، والمولى نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي ، وكثير غيرهم من الموالي والصدور وأعلام علماء المذاهب الأربعة ، وعقد في حضرته مجلس المناظرة وأمر الشيخ حسن بن يوسف المطهر الحلي عالم الشيعة الامامية بمناظرتهم ، فناظرهم وبدأ المناظرة بخطبة تاريخية - فكان أول عالم شيعي كبير ألقى خطبة مذهبية أمام علماء المذاهب الأربعة في حضرة سلطانهم -

وكانت نتيجة المناظرة أن السلطان أولجايتو محمد خدا بنده عدل مع امرائه وعساكره وجم غفير من العلماء الأكابر الى مذهب الشيعة الامامية ، وزينوا الخطبة والسكة باسامي أئمة الشيعة ولقب الشيخ حسن ابن يوسف بن المطهر الحلي ، (بالعلامة الحلي) وأمره الملك بتأسيس (المدرسة السيارة) .

ومن هذا البيان الموجز تظهر لكم قيمة ما سجله الاستاذ المؤرخ المصري في كتابه المطبوع في هذه الأيام وهذا نصه :

وتشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مرنوا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه ، وان دم الملوك ليس من جنس دم الشعب ، فلما دخلوا في الاسلام نظروا الى النبي (ص) نظرة كسروية ونظروا الى أهل بيته نظرتهم الى البيت المالك ، فاذا مات النبي (ص)

فأحق الناس بالخلافة أهل بيته . الخ

انظر الى هذا الكلام الفارغ فاضحك وابك ، وهل يجوز لمؤرخ سجل تاريخ أمة عريقة في المجد التأريخي كالفرس أن لا يكون عالماً بان الفرس أسلموا في صدر الاسلام وظلوا سنيين حنفيين وشافعيين ستة قرون بل كانوا ناصبين العداوة لأمير المؤمنين علي (ع) وكانوا يسبونه على المنابر في عصر الأمويين ، ولو كان تشيعهم كما زعمه هذا الرجل ناتجاً من نظرتهم الكسروية الى بيت النبوة وتقاليدهم القومية فلماذا تأخر ستة قرون ؟ حتى زالت تلك التقاليد وتجددت أجيال أصبحت لا تعرف شيئاً من تلك التقاليد وعندئذ اختاروا التشيع ، عن منطق صحيح وبرهان قاطع واضح ، وبعد تردد طويل واحجام غير قليل .

فهذا المؤرخ إما جاهل بالتأريخ وإما متعند متعصب ، والمؤرخ يجب أن يكون عارفاً بالحقائق التأريخية ومجرداً نفسه عن العواطف والعصبيات فان التأريخ مرآة الماضي ومنارة الحاضر ، وهو لن يكون مرآة أجيد صقلها حتى تتضح فيها صورة الماضي ومنارة يشع نورها براقاً يستضيء به الحاضر ، إلا اذا قام على ذكر الحقائق الكاملة المستقاة من أوثق المصادر ، لا يتسرب إليها شك ولا تشوبها ريبة .

و (الدولة الصفوية) التي أسسها (الشاه إسماعيل الصفوي) — وهو يرجع بنسبه الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما كانت تجري في عروقه دماء الساسانيين عن طريق إحدى بنات يزدجرد

الثالث ـ كانت من أعظم أنصار العلم والدين .

ولكن القدر ساق إليها السلطان سليم الأول الفاتح العثماني وهو باستعانته من الدعاية المذهبية المفرقة الواصلة الى درجة نصب العداء لأئمة الشيعة هزم الجيش الايراني في واقعة (چالدران) بالرغم من استبسال الجنود الايرانية ودفاعها المجيد ، واحتلت الجنود العثمانية جميع ولايات ايران الغربية ، ولبثت تحت الحكم العثماني ، حتى جاء الشاه عباس الكبير أكبر الملوك الصفوية وحارب خصومه العثمانيين بنوع سلاحهم أعني الدعاية المذهبية التي ألجأته الى استعمالها الدعاية العثمانية على أساس رد الفعل ، وطرد العثمانيين واسترد جميع الولايات الغربية التي كانت في قبضتهم وأعاد تنظيم سير القوافل وكفل طمأنينتها وسلامة الطرق والمحافظة عليها ، وأقام الجسور وأعاد للتجارة نشاطها وللثقافه والعلوم ازدهارها ، وفي آثاره أروع تحفة من تحف الفن الايراني ، وتدين لهذا الامبراطور النهضة الثقافية والفنية في إيران بازدهارها

ومن ذاك التأريخ برز الاستيلاء الديني المذهبي ذو الغرض السياسي القومي المحض المختفي وراء ستار الدين ، وتقوية العناصر المتقابلة ازاء بعضها بقصد التطاحن الاستعماري المتجلبب بجلباب العلم والمذهب والدين وأخذت التعصبات الذميمة تنمو بين طائفتين اسلاميتين عظيمتين الشيعة والسنة ، وكانت المسؤلية الكبرى في ذلك على عاتق العثمانيين الذين ابتدؤا بها وابتكروها وألجأوا الايرانيين الى مقابلتها بنوعها فولدت هذه الدعايات والتعصبات فيها النصب والغلو وكادت أن تقضي على حياتها

الاسلامية لولا ان الله سبحانه وتعالى قيض برحمته (نابليون الشرق الامبراطور الأمي نادر شاه) الحديد الجليد وكان له أعصاب من فولاذ وإرادة من حديد وروح من نار و نظر بعيد وقريب فقضى على جميع ثوراة البلاد الداخلية واخضع جميع قبائلها ثم طرد الأفغان واسترد منهم خراسان ومشهد وهرات ، وسار بعد ذلك الى ملاقاة العثمانيين فاستولى على بغداد وتفليس ، وأجلاهم عن أراضي الجزيرة ، واستعاد كردستان وجورجيا وضمهما الى بلاد ايران ثم اضطر روسيا على التنازل عن حقوقها المزعومة في إقليمي جيلان ومازندران وأنشأ سفناً بحرية وأسطولاً في بحر قزوين ولما استرد جميع الولايات الغربية التى فقدتها البلاد في أواخر عهد الصفويين واستتب له الأمر في البلاد أمر بتشكيل مجلس الشورى (المجلس التأسيسي) في صحراء (مغان) واجتمع فيه جل الشخصيات البارزة والممثلون لمختلف طبقات الامة الايرانية لانتخاب الملك الامبراطور فانتخبوه بالاجماع ملكاً على البلاد فاعتلى العرش وولى وجهه شطر بلاد الأفغان فاستولى على قندهار وسار الى بلاد الهند غازياً فعبر مضيق خيبر بعد استيلائه على كابل واستولى على دلهي واستحوذ فيها على عرش الطاووس الشهير الخاص بملوك المغول ونقله الى ايران ثم توغل بجيوشه بعد ذلك في أواسط آسيا ففتح بخارى وخيوا وبينما كان يسير في إخضاعه لبلاد جورجيا اذ وافته الأخبار باغارة العثمانيين من جديد الى جنوب ايران فأسرع الى لقائهم عند ديار بكر وأفنى جيشهم واضطرهم الى عقد الصلح والتنازل نهائياً عن المطالبة

بالولايات التي كانت تحت أيديهم .

وهنا الامبراطور المنتصر قرر عدة مواد في هذه المعاهدة تعتبر أسساً قويمة للوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، ونبذ الفوارق الطائفية ، وهذه المواد تشابه في جوهرها المواد التي إتخذناها مع فضيلة شيخ الجامع الأزهر في هذا الوقت أسساً لبناء الوحدة الاسلامية الشاملة عليها .

ومن كلماته الخالدة المشهورة كلمته المنبئة عن أهم عناصر عبقريته ، ونفسيته الفذة المجبولة بالاستقلال الذاتي وهي :

(إني لا أركب مركباً ليس زمامه في يدي)

قالها لملك الهند حينما قدم لجلالته فيلا راجياً أن يركبه (والفيل لازمام له

وفي تأريخ إيران الحديث ، كان عهد فتحعلي شاه القاجار عهد التطور التأريخي ، اذلعب فيه النفوذ الأجنبي دوراً ظاهراً لأول مرة في تأريخ ايران ، واستطاع (نابليون بنابرت) أن يحتل قلب الشاه باسم محاولته تقديم كل مساعدة له بدون عوض ، وزعم الشاه انه صديق مخلص ليس له طمع في ايران لبعد مملكته عنها ، فارسل كتاباً الى نابليون طالباً منه أن يرسل عدة من الضباط الحربيين لتنظيم الجيش الايراني وتزويده بأحسن الأزياء العسكرية ، والمستشارين الاداريين وأطباء ومدرسين وخبراء فنيين الخ .

ولكن نابليون نصحه في جواب كتابه بعشرة وصايا تنم عن صدق اللهجة وتتلخص في ان هذه المطالب كلها ليست من صالح البلاد

الايرانية وأن تدريب الجيش الايراني تحت سلطة الضباط الأجانب يضرُ بروحيات الجيش ومعنوياته بل يمكن أن يزيلها تماماً ، وأكد فوائد مختلف الأزياء في الجيش الايراني في الحرب ، وأن توحيد الشكل والأزياء العسكرية ليس في صالح جيش صغير تجاه جيش كبير يماثله في الزي والشكل وأوضح أن تطبيق القوانين الغربية بواسطة المستشارين الاداريين في أمة شرقية غير مثقفة وبلاد كبلاد ايران يسبب اختلال إدارتها ، وان الأطباء الأوربيين لا ينجحون في العلاج في بلاد لا يعرفون شيئاً من مناخها وبيئتها وعاداتها وتقاليدها وطباعها ، ورجح للشاه أن يوفد الى باريس بعثة ايرانية من أذكياء الطلاب لكي يدرسوا فيها أنظمة الحرب والجيش والحكم والادارة ، وفنون العلوم والطب ليقوموا بتنظيم جيشهم وبلادهم بعد رجوعهم اليها ، وحينئذ دخلت الثقافة والعلوم الغربية الى ايران ، وترجمت كثير من كتب القصص والروايات من اللغة الفرنسية الى اللغة الايرانية ، وكان لهذه التراجم أثر كبير في تغيير الحالات الاجتماعية والأخلاق والآداب الايرانية .

وأما نهضة ايران الأخيرة وأثرها في الثقافة والحالات الاجتماعية والخلقية والأدبية فهي غنية عن التوضيح والتعليق .

وما من ريب في أن الوضع الجغرافي في ايران يتطلب ان يحرص الشعب الايراني وزعيم نهضته كل الحرص على التمسك بالدين الاسلامي وإعلاء شأنه ، بجانب حرصه على الفخار القومي والمجد الوطني الخالد ، وأن يحدد من اندفاعه نحو الحضارة الأوربية دون تبصر ، ويتخذ

خطة حكيمة ، وطريقاً وسطاً يؤدي الى ما يتفق مع تقاليد الشعب الايراني ، وماضيه المجيد ومع تعاليم دينه الاسلام الحنيف باعتباره صديقاً للعلم والحضارة ، لكي تكون نهضة ذات أثر كبير في سرعة تقدم البلاد ، ودوام نهضتها ، ويتخلص بوطنيته من براثن الاستعمار ، ويتخذ من الدين الحنيف الفطري الذي هو شعلة للحق لن تطفأ حصناً قوياً وسداً منيعاً دون تسرب المبدأ الشيوعي الهدام الى بلادهم .

ذلك المبدأ الخطر الذي تهابه الدول العظمى البعيدة عن منبع جراثيمه ، وهي ذوات القوات المدهشة الغير المحدودة فضلاً عن حكومة فتية صغيرة محدودة القوى مجاورة لذلك المنبع ، بل ملاصقة بحدوده .

فيستعيدون بهاتين القوتين - الدينية والوطنية - مجدهم السابق ، وعظمتهم التأريخية ، ويسجلوا اسم بلادهم في صفحات الخلود في أرفع مكانة وأسمى مقام .

وأما بلاد العراق ، فهي من البلاد ذات الماضي التأريخي البعيد المجيد ، لها سلسلة من التطورات والاتجاهات التأريخية المتعاقبة ، ولعلها البلاد الوحيدة التي حافظت على تقاليدها الشرقية التي نشأت عليها منذ القدم ، وما لبثت قائمة بها في مظاهر حياتها ونواحيها الأدبية والخلقية والثقافية الى اليوم ، رغم انها لبثت قروناً ترزح تحت الحكم الأجنبي ، تلك التقاليد التي انعدمت قرينتها في البلاد الأخرى وأسدل عليها ستار النسيان ، حتى بات لزاماً على من يريد أن يلم بالحالات الاجتماعية والثقافية والخلقية والأدبية في العراق اليوم ان يرجع في جزء

غير قليل الى تاريخ البلاد القديم .

ولا يهمني من هـذا التأريخ في موقفي هـذا سوى ناحية الحياة العقلية ، لأن التأريخ العقلي الذي يمتاز به العراق ، هو تاريخه الحي الخالد وهو الوجه المشرق من التأريخ الذي ينير للانسانية منهاجها ، ويصف علاجها ، ويسمو بها الى المثل العليا .

وهذه الناحية من تأريخ العراق تحمل معها الشاهد ، فقد كانت عاصمة العراق هي الوسيطة العلمية والفلسفية والثقافية بين اليونان وبين أوربا وبين الشرق والغرب وبين القديم والجديد وكان الأدب العراقي ولا يزال يرتكز على الأدب الآلهي « القرآن الشريف » وعلى نهج البلاغة ، وهذا طابعه المخصوص في النثر كما ان الطابع الخاص بالشعر العراقي ما يتجلى فيه من مسحـة أدب السيد الرضي وأسلوبه الشعري القوي الساحر .

ويمتاز الشعب العراقي الكريم برصانة الخلـق ، وثبات العزم واستقرار الرأي ، والثقة بالنفس ، والسعي لاحراز الفخار والمجد وحسن الأحدوثة في حمى الذمار الى إكرام الجار الى التفاني في الكرم والشجاعة والمطاولة في المصاولة الى صدق الحديث الى وفاء الوعد الى قوة الارادة . الى ثبات المبدأ ، وقد برهن عليها في مختلف الظروف حتى انتهى الى استقلال البلاد بملوكية جلالة الملك « فيصل الأول » الدستورية ، وكان جلالته ممتازاً بالمهارة الحربية ، والحزم الاداري ، وحسن التصرف ، ومرونة الخلق وسحر الشخصية مما حبب فيه القبائل

العراقية وزعمائها فاستغل مواهبه وكفائته ولبث عشرة أعوام يكيل فيها الخدمات لبلاده ، ويبسط فيها النشاط والجد والعمل ، حتى وصل بشعبه الى مصاف الأمم الحية ، ودخلت حكومته في عصبة الأمم .

وكان هذا البطل الهاشمي ممتازاً بشخصية فتانة تملأ كل من عرفه إعجاباً به ومرضاة عنه .

ولم يكن عجباً من جلالته أن تبرز منه مواهب ممتازة فقد ولد في أفق الحجاز ، مهبط الوحي المحمدي ، وانحدر من سلالة صاحب الرسالة الأعظم صحيح النسب ، عريق الشرافة .

واختطت الأمة العراقيـة الكريمة في نهضتها الأخيرة طريقاً وسطاً ، فلا هي جامدة على القديم ، ولا هي مسرفة في تقليد الحديث ففازت بالانتفاع بالحضارة الحديثة من غير أن تفقد في سبيلها عقيدتها وتقاليدها وأخلاقها ومميزاتها وفضائلها وهي لا تتعصب للفرق والطوائف وعندها ان الخلافات المذهبية لا يعطى لها الا مقام ثانوي بالنسبة لمقام الوحدة الاسلامية وتتمنى أن ينشأ علماء المستقبل ورجاله تحت نظام من التعليم والتربية متشابه ليسهل ذلك عليهم التفاهم والعمل لتحقيق المقصد الأسمى فمن توحيد الشعور والثقافة يتولد روح الاتحاد في الاتجاه والعمل الجـدي في سبيل الوحـدة الاسلامية الشاملة التي ندعوا اليها ، وما أردت إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

(تكريم الامام الزنجاني في المفوضية الملكية العراقية بالقاهرة) (١)



صورة الامام المجدد الشيخ عبد الكريم الزنجاني حين خروجه من الحفلة التكريمية التي اقيمت لسماحته في المفوضية العراقية الملكية (بالقاهرة) ويرى على يساره وزير ايران المفوض في القاهرة

أدب حضرة صاحب السعادة السيد عبد القادر الگيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية مأدبة غداء تكريماً لصاحب السماحة الاستاذ الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني لمناسبة زيارته مصر. دعا اليها عدداً كبيراً من الكبراء والعظماء وكان في طليعتهم سعادة وزير ايران المفوض والوزراء المفوضون للحكومات الاسلامية وكان الضيف الكريم يحادثهم عن شؤون العراق وعن نشاط الحركة العلميـة في ربوعها وفي النجف الأشرف وقال ان الحكومة العراقية من أكبر أنصار العلم والعلماء وإن القادم الى العراق ليدهش إذ يرى تقدماً وانقلاباً عظيماً عمرانياً

«١» جريدة (الاهرام) ٨ نوفمبر ١٩٣٦

وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً في البلاد العراقية عامة في المدة القصيرة التي نالت فيها الاستقلال تحت رعاية مليكها المعظم وان الوحدة والأخوة الاسلامية متجلية فيها بين الطوائف الاسلامية ثم انصرفوا شاكرين لسعادته .

(تكريم صاحب الفضيلة الامام الزنجاني في دار المفوضية الايرانية)(١)



في حفلة التكريم التي أقامها وزير إيران المفوض لكبير علماء الشيعة حضرة الشيخ عبد الكريم الزنجاني . ويرى صاحب الفضيلة الزنجاني . وعلى يمينه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . وعلى يساره وزير إيران . ويرى صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية . والشيخ عبد المجيد اللبان (شيخ كلية أصول الدين) . والشيخ [illegible] سليمان [illegible] المحاكم الشرعية . والسيد محمد الببلاوي . والشيخ عبد الوهاب النجار . والقائم بأعمال المفوضية العراقية . ووزير تركيا المفوض . وغيرهم .

إمتازت الحفلة التي أقامها سعادة سلطان أحمد رادخان وزير إيران المفوض إحتفاءاً بصاحب الفضيلة الامام الكبير الشيخ

---

(١) نقلاً عن جريدة [المصري] ١٠ نوفمبر ١٩٣٦ — ٢٥ شعبان ١٣٥٢

« « « [الاهرام] ١٠ نوفمبر

« « « [المقطم] مساء ١٠ نوفمبر

عبدالكريم الزنجاني العالم الشيعي الكبير نزيل العاصمة بصفائها ورونقها وبما ساد جوّها من إخاء ووئام وبمن حضرها من صفوة عظماء مصر وكبارها ورجال العلم والدين والصحافة والأدب . فقد كان في مقدمة الذين حضروها فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر وصاحب المعالي زكي العرابي باشا وزير المعارف وأصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة الشرعية العليا والشيخ اللبان والشيخ محمد البيلاوي نقيب السادة الأشراف وشيوخ الكليات الأزهرية وحضرها أصحاب المعالي والسعادة والعزة محمد حلمي عيسى باشا وزير المعارف الأسبق وأحمد مدحت يكن باشا وتوفيق رفعت باشا رئيس المجمع اللغوي ومحمد طلعت حرب باشا وجعفر ولي باشا والشيخ فوزان السابق القائم بأعمال المفوضية السعودية وعبدالقادر بك الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية وحمدالباسل باشا والدكتور علي ابراهيم باشا عميد كلية الطب والدكتور طه حسين عميد كلية الآداب والدكتور فارس نمر والحاخام حايم ناحوم عضو المجمع اللغوي والدكتور منصور فهمي بك مدير دار الكتب المصرية والدكتور عبدالحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين والشيخ عبد الوهاب النجار وكيله وفؤاد أباظه بك والدكتور عبدالرحمن شهبندر والشيخ مصطفى عبدالرازق (شيخ الجامع الأزهر الحالي) ومحمود بك تيمور والدكتور عثمان لبيب والشيخ عباس الجمل وكثير من رجال الصحافة . ولبى الدعوة أيضاً أعضاء الجالية الايرانية بمصر وفي

طايعتهم عبد الحميد كزروني بك رئيس الجمعية الخيرية وميرزا مهدي رفيع مشكي بك والاستاذ مؤدب زاده والاستاذ عباس غالب وكانوا يشاركون سعادة الوزير وموظفي داره في الحفاوة بالمدعوين الذين إلتفوا حول الضيف الكريم يحادثونه ويحادثهم عن شؤون العراق وايران وعن الحركة العلمية في ربوعها وعن كلية قم وجامعة طهران وكلية المعقول والمنقول وقال ان لمصر عظمة باهرة من حيث المركزية الأدبية والدينية في نفوس المسلمين في أنحاء المعمورة ويتمنون لها مستقبلا كبيراً ان من المعلوم ان الملل الغربية انما تحكم على أفكارها الجهة السياسية فقط ولذلك ربما يكره الكاثوليكي الألماني من هو على مذهبه في فرنسا . ومنذ أمد بعيد والحاكم على أفكار المسلمين إنما هو الوجهة الدينية ومع إختلاف المسلمين من حيث المذهب والعنصر والأوطان لم يزل يحب كل مسلم كمال الرقي وبلوغ المرتبة السامية لأخيه المسلم مهما فرقت بينهما الأوطان وميز بينهما العنصر لأن الاسلام يدعوا المتدينين به من مختلف الأجناس والعناصر إخواناً وقد أمرهم جميعاً بايجاد القوى الأدبية والمادية وأصلح القوميات التي كانت منشأ الحروب والفتن بصبغة الأخوة الاسلامية الموجبة للاتحاد والتضامن وتشييد أركان امبراطورية إسلامية قائمة على عناصر قوية وأمم مستقلة فبالاسلام وحده يمكن بسط الأمن والسلام العام على البسيطة . ثم قال ولم تزل هذه الروح سائدة في الأمة الاسلامية في جميع الأقطار . ثم ذكر إهتمام الايرانيين بلغة القرآن الكريم وأن مؤلفاتهم الدينية

والفلسفية أكثرها باللغة العربية بنسبة خمسة وسبعين في المائة وقال : ان اللغة الفارسية تشابه العربية في أنها ذات عنصر واحد وليست من اللغات المختلطة ذات العناصر المتعددة كاللغة التركية ولغة الأردو في الهند فلا يلام من قام باصلاح تلك اللغة والتحفظ على بساطته ليحفظ به كيانه الأدبي . وإنتهى فضيلته من الكلام وقدأدهش الحاضرين وملك ألبابهم واسترعى إعجابهم .

وبعد أن تناول الجميع ما لذ وطاب من أنواع الحلوى والشاي صورت لهم صورة يتوسطها سماحة الزنجاني . وفي الساعة السابعة أخذ المدعوون بالانصراف معجبين بعلوم فضيلة الزنجاني وشاكرين لسعادة صاحب الدعوة كرمه وإغتنامه الفرص لاقامة أمثال هذه الحفلات التي تزيد الأواصر الأخوية بين مصر وإيران قوة ومتانة .

(فضيلة الأستاذ الكبير)

الإمام الزنجاني في دار العلوم (١)



يمين سماحة الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في دار العلوم . وعلى يمينه عميد الدار وجمع من المفتشين بشؤون التعليم

زار دار العلوم أمس حضرة صاحب الفضيلة العالم الشيعي الكبير الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني فاستقبله ناظر المدرسة وأساتذتها وطلابها وبعد أن طاف بأماكن الدراسة وتفقد نظم الدراسة فيها وناقش الطلاب في بعض المطالب العلمية وأرشدهم إلى المنهاج الصالح إستراح قليلا في مكتب الناظر وشرب الشاي ثم ودعه ناظر المدرسة وأساتذتها وطلابها بمثل ما قوبل به من الحفاوة والتعظيم والاكرام . وقبل أن يغادرها أوصى بالطلاب العراقيين الذين يدرسون في الدار

---

(١) نقلا عن « جريدة الاهرام » ٢٧/١١/١٩٣٦

« تكريم فضيلة الامام الزنجاني »

« في دار الرابطة العربية » (١)

أقام سعادة الاستاذ الكبير محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ ورئيس الرابطة العربية حفلة تكريمية للعالم الشيعي الكبير فضيلة الشيخ عبدالكريم الزنجاني : وقد لبى دعوته لهذه الحفلة جمهور من رجال الثقافة والأدب نذكر من بينهم الأساتذة الأجلاء طه حسين بك ومنصور فهمي بك والدكتور السنهوري والدكتور مشرفه والدكتور عبد الرحمان شهبندر والسيد مصطفى عبد الرازق والسيد ابراهيم السقاف الزعيم العلوي الجاوي وميرزا مهدي رفيع مشكي بك ومحسن مشكي بك والدكتور فريد الرفاعي وعبد الرحيم عثمان بك والسكرتير العام للجامعة والنائب المحترم محمود همام حمادي بك وغيرهم . وكان يستقبل المدعوين لفيف من حضرات أعضاء مجلس إدارة الرابطة نذكر منهم الدكتور محجوب ثابت والدكتور مظهر سعيد وصالح جودت والسيد عبد المقصود خضر والاستاذ كامل زيتون سكرتير الرابطة والدكتور أحمد نشأت .

وبعد تناول الافطار ألقى الاستاذ زيتون كلمة ترحيب بالفيلسوف الكبير بالنيابة عن الرابطة ضمنها أغراض الرابطة وما ترمي اليه

---

(١) نقلا عن (جريدة الجهاد) ٣ رمضان ١٣٥٥ الموافق ١٧ نوفمبر و « « « الاهرام ١٧-١١-١٩٣٦

من توثيق العلائق العلمية والاقتصادية والاجتماعية بين الأمم العربية ثم تفضل الامام الكبير الزنجانى ورد عليه بكلمة طيبة في كيفية توحيد الأمم العربية في مختلف أنحاء المعمورة شاكراً للرابطة حسن حفاوتها وجميل إستقبالها ذاكراً ما يجب على الرابطة خصوصاً والمصريين عموماً نحو الوحدة العربية والارتقاء منها الى الوحدة الاسلامية الشاملة وقال ان العالم الاسلامي يتطلع لمصر بصفتها المحور العام الأساسي للثقافة والاقتصاد والاجتماع ، فقوبلت كلمة سماحته بالاستحسان والارتياح ثم انصرف المدعوون شاكرين للرابطة وسعادة رئيسها جميل حفاوتهم وعظيم إكرامهم .

فى بيت الأمة كبير علماء الشيعة «١»

زار بيت الأمة أمس صاحب الفضيلة الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة وفي صحبته وزير إيران المفوض والسكرتير الأول وكازروني بك رئيس الجمعية الخيرية ووكيل الجمعية والاستاذ مؤدب زاده وقد استقبله في بيت الأمة حضرة الاستاذ مأمون الزيدي وبعد أن زار مكتب المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا ومكتبته إستراحوا قليلا في مكتب دولة الرئيس ثم استقبلتهم حضرة صاحبة العصمة أم المصريين فقدموا لعصمتها تحياتهم وأعرب فضيلته عن تقديره لمواقف سعد الخالدة ورغبته في ان يزور ضريحه لأنه عاضد المصلح

(١) نقلا عن جريدة (الاهرام) ٢٨-١١-١٩٣٦

الأكبر السيد جمال الدين في نهضته الاصلاحية فشكرت أم المصريين شعوره الكريم وكلفت الاستاذ الزيدي أن يرافقهم في زيارتهم للضريح وقد قصدوا الضريح وقرأوا الفاتحة ووضعوا على القبر الطاهر إكليلا من الزهور .

« تطور الفلسفة »

﴿ خلاصة المحاضرة الفلسفية التأريخية التي ألقاها سماحة الامام ﴾
﴿ الحكيم الزنجاني بدعوة عميد كلية الآداب في الجامعة المصرية (١) ﴾



يحاضر ..
ألقى الاستاذ الشيخ الزنجاني يوم السبت ٢٨ نوفمبر بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، محاضرة عن « دراسة الفلسفة الاسلامية في النجف وايران » وترى فضيلته وهو يلقى محاضرته ..

غصت قاعة الجمعية الجغرافية مساء أمس بالوافدين من الكبراء ،

«١» نقلا عن جريدة الجهاد المصرية العدد ١٨٤٦ – ١٥ رمضان ١٣٥٥ – ٢٩ نوفمبر ١٩٣٦ وعن مذكرات شهود العيان

والعلماء والفلاسفة والأدباء لسماع محاضرة الفيلسوف الكبير فضيلة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة (عن دراسة الفلسفة الاسلامية في النجف وإيران) وفي منتصف الساعة الثامنة إعتلى منصة الخطابة الأستاذ عبدالوهاب عزام فتكلم عن تأريخ فضيلة الامام الزنجاني ودراسته وغزارة علومه وقوة إطلاعه وعلو كعبه في جميع العلوم بعبارة سلسلة وأسلوب جذاب ثم إبتدأ فضيلة الامام الزنجاني محاضرته إرتجالا وإنتهى منها بعد ساعتين وقد ملك على السامعين ألبابهم واسترعى إعجابهم .

﴿ الامام الزنجاني يحاضر في كلية الآداب بالجامعة المصرية ﴾ (١)

(المستشرقون والفلسفة الاسلامية)

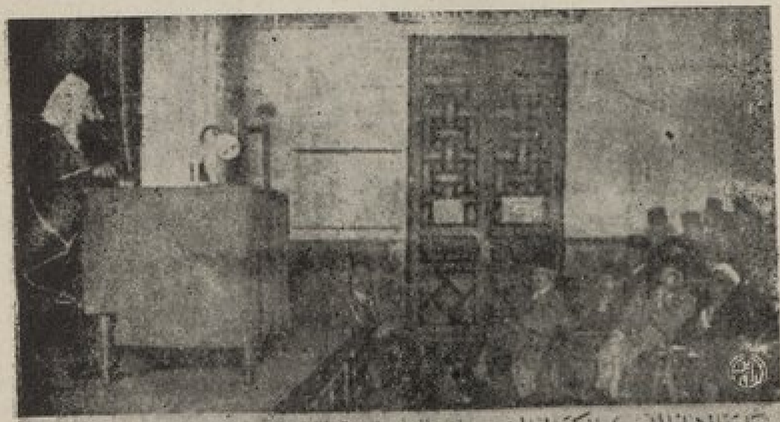
إنتهز حضرة صاحب العزة لدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب (بالجامعة المصرية) وجود العالم الأكبر فضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني بالقاهرة فدعاه باسم الجامعة الى إلقاء محاضرة عن (دراسة الفلسفة الاسلامية في النجف وإيران) فقبل الامام الدعوة وفي منتصف الساعة الثامنة من مساء أمس كانت قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية الملكية مزدحمة بالعلماء والكبراء والأدباء نذكر منهم حضرات أصحاب السعادة الوزراء المفوضون للحكومات

---

(١) نقلا عن جريدة « المصور » المصرية في العدد (٦٣٤) وجريدة «المصري» في العدد ٥١ وجريدة « المصري » في العدد ٥٠٠ ، ١٥ رمضان : ١٣٥٥ – ٢٩ نوفمبر ١٩٣٦

الاسلامية في مصر وجعفر ولي باشا والاستاذ ابراهيم الهلباوي بك ومحمد بك رشدي والاستاذ عبد الرزاق السنهوري (عميد كلية الحقوق) وأساتذة الكليات وأساتذة دار العلوم وأساتذة كلية الآداب وطلبتها وفي طليعتهم عميد الكلية والاستاذ أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق (فضيلة شيخ الجامع الأزهر الآن) وعبد الحميد العبادي وكثير من أساتذة الفلسفة والحقوق والعلوم .

وقدم الاستاذ عبد الوهاب عزام فضيلة الامام الزنجاني المحاضر



سماحة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني وهو يلقي محاضرة فلسفية بالجامعة ، ويرى الى جانب المنصة وزير ايران المفوض والى اليمين جعفر ولي باشا والاساتذة ابراهيم الهلباوي ومحمد بك رشدي وعبد الرزاق السنهوري عميد كلية الحقوق واحمد امين والشيخ مصطفى عبد الرازق وعبد الحميد العبادي والعزام وغيرهم .

فذكر انه تلقى العلوم الرياضية والمنطق والفلسفة وسائر العلوم العقلية والنقلية بايران وبعد ان إستأثر بجميعها وبلغ درجة الاجتهاد وصل الى العراق وفاق فيها على المجتهدين وتولى التدريس العالي النهائي في المعقـــول

والمقول بالنجف منذ ثلاثين عاماً ووصل بعد ذلك الى الهند وفي هذا العام سافر الى الشام فمصر لغايات اصلاحية هامة دينية وعلمية ونوه بعلم فضيلته وعظيم مقامه العلمي والروحي في العالم الاسلامي وانه في طليعة مراجع تقليد الشيعة .

ثم شرع الفيلسوف الأكبر الامام الزنجاني في القاء محاضرته إرتجالا على أسلوب علمي دقيق لم يستطع مندوبنا غير أن اختزل بعض مواضيعها :

فذكر سماحة الامام الزنجاني أولا أنه كان يرى أن يتحدث عن (الأدب والاسلام) وأنه يقصد من « الأدب » الموضوع الجامع لكل مطالب العقل والنفس وقواها وغرائزها وانحاء أفعالها وألوان انفعالاتها لكي يتضح من بيانه مقدار تأثير آداب الأمم في تكوين أخلاقها وتكييف عاداتها وترسيخ عقائدها التي تدفعها الى أعمالها حسبما تقضي به القاعدة الفلسفية المبرهن عليها وهي : « ان المعلول يستند الى أسبق علله » وترتكز عليه تعاليم الدين الاسلامي الذي هو دين الآداب والأخلاق والفضيلة والسعادة المزدوجة ولأجل ذلك ينطبق على كل قابلية واستعداد ويلائم كل عاطفة وإحساس قال : وهذا هو السبب لتعريفنا علم الفقه الذي هو مجموع قوانين هذا الدين القويم بأنه « آداب وتعاليم قررها الشارع الحكيم لترتيب الثواب أو العقاب عليها ، أو لتمييز الحقوق ، أو لحفظ سلسلة النظام .

ولكن سماحته قبل أن يتحدث عن دراسة الفلسفة في النجف

وإيران بناء على إقتراح الاستاذ العميد وانه يحمل له في نفسه أسمى مقام
ثم قال سماحته : نحن ندرس الفلسفة الاسلامية التي ربما يوجد فيكم من لا يذعن بوجودها، لأن تاريخ الفلسفة الذي تدرسونه في كلياتكم إنتقل من العصرين الاغريقي والمسيحي إلى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادي الى القرن السابع عشر، ولم يعبأ بالعصر الاسلامي ، ومن الغريب كل الغرابة إجماع مؤرخي الفلسفة من الغربيين على الاغضاء عن الفلسفة الاسلامية التي هي حلقة غالية من سلسلة التفكير الانساني والحياة العقلية البشرية ، حيث أجمعوا على أن مدرسة الاسكندرية وهي « الأفلاطونية الحديثة » كانت آخر مصباح شع نوره على العقلية البشرية ، ثم خبا فجمد بخبوه الذهن الانساني جموداً طال مداه أكثر من إثنى عشر قرناً ، أي من القرن الرابع الميلادي الى نهوض « ديكارت » و « باكون » في القرن السابع عشر ، وإعتذر عنهم بعض الشرقيين بأنهم عنوا عدم الابداع والابتكار في الدور الاسلامي ، لأن الفلسفة الاسلامية لا تزيد على أنها نظريات يونانية بحتة ، ولذلك نقرأ في الكتب الغربية : إن العالم مدين بحرية الفكر لليونان ، وأن فضل العرب لم يكن إلا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها إلى أوربا ، وان المسلمين لا نصيب لهم من العلم إلا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم في أهوائهم وان العلوم الاسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان بل على أوهام اليونان ، وأيد بعض الغفلة هذه العقيدة بأن كلمة الفلسفة كان أول من استعملها « فيثاغورس » أو « هيرودوت »

أو « كريزس » في وصفه « لصولون » أو « ثيوكيديديس » في رثائه « بركليس » حيث قال فيه : « نحن نتفاسف من غير أن تكون فينا أنوثة » مشيراً الى أنهم أرباب عقول كما أنهم أرباب شجاعة .

ولكننا نعتقد بأن الفلسفة اليونانية كانت نواة الفلسفة الاسلامية التي استوت شجرة باسقة فاثمرت وأينعت وآتت أكلها كل حين؛ وعاشت أكثر من ألف سنة وستعيش الى الأبد لأنها حقائق راهنة جديرة بالخلود ولا يتطرق الزوال الى جوهرها وان تغيرت صورتها أحيانا جريا على ناموس الارتقاء ، ونعتقد أيضاً بما أعتقد به المدققون من أن (ديكارت) وضع فلسفته على أساس (ابن سينا) وأيد المنصفون من علماء الغرب هـــذه العقيدة أمثال (بروفسور فورلاني) و (گيوم دووربي) .

وهذا هو السبب في أننا ندرس الآراء الفلسفية اليونانيـــة ، والمذاهب الفلسفية الحديثة لغرض المقارنة الدقيقة بين تلك الآراء وهذه المذاهب وبين مقررات الفلسفة الاسلاميه .

واني لا أشك في أن منشأ ما جاء في تاريخ الفلسفة الغربي والأوهام الناشئة من دراسته هو الجهل بالفلسفة الاسلامية والغفلة عن أن الدور الاسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري ، ولم يكن انتاج الدور الاسلامي منحصراً في إحياء بعض النظريات القديمة ، بل كان عهد الابتكار ، والنظريات الجديدة القيمة باعتراف الغربيين .

وهل يتصور إبتكار أو إبداع أعظم مما صدر من فيلسوف الاسلام

(الخواجه نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي) في القرن الثالث عشر الميلادي من نقضه القاعدة اليونانية القديمة : (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد) التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية ، وقاعدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة الى عصره ، وكانت مبتنية عليها أسس الهيئة القديمة ، والمباحث الفلسفية الكثيرة كمباحث العقول العشرة وما يتبعها التي ضخمت بها الأساطير ، واتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية ، فانهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة (كوبيرنيك) و (جاليلية) بعدة قرون ، وأعجب ما في الأمر هو أن (الطوسي فيلسوف الاسلام) إتخذ من ملاك برهان اثبات القاعدة المذكورة دليلا على نقضها .

وقرر ان العليه مطلقا لا يمكن ان تكون بحسب ذات العلة — حسب أصول الفلاسفة — فلابد في صدور المعلول الواحد أيضاً من حيثية العلية مضافة الى الذات ، وعلى هذا الأساس الرصين إرتكز تنزيه هذا الفيلسوف العظيم الطوسي للمبدء الأول — جلت آلائه — من الاتصاف بالعلية ، لأنها لا تصدق عليه بدون تحقيق المعلولية ، فالطوسي يرى أن اتصاف ذات الله (سبحانه وتعالى) بالعلية نقص في حقه تعالى فجعل العلية صفة لأمره تعالي الوارد ذكره في قوله تعالى : (وما أمرنا الا واحدة) وفي قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وإنتهى الى التنزيه المحض والتوحيد الصرف وللطوسي (قده) في هذا المقام كلام دقيق أرق من النسيم اذا سرى يقف اللسان عن نشره

وشرحه وقوننا عند قول بعض العرفاء : (إنشاء سر الربوبية كفر)

وهل يوجد إبتكار أبدع من نظرية (الحركة الجوهرية) التي هي أساس مبدأ التحول والتطور وناموس النشوء والارتقاء بأصح المعاني ، وقد اكتشفها الفيلسوف العظيم (صدر الفلاسفة المتألهين محمد ابن ابراهيم) في القرن السادس عشر الميلادي وقررها على أساس برهاني متين واذعن من كونها حقيقة راهنة فاتخذ منها برهاناً على اثبات الصانع ودليلا على حدوث العالم وكان ذلك قبل ثلاثمائة سنة من ولادة « داروين » في سنة ١٨٠٩ م وزملائه الذين نسبت اليهم هذه النظرية التي فسروها بمعنى محدود قاصر لا يساعد عليه برهان ، ولا تدعمه تجربة صحيحة ، فتخذ منها (شبلي شميل) وغيره سبيلا الى الالحاد وانكار الصانع لأنهم لم يصلوا الى حقيقتها الصحيحة البرهانية ، وقد اعترف (داروين) بذلك وقال : في كتابه (أصل الانسان) ان كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينية للغاية ولا أشك فى أنه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكنني قد أوضحت الأسباب التي ساقتني الى التمسك برأي دون رأي (انتهى) وكانت الحركة لدى جمهور الفلاسفة اليونانيين والاسلاميين لا تقع الا فى أربع مقولات عرضية وهي مقولات ، الكم ، والكيف ، والاين ، والوضع ، فقرر صدر المتألهين وقوع الحركة في مقولة الجوهر ايضاً بأن يكون الجوهر الذي هو الطبيعة والصورة النوعيـــة متجددة بالذات أي بالوجود والهوية لا بالماهية وموضوع الحركة الجوهرية هو المادة والهيولى المتحصلة بصورة

ما، فجاز أن تتبدل عليها خصوصيات الصور فتكون هي ما فيه الحركة مع بقاء الهيولى بشخصها بصورة ما.

هذا مضافا الى أن جماعة من فلاسفة الاسلام أمثال (ابن مسكويه) و «ابن خلدون» و «اخوان الصفاء» سبقتهم أيضاً الى القول بنظرية التطور بالمعنى الصحيح، ولذلك قال الاستاذ «دربير» الامريكي في كتابه «المنازعة بين العلم والدين» «ان مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً، كان يدرس في مدارس العرب المسلمين وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه بتطبيقه على الجامدات والمعادن ايضاً» الخ

ثم كيف يجوز إغضاء المؤرخ عن العصر الاسلامي وقد نبغ فيه المعلم الثاني «أبو النصر الفارابي» كما نبغ المعلم الأول «أرسطاطاليس» في العصر اليوناني، وألف الفارابي في الفلسفة مأة وثمانية وعشرين كتاباً ولخص في كتابه «التعليم الثاني» تراجم الفلسفة اليونانية، وهذبها تهذيباً جعلها منتجة، وصار كتابه (إحصاء العلوم والتعريف باغراضها) أساساً لوضع دوائر المعارف الأوربية.

وكيف ترمى الفلسفة الاسلامية بأنها نظريات يونانية؟ وقد صرح رئيس فلاسفة الاسلام «ابن سينا» في كتابه «الحكمة المشرقية» بأنه وصله من غير جهة اليونانيين علوم، وعبر عن أتباع المشائين من اليونانيين بالخشب المسندة، ونعتهم بالعاميين من المتفلسفة المشغوفين باليونانيين والظانين أن الله لم يهد سواهم، ثم أخذ الرئيس في تمحيص

آراء « أرسطاطاليس » ونقدها مع اعترافه بفضله وأن صنيعه أقصى ما كان ممكناً في عصره ، وابتدأ بمحاكمة « أرسطاطاليس » وأتباعه وشرع في تنقيح آراء اليونانيين فحكم عليهم واثقاً بصحة قضائه العدل ومصرحاً بأنه لم يحاول الحكم عليهم في أوائل أمره بل تريث طويلا ولم يتربع على منصة القضاء والحكم الا بعد أن أحاط في ريعان حداثته بجميع ما أورثه اليونانيون من العلوم بدقة لامزيد عليها ، وأحاط أيضاً بعلوم غير اليونانيين وانتهى أمره الى حيث وصفه الرئيس نفسه بهذه العبارة : « واذ وجدنا صورتنا هذه فبالحري أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه ولا سيما في الأشياء التي هي الأغراض الكبرى والغايات القصوى التي اعتبرناها وتعقبناها مثين من المرات ، ولما كانت الصورة والقضية على هذه الجملة أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوي على أمهات العلم الحق الذي استنبطه من نظر كثير وفكر ملياً ولم يكن من جودة الحدس بعيداً ، وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره الا على أنفسنا ـ أعني الذين يقومون مقام أنفسنا ـ وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطينا في كتاب « الشفاء » ماهو كثيراً لهم وفوق حاجتهم . الخ

ووصف الرئيس كتابه بهذه العبارة : « فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف ولا نبالي من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلموا كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب

الفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الخ .

وألف (ابن سينا » كتابه « الانصاف » للحكومة بين الشرقيين والغربيين ، وهذه هي الفلسفة الاسلامية التي يحاول الجاهلون بها من أعداء الاسلام انكارها وتسجيلها نظرات يونانية بحتة وانها دوّنت لتأييد قواعد الاسلام فلم يفرقوا بين هذه الفلسفة التي يكون البحث فيها جارياً على قانون العقل سواء وافق الاسلام أو خالفه وبين علم الكلام الذي يكون البحث فيه جارياً على قانون الاسلام ، وما علينا في هذه العجالة الا أن نحيلكم الى بيان لهذه الحقيقة أدليته في كليات الأزهر الشريف .

﴿ تطور الفلسفة ﴾

وربما ظهر لكم من بياني الموجز أن الاساليب المختلفة التي أحدثتها الفلسفة في غضون تطورها في مختلف القرون والأجيال يصح أن تكون موضع نظر مستقل خاص بها في دراسة الفلسفة ، وهذا هو الذي حدابي الى تأليف كتاب « تطور الفلسفة » وبينت فيه أن أسلوب الفارابي في التأليف والتدريس كان دقيقاً واضحاً لا يشوبه غموض أو تعقيد ، ويشهد بذلك اعتراف ابن سينا بأنه يئس من فهم اغراض ما بعد الطبيعة بعد أن أعاد قراءته أربعين مرة ثم صادف كتاب الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة وبقراءته لأول مرة انفتح له أغراض ذلك الكتاب ، وحاول الفارابي ان يجمع بين رأيي أرسطو وأفلاطون

وكان ذلك مبدأ التطور في الفلسفة .

وكان أسلوب ابن سينا التحليل النقدي للمشكلات الفلسفية وتنمية روح البحث العلمي في الميدان الفلسفي وكانت تتخلل محاضراته مناقشات حادة من بعض تلامذته مثل (بهمنيار) ولكنه في مؤلفاته عني بصوغ معضلات الفلسفة في قوالب الرموز وهذا أوجب زيادة التشكيكات حتى بلغت أقصى درجاتها في عصر الرازي ولكن الله قيض بلطفه فيلسوف الاسلام نصير الدين الطوسي فأحيى الفلسفة بأسلوبه الأنيق الواضح الدقيق بعد ان أوشكت الى الفناء والاضمحلال من جراء تشكيكات الرازي واتضح من بيانه في شرح الاشارات أن تشكيكات الرازي كانت ناشئة من عدم ادراكه مقاصد الفلاسفة فتطورت الفلسفة في عصره تطوراً منقطع النظير ثم أكمله العلامة الحلي مفخرة العراق ونابغة المسلمين حسن بن يوسف بن المطهر الحلي الذي لم تزل آثاره المشعشعة لامعة حتى الآن .

ثم عاد الغموض مرة ثانية الى مناهج التأليف والتدريس في الفلسفة في عصر الفيلسوف الأعظم السيد الداماد الملقب بالمعلم الثالث ولم يلبث مدة وجيزة حتى نهض في حياته تلميذه النابغة صدر المتألهين ببحث عام في الفلسفة وتخطى الحدود الضيقة للآراء الشخصية ووضع أمام الباحثين صورة واضحة للفلسفة برمتها ، واستخدم كل مالديه من الأساليب البليغة الجذابة في تقديم نظرية جديدة في الفلسفة تكون خالية من التناقض وبين جميع ما قال به الفلاسفة وألم بالمصطلحات

الفلسفية المرموزة شارحاً أسباب اختلاف المذاهب الفلسفية ، وألف كتابه الكبير (الأسفار) عالج فيه المذاهب الفلسفية المختلفة والنظرات المتباينة التي قال بها كل فيلسوف يوناني أو اسلامي معالجة بعيدة عن روح التحيز ، وأثبت ناموس النشوء والارتقاء باكتشافه الحركة الجوهرية ، وأعطى صورة شاملة مفصلة لا عن حالة التفكير الفلسفي في عصره وفي الدور الاسلامي فحسب بل عن الفلسفة في جميع أدوارها وشق لنفسه طريقاً وسطاً بين الطريقتين الاشراقية ، والمشائية ، ووصل — على ضوء نظريته الممتازة بمميزات عظيمة — الى حل المسائل الأساسية في أقسام الفلسفة حلا يدفع بأي باحث قادر على التفكير الحر المستقل الى اختيار الحلول التي تبدوا في نظره راجحة في معضلات الفلسفة ولأجل ذلك صارت مؤلفاته ولم تزل من أهم كتب دراسة الفلسفة في الدرجة النهائية في العراق وإيران وتجلى هذا التطور الفلسفي الذي أحدثه صدر المتألهين في مؤلفات الفيلسوف الأكبر الشيخ محمدهادي السبزواري التي احتوت على لباب مطالب صدر المتألهين والصفوة الناضجة من آرائه العالية على كيفية التلخيص والتدقيق وقررت مؤلفات السبزواري من كتب الدراسة في الدرجتين ، المتوسطة ، والعالية .

ويختلف ترتيب مواد الدراسة في الدرجات في المنهاج الحاضر حيث تبدأ الدراسة العالية بالفلسفة الالهية العامة وتسمى بالفلسفة الأولى والعلم الالهي الأعلى ثم العلم الالهي الخاص (أثولوجيا) الباحث عن الحقائق العامة والالهيات التي تقتضيها الفطرة الانسانية وغريزة

الشعور الديني ويقضي به أشرف اقوى الانسانية وهو العقل ، لا عن دين من الأديان الالهية بعينه كما زعمه بعض الفلاسفة الغربيين ومقلدوهم من الشرقيين ، فقالوا : ان أثولوجيا علم خاص وليس فلسفة عامة ، وتنتهي الدراسة العالية الى الفلسفة الطبيعية التي تبدء بها الدراسة الابتدائية والدراسة المتوسطة ، لأنها تبحث عن أقدم الأشياء بالقياس الينا ، ولأجل ذلك كان القدماء يبتدؤن بها حتى في الدراسة العالية النهائية وفي جميع مؤلفاتهم الا أن المتأخرين من الفلاسفة قرروا في منهاج الدراسة العالية أن يبتدء بالعلم الالهي العام ، لأنه يبحث عن أقدم الأشياء بالنسبة الى نفس الأمر ، اذ تعرف فيه الأمور العامة ومباحث الوجود وأحكام العدم فمباحث الحدوث والقدم ومسائل الفعل والقوة ثم مباحث الماهية فمباحث الوحدة والكثرة وأحكام التشخص فمباحث الجواهر والأعراض .

ونحن حينما نبحث في العلم الالهي عن آراء نظرية مجردة نبحث ايضاً عن التطورات الحادثة بعد أن وضع (وليم جيمس) فلسفة الذرائع البراجمتية المتمركزة على الاهتمام بالحاضر من صنيع الزمن ، وصرف النظر عن الماضي والمستقبل ، وهذه الفلسفة لتسجيلها ان حقيقة الكائنات ليست في مادتها وجوهرها ، بل في اثرها في حياة الفرد والمجتمع ، ذلك الأثر الذي قد يكون روحياً ناسب ان يكون البحث عنها في الفلسفة الالهية العامة ولكن البحث عن المذهب المادي الحديث لا يناسب سوى الفلسفة الطبيعية .

ونحن نبحث في (أثولوجيا) عن معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله الابداعية والاختراعية والتكوينية فكيفية ربط الحادث بالقديم فعالم المثال والمثل الأفلاطونيـــة وأصول تعاليم الفلسفة الطبيعية في منهاج الدراسة عندنا ثمانيه علوم :

(١) علم السماع الطبيعي ، ويسمى بسمع الكيان ، ويبحث فيه عن الأحوال العامة للجسم الطبيعي ، ومبادىء التغيرات كالزمان والمكان والنهايه واللانهاية ، والسكون ، والحركة ، وأقسامها من الأينية والوضعيه والكمية ، والكيفية ، والجوهرية ، والطبعية ، والارادية ، والقسرية والعرضية .

(٢) علم السماء والعالم وفيه تعرف الأجسام البسيطة ، والمركبة ، والحكمة في صنعها ونضدها وجمال نظام العالم وأحكام البسائط العلوية والسفلية وتجوهر الأجسام وأجزاء الجسم الطبيعي العنصرية والمقدارية ومباحث الهيولى والصورة والجزء الذي لايتجزأ والاجرام الصغار الصلبة لذيمقراطيس (ديموكريت) وانها تختلف عن الجزء الذي لا يتجزأ الذي وضعه لوقيبوس قبل ذيمقراطيس مع مقارنتها بالآراء الحديثة كالمذهب المادي العملي والمذهب المادي النظري والمذهب المادي الوصفي والمذهب المادي العلي والمذهب المادي التكافؤي وآراء المثاليين والماديين وفي منهاجنا نهتم بالفلسفة المادية الديلكتيكية التي توسع فيها (كارل ماركس) وفريدريك أنجلز وتبعهما لنين .

(٣) علم الكون والفساد ويعرف فيه الأركان والمادة والقوة والعناصر

و كيفية تكون المواليد الثلاثة وتبدل الصور على المادة الواحدة وطبقات الأرض الخ .

(٤) علم الآثار العلوية : ويبحث فيه عن كائنات الجو من السحب والأمطار والثلوج والرعد والبرق وقوس قزح والهالة وحوادث الحر والبرد والحوادث الأرضية من الزلزلة و كيفية التوليد والتوالد وإنتفاع الأجسام الأرضية من أشعة السماويات في نشئها وحياتها واستبقاء الأنواع مع فناء الأشخاص .

(٥) علم المعادن ويعرف فيه المركبات وكيفية تركيبها ويبين فيه الرأي الحديث القائل أن المعادن السبعة ليست مركبة من العناصر مع المقارنة بينه وبين الرأي القديم .

(٦) علم النبات وتعرف فيه الأجسام النباتية والنفس النباتية وقواها ويعلم أن عالم النبات متوسط بين عالمي الجماد والحيوان ومحقق لناموس النشوء والارتقاء .

(٧) علم الحيوان وتعرف فيه الأجسام المتحركة بالحركة الارادية ومباديء حركاتها ونفوسها وقواها وتناسلها .

(٨) علم النفس ويعرف فيه الانسان وأحوال النفس الناطقة الانسانية وكيفية تدبيرها وتصرفها في البدن وتجردها وقواها وأنها في وحدتها كل القوى وإبطال التناسخ بأقسامه الأربعة من النسخ والمسخ والرسخ والفسخ .

وتكلم فضيلته في هذه العلوم والمباحث طويلا ثم ذكر علوما كثيرة

وقال : انها فروع لعلوم الفلسفة الطبيعية كعلم الطب وعلم الصناعة وعلم الفلاحة وعلم أحكام النجوم وعلم الكيمياء وفيه يعرف تبديل قوى الاجسام المعدنية بعضها الى بعض لتوليد قسم خاص .

وعلم السيمياء وهو علم الخيالات ويقتدر به على إرائة مثالات خيالية لا حقيقة لها في الخارج وعلم الليمياء ويعرف به تمزيج القوى العالية بالسافلة المنفعلة لاحداث فعل غريب .

وعلم الهيمياء ويعرف فيه أحوال السيارات وتأثير الفواعل العلوية في القوابل السفلية وتسخير الروحانيات والعزائم والدعوات .

وعلم الريمياء وهو علم الشعوذات ومزج القوى الأرضية بعضها ببعض لايجاد قوة منها تحدث فعلاً غريباً .

ثم قال المحاضر : ان الطالب لا يشرع في الفلسفة إلا بعد اتقانه العلوم العربية والأدبية وبعد تهذيب أخلاقه ثم يبتدء بدراسة العلوم الرياضية المعدودة من أقسام الفلسفة النظرية . وهي العلوم التي مبادئها قريبة من الاحساس ، وأحكامها تصدق صدقاً عاماً لا يحتمل النقيض ولذلك أسماها القدماء (علوم التعاليم) وقرروا أن يبتدء طالب الفلسفة بدراستها تمريناً لذهنه ؛ واعداداً له لدراسة الفلسفة ، واتخذها بعضهم المثل الأعلى الذي يجب أن تحتذيه العلوم في أبحاثها ، وأصول العلوم الرياضية أربعة علوم ، وهي : الحساب ، والهيئة ، والهندسة ، وعلم التأليف ، الذي من أنواعه الموسيقي وقالوا في سبب حصرها في الاربعة : ان موضوع كل من هذه العلوم هو (الكم) وأنواع الكم

منحصرة في أربعة : الكم المتصل القار (الساكن) أي الجسم والسطح والخط ، وهو موضوع علم الهندسة (الجومطريا) والكم المتصل غير القار هو موضوع علم الهيئة (الأسطرونوميا) والكم المنفصل مع النسبة التأليفية هو موضوع علم التأليف والكم المنفصل بدون نسبة تأليفية « العدد » موضوع علم الحساب .

ثم تفنن الامام المحاضر كثيراً في بيان تفاصيلها ، وذكر علوماً كثيرة إعتبرها القدماء فروعاً لهذه العلوم الرياضية ، منها علم المرايا والمناظر ، وعلم جر الأثقال ، والجبر والمقابلة ، والمجسطي (الجغرافيا) وعلم المساحة وعلم عقود الأبنية ، وعلم مراكز الأثقال ، وعلم استنباط المياه ، والزيجات ، ومعرفة الاصطرلاب والربع المجيب ، ومعرفة التقاويم ، والنيرنجات ، وعلم الأوفاق ، والزائجة ، والجفر ، والتكسير وعلم الحروف ، وعلم الرمل ، وعلم خواص الأعداد ، وعلم الحساب المفتوح ، وعلم التعابي ، وعلم الارصاد ، وعلم الآلات الظلية ، وعلم صور الكواكب ، وعلم المسالك والممالك ، وعلم المزاول ، وعلم الآلات الحربية وعلم الآلات الروحانية ، وعلم الأوزان والموازين ، وعلم عقد الأنامل ، وهذا الأخير من مختصات العرب وكان متداولا عندهم في الجاهلية وبعد الاسلام وليست دراسة هذه الفروع من الضروري بل من الكماليات .

ثم قال الامام المحاضر : إن منهاجنا لا يسمح للطالب أن يبتدء بالفلسفة الا بعد أن يكمل دراسة علم المنطق النهائية ، ولدراسته عندنا

درجات ثلاث ، الابتدائية والمتوسطة والنهائية ، ومجموعها حاوية لتاريخ المنطق ، ولحقائق عناصره وأقسامه الكثيرة التي ظهرت بأسماء جديدة في العصر الحديث ، كالمنطق السيكولوجي ، والمنطق الستيمولوجي ، والمنطق الرياضي ، والمنطق الصوري البحت ، فان الطالب قبل أن يخوض في المقاصد يدرس الرؤوس الثمانية فيعرف فيها ان « أرسطاطاليس » هو مؤلف المنطق ومهذبه وهو أول من وضع علم المنطق بصفة العلم المستقل وصنف أبوابه ومسائله تصنيفاً علمياً دقيقا بأمر الاسكندر الذي بذل له مكافأة مقدارها خمسمائة ألف دينار ، وأدر عليه في كل سنة مائة وعشرين ألف دينار وكانت مسائل المنطق قبل « أرسطاطاليس » عبارة عن مناقشات في كيفية حصول التصورات في الذهن وبحوثاً في التعريفات وطريقة الاستدلال القياسي حسبما صرح به أرسطاطاليس حيث قال :

إنا ما ورثنا عمن تقدمنا في الأقيسة إلا ضوابط غير مفصلة وأما تفصيلها ، وإفراد كل قياس بشروطه وضروبه ، وتمييز المنتج عن العقيم الى غير ذلك من الأحكام فهو أمر قد كددنا فيه أنفسنا وأسهرنا أعيننا حتى إستقام على هذا الأمر ، فان وقع لأحد ممن يأتي بعدنا فيه زيادة أو إصلاح فليصلحه ، أو خلل فليسده الخ .

وقال الشيخ الرئيس : « ابن سينا » أنظروا معاشر المتعلمين هل أتي بعده أحد زاد عليه ؟ أو أظهر فيه قصوراً أو أخذ عليه مأخذاً مع طول المدة وبعد العهد ؟ بل كان ما ذكره هو التام الكامل والميزان الصحيح

والحق الصريح الخ .

وكان الرئيس يسمي المنطق خادم العلوم اذ ليس مقصوداً في نفسه بل وسيلة إليها فهو الخادم لها ، ونعم العون على ادراك العلوم كلها ، وكان الفارابي يسميه رئيس العلوم الأخر بأسرها لنفاذ حكمه فيها فيكون رئيساً حاكماً عليها وكلا النظرين صحيح لاختلاف الاعتبار

وبعد معرفة تاريخ المنطق يشرع الطالب في معرفة القوى المدركة في الانسان ومعرفة الوظيفة التي يؤديها كل قوة من قوى الادراك أو في امكانها أن تؤديها ، وكيفية حصول صور الاشياء فيها وما به يفترق العلم الحصولي من العلم الحضوري ، وتقسيم العلم الحصولي الى تصور والى تصديق مقتصراً بالمقدار الذي يتوقف عليه الشروع في المقاصد ، وهذه هي الناحية السيكولوجية في المنطق ، وبعبارة أخرى ان في علم المنطق يبحث عن العلم من حيث المعلوم وحصوله ، وأما في علم النفس فيبحث عن العلم من حيث العالم ومن حيث صدوره أى العمليات العقلية التي بها يحصل العلم .

وكذلك يبحث في المنطق عن الادراك الحسي وكيفيته والادراك العقلي وأنحائه ، ويبين فيه ان المعلوم بالذات (اي بلا واسطة) هو الصورة الحاصلة عند العقل ، وأما ذو الصورة فهو معلوم بالعرض (اي بواسطة الصورة)

وهذه هي الناحية الستيمولوجية في المنطق المرتكزة على نظرية المعرفة لا ما توهمه « جون لوك » .

ثم يشرع في مقاصد علم المنطق ، وهي تسعة أبواب : ووجه الحصر أن البحث في المنطق أما عن مقدمات الموصل ، وإما عن نفس الموصل والموصل اما تصوري وإما تصديق ، فالبحث عن مقدمات الموصل التصوري « باب الكليات الخمس » ويقال لها « إيساغوجي » والبحث عن نفس الموصل التصوري « باب الحدود والرسوم » والبحث عن مقدمات الموصل التصديقي « باب القضايا » ويقال لها « باريرميناس » والبحث عن نفس الموصل التصديقي أما من حيث صورته فهو « باب القياس » ويقال له « انولوطيقا الأولى » وهذه ناحية « المنطق الصوري البحت » وأما من حيث مادته فهو خمسة أبواب تسمى « الصناعات الخمس » وهي باب البرهان ويقال له « أنولوطيقا الثانية » وباب الجدل ويقال له « طوربيقى » وباب المغالطة ويقال له (السفسطة) وباب الشعر ، وباب الخطابة .

وبما ان من المسلمات في المنطق أن الحد لا يكتسب بالبرهان ولا بالضد ولا بالقسمة ولا بالاستقراء ، وانما يقتنص الحد بالتركيب فيجب على متصدي التعريف الحدي لشيء أن ينظر الى أشخاصه أنها من أي جنس من الأجناس العالية (أي المقولات العشر) فيأخذ جنسها العالي وفصولها البعيدة والقريبة لينتظم منها الحد ولأجل ذلك جعل (أرسطاطاليس) باب المقولات العشر (قاطيغورياس) من أبواب المنطق تسهيلا للأمر على المتعلمين ، لما في الحوالة الى فن آخر من الصعوبة. وقرر محله في ترتيب الابواب أن يكون بعد (الأيساغوجي)

ولكن في الدور الاسلامي جعلوا (قاطيغورياس) من مباحث الفلسفة وحذفوها عن أبواب المنطق لعدم الحاجة اليه في تعليم المنطق وأضيف اليه أبواب مهمة .

وينبغي أن يعلم أن اقتناص الحد من التركيب لا يوجب تركب المحدود وان كان الحد عين المحدود إذ التفاوت بالاجمال والتفصيل انما هو في الملاحظة لا في الملحوظ ، وأجزاء الحد تؤخذ من الماهية البسيطة بالتعمل العقلي لامكان أخذ المعاني الكثيرة من ذات واحدة .

واستعمل القدماء في باريرميناس حروف الهجاء رموزاً للتعبير عن موضوعات القضايا ومحمولاتها لغرض الاختصار ولئلا يشتغل ذهن المتعلم بالأمور الخارجة عن اغراض المنطق في مرحلة التعليم اقتباساً من علم الهندسة فاستغنوا بذلك عن الأداة الدالة على النسب ايضاً ، كقولهم كل ج ب ، وهذه هي الناحية الرياضية للمنطق ، فانتقل الاستاذ (بول) من هذا الى تنظيم (المنطق الرياضي) أو (المنطق الرمزي) فاراد فيه أن يعبر عن النسب التصديقية بعلامات رمزية فكان يرمز للقضية الحملية في جميع أنواعها بهذه الصورة ا =)= ب حيث تدل العلامة = على التكافؤ في الما صدق بين الطرفين ا و ب ، وتدل العلامة) في وسط = على دخول ما صدق آ فيما صدق ب .

وأما الاستاذ (فتجانشيتاين) فهو يعتبر الأسس الرمزية (دوالّ الصواب) وعنده ان قضية (أ) مثلا ترمز للقضية المناقضة لها بهـــذه الصورة (ـ أ) واذا كانت (أ) صحيحه كانت (ـ أ) خطأ .

ومن الواضح أن هذه الرموز ناقصة اذ لا يمكن التعبير بها عن التصورات ولا عن الاستقراء، وليس لها فائدة ولا قيمة ، فان الداعي الى اتخاذ هذه العلامة وإستعمال هذا الرمز إما رعاية الاختصار فهو مخل والتعبير بعلامة القدماء أخصر وأسد ، وإما الدقة فلا نجد فرقاً بين هذه العلامة وبين التصريح اللفظي ، بل يتطلب المنطق الرياضي تعلم الأساليب الرمزية زيادة على تعلم أساليب المنطق اللفظي المتعارف فتتضاعف صعوبة الدراسة .

وأما مبحث القياس (انولوطيقا الأولى) فهو ناحية المنطق الصوري البحت ويبين فيه الأصول الصورية للفكر التي بها تستقيم صورة القياس وفي هذا القسم الصوري من المنطق لا ينظر في عنصر الفكر ومادة القياس ولا في صور التفكير في العلوم الا بالعرض وبالنظر الثانوي ويوصف فيه التفكير العلمي على ما يجب أن يكون عليه ومطابقاً للقوانين المنطقية التي يجب أن يفكر الانسان بمقتضاها حتى يكون فكره صحيحاً حينما يبحث في أنولوطيقا الثانية وسائر الصناعات الخمس عن مادة القياس وعنصر الفكر أولا وبالذات .

وفي الدرجة المتوسطة يتوسع في دراسة أقسام القياس بحسب مادته وبحسب صورته ، ومعرفة لوازم المتصلات والمنفصلات وأصول المطالب العلمية من المائية والهلية واللمية وفروعها .

ومن كتب الدراسة في هذه الدرجة (كتاب الجوهر النضيد) وكتاب (شرح المطالع) وكتاب (شرح اللآلي المنتظمة) .

وفي الدرجة النهائية تدرس أقسام القياس كلها ويتوسع في دراسة أقسام البرهان « أنولوطيقا الثانية » وانحاء الذاتي والعرضي وتفاصيل سائر الصناعات الخمس ، وأساليب الجدل « طوبيقى » وأنواع المغالطة « السفسطة » من إيهام الانعكاس ، والمصادرة على المطلوب وأقسام اشتراك اللفظ ، وسوء التأليف وسوء التبكيت ، وسوء إعتبار الحمل وتركيب المفصل ، وتفصيل المركب ، ووضع ما ليس بعلة علة وأخذ ما بالعرض مكان ما بالذات ، وغيرها .

ومن كتب الدراسة في هذه الدرجة كتاب (منطق الشفاء) وكتاب (منطق شرح الاشارات) للطوسي وكتاب (منطق شرح حكمة الاشراق) وفي هذه الدرجة النهائية يبين أن الموازين الواردة في القرآن الكريم في الأصل ثلاثة : ميزان التعادل ، وميزان التلازم وميزان التعاند ، أما ميزان التعادل فأقسامه ثلاثة : التعادل الأكبر وهو الميزان الأكبر الذى استعمله خليل الله (ص) مع نمرود كما جاء في قوله تعالى : ربي الذى يحيي ويميت .

(والتعادل الأوسط) وهو الميزان الاوسط الذى استعمله الخليل حيث قال : لا أحب الآفلين .

« والتعادل الأصغر » وهو المستعمل في قوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء .

وأما ميزان التلازم فهو المستعمل في قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي قوله تعالى : قل لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها

وأما ميزان التعاند فموضعه في القرآن الكريم قوله تعالى : قل من يرزقكم من السماء والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين .

اسلوب الدراسة

وأما اسلوب دراسة الفلسفة عندنا فنحن نبدء ببيان مراد المؤلف حسبما وصل الينا باتصال سند دراستنا اليه وإن كان عصره بعيداً عن زمننا ثم نستشهد على مراده مما سجله في سائر مؤلفاته - ان تعددت مؤلفاته - ثم نبين آراء سائر الفلاسفة القدماء والحديثين في موضوع الدرس وما وصلنا من أدلتهم وبراهينهم عليها ونقارن بينها وننقد ما يستحق النقد منها ونزيد عليها من الحق الذي يجب أن يتبع وأخيراً نصهر الكل في تركيب رصين يندر جداً مثله في دروس الفلسفة من حيث السعة والتماسك فيكون فكراً يفرض نفسه على الفكر العالمي ويحدث أثره القويم في توجيه الثقافة العالمية - ان استطعنا من نشره في العالم - بتوفيق الله تعالى ، ثم نبين الحق الذي يجب أن يتبع حتى ينتهي الطالب الى الحقيقة الناصعة ، وللتلميذ حق المناقشة والاعتراض بكل الحرية .

وهذا المنهاج يختلف حسب اختلاف مراتب الدراسة من الابتدائية ، والمتوسطة والنهائية ونستعمل أسلوب المحاضرة في قسم خاص من النهائية .

م قال الامام الزنجاني : اسمحوا لي أن أستعمل التقاليد الأمريكية في محاضرتي وأستطرد بعض الكلام عن مناسبات موضوع المحاضرة

في عصور التقهقر العلمي والعقلي والسياسي في الشرق العربي أعتبرت الفلسفة عدواً للدين وأدى ذلك الى تحريم دراستها في المعاهد الدينية ومراكز الثقافة حتى فيما يتعلق منها بعلم الكلام - سوى معاهد الثقافة في طهران عاصمة إيران ، ومعاهد النجف الأشرف - وأخذت مصر بقسط وافر من ذلك التحريم ، ولكن كانت صدور بعض النابهين من رجال الدين والعلم في القاهرة تحمل أثراً ضئيلا من علاقة الدين بالفلسفة وبقايا التراث الفكري العربي الاسلامي ، وهذا الأثر على قلته وعلى كثافة الحجب التي أحكمها عليه ضيق الفكر والتعصب والجهل بقيت شعلتـه تتأجج فساعدت على تهيئه الوسط المناسب لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين فوجـد في بعض أساتذة الأزهر وبعض رجال مصر استعـداداً لقبول أفكاره التجديدية وتبشيره بالاصلاح العقلي ، ووجد أيضاً أن مذهب النشوء والارتقاء يضم تحت لوائه عدداً غير قليل من الناشئين لأن هذا المذهب يستهوي العقول التي لم تتعرف الى ضروب أخرى من التفكير الفلسفي العميق فتصدى للرد عليـــه وأخذ يبث الحقائق الفلسفية في مصر ليكون الاعتماد على مآخذ فلسفية أعمق من تلك الـتي تمسكت بها أصحاب مذهب النشوء وفي عصره تلمست مصر الحقائق الفلسفية وتذوقت استقلال الفكر وحريته .

ومن بعده تصدى تلميذه الامام لتحقيق مقاصده السامية ونجح

قليلا ولكنه توفي مضطهداً سنة ١٩٠٥ ثم حاول تلميذه الزعيم الخالد «سعد زغلول باشا» أن يقرر إضافة دراسة الفلسفة والعلوم النافعة إلى مواد الدراسة في الأزهر، ولكن امتناع العلماء عن قبوله ألجأه الى أن أسس سنة ١٩٠٧ مدرسة القضاء حاوية على منهاج الأزهر باضافة سائر المواد والعلوم اللازمة الأخرى، وحينئذ أوعز السلطان عباس الخديوي بتضمين مناهج الدراسة في الأزهر المواد التي كانت في منهاج مدرسة القضاء قاصداً بذلك الاستغناء عن مدرسة القضاء.

فظهر ان في الأزمنة المتأخرة جعلت دراسة الفلسفة من مواد منهاج الدراسة في الأزهر كما عنيت الجامعة المصرية فيما بعد بتدريسها وكذلك دار العلوم. ولكن لم يدرسوا فيها الفلسفة الاسلامية عن مصادرها الأصلية ولم تكن عندهم سلسلة الدراسة متصلة الى أصحاب الآراء الفلسفية، بل اعتمدوا على مؤلفات المستشرقين الذين يتعلمون اللغة العربية ثم ينظرون في كتب الفلسفة ورموزها الغامضة كما ينظرون في كتب الأدب والقصص ولا يصلون الى حقائقها بل يلفقون أوهاماً يزعمونها الفلسفة الشرقية الاسلامية وينسبونها الى فلاسفتنا العظام وهم برءآء عنها، وكذلك مؤلفات مقلديهم من الشرقيين التي صورت الفلسفة الاسلامية في صورة تقشعر من قباحتها هذه الفلسفة ولا يعرفها أهلها إذا عرضت عليهم، إذ لعبت بها أيدي المغرضين من جهة، والجاهلين من ناحية أخرى فصورتها على صورة تؤدي الى تحويل تيارات العقول والافكار الى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها.

وتركت دراسة طائفة من هذه الكتب والتواريخ في الجامعات الشرقية أثراً سيئاً عميقاً في نفوس الشرقيين فأهملوا فلسفتهم وثقافتهم وكاد أن ينبذوا بهذه الفلسفة الشرقية الاسلامية العربية الى جانب الأوهام والخرافات ، رغم أنها فلسفة قويمة زاخرة بالمبدعات والمبتكرات وكنوز الحقائق الراهنة في جميع أنحاء المعارف الانسانية السامية ، وانها تساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الانساني في العالم المتحضر وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة بل من أعظم مصادرها ، وليس من العدل أن نجشم هذه الفلسفة أن ترتصد - بظهر الغيب - لاصابة كلما عسى أن يجد من التجارب والأفكار بعد ألف عام ، وليس المقصد نبذ الفلسفة الحديثة ، كلا فان كلا من الفلسفتين قوة عقلية جاهزة وعدة فكرية ناهضة يجب استغلالها ولا يجوز الاستغناء عن كل منهما ، بل يجب أن نضم نفائس الفلسفة الحديثة الغربية الى حقائق الفلسفة القديمة الشرقية على ضوء العقل والروية لنستخلص منهما مزيجاً إصلاحياً خالصاً ، وفلسفة قويمة صالحة للحياة والبقاء وكذلك أراد الله أن تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

(المستشرقون وطلاسم رموز الفلسفة الاسلامية)

ثم قال الامام المحاضر : إن للفلسفة الاسلامية أسلوباً معقداً اتخذته من الفلسفة اليونانية ، وهو انها مصوغة في طلاسم من الرموز لا يمكن حلها وفهمها لغير واضعيها ، أو للذين يدرسونها بطريقة تنتهي

إليهم من ذوي العقول والافهام الممتازة ، ولا يمكن الوصول الى ناحيتها المغلقة بمجرد معرفة اللغة ، أو بعض قواعد العلوم ، فقد روى (ابن أصيبعة) أن « فيثاغورس » كان يرمز الحكمة ، وذكر عدة من ألغازه الفلسفية . وبلغت كتب « هرقليطس » من غموض الأسلوب والالتواء والتعقيد حداً تكاد تستعصي معه على الافهام ، حتى لقب بالغامض تارة ، وبالمظلم أخرى ، وقال « سقراط » ان ما فهمه من كلامه قيم عظيم ، وما لم يفهمه يجب أن يقاس على ما فهم ، وكان « سقراط » ضناً بالحكمة يطلب دائماً الى تلاميذه أن يعنوا بنقش المعارف الفلسفية في أذهانهم بدل حفظها في الأوراق ، وتسجيلها في الصحائف ، ولما خشي تلميذه « أفلاطون » من أن تعبث بالفلسفة أيدي الفناء رأى ان النظريات الفلسفية يجب أن تدون بالرموز وقال : (أبو الفرج قدامة) بن جعفر الكاتب البغدادي (المتوفى سنة ٣٣٧هـ) في كتاب (البيان) صحيفة ـ ٥٣ وقد أتى في كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير ، وكان أشدهم استعمالا للرمز « أفلاطون » الخ ولهذا بقي « أبو الفرج » عشرين سنة في تفسير (ما بعد الطبيعة) ومرض من الفكرة مرضة كاد يلفظ نفسه فيها وأما في العهد الاسلامي فقد قال : الرئيس « ابن سينا » قرأت ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس علي غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ، ولا المقصود منه ، وأيست من نفسي ، وقلت هذا الكتاب لا سبيل الى فهمه

وفي بعض الأيام عرض علي دلال كتاباً في الفلسفة ، فرددته رد متبرم معتقداً أنه لا فائدة في هذا العلم ، وبعد إلحاحه إشتريته ، فاذا هو كتاب (لأبي نصر الفارابي) في (أغراض ما بعدالطبيعة) فرجعت الى بيتي وأسرعت إلى قرائته ، فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه صارلي على ظهر القلب ، وفرحت بذلك ، وتصدقت ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى (انتهى)

والعجب أن « ابن سينا » إختار عين ذلك الأسلوب الرمزي المغلق المعقد في مؤلفاته الفلسفية ، وشدد في التوصية بضنها عن غير أهلها ، وقرر لدراستها شروطاً قلما تجتمع في شخص ، وقال بعد ذلك كله : فان أذعت هذا العلم أو أضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلا الخ .

وقال الفيلسوف الطوسي : وعذره ـ ابن سينا ـ في ذلك ان الفلسفة لا تخلوا عن انغلاق شديد ، واشتباه عظيم ، لأن الوهم يعارض العقل في مآخذها والباطل يشاكل الحق في مباحثها ، ولذلك كانت مسائلها معارك الآراء المتخالفة ، ومصادم الأهواء المتقابلة حتى لا يرجى ان يتطابق عليها أهل زمان ولا يكاد يتصالح عليها نوع الانسان والناظر فيها يحتاج الى قوة بصيرة ، وزيادة استعداد وجودة قريحة ، ومزيد تجريد للعقل ، وتمييز للذهن ، وتصفية للفكر ، وتدقيق للنظر وانقطاع عن الشوائب الحسية ، والأهواء العاطفية ، وانفصال عن الوساوس العادية ، فمن لم يرزق ذلك فعرض قوانين الفلسفة عليه

لا يجدي له إلا زيادة غباوة وخسرانا مبينا ، فلابد أن تضن عليه كل الضن وهذه الضنة محمودة الخ .

وجرى على سيرة الرئيس «ابن سينا» في هذا الأسلوب الرمزي سائر فلاسفة العرب والمسلمين في مؤلفاتهم الفلسفية ، فلا غرو ان لا يفهم الفلسفة الاسلامية من ينظر في كتبها الموضوعة على مناهج رمزية يحار فيها المطالع الغير المتعمق في البحث الفلسفي محاولا أن يعرف المراد منها ، ويكشف أسرارها بمجرد معرفته اللغة العربية أو بعض قواعد العلوم ولا يلام من لم يفهم هذه الفلسفة المرموزة من الغربيين المستشرقين وغيرهم ولا يستغرب أن تأتي الفلسفة التي تنقل الى العربية من طريق الترجمة عن الكتب الأوربية مشوهة قبيحة وانما يوجه اللوم الى من زعم ان مافهمه بقاصر نظره فلسفة إسلامية وسجل جهله بحقيقة هذه الفلسفة كاكتشاف تاريخي يقضي بوجوب أعراض جمهور المتعلمين عن الفلسفة الاسلامية لانهم ينظرون اليها نظرهم الى شيء عسير الفهم بعيد الغور يكد الذهن ، ويستنفد مجهوداً ووقتاً طويلا ، بل يوجب إهمالها في تاريخ الفلسفة واسقاط حلقتها الغالية عن سلسلة التفكير العام ، مع ان هذه الفلسفة ترتبط بتاريخ إرتقاء العقل البشري إرتباطاً وثيقاً ، وتفتح أمام الذهن الانساني آفاقاً جديدة ، وتوجهه الى البحث عن المثل العليا ولابد للفيلسوف الاجتماعي أن يدرسها ولا يمكن أن يستغني عنها من أراد معرفة الفلسفة الكاملة التي هي الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

وقال الامام المحاضر : في النجف الأشرف وإيران لدراسة الفلسفة سند يصل اساتذة الفلسفة الى أصحاب الآراء الفلسفية وبذلك يدركون حقائقها ، ويكتشفون رموزها فنحن بحكم سند الدراسة المتصل الى ابن سينا مثلا ندوس آرائه ونكشف رموزها كما لو كنا ندرسها من ابن سينا نفسه وهذه المزية مفقودة في مصر وغيرها ، وها أنا ذا أضع أمامكم عدة شهود واضحة حسية

« الشاهد الأول » كان (سقراط) يقول : إن لكل نوع من الأنواع الطبيعية الموجودة في العالم مثال نوري مجرد ، أسماه « رب النوع » وأن أرباب الأنواع موجودة بعدد أنواع الكائنات الموجودة في العالم وكان تلميذه « أفلاطون » مغالياً في هذا الرأي حسبما قاله : « ابن سينا » فى إلاهيات الشفاء وقد أسماها أفلاطون (أرباب الانواع) و (المثل ذو المشارقة) و (المثل النورية » و « العقول المتكافئة » و« العقول العرضية » .

وكان لأفلاطون نظرية أخرى ثانية مختصة به لا يشاركه فيها سقراط ولا غيره وهي : أن لكل شخص من موجودات العالم صورة مثالية مجردة تجرداً برزخياً وأسماها (المثل المعلقة) ولم يتنبه إلى ذلك المستشرقون وقالو : ان أفلاطون كان يعتقد بالعقول المتكافئة وأنها مثل نورية وصور مجردة لكل شخص موجود فى الكون ، فخلطوا بين النظريتين ومسخوهما وأخرجوا منهما شيئاً لا يقول به سقراط ولا أفلاطون :

والشاهد الثاني : أن المستشرقين يعتقدون أن فلسفة أفلاطون نظرية محضة بينما يقولون أن نظرية أرسطو عملية صرفة والحقيقة أن كل واحدة من الفلسفتين جامعة بين النظرية والعملية ؛ وهنا بين فضيلة المحاضر تفصيلا عن الفلسفتين وعن مآخذ (كتاب الجمهورية) المنسوبة الى أفلاطون وقال : أثبت التاريخ أن « أفلاطون » حكيم عقلي وتأكيدي وإلهي وديني وخلقي وقائل بوجود المجردات الغير المحسوسة وبشرف الانسانية واحترام النواميس الفطرية والطبيعية ، ومعتقد بكل ما يناقض الشيوعية والاباحية والفاشية والاشتراكية المتطرفة والاشتراكية الوطنية وسائر ما جاء في كتاب « الجمهورية » المنسوب اليه تمام المناقضة ، إذاً فلا مسوغ لأن ينسب اليه كتاب الجمهورية ، هذا مضافاً الى اننا لم نجد في المصادر الصحيحة من الفلسفة الاسلامية أنه من مؤلفاته ، وليس يرجع ذلك الى اعتبار ديني وكراهة الشرع الاسلامي والطبع العربي أيضاً ان يشترك الناس في النساء وسائر المقتنيات وأمثال ذلك مما جاء في ذلك الكتاب ، لان الفلسفة الاسلامية لم تغادر من مهمات الفلسفة اليونانية وآراء فلاسفة اليونان صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ، حتى انها سجلت جميع المذاهب الالحادية التي تناقض الاسلام في صميم أصوله وأركانه . وعلى فرض التنازل وتسليم انه من مؤلفاته نرى من المتعذر إثبات ان جميع ما جاء في كتاب « الجمهورية » بحذافيره من آرائه إذ من الجائز أن يكون بعض الماديين الملحدين من خصوم أفلاطون ومعارضيه في العقيدة قد دسوا في هذا الكتاب على أفلاطون

بعض آرائهم الالحادية ونتائجها التي تناقض أسس فلسفته وعقائده لغرض ترويجها، سيما أن الدس كان عادة مطردة عندهم، فانهم تظاهروا كثيراً ما في مختلف الأشكال والمظاهر وتوسلوا لترويج عقائدهم الفاسدة بمختلف الطرق وشتى الوسائل .

وعلى تقدير تسليم أنه بحذافيره له، فقد سجل تأريخ الغرب أن « أفلاطون » بعد نضوج فكره بالتجارب العملية عدل عما أثبته في الجمهورية الى الخطة العادلة التي رسمها في كتاب « القوانين » .

ثم قال الامام المحاضر : أما الشاهد الثالث فهو أمر حسي حاضر وهو أحد الكتب التي أهداها لنا ناظر دار العلوم المصرية ومؤلفه أستاذ الفلسفة في الدار وبالنظرة الأولى ظهرت فيه آراء نسبت الى المعلم الثاني (الفارابي) ولكنها لو عرضت على الفارابي لأندهش منها ولم يعرفها كلا يعتقد بها من أتم الدراسة الابتدائية في الفلسفة . ولتوضيح ذلك لا مندوحة لي من تقديم بيان وجيز يتضمن آراء الفارابي الحقيقية

إن من رأى الفارابي ان سلسلة الموجودات التي أفاضها المبدء الأول الحكيم بعلمه العناني بالنظام الأحسن تبتدء من أكملها وأتمها وجوداً وهو العقل الأول المجرد من المادة ذاتاً وفعلا فهو ليس مادياً ولا مدياً بل هو فوق المادة وفوق الزمان وتنتهي سلسلة العقول الى العقل العاشر المفوض اليه تدبير عالم المادة وهذه هي العقول الطولية وكلها مجردة من المادة في ذاتها وفي فعلها وعالم العقول هو عالم الابداع المنزه عن المادة والزمان والعقول العشرة هي المرتبة الأولى في سلسلة الوجود

الامكاني المرتب على نظام الاشرف فالأشرف وتسمى العقول العشرة بالمبدعات كما تسمى المرتبة الثانية بالمخترعات وعالمها عالم الاختراع وهو إيجاد شيء عن مادة (١) لا فى الزمان فالمخترعات موجودات مادية لا تقترن بالزمان والمدة وهي الأفلاك التسعة والفلكيات (السيارات) ونفوس الأفلاك الكلية المحركة والموجودات المثالية وأما المرتبة الثالثة المسماة بالمكونات وعالمها عالم التكوين فهي موجودات مقترنة بالمادة والزمان وهي العناصر والطبع والصورة الجسمية والهيولى (العنصر المادي) التي هي خاتمة قوس الوجود النزولي (٢) والعنصريات من الأجسام والمواليد الثلاث . وفى رأي الفارابي للنبات نفس نباتية وقواها وللحيوان نفس حيوانية مع قواها والانسان مخصوص بالنفس الناطقة التي هي مجرد ذاتاً وأما في أفعالها فهي محتاجة الى البدن والجوارح ، وللنفس الناطقة قوتان (احديهما) قوة نظرية بها تستكمل الفيض الذي تأخذه من عالم الملكوت وللنفس بحسب هذه القوة العلامة مراتب أربع وهي العقل الهيولاني فالعقل بالملكة والعقل المستفاد والعقل بالفعل (والثانية) قوة عملية بها تستنبط النفس واجبها فيما يجب أن تفعل ، وللنفس بحسب هذه القوة العمالة أربع مراتب مرتبة وهي التجلية فالتخلية فالتحلية فالفناء .

---

(١) لا يخفى ان مادة المخترعات غير مادة المكونات

«٢» فى سلسلة الجوهر لأن فعليتها محض القوة والاستعداد ، وأما سلسلة الاعراض فينتهي قوس نزولها الى (الحركة) التي وجودها نفس الشوق والطلب والسلوك الى غاية على سبيل التدريج

وبعد أن سمعتم هذا البيان الموجز من آراء الفارابي فكل واحد منكم يستطيع أن يحكم بالغلط والخطأ والخلط والخبط في كل الآراء المنسوبة إلى الفارابي فى ذلك الكتاب المدرسي للسنة الدراسية الحاضرة الذي اهداه الينا ناظر دار العلوم وهو رمز دراسة الفلسفة في معاهد مصر. وإليكم نص ما جاء في ذلك الكتاب الذي اسموه (محاضرات في الفلسفة) القاها على طلبة الدبلوم ـ الدكتور علي العناني ـ أستاذ الفلسفة بدار العلوم سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م المطبوع بمطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ الصفحة ٦٥ : (٢ الفارابي .

جاء في هذا الكتاب آراء غريبة، ونظرات عجيبة منسوبة إلى الفارابي في الصفحات ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ما هذا نصه :

ما وراء الطبيعة : وإذا كان الأول على أتم ما يكون من الوجود الذي هو له يجب ضرورة ان يوجد عنه سائر الموجودات فالموجودات كلها فيض عنه وهي على كثرتها متفاضلة يبتدىء منها الأكمل ثم يتلوه ما ينقص عنه في الكمال وهكذا إلى موجود لا يمكن أن يوجد بعده موجود ـ وهذا الفعل أو الصدور الأول إنما يحدث عن معرفة الوجود الأول بما عليه من تمام تلك المعرفة التي توجب هذا الفيض وتحتم هذا الصدور (١) ويفيض عن الوجود الأول الوجود الثاني وعن الثاني الثالث وهكذا على الترتيب الآتي :

---

(١) فى هذه العبارة قصور واضح عن تصوير العلم العناني

(١) العقل الأول وهو الفلك المحيط أو الفلك الأعلى (النفس) (١)
(٢) العقل الثاني وهو كرة الكواكب الثابتة (النفس الفلكية) (٢)
(٣) العقل الثالث وهو زحل
(٤) العقل الرابع وهو المشتري
(٥) العقل الخامس وهو المريخ
(٦) العقل السادس وهو الشمس
(٧) العقل السابع وهو الزهرة
(٨) العقل الثامن وهو عطارد
(٩) العقل التاسع وهو القمر

هذه العقول التسعة تسمى الأفلاك السماوية (٣) وهي تكون المرتبة الثانية من الوجود العام الذي فى المرتبة الأولى من الوجود الأول

---

(١) هذا تصريح من المؤلف بأن العقل الاول والفلك الاعلى والنفس شيء واحد وموجود واحد عند الفارابي وهذا خلاف الحقيقة وجهل بأن العقل مجرد عن المادة في ذاته وفي فعله واما الفلك فهو مادي والنفس مجردة في ذاتها لكنها محتاجة الى المادة في فعلها في رأي الفارابي والعقل الأول من المبدعات في المرتبة الأولى من الوجود الامكاني عند الفارابي والفلك الأعلى من المخترعات وفي المرتبة الثانية من عالم الوجود الامكاني (٢) الخلط والخبط والغلط والجهل برأي الفارابي في هذا كتابه وهي مستمرة في عبارة الكتاب إلى العقل التاسع وهو القمر ـ فلاحظ وتدبر واضحك وابك (٣) هذا افتراء على الفارابي والعقول المجردة عنده عشرة لا تسعة وهي في المرتبة الأولى من الوجود الفيضي ، والافلاك التسعة ماديات في رأيه وفي المرتبة الثانية .

أو واجب الوجود (١) وفي المرتبة الثانية يوجد العقل الانساني الفعال الذي يجمع بين عالمي الأرض والسماء (٢) وفي المرتبة الرابعة توجد النفس الانسانية ويتعدد العقل الانساني الفعال (٣) وكذا النفس الانسانية بتعدد الأجسام وفي المرتبة الخامسة والسادسة الهيولى والصورة وهما في آخر مراتب العالم العقلي (٤) والمراتب الثلاثة الأولى هي عقول مجردة محضة (٥)

---

(١) هذا مخالف لرأي الفارابي حيث جعل الصادر الأول مبدء الموجودات الامكانيه .

(٢) هذا كذب على الفارابي لأن العقل الفعال عنده اسم العقل العاشر المجرد في ذاته وفي فعله والمفوض اليه تدبير عالم المادة ، وصاحب الكتاب من كثرة خلطه وجهله برأي الفارابي أهمل ذكره تماماً وعند الفارابي ان النفس الانسانية بحسب قوتها النظرية تسمي في الدرجة الرابعة منها بالعقل بالفعل وهذا لصيرورة العقل بالملكة [اى بالقوة) عقلا فعليا ، فأين هذا من العقل الفعال يا أستاذ الفلسفة .

(٣) هذا غلط لأن العقل الفعال الذي هو العقل العاشر واحد شخصي عند الفارابي لايتصور فيه التعدد وهو في المرتبة الأولى لا في الرابعة والذي يقبل التعدد هو العقل بالفعل من مراتب النفس الناطقة وهو فى المرتبة الثانية لا في الرابعة عند الفارابي .

(٤) رأي الفارابي أن الهيولى في اخر مراتب العالم المادي لا العالم العقلي ، وأما الصورة فهي ليست آخر مراتب العالم المادي ايضاً .

[٥] هذه فرية مزدوجة لأن الأستاذ جعل واجب الوجود المرتبة الأولى ثم حكم أخيراً بأن الواجب والعقل والفلك والعقل الانساني كلها عقول مجردة وليس هذا ولا شيء من جميع ماذكره رأي الفارابي ولا رأي احد من فلاسفة الشرق .

والمراتب الباقية وهي : النفس ، والصورة ، والهيولى ، في حالة إتصال بالاجسام ويتضح لك هذا مما يأتي :

العالم العقلي أو عالم الوجود (١)

«١» الوجود الأول أو واجب الوجود) واحده عقول محضة (٢)
«٢» العقول التسعة)

«٣» العقل الانساني الفعال) متعددة (٣)
«٤» النفس الانسانية)

«٥» الصورة) غير جسمية ولكنها (٤)
«٦» الهيولى) موضحة بالاجسام

العالم المادي

(١) الأجرام السماوية (٢) الاركان الاربعة (٣) المعدن

---

[١] - في رأي الفارابى وسائر فلاسفة الشرق العالم العقلي هو عالم المجردات فقط اما عالم الوجود فهو يعم المجردات والماديات كلها فاستعمال الاستاذ العالم العقلي رديفاً لعالم الوجود غلط وجهل بالحقيقة وبمصطلح الفلاسفة [٢] الفارابى بريء من ان يعد واجب الوجود من جملة العقول وإعتباره عاشر العقول تعالى عن ذلك علواً كبيراً والفلاسفة المسلمين برءآء من هذه الآراء الفاسدة الالحادية .

[٣] - مر أن القابل للتعدد هو العقل بالفعل لا العقل الفعال الذي في المرتبة الأولى في رأي الفارابى وسائر الفلاسفة الشرقيين فضلاً عن المسلمين

[٤] هذا يدل على عدم وصول الاستاذ الى رأي الفارابى في تحقيق الصورة الجسميه والصورة النوعية ، والظاهر أنه اخذ هذه الآراء الباطلة من المستشرقين على علاتها .

«٤» النبات «٥» الحيوان «٦» الانسان .

تبع الفارابي في هذا التكوين الافلاطونيات الحديثة المعروفة عن أفلاطون عنده لأنه رأى في ذلك طريقاً وسطاً بين مذهب أرسطو وعقيدة الخلق ليتمكن بذلك من تحقيق الوحدة الالهيـــة التي تظهر في الـكون العام (١) انتهى نص عبارة كتاب محاضرات في الفلسفه .

ها هنا أطال فضيلة الامام المحاضر في المناقشة ثم قال : اني لا أشك في أن الاستاذ العناني إعتمد على المستشرقين في تقرير هـــذه الآراء السخيفة وفي نسبتها الى أكبر فلاسفة الشرق « الفارابي » وأن كل ما فى تلك الآراء من الخلط والفساد فهو من ناحية المستشرقين وأعتقد أن كثيراً مما يدرسونه من آراء فلاسفة الشرق فى مصر وغيرها من هذا القبيل مأخوذ من المستشرقين وبهذا تسممت أفكار طلاب الفلسفة الشرقية فتراهم يرجحون أحط نظرية غربية على نظريات فلاسفة الشرق أجمع وإنهم لمعذورون فى ذلك لأنهم لم يتعلموا حقائق تلك الآراء في معاهدهم العلمية .

ان المستشرقين لا يلامون على قصورهم في حل رموز الفلسفة التي لا تحل إلا من ناحية واضعيها ويعجز عن حلها أهل اللسان فضلا عن الدخيل فى اللغة العربية (فلسفة الدين الاسلامي)

وما أشبه دراسة فلسفة الدين الاسلامي فى مصر بدراسة الفلسفة

[١] يظهر خلاف ذلك لمن راجع إلى [رسالة الجمع بين رأيي ارسطو وافلاطون للفارابي] .

الشرقية والاسلامية فيها حيث يأخذونها ايضاً من المستشرقين وكان من واجبهم أن يأخذوها من القرآن الكريم المعجز الخالد بواسطة العلماء المتخصصين في معرفة أسراره وحقيقة فلسفة الدين الاسلامي ، ومن المؤلم أن المستشرقين الذين يتوافدون على بلادنا لدرس تعاليم الدين الاسلامي ينظرون إلى أعمال المسلمين ويذهبون إلى تدوين ما يرونه كأنه فلسفة الدين الاسلامي وتعاليمه ثم تأتي كثرة من الشباب وكثير من الشيوخ فيدرس مؤلفاتهم فيخرجون منها مارقين من الدين ومعتقدين بان الدين يضع العراقيل في طريق سيرهم نحو الرقي والتعالي ويظنون أن الدين لا يصح ان يتخذ أساساً في الحياة ، وأن نيل سعادة الحياة وبلوغ الحضارة وتأسيس الدول الراقية المجهزة بالعلم والصنائع لا يتم إلا برفض الدين فانصرفوا من الدين الى الالحاد وعبادة المادة تقليداً للغرب ثم اجترأوا على الاسلام ايضاً ، فاتهموه عمداً أوجهلا بأنه كغيره من الأديان ، إن يصلح فانما يصلح للأرواح ، أما الحياة الدنيوية الزمنية فانه لا صلة بينه وبينها لأنه خلو مما يقومها ويصلحها ، وان مايدعيه له أنصاره فانما هو أشياء جمدوا عليها على انها وان ناسبت كما زعموها له فانما هي أمور قدم عهدها وكانت لزمن سالف وأمة قد خلت ، ولكنهم لو أنصفوا ودققوا النظر لوجدوا ان كلمة الدين في كتب الأوربيين معناها المسيحية لا الدين في ذاته ، وإذاً فهي لا تنطبق على الاسلام الذي لم يفهموا روحه وحقيقته لأنهم تعلموا تعاليم الاسلام من الغربيين الذين استنبطوها من أعمال

المسلمين « والمسلمون شيء والاسلام شيء آخر » ولو أخذوها من علماء الدين الاسلامي المتخصصين في معرفة فلسفته وأسرار تشريعه وأسرار كتابه المعجز الخالد لأذعنوا بأن الاسلام يجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ؛ والأساس الذي نبني عليه حياتنا لأن للدين سلطاناً فوق العقل ، وسراً يدق عن التعبير ، ولأن الاسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في أوربا ، ويأخذه بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الاسلامي تقليداً بلا فهم ولا علم ظانين أنه كسائر الأديان لا يصح ان يتخذ أساساً في الحياة . ولكنهم لو كانوا يفهمون الدين بدافع غريزة التدين والشعور الديني ، ويعرفون أساليب المقارنة والموازنة بين الأديان السماوية ، إتضح لهم ان الاديان الالهية كلها صادقة فقد جاء موسى كليم الله (ع) بما كان يقتضيه زمانه من الشريعة المتكفلة للسعادة الدنيوية المادية كما قال الله تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) والغرب رمز المادة ، ولما كان الانتقال من الافراط إلى الاعتدال الذي هو التوسط متوقفاً على وساطة التفريط فلذلك جاء دين عيسى روح الله عليه السلام مشبعاً بالروحيات التي تفضل السعادة الأخروية من الزهد والرهبانية على الدنيوية فجاء في القرآن الشريف (واذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) والشرق رمز الروح وبانضمام قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » يتم الاستدلال ، اذ كان حق العبارة أن يقول: آيتين ، لأنهما اثنان ، ولكن جهة الاعجاز فيهما واحدة

فلذلك أتى بلفظ المفرد وفي ذلك اشارة الى جواز نسبة ما ورد في شأن أحدهما الى الآخر .

أما الاسلام فجاء بالاعتدال التام في كل ذلك ليجعل العدل موزعاً فكان لاشرقياً وروحياً محضاً ولا غربياً ومادياً صرفاً بل جمع بين السعادتين فالاسلام متكفل لجميع مصالح البشر الدنيوية والأخروية ومحتو لأسرار سعادة الانسان الأبدية ، وهو دين الحياة ، ويوافق جميع وسائل الرقي والسعادة ويلائم الطرق الاصلاحية .

ومن المستشرقين من عرفوا فلسفة الاسلام ولكن أبت سريرتهم إلا أن يصوروا الاسلام كغيره من الأديان قاصراً عن ايصال المسلمين الى السعادة الدنيوية قاصدين بذلك حصر الاسلام في المساجد والمعابد لكي يتسنى لهم نشر حضارتهم في بلاد المسلمين .

ولكن يوجد في المستشرقين من أفاد اللغة العربية واللغات الشرقية كما يوجد فيهم من لا يصلون الى الحقائق . وقد زار أحد المستشرقين طهران عاصمة ايران منذ أكثر من نصف قرن بعد أن تعلم اللغة الفارسية في مدارس الالسنة الشرقية ، وكان يحاول ان يضع تاريخاً عن حالتها الاجتماعية والاخلاقية كما يشاهدها . فرأى حمالين وعلى رؤسهم أوان مذهبة واشياء فاخرة وأمامهم الدفوف والمزامير فسأل المستشرق عن ذلك فقال له الغلام انهم يحملون جهاز عروس فسأله المستشرق عن اسـم العريس فقال له الغلام (ماذا يهمك) وفي المساء رأى المستشرق رجلا يضرب امرأة في الشارع فسأل غلاماً عن هذا

الشخص فقال له الغلام انه زوجها وقد تركته بغير حق فسأله عن اسم الزوج فقال له الغلام (ماذا يهمك) فظن المستشرق ان اسم الرجل (ماذا يهمك) وانه العريس الذي رأى جهازه في الصباح فكتب المستشرق في كتابه (تاريخ ايران) أنه رأى في عاصمتها بعيني رأسه عريساً يقترن صباحاً ويضرب عروسه في الشارع ليلا وان اسمه (ماذا يهمك) .

هذا حال المستشرقين في الحسيات والمشهودات فكيف يكون حالهم في النظريات الدقيقة الغامضة ؟ وهذا مقدار صحة ما يوردونه في كتبهم في قضايا لا يتعمدون التحريف فيها . فكيف فيما يتعمدون فيه التحريف ؟

ثم قال الامام : وكذلك وجدت في مؤلفات بعض الاساتذة في مصر ان ما جاء فيها من عقائد الشيعة الامامية لا يصور الحقيقة .

ثم تساءل الامام المحاضر : هل يظن بهؤلاء الفلاسفة النوابغ : (أي : ابن سينا ، والطوسي ، والحلي ، والصدر الشيرازي ، والسيد الداماد ، والسبزواري ، وأمثالهم انهم كانوا يتدينون بالخرافات والأوهام . ثم قال : حاشاهم عن ذلك وقد كانوا جميعاً من الشيعة الامامية وكان مذهبهم (التشيع) ذلك المذهب الذي كتب عنه بعض الاساتذة بمصر وبعض المساعدين لفكرة اعداء الاسلام اشياء يتبرأ منها كل شيعي : اخواني : هؤلاء الاعلام كانوا يعتنقون مذهب التشيع الذي صورته لكم اقلام الجهل والعصبية والعناد واللجاج في

أقبح الصور ، واني أعلن أمام هذا الجمع المحتشد من الاساتذة والاركان ان الذين كتبوا في مصر وخارجها عن مذهب الشـــيعة كل شيء لا يعرفون عنه شيئاً وانهم من اكابر السعاة لتمزيق وحدة المسلمين ، وقد عرف كل ذي حس شدة الضرورة الى عقد الوحدة وانه لاحياة للمسلمين الا بتوحيد كلمة فرق التوحيد ونبذ الفوارق .

وقد كان الأصلح لهؤلاء الكتاب أن يكتبوا في المواضيع التي لهم المام ومعرفة بها وتخصص فيها لكي تخلد آثارهم وأما الذي كتبوه عن مذهب الشيعة الامامية من دون دراية فسيخلد خزياً تاريخياً وسيكشف الله الغطاء عن مفترياتهم قبل ان يجف حبر مؤلفاتهم وسيظهر سوء نياتهم وهم في قيد الحياة عائشون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ثم قال :

زعم أحد الكاتبين عن مذهب الشيعة (١) أن كتاب الكافي للكليني عند الشيعة كصحيح البخاري عند أهل السنة فنقل من الكافي عدة أحاديث وحاول أن يحتج بها على الشيعة ، ولكنه غفل عن أن الكافي وسائر كتب الحديث الموجودة عند الشيعة كلها مخازن للاحاديث الصحاح والضعاف والحجة منها محصورة في الأحاديث التي يصحح أسنادها المجتهد الشيعي المتخصص في علم الرجال وفي معرفة أحوال الرواة لأن باب الاجتهاد مفتوحة عند الشيعة دون السنة ومن أهم شروط

---

(١) قصد به مؤلف كتاب « ضحى الاسلام » في الجزء الثالث منه في الصفحة « ٢١٣ »

الاجتهاد عند الشيعة أن يكون المجتهد الحي متخصصاً في العلوم العربية والمنطق والكلام والفلسفة والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وعلم الرجال والدراية ، وفائدة التخصص في علم الرجال معرفة صحة سند الرواية فلا يستنبط الحكم الشرعي إلا من الحديث الصحيح ولا عبرة بكل حديث لم يحكم بصحة سنده المجتهد الشيعي وإن وجد في اشهر كتب الحديث ، ولهذا نجد أن بعض الاحاديث المخزونة في الكافي مخالف لجوهر مذهب الشيعة ،والسر في أن علماء الشيعة لم يضعوا كتاباً خاصاً بجمع صحاح الحديث انهم لا يكتفون بتصحيح الغير ويعتبرون الاكتفاء به تقليداً لذلك الغير في سند الحديث كما أن التقليد في الحكم الشرعي تقليد في مضمون الحديث ودلالته والنتيجة تتبع أخس المقدمات . فاذن يكون وضع الكتاب الخاص بجمع الصحاح المحكوم بصحتها من واضعه عارياً عن كل فائدة بالنسبة الى غير واضعه ومؤلفه عند الشيعة لأن غيره من المجتهدين لا يراه صحيحاً بل يرى من واجبه ان يجتهد في الحكم الشرعي وفي جميع ما يتوقف عليه الاستنباط حتى في تصحيح سند الحديث . (١)

وبين فضيلة الاستاذ المحاضر قضايا مهمة كثيرة ثم لفت أنظار هؤلاء المؤلفين الى أصل اساسي يجب مراعاته في كل بحث وكتاب ، وقال : ان لكل مسألة موضوعا له مرتبة طبيعية او وضعية خاصة من مراتب سائر موضوعات مسائل العلم بحيث لو قدم عليها اواخرعنها

(١) نقلا عن مذكرات الاستاذ الشهير السيد رشيد مرتضى .

إختل وضع المعرفة ، وعلى الناظر في مسألة ان يعتبر المبادىء التي تبنى عليها المسألة في العلوم السابقة او المسائل السابقة عليها مسلمة فان خالجه شك او اعتراه وهم في مبادئها فالواجب عليه ان يرجع الى المباحث السابقة ويجعل بحثه فيها ويؤخر النظر في المسألة المتأخرة الى ان تنجلي له مبادئها التي هي بمثابة القواعد ، والشرط المهم ان يجرد الباحث نفسه عن كل عاطفة وعصبية ويستهدف استجلاء الحقيقة ، وختم فضيلة الامام الزنجاني محاضرته القيمة بشكر مصر والمصريين جميعاً لما لاقاه منهم من ترحاب واكرام وتقدير للعلم والعلماء وشكر الاستاذ العميد .

ثم تقدم الدكتور عبدالوهاب عزام بالنيابة عن عميد الكلية وأساتذة الجامعة وطلبتها وسائر الحاضرين فكرر الشكر لفضيلة الامام الزنجاني .

ثم تلاه الاستاذ الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب فشكر الامام الزنجاني ، وقبل يده وأظهر إعجابه الشديد بعلمه وفلسفته ونبوغه وقال : إنه كان يرجو ان يطيل سماحة الامام الزنجاني مقامه في مصر حتى يستفيد المصريون من علمه كما يستفيد العراقيون .

الامام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني

عظيم علماء الشيعة في دار الكتب (١) بالقاهرة



ويرى سماحته في الوسط يحف به مدير الدار ، وجماعة من الاساتذة الكبار .

---

(١) نقلا عن جريدة « الاهرام ١١ نوفمبر ١٩٣٦ .

الامام الزنجاني

يقرر منهاج البعثة الازهرية الى الهند

أجاب فضيلة الاستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر اقتراح الامام الزنجاني بارسال البعثة الأزهرية الاسلامية الى الهند، ولكنه رغب إلى الامام الزنجاني بأن يقرر لها المنهاج الصالح.



وفي هذه الصورة يرى فى الوسط الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني وهو يقرر المنهاج الصالح تمهيداً للوحدة الاسلامية. ويرى أمامه فضيلة الشيخ ابراهيم الجبالي (رئيس البعثة الأزهرية الاسلامية

(١) نقلا عن جريدة الاهرام ١١ نوفمبر ١٩٣٦

الى الهند) وإلى يمينه فضيلة الشيخ عبدالوهاب النجار (عضو البعثة ونائب رئيسها) والى يمينه زعيم مسلمي الصين ، وسائر أعضاء البعثة وجمع من المهتمين بالوحدة الاسلامية ، ومن مواد المنهاج الذي وضعه سماحة الامام الزنجاني درس أحوال المنبوذين وغيرهم .

(الوحدة الاسلامية)

﴿محاضرة كبير المجتهدين في دارالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين﴾

(كبير مجتهدي الشيعة يدعوا الى الوحدة الاسلامية وضرورتها)

(وضرورة التعاون بين أهل السنة والشيعة)

زار القاهرة في الشهر المنصرم الامام المجتهد الشيعي الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني وقد عنيت به السفارتان الايرانية والعراقية في القاهرة وحل محل الاجلال والاكرام من جميع البيئات المصرية وألقى في العاصمة المصرية عدة محاضرات محاولا فيها إثبات التقارب بين المذهبين الاسلاميين الكبيرين مذهب أهل السنة ومذهب أهل

(١) نقلا عن مجلة (الشبان المسلمين) رمضان ١٣٥٥ : ديسمبر ١٩٣٦ الجزء الثالث ـ المجلد ٨

وعن جريدة الجهاد ١٢ رمضان ١٣٥٥ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٦

وعن جريدة الاهرام ٢٦ نوفمبر ـ ١٩٣٦

وعن جريدة البلاغ مساء الجمعة ١٣ رمضان ١٣٥٤ ـ ٢٧ نوفمبر ٩٣٦

وعن جريدة البلاغ ١٧ رمضان ١٣٥٤ ـ ١ ديسمبر ١٩٣٦

وعن مذكرات الاستاذ الكبير السيد رشيد مرتضى

السنة ومذهب الامامية الاثنى عشرية توطئة لاقامة حسن الظن والمودة بين الجميع ، وقد عقد أمس في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة إجتماع كبير حضره أكثر من خمسة آلاف نفر للاحتفال بسماحة الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير العلماء المجتهدين في الشيعة والمسلمين وكان في مقدمة الحاضرين أصحاب المعالي والسعادة جعفر ولي باشا ، ومحمد علي علوبه باشا ، ومحمد بهي الدين بركات ، سلطان أحمد راد وزير ايران المفوض ، عبدالقادر بك الكيلاني وزير العراق المفوض في مصر ، مصطفى حنفي بك وكيل الحقانية ، شوكت بك المستشار الملكي وغيرهم من كبار العلماء وأساتذة الجامعتين المصرية والأزهرية . واستقبلهم جميعاً حضرة الدكتور عبدالحميد سعيد شيخ الشبان المسلمين ومعه أعضاء مجلس ادارته .

وبعد أن تناول المحتفل به المرطبات والحلوى مع جمع من الكبراء ثم انتقل إلى القاعة الكبرى للمحاضرات فاستقبله الجمهور المحتشد فيها بعاصفة من التصفيق ثم إرتقى المنصة فقدمه صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالوهاب النجار بكلمة طيبة وقال : إننا رجونا سماحته في أن يحاضر الشبان المسلمين في هذه الليلة فأجاب الرجاء وانكم لتسمعون الليلة ما يملأ قلوبكم فرحاً لدلالته على وحدة الشعور والعاطفة بين مصر وشقيقيها العراق وإيران بل بين مصر وكل جزء في العالم يسكنه مسلمون : ووقف بعد ذلك سماحة الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني فألقى خطبة جامعة كانت من أروع ما شهدته مصر وقد بدأها بالتدليل

على ان نظام الخلق ونظام المجتمع قاما على قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء والمفتقر بعضها الى بعض ، ونحى في هذا التدليل نحواً فلسفياً إستقام فيه المنطق ، وكان يرتكز في كل ناحية من البحث على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولم يترك آية ولا حديثاً دون بيان وشرح وتفسير فى عبارات عربية بليغة فأثار هذا إعجاب الحاضرين عامة وإعجاب الأزهريين خاصة - واستطرد سماحته فى الخطاب إلى ذكر اللغة العربية وما تصادفه من إنتشار في كل البلاد التي يسكنها مسلمون في الشرق كالهند ، وفي البلاد الاسلامية كأيران ، ففي الأولى يقوم التعليم في إحدى كلياتها باللغة العربية ، وفي الثانية توجد جامعة عظيمة يجرى التعليم في احدى كلياتها باللغة العربية كذلك ، ثم إلى جانب هذا وذاك ما تزال دراسة الفقه الاسلامي وعلوم التفسير والحديث والكلام والفلسفة باللغة العربية وقال : ان اللغة العربية لا يمكن ان يستغنى عنها في البلاد غير العربية التي يسكنها مسلمون ، وانما وجد الدين الحنيف وجدت اللغة العربية لغة القرآن المجيد . وذكر سماحة الامام الزنجاني بعد هذا ان بعض المؤلفين أهدى اليه كتاباً قبل بضعة أيام فوجد ما أنشأه لا يتفق مع الواقع فيما - يختص بالكلام عن مذهب الشيعة - وقال انه يرى ان هذا المؤلف لم يخطىء فيما قاله عن الشيعة إلا لأنه لا يعرفها أو لم يخصص نفسه لدرسها ولو أنه اختار موضوعاً لمؤلفه يكون قد تخصص فيه لأنتج إنتاجاً عملياً مفيداً وإستطرد من هذا الى الكلام عن مذهب الشيعة، فقال : إنه يقوم على توحيد الله في ذاته وصفاته ومعبوديته

وأفعاله وآثاره وأن الله جل شأنـه واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ومنزه عن التجسم والحلول والتركيب والنقائص ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والحياة والارادة والعدل ونحوها وان صفاتها الحقيقية عين ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له في الألوهية والمعبودية والفاعلية ، وما سواه من العالم صنيعه لا إله غيره ولا حول ولاقوة إلا به له الخلق والأمر ولا مؤثر في عالم الوجود غيره . ثم الايمان المطلق بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه خاتم النبيين وسيـد الرسل ومعصوم من الخطاء والخطيئة وان الله أرسله بالقرآن الكريم وهـو الكتاب الموجود في أيدي المسلمين بلا تحريف وأن كل من اعتقـد او ادعى نبوة بعد نبوة محمد بن عبدالله (ص) اونزول وحي أو كتاب كافر ، وأن جميع الانبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد معصومون ابتعثهم الله لدعوة الخلق الى الحق ، وكذا الايمان بما جاء في القرآن كله من أن الله تعالى شأنه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ولولاه لما صح التشريع ، وان المعاد هو الشخص بعينه وجسده وروحه وان الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط حق والناس مجزيون بأعمالهم وكذا الايمان بالفرائض كلها وهي الصلاة والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومودة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي أجر الرسالة .

ثم قال : وهذا هو الاسلام الذي نعتز به ، نعم تعتقد الشيعة الامامية

أن الامامة رئاسة في الدين والدنيا ومنصب إلهي ، وبما ان الاسلام دين عام للبشر كافة وتعاليمه فطرية أبدية اراداللہ بقائه الى آخر الدنيا فلابد من إمام منصوب من الله في كل زمان لكيلا يتوجه نقض الغرض المستحيل على الله الحكيم ، فهم يعتقدون بأمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأحد عشر من أولاده الائمة عليهم السلام وهم مع ذلك يعتقدون بأن كل معتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد والفرائض مسلم لا فارق بينه وبين الشيعي في الاسلام وتعاليمه الاجتماعية والدنيوية ولا يزيد عليه الشيعي المعتقد بالامامة إلا في أجر الآخرة وغرف الجنة والجنة أمرها بيد مالك يوم الدين ، وكذلك يجب ان يعتقد السني أيضاً بأن كل من آمن بما جاء في القرآن الكريم واخبر به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأصول والفروع التي ذكرناها آنفاً مسلم وإن لم يعتقد بخلافة الخلفاء التي لم تحدث الا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأصول والفروع التي ذكرناها آنفاً مسلم وإن لم يعتقد بخلافة الخلفاء التي لم تحدث الا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن يعرفها المسلمون كلهم في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن تكلم في بيان ذلك تفصيلا مؤيداً أقواله بالادلة قال : أما وأن الامام (ع) غائب والخلافة منحلة ، وما يعود الى درجات الآخرة فحكمه الى الله مالك يوم الدين ، وما يعود الى الشؤون الاجتماعية فمنصته شاغرة لا مندوحة أن يقوم به الأمة وعلماؤها ولا يجوز إهمالها ، وليس بين المسلمين خلاف في الشؤون الاجتماعية ، وانى أصرح هنا ان الفوارق الاجتماعية

القائمة على الصبغة الدينية مبعثها التحزب وحب الرئاسة . وتكلم بعد هذا عما كان يأتيه السلاطين والحكام من الأعمال ليتسلطوا على الشعوب المحكومة بهم ، وقال ان كثيراً من هؤلاء كانوا يلتمسون الانتصار على الشعوب والاستحواذ عليها من طريق الدين ومن هنا ومن تحزب البعض لرأيه وتعصب الآخر في مناهضته نشأت الفوارق الاجتماعية التي نشاهدها بين الشيعة وأهل السنة ، وهي فوارق مبعثها السياسة والانانية وحب الرئاسة وقال : إن هذه الفوارق يجب ان تمحى ليتم بناء الوحدة الاسلامية ويقوى وانه من الميسور على العلماء وأهل الرأي أن ينظروا في هذا ويقرروه باعتباره حقيقة ضرورية القيام بل لابد من قيامها . وقال : ان من هذه الفوارق ان الشيعة يقولون بان باب الاجتهاد مفتوح أمام العلماء المختصين والمجتهدين ، ولا يستند مجتهد الشيعة الى هوى نفسه بل يستنبط الاحكام الشرعية من القرآن الشريف والحديث الصحيح ومن الاجماع والعقل باعتبارهما يرجعان الى الكتاب والسنة بينما يقول أهل السنة ان هذا الباب مقفل والأدلة عند أهل الرأي منهم هي القرآن الكريم والحديث والاجماع والقياس وانهم يقولون ان القياس مظهر لا مثبت فهو كاشف عن وجود الحديث وكذلك يقولون في الاجماع انه لا ينعقد لولم يكن دليل اعتمد عليه المجمعون فيكون مرجعها الى الكتاب والسنة ، ثم جاء الاستاذ بعد ذلك بما تشترطه الشيعة في المجتهد من العلم الصحيح الثابت بالدين وعلومه واستطرد في هذا الى القول بأنه قبل أن يجيء مصر كان يظن أن الفارق

عظيم بين الرأيين لتمسك كل فريق برأيه ولكنه وجد في مصر غير ذلك منذ إجتمع بعلمائها الأكابر فانهم يجتهدون ويجتهدون كما يجتهد علماء الشيعة تماما .

ثم قال : وشيء آخر بين الشيعة والسنة فيذكر بعضهم ان الاولين يغالون في محبتهم لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جئت إلى مصر فوجدت أهلها السنيين يزيدون عنا في محبة آل البيت عليهم السلام ـ وهنا سأله فضيلة الاستاذ محمود شلتوت (ماقولكم في عصمة الأئمة ؟) فقال ما مؤداه (أن للعصمة مراتب ودرجات تختص بعضها بالانبياء عليهم السلام كالعصمة في الوحي والتشريع وتتصف ببعضها الأئمة المكلفون بحفظ الدين وتبليغه) وهي في الكل (ملكة تردع عن ارتكاب الخطاء والخطيئة) ، ولكن ملكة العدالة هي التي تردع عن ارتكاب الخطيئة .

وقال : بعد ذلك يجب ان تكون وجهة نظرنا جميعاً هي تكوين الوحدة الاسلامية ، وأن نزيل كل ما يقوم في سبيلها من حوائل مادام لا يمس ديننا الحنيف في أصوله وقواعده وأحكامه .

وقال : انه يصرح مرة أخرى بان الفوارق القائمة خلقها التحزب وحب الرئاسة الذي حذرنا منه كثيراً بعض أئمتنا الهداة الذين يدنوا كما يهذب نفوسنا ويقربنا الى الحق والحقيقة ، ويقرب المسلمين بعضهم الى بعض ويوصلهم الى المثل الأعلى للانسانية . وأري من المناسب أن أتحفكم باحدى كلماتهم وهي هذه :

روى الطبرسي فى كتاب « الاحتجاج »[١] باسناده عن الامام الثامن (الرضا) عليه السلام أنه قال : قال علي ابن الحسين (ع) (إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ، وتماوت (٢) في منطقه وتخاضع فى حركاته فرويداً لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف بنيته ، ومهانته ، وجبن قلبه ، فنصب الدين فخاً لها فهولا يزال يختل (٣) الناس بظاهره فان تمكن من حرام إقتحمه ، واذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم فان شهوات الخلق مختلفة ، فما أكثر من ينبوا عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً ، فاذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ما عقدة عقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع الى عقل متين ، فيكون مايفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله بجهده فاذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله ؟ أويكون مع عقله على هواه ، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها ؟ فان فى الناس من خسر الدنيا والآخرة ، يترك الدنيا للدنيا ، ويرى ان لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة الباطلة حتى إذا قيل له إتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فهو يخبط خبط عشواء ، يقوده أول باطله الى أبعد غايات الخسارة ،

(١) نقلا عن مذكرات الاستاذ الشهير السيد رشيد مرتضى .
(٢) المتاوت : الناسك
(٣) يخدع الناس ويخفى لهم

ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه (١) فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقي من أجلها ، فاولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً .

ولكن الرجل ، كل الرجل ، نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في رضاء الله ، يرى الذل مع الحق أقرب الى عز الأبد من العز في الباطل ، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤديه الى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد ، وأن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه الى عذاب لا إنقطاع له ولا زوال فذلك الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا ، وبسنته فاقتدوا ، والى ربكم فارغبوا ، فبه فتوسلوا فانه لا يرد له دعوة ، ولا يخيب له طلبة الخ ...

وبعد أن تكلم الامام في هذا طويلا مستشهداً بالتاريخ وبين مفاسد التفرق ، وأثبت ضرورة الاتحاد والوحدة قال : ولكن بعض المؤلفين في المذاهب وبعض رجال الدين يحولون دون وصول المسلمين إلى الاتحاد لقد اهدى الي بعض أساتذتكم كتاباً ألفه وطبعه حديثاً يتضمن قضايا عن الشيعة تشبه ما كان يسجل في القرون المظلمة بتأثير الدرهم والدينار والحديد والنار ، وما أشبه هذا المؤلف الباحث عن مذهب التشيع بسائح أوربي صادف في شارعكم زفة عروس يتفرج الناس عليها ووقع نظره على جماعة يتطلعون عليها من ذروة مأذنة دار

---

(١) ناظر الى قوله تعالى : الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

جمعية الشبان المسلمين فسأل بعض المتفرجين ، لمن هذه الدار ؟ فقيل له (هذه دار جمعية الشبان المسلمين ، فكتب السائح الأوربي في مذكرته من عادة المصريين أنهم يبنون منارة عالية مرتفعة جداً لغرض التطلع من ذروتها على زفة العرس وإني رأيتها بعيني في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ...

وقد أخطأ هذا السائح اذلم يسأل أهل الدار كما أخطأ في انه سأل عن الدار فقط ثم كتب عن منارة الدار بزعمه الفاسد ، ولو كان يسئل أهل الدار ، أوكان يسأل فى الخارج عن المنارة ، لأجابوه أنها مأذنة المعبد الموجود فى دار الجمعية بنيت لغرض الاذان والعبادة ، وبعد أن استنكر الامام لمحاولات هولاء المؤلفين وما يحدثونه من تفريق المسلمين قال : أنه ينتهز فرصة هذه المحاضرة ليعلن استنكاره لما يحاوله بعض العلماء اليوم من تطبيق ماجاء فى القرآن المعجز الخالد على نظريات العلم الحديث ، وقال ان نظريات العلم متغيرة ، ينقض ما يجيء اليوم ماقام بالأمس وشرح الامام هذا الموضوع بما أدهش الحاضرين ثم ختم محاضرته الارتجالية بالدعوة الى الوحدة الاسلامية وضرورة العمل على قيامها ، ودعى الله سبحانه وتعالى أن يهيء للمسلمين خيراً في حاضرهم ومستقبلهم .

وتشاهد فى صفحة ٤٥٢ تكريم جمعية الهداية الاسلاميـة لسماحة الامام الحجة الشيخ الزنجاني ، ويرى الامام جالساً على مائدة الشاي بين الاساتذة في دار الجمعية العامرة .



والشيخ عبدالوهاب محمد سليم ، والشيخ علي أحمد وعبدالسلام أفندي سكرتير الجمعية ، وطلب الحاضرون كلمة من الضيف العظيم ، فوقف الامام الزنجاني ، وألقى خطبة جامعة بين العلم والأدب والحكمة قوبلت بالتصفيق الشديد والاعجاب التام .

قال الامام الزنجاني في كلمته :

خلق البشر لحكمة سامية هي عبادة مبدع الكائنات وحده والعبادة (عقلية وقلبية) كالايمان بالخالق وصفاته الجلالية والجمالية وبأنبيائه ورسله وأوصيائهم (ص) وبالمعاد والبعث والجزاء الاخروي (وبدنية) كالصلاة مثلا (ومالية) كالزكاة و (مركبة من مالي وبدني) كالحج والجهاد ، وهذه العبادات لا تقام على وجهها إلا بوسائل هي صحة الفكر وسلامة البدن ، وذات اليد ، ولهذه الوسائل وسائل تسبقها كالزراعة والصناعة والتفقه في الدين وبعض العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة أو الكونية كالطب وليس في استطاعة الفرد أو الرهط من الناس الاستقلال بهذه الوسائل فاحتاج الناس بمقتضى فطرتهم وما خلقوا من أجله الى التعارف والتعاون ، ولا تعارف ولا تعاون إلا بالاجتماع ، فالاجتماع هو الذي تقتضيه الفطرة ، وبه تنتظم العلوم وتبلغ المدنية الفاضلة أشدها ، فيتهيأ للناس أن يعبدوا الله على بصيرة ويتقربوا اليه بضروب من الاعمال الصالحة لا تحصى .

وهذا هو السر في أن الاسلام الذي هو دين فطري اجتماعي قرر

تكريم الزعيم الاسلامي الامام الزنجاني

في دار جمعية الهداية الاسلامية (١)

حفلت جمعية الهداية الاسلامية أمس بعدد كبير من رجال العلم والأدب تلبية لدعوة حضرة صاحب الفضيلة رئيس الجمعية الفاضل، واحتفاءاً بالامام الجليل الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء النجف وفي الساعة السادسة وصل الضيف الكريم وكان بصحبته السيد عبدالرحيم ماسونتين من أقطاب مسلمي الصين وزعمائهم، ولفيف من العلماء والوجهاء فاستقبلهم الحاضرون بالاجلال، وكان فى مقدمة الحاضرين السادة عبدالحميد كازروني بك رئيس الجمعية الخيرية الايرانية، ومهدي عزيز الهندي بك وكيل الجمعية، والسيد محمد كوجين رئيس البعثة الصينية، وسائر رؤساء البعثات الاسلامية فى مصر، وبعد أن استراحوا قليلا جلس الجميع حول موائد الشاي فأكلوا هنيئاً، وشربوا مريئاً ثم وقف فضيلة السيد محمد الخضر رئيس الجمعية فألقى كلمة طيبة ضمنها الترحيب بالضيف الكريم، وأعقبه حضرات الاساتذة الشيخ علي محفوظ

---

(١) نقلا عن جريدة « الاهرام » ٧ - ١١ - ١٩٣٦
وعن جريدة « الجهاد » ٢٢ شعبان ١٣٥٥ - ٧ نوفمبر ١٩٣٦
وعن جريدة « المصري » ٢٢ شعبان ١٣٥٥ - ٧ نوفمبر ١٩٣٦
وعن مذكرات الاستاذ الكبير السيد رشيد مرتضى

إيثار الاجتماع على العزلة ، وشرع للاجتماع أحكاماً عادلة وآداباً فاضلة في جميع نواحيه من الاقتصادي والاسري والقضائي والخلقي والعمراني والثقافي والسياسي ، وأقام سلطان العقل ، وأعلن حرية النظر والفكر وهدم صنم التقليد ، وأنقذ الضمير البشري من الذين انتحلوا حق التسلط عليه ، وقرر التكافل على تحقيق الخير العام ، واستمرار الارتقاء في درجات العلم والعمل ، ومبدأ المساواة الشاملة بحيث شملت المسلمين وفاضت على غيرهم من المشاركين لهم في الوطن ، ونظر الى نوع البشر بصفته إنساناً (تلك الصفة التي هي حقيقة جوهر الانسانية) وجعل في تعاليمه إهدار الفروق والاختلافات في ظلال الوحدة الانسانية التي هي نفس صبغة الوحدة الاسلامية ، لان الاسلام دين الانسان ودين العالم ودين البشر « لا دين قوم دون قوم » وبهذا تكفل السلم العام وقوى في نفوس البشر الشعور بالعدل ، فشهد العالم أجمع ما للعدالة الاسلامية من قوة وجبروت واعترف جميع العقلاء بانه دين عام خالد ولم يجعله الله تعالى خاتم الاديان وهو يريد به التفريق بين الاهل والعشيرة ولا بين أبناء الوطن الواحد ، ولا بين النوع الانساني بأكمله بل أثبت به السعادة المزدوجة ليوفق بين مطالب الروح ومطالب الجسد على مقتضى ناموس عادل وصراط مستقيم ونظر الاسلام الى الامم الاسلامية باعتبارها طائفة واحدة تحدّها العقائد المقدسة المشتركة ، التوحيد والنبوة والمعاد والقرآن الكريم ، والاتجاه الى القبلة والصلاة اليها فلا ينظر الى عنصر ولا الى مذهب بل الى وحدة خلع الاسلام عليها ثوبه وجعلها

تحت رايته فاصطبغت بصبغته ، ودانت بكتابه فقال تعالى : « انما المؤمنون أخوة » .

ولكن المؤسف ان الامة الاسلامية مبتلاة منذ مدة طويلة بالجدل العقيم تجادل في الأصول وتجادل في الفروع وتجادل فيما هو أقل شأناً من الأصول والفروع ، راضية بهذا الجدل ، لاهية عن سر الاسلام وعظمته وعن مقومات الأمم التي لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها الا بها ولم يقف أمر التخاذل بينهم عند التخاذل بين الامم بل تخاذلوا جماعات وتخاذلوا أفراداً وانقطعت الروابط بينهم كما قطعت بينهم وبين أهل سائر الأديان السماوية وضيعوا جمال التعاليم الاسلامية وجلالها ، فلا يعني المرء إلا بنفسه ، لا يبالي في سبيل مجده أن يهدم غيره ولو لم يقف له في طريق ، رغم ان الاسلام كلفنا بجميل الخصال ومحاسن الخلال لنفعلها فيما بيننا ونقوم بها نحو العالم أجمع ، طارحين على اختلاف الديانات والمذاهب غطاءاً كثيفاً ، وحجاباً غليظاً ، لأن الخطر الذي يداهم الانسانية والشرور التي تغمرها وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الالهية لا تجيء من أديان المخالفين وإنما تجيء من الالحاد ، ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها ، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدّها هزؤاً ولعباً .

فطريق الاصلاح في العالم الاسلامي المتموج بموجات الاضطراب بعد أن منيت الامة الاسلامية بالانحلال واستحوذت عليها الفوارق

أن نجعل دعوتنا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الذي لايجرح العواطف ، وننهض للعمل الجدّي المتواصل لتوحيد فِرَق التوحيد وجمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتوحيد صفوفهم ، وتقريب بعضهم من بعض ، وتحقيق الوحدة الاسلامية التي أخذنا على عاتقنا تمهيد مقدماتها ، والسعي لتحقيق الوحدة العربية التي هي بمثابه الحجر الأساسى لبناء الوحدة الاسلاميه الكبرى ، ثم التدّرج في الارتقاء الى مرحلة الوحدة الدينية مع أهل سائر الأديان السماوية المدلول عليها بقوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً » الخ . والانتهاء إلى الأخاء الانساني الشامل المشار اليه بقوله تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم الخ) ونعلن على العالم ان الله تعالى وصف نفسه في كتابه المعجز الخالد بأنه رب العالمين ولم يفاضل بين الناس فيما به قوام حياتهم الجسمية فهولا يرضى أن يفاضل فيما به قوام حياتهم الروحية . وأن الاسلام تسليم بالأديان على ما نزلت من عند الله وتصديق بالانبياء السابقين من غير تفريق بينهم ونهذا ضمن أحسن الوسائل لاستخلاص الاتحاد والوفاق ونشر راية السلام على جميع عناصر البشر وسائر المتدينين بالأديان الالهية فقال تعالى : (وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسي وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ليفهم العالم ان الاسلام يؤكد الوحدة الدينية ويفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الاخاء الانساني ويحث على كسب

الفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعيـــة السامية ، ويدعوا أهل الاديان السماوية إلى العمل مع المسلمين على توجيه التشريع الى تأييـد الأصول العامة المشتركة في الأديان كالتوحيد والمعاد ، وبهذا وحده يمكن أن ننقذ الامة الاسلامية والبشر أجمـع من الوهـدة التي رمتها بها الأغراض والمطامع والفوارق ، ونجعل من أمتنا هذه أمة مرهوبة الجانب موفورة الكرامة لها من المكانة في المجتمع البشري ما يؤهلها للتكالف مع سائر المتدينين والوقوف تجاه تيار الالحاد والفوضى الاخلاقية ، والدفاع عن الأسلام باعتباره صديقاً للعلم والمدنية ، ولا يتحقق هذا الغرض إلا بايجاد مؤتمر إسلامي عالمي يمثل فيه جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتتجدد دوراته من حين لحين في مختلف الممالك الاسلامية ليتشاوروا ويضعوا الخطط للدفاع عن الجبهة المشتركة ، وإذا قدّر لهذا المؤتمر العام أن يقوم بأعماله وهي توحيد شعور المسلمين وتوحيـد ثقافتهم وتقريب صلاتهم الدينية وتكوين الأخوة الاسلامية الشاملة فليس له أن يغيّر شيئاً من جوهر المذاهب الأسلامية وعناصرها الأولية ، وليس القصد توحيد المذاهب ، لأن حكمة اختلاف الآراء سنة الله في الكون ، قال الله تعالى: « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » والسرّ فيه أن بالاختلاف يظهر الحق والحقيقة الناصعة لأن الرأيين المتخالفين كقوتي السلب والايجاب في الكهرباء اللتين يتولد منهما النور ولكن الشرط المهم فيه حفظ التوازن فاذا فقد التوازن حصل الاحتراق فكذلك حال اختلاف الآراء فانه يؤدي الى ظهور الحق

إذا روعيت شروط المناظرة والجدل ، ولهذا لا تنتج السفسطة شيئاً أصلا سوى الابتعاد عن الحق بل المقصود ان لا يتخذ المسلمون هذه الاختلافات المذهبية معولاً هداماً لأساس الدين الاسلامي وقاطعاً للرابطة الدينية التي هي أقوى من الروابط الاجتماعية والعنصرية والجغرافية سيما في الشرق بعد أن حلت السياسة في الغرب في مكان الدين .

وأن ينصرف المسلمون الى البحث والاسهاب في مواضيع لها أكبر مساس بحياتنا الاجتماعية وتداوي أمراضنا الخلقية ، وتهذب عاداتنا القومية ، وتعدل إعوجاجاً سرى في طبقاتنا المختلفة فانحلت به روابط الأمة المؤتلفة فاصابنا التخاذل والتدابر ، وأصبح شعارنا الشكوى والتلاوم ، وضعف فيما بيننا أداء ذلك الواجب الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

العالم الكبير الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني

(يتحدث الى الاستاذ طريق المصري) (١)

زيارته الأولى لمصر – فخار الاسلام والشرق – تهانيه لزعماء الأمة
مركز الأزهر الديني – الرابطة الاسلامية وأثرها – علماء الشيعة
ونظرتهم الى العالم الاسلامي – المذهب البهائي واتجاهه – التقدم العلمي
والسياسي في العراق وايران – سعادة وزير ايران وجريدة المصري

كانت الساعة التاسعة صباحاً حين ذهبت لمقابلة الامام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني ضيف مصر العظيم ، وقد رأيته رجلاً مهيب الطلعة تلوح عليه علامات العلم والتقوى وإمارات الامامة والزعامة ، تقدمت إليه فصافحني بحرارة ، ثم هنأته بسلامة الوصول ، فشكرني وشكر جريدة (المصري) ، لاهتمامها به ، وبعد أن تناولنا القهوة دار بيننا الحديث الآتي : وكان موجوداً معنا في ذلك الوقت حضرة صاحب العزة عبد الحميد كازروني بك رئيس الجمعية الخيرية وعزيز مهدي بك وكيل الرئيس والاستاذ عباس غالب سكرتيرها .

سألت فضيلته : هل سبق لفضيلتكم زيارة مصر قبل الآن ؟ وهل تقصدون غرضاً معيناً ؟

(١) نقلاً عن جريدة « المصري » ٢١ شعبان ١٣٥٥ – ٦ نوفمبر ١٩٣٦

فأجاب : هذه أول مره أزور فيها مصر بعد أن كنت في شدة الشوق لزيارتها منذ أمد بعيد ، واني لمسرور جداً أن وقعت زيارتي لهذه البلدة (التي هي في طليعة البلاد الاسلامية بل الشرقية لنشر التعاليم الدينية والأساليب المدنية) في هذه السنة التي نالت فيها الأمة المصرية استقلالها بجهودها الجبارة وتضحيتها الفذّة ، وإني أهنىء الأمة المصرية الكريمه برجالها الأبطال ، وسأنتهز فرصة وجودي هنا لأطلع على المناهج والنظم المتبعة في الأزهر الشريف لاقتباس ما يناسب منها في معاهد النجف الاشرف التي هي عاصمة العلوم الدينية والفلسفية الكبرى في الشرق الاسلامي ، والمركز الاعلى لعلماء الشيعة الامامية الاثنى عشرية ومراجع تقليد المسلمين . وعلماء الشيعة رجال منصفون يهمهم قبل كل شيء صالح الاسلام وجمع الكلمة واستعادة حياة الامة الاسلامية الواقفة على شفير الفناء وهوة الهلكة بسبب الخصومة السياسية التي أوجدها العثمانيون في الصبغة الدينية ، وهم يتبعون سيرة إمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) الذي قال في بعض خطبه : « لكني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا » ويبذلون قصارى جهودهم في سبيل تحقيق الوحدة الاسلامية ولا يسجلون تنقداً ، لآراء أصحاب الفرق الاسلامية إلا بالحكمة والتي هي أحسن طرق إظهار الحقيقة

قلت : ما ذا ترون في نهضة مصر الحديثة ، وما هو أثر هذه النهضة في نفوس اخواننا الشيعة .

فقال فضيلته : إن لمصر عظمة من حيث مركزيتها الادبية والدينية

في نفوس الشيعة وسائر المسلمين في أنحاء المعمورة ويتمنون لها مستقبلا كبيراً

ان من المعلوم ان الملل الغربية إنما تحكم على أفكارها الجهة السياسية فقط ، ولهذا ربما يكره الكاثوليكي الألماني من هو على مذهبه في فرنسا .

ومنذ أمد بعيد والحاكم على أفكار المسلمين إنما هو الدين والمسلمون رغم إختلافهم من حيث العنصر والأوطان لم يزل كل مسلم يحب لاخيه المسلم كمال الرقي وبلوغ المراتب السامية مهما فرّقت بينهما الأوطان وميزّ بينهما العنصر ، ولا تزال هذه الروح سائدة في المسلمين عموماً وفي الشيعة خصوصاً في جميع الأقطار ، والشيعي حتى الايرانيين منهم يبحث عن النهضة العربية وعن الوحدة العربية لعلمه بأنها مقدمة للوحدة الاسلامية التي تجمع كلمة أربعمائة مليون مسلم ، وقد قام الجهابذة من أعلام الدين وأفذاذ الرجال المصلحين في النجف الأشرف وسائر الاقطار الشيعية يبذلون السعي الحثيث لتوحيد كلمة فرق التوحيد وينشرون الدعوة للاتحاد الذي أدرك كل ذي حس وشعور أنه نظام الامة الاسلامية وأهم العوامل لاخفاق الدعايات التي تبث ضدّ التعاليم الاسلاميه لعلمهم بأن الوحدة الاسلامية هي القوة الأدبية المستتبعة للقوى المادية التي أمرنا الله تعالى بأعدادها حيث قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة الخ » .

وسكت فضيلته قليلا ، فقلت : ماهي نقطة الخلاف الاساسية بينكم وبين بقية المسلمين في البلاد الاسلامية ؟

فابتسم ثم قال : لا يوجد أمر جوهري يفرّق بين المسلمين أصلا فكلهم يعتقدون بآله واحد ، ونبي (ص) واحد ، وكتاب واحد ومعاد جسماني ويصلون الى قبلة واحدة ويعملون بالفروع والتعاليم الاسلامية وما يتراأى من الخلاف بين الفريقين إنما هو في الناحية الاجتماعية من نواحي التعاليم الاسلامية ، ومن آثار الأيادي السياسية التي حاولت التدخل في المنصب الالهي .

وهنا رأيت أن أعرف من فضيلته شيئاً عن مركز البهائيين وذلك لأن إيران وبغداد تعتبر موطنهم الأكبر ، فسألت فضيلته : هل يوجد في بلادكم عدد كبير يعتنق المذهب البهائي ؟ وماهو موقف الشعب والحكومة منهم ؟

فأجاب : الشعب الشيعي لا يعرف ما عبرتم عنه خطاءاً بالمذهب البهائي إلا كرأي سياسي دبر في الغرب لكسر شوكة الدين الاسلامي ولا يوجد في بلادنا من يستحسنه سوى شرذمة من مطايا الاستعمار الأجنبي ، ومن الواضح ان الآراء السياسية ذات تغير وتبدّل لا تلائم مختلف العصور والأحوال والبلاد وأما الدين أو المذهب فلابد من أن يحتوي على عنصر سماوي وجوهر روحي يستطيع الانسان أن يجمع به سعادة الآخرة على سعادة الدنيا ، ويتمكن من تطبيق تعاليمها في جميع الظروف والأحوال ، ولا يوجد في الرأي البهائي شيء من هذا ، وإنما هناك مناقضات ومخالفات وكلمات ينقض بعضها البعض وكل من يعرف شيئاً من فلسفة الدين ، والسر الطبيعي لتجدد الأديان والناموس العقلي لخاتمية الدين الاسلامي لا يعتنق غير الاسلام الذي هو الصورة

النهائية الكاملة والمثل الاعلى للدين .

ولما وصل فضيلته الى هذه النقطة تقدم اليه عزيز بك وقال : إن سعادة وزير إيران سيحضر لفضيلتكم بعد ربع ساعة فقال : فضيلته أهلا وسهلا ، وأردت أن أكتفي بهذا ولكن فضيلته استوقفني وطلب مني أن أكمل مالدي فقلت لم يبق عندي إلا انني كنت أود أن أسمع شيئاً عن مدى التقدم العلمي والسياسي في بلادكم ومقدار صلاتها بجيرانها . فقال :

العلوم الدينية أعني الفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث وكذلك العلوم العربية والرياضية والفلسفية والمنطق وغيرها كانت موجودة منذ نحو الألف سنة في النجف الأشرف وكانت قبلها في الحلة وبغداد كما كانت في إصفهان وبعض بلاد إيران، ولم تزل في تقدم مستمر حتى الآن ومنذ القرن السابق تحسنت أصول التدريس والبحث والتأليف ومناهج التعليم وكان تقدما باهراً ، وأما التقدم السياسي فغني عن البيان ويكفيكم منه ما يشاهده الكل في العراق وإيران من تقدمهما فى أقصر وقت تقدماً يدهش العقول وصلاتنا بجيراننا حسنة والحمد لله .

وهنا كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ودنى موعد سعادة الوزير فهممت بالانصراف ولكن سعادة مهدي بك والاستاذ غالب طلبا مني الانتظار فلبيت الطلب ، وبعد دقائق حضر سعادة الوزير ولما علم سعادته أنني من محرري (المصري) صافحني بقوة وقال : (انه شديد الاعجاب بجريدة المصري وبغزارة مادتها وحسن أسلوبها وهو يعتبرها رغم حداثتها الجريدة الأولى التي يحبها .)

الإمام الزنجاني في الأزهر والمحكمة العليا الشرعية (١)



زار سماحة الامام الزنجاني (كليتي الشريعة واللغة) في الأزهر أمس صباحاً وبعد أن ألقى كلمته البليغة ونصح الاساتذة والطلاب توجه الى دار المحكمة العليا الشرعية فاستقبله في باب الدار أصحاب الفضيلة الاستاذ الشيخ فتح الله سليمان رئيسها ونائبها ورئيس المحكمة الابتدائية الشرعية بالحفاوة والتكريم وبعد أن أمضى معهم فترة غادر المحكمة الى الجامع الأزهر الشريف حيث زار الاقسام الثانوية وودع بعاصفة قوية من الاساتذة والطلاب ثم زار فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومكث معه نحو ساعة ونصف ساعة يتحادثان في الشؤون الاسلامية العامة ثم انصرف مودعاً بالاحترام والتكريم وخرج الاستاذ الأكبر لمشايعته الى خارج المعاهد .

(١) نقلاً عن جريدة « الاهرام » ٤-٥-١١-١٩٣٦

عالم شيعي كبير يتحدث عن مزايا الاسلام

وعقائد الشيعة ويزور مصر لفحص أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية (١)

كتب إلينا أحد مندوبي الجهاد يقول :

علمت منذ يومين أن إماماً جليلا وعالماً كبيراً من علماء النجف المشهود لهم بالذكاء والفطنة قد وصل القاهرة واستقبل في المحطة استقبالا باهراً ، وانه ينزل في فندق (مودرن) في شارع عماد الدين وعلمت فوق هذا ان مهمته التي جاءت به الى مصر إنما هي : (توحيد كلمة المسلمين وفحص أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية ودرس الحياة العامة في مصر من جميع نواحيها) فاشتاقت نفسي الى التعرف به والتحدث اليه وقصدت الى فندق (مودرن) الذي يقيم فيه ووجدت عنده العالم الصيني السيد عبد الرحيم ما ـ ونتين وعدداً من عظماء العلماء وكبراء المسلمين الشرقيين ، وجعل العالم الصيني يوجه الأسئلة الى فضيلة الامام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني فيجيب عليها إجابة ينم عن كثرة إطلاعه وعلومه وقوة ذكائه ، فسهل عليّ مهمتي ، ورأيت أن أقتصر على تدوين ما سمعته من الأسئلة والأجوبة :

(١) نقلا عن جريدة « الجهاد » ١٨ شعبان ١٣٥٥ - ٣ نوفمبر ١٩٣٦

الاستاذ الصيني : هل يتفضل الامام الزنجاني فيحدثنا عن حالة المسلمين في بلاده ؟

المسلمون في بلادنا في تقدم مستمر ورقي متواصل ، وهم يحسون بما يحس به كل مسلم من ضرورة الارتباط والألفة ، ويدركون حقائق التعاليم الاسلامية كل الادراك سواء كانت عبادات أو اعتقادات أو حقوق أومعاملات ، ويعلمون ان العقائد الاسلامية الاصلية مثل عليا لاعقيدة وصور صحيحة وآيات ثابتة لا يمكن أن يعتورها نقص ولا تبديل .

وان العبادات الاسلامية لاحتوائها على ملاكات خفية وأسرار غامضة تعبديات توقيفية لا يمكن للبشر أن يغير فيها بوجه أصلا ، ولاغرو فيها كما زعم العقول الناقصة إذ بعد حكم العقل بوجوب شكر المنعم وتعظيم من يستحق التعظيم فللعظيم أن يختار لعبده في مقام تعظيمه أفعالامخصوصة بكيفيات معينة . كهيئات السلام والاحترام التي اختار كل ملك وكل دولة شكلا خاصاً منها ولا ينكرها الناقصون الذين يستغربون التعبديات الدينية ، ولكن القسم الثالث من التعاليم الاسلامية المشتمل على الحقوق المتبادلة والاجتماعيات وإدارة الشؤون الداخليـة والخارجيـة ، وما يمتّ بصلة الى الاقتصاد والعمران والسياسة ، وعلى الجملة كلما يعود بالسعادة على بني الانسان في دنياه فهو يتطور حسب تطور ناموس الحياة وهذا سر خاتمية الاسلام وأنه دين عام وخالد .

ويضاف الى هذا ان للدين الاسلامي مزية مخصوصة لا يوجد في سائر الأديان السماوية وهي ناموس الخاتمية وهي انه جمع بين الروحيات والماديات واستخلص منهما مزيجاً ربانياً يجمع بين السعادتين الدنيوية والأخروية إذ جعل الاعمال بالنيات فالتجارة والكسب والسعي لتحصيل الأموال بقصد الانفاق على واجب النفقة أوالتوسعة في معاش عائلته أو بنية صرفها في وجوه البر والخير عبادة إسلامية بالمعنى الأعم للعبادة وهو مايؤتي به بقصدالتقرب الى الله في إزاءالمعني الاخص للعبادة وهو (ما لا يصح بدون قصد التقرب الى الله تعالى

قد كان الدين الذي أتى به موسى كليم الله عليه السلام محتويا على جهات مادية أكثر من الجهات الروحانية بمقتضى الظروف والاحوال والحالات البشرية حينئذ حسب ماجاء في التوراة واليه أشار في القرآن الكريم بقوله تعالى « وما كنت بجانب الغربي إذقضينا الى موسى الأمر » والغرب رمز المادة ، وجاء الدين العيسوي (ع) محتويا على الجهات الروحية المحضة أكثر من الجهات المادية فأمر بالزهد والرهبانية والتخلي عن العالم الفاني حسب اقتضاء الزمن والنفسية البشرية عندئذ كما صرح به الانجيل وأشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى : « واذكر في الكتاب مريم إذانتبذت من أهلها مكانا شرقيا » والشرق رمز الروح ، ويتم هذا الاستدلال بقوله تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » ولم يقل آيتين ، ولكن تعاليم الدين الاسلامي لا شرقية ولا غربية ، ولا روحية محضة ولا مادية صرفة

بل جاءت جامعـــة بينهما وحاوية للسعادة المزدوجة سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

هل في النجف خلاف في المذاهب الاسلامية ؟.

الاختلاف في فروع الدين يوجد في جميع المذاهب الاسلامية وفي جميع البلاد ، ولـكن المسلمين رغم اختلافهم في المذاهب يعلمون ان الدين الاسلامي دين الفطرة والألفة والسعادة المزدوجة وسلاح لا يغلب ، ولـكن السلاح لا يمكن ان يقاتل الا بالجنود ، والجند لا ينتصر إلا بالنظام ، والاتحاد نظام الأمة الاسلامية وبه تتحقق الألفة ويرتفع الشقاق ، والخلاف بين الشيعة والسنة لا يزيد على ما يوجد بين المذاهب الأربعة السنية ، والفرق الاسلامية كلها تعتقد بالأصول الدينيـة ، واختلاف الأمة في غير أصول الدين رحمة كما جاء في الحديث .

التاريخ يحدثنا بأن الاسلام دخل بلاد الصين عن طريق بلاد فارس والمسلمون في الصين يعبرون حتى الآن عن الوضوء بكلمة (آب دست) والصينيون يدرسون هذا الدين من كتب الشيعة ، فهل تتفضل ببيان عقائد أهل الشيعة ؟

الجواب : عقائد الشيعة الايمان بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، والقضاء والقدر وتصديق نبينا محمد (ص) رسول الله في جميع ما علم مجيئه به والاذعان القلبي لذلك من العبادات والمعاملات والأوامر والنواهي والخضوع والانقياد ظاهراً وباطناً لذلك والنطق بالشهادتين .

وتعتقد الشيعة الامامية : أن تعاليم الاسلام ثلاثة انحاء ، وهي : العقائد والعبادات، والقوانين المقرّرة لحفظ سلسلة النظام ، من النظم الاجتماعية وقوانين المعاملات والحقوق المتبادلة ، وأصول إدارة شؤون المسلمين وقد أشرنا الى أن العقائد الأصلية: آيات ثابتة ، والعبادات توقيفية محضة لا يمكن فيها تغيير ولا تبديل ، ولكن محيط الدين الاسلامي في ناحية الجهات الاجتماعية والشؤون الدنيويه ، والنظم السياسية يسع جميع عناصر البشر في كل زمان ومكان ، ويتمشى مع تطورات الزمان وتعلم الشيعة أن الدين الاسلامي ، علم وعمل ، ووظائف للعقل ووظائف للجسد ، وتعتقد الشيعة بجميع أصول هذا الدين الحنيف وفروعه وتعمل بها بكل عناية ودقة .

عقيدة الشيعة في التوحيد

ان مراتب التوحيد أربع ، توحيد الذات ، وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال ، وتوحيد الآثار ، وبعبارة أخرى ، توحيد العوام ، وتوحيد الخواص ، وتوحيد خاص الخاص وتوحيد أخص الخواص ، والأولى مدلول كلمة « لا إله إلا الله » والثانية معنى كلمة (لا هو إلا هو) والثالثة مفاد (لا حول ولا قوة إلا بالله) والى الرابعة تشير كلمة (لا مؤثر في الوجود إلا الله) والشيعة تشارك سائر المسلمين في الاعتقاد بالمرتبة الأولى وتساهم بعض طوائفهم في الاعتقاد بالمرتبة الثانية ولكنها تمتاز عنهم جميعاً بعقيدة توحيد خاص الخاص وهو مجموع توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد

الأفعال ، وتمتاز أيضاً بعقيدة توحيد أخص الخواص ، وهو مجموع توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الآثار .

وأخذوها من امامهم الأعظم سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ولهذه المراتب شروح وتفاصيل لا يسع المقام لذكرها

فعقيدة الشيعة أن الله تعالى واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ، ومنزه عن التجسم والحلول والتركيب والنقائص ، ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والارادة والعدل ونحوها ، وان صفاته الحقيقية عين ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له في الالوهية ولا في المعبودية ولا في الفاعلية ، وما سواه من العالم صنيعه لا إله غيره ولا معبود سواه ولا حول ولا قوة إلا به له الخلق والأمر ولا مؤثر غيره في عالم الوجود ، وهو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والأيجاد والاعدام ، فمن إعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الاسلام ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له .

عقيدة الشيعة في النبوة

تعتقد الشيعة الاماميه أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الخاتم (ص) رسل من الله وعباد مكرمون بعثهم الله لدعوة الخلق اليه ، وأن محمد بن عبدالله (ص) خاتم الانبياء وسيد الرسل ، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ، وأنه ما ارتكب المعصية مدة عمره وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله اليه وأن الكتاب

الموجود في أيدي المسلمين (القرآن الكريم) هو الكتاب الذي أنزله الله اليه للاعجاز والتحدي ولتعليم الاحكام ، وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وأن كل من اعتقد أو إدعى نبوة بعد نبوة محمد (ص) اونزول وحي أو كتاب فهو كافر

عقيدة الشيعة في الامامة

تعتقد الشيعه الامامية أن الامامة رئاسة في الدين والدنيا ، ومنصب إلهي يختاره الله بسابق علمه ، ويأمر النبي (ص) بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بأتباعه ، والامام حافظ الدين وتعاليمه من التغيير والتبديل والتحريف وحيث ان الاسلام دين عام خالد كلف به جميع عناصر البشر ، وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقائه الى آخر الدنيا فلابد أن ينصب الله إماماً لحفظه في كل عصر لكي لا يتوجه نقض الغرض المستحيل على الحكيم تعالى ، ولأجله أمر الله نبيه (ص) بأن ينص على علي (ع) ففعل (ص) ثم أحد عشر إماماً من ولده ؛ ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً ، وهذه سنة الله سبحانه في جميع الانبياء من آدم (ع) الى الخاتم (ص) والشيعة مع هذه العقيدة يقدرون ما قام به الخلفاء من بسط راية الاسلام على البسيطة ، وتشكيل الامبراطورية الاسلامية ، وليست الامامة عند الشيعة أصلا من أصول الدين الاسلامي وإنما هي أصل من أصول مذهب الشيعة فليس منكرها خارجاً عن الاسلام اذا اعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد وضروريات الدين ، بل هو مسلم غير شيعي فى عقيدة الامامية له ما

للمسلمين وعليه ما عليهم .

عقيدة الشيعة في المعاد

تعتقد الشيعة الامامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه يعيد الخلائق ، ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ولولاه لما صح التشريع .

وان المعاد هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرائي لعرفه ، ويؤمنون بجميع ما في القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وان الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وان شراً فشر ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

فروع الدين عند الشيعة

تعتقد الشيعة الامامية أن لله في كل واقعة حكماً حتى أرش الخدش وما من عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلا ولله تعالى بحسب الدين الاسلامي فيه حكم من الاحكام الخمسة الوجوب . والحرمة والندب . والكراهة . والاباحة . وما من معاملة على مال أو عقد نكاح ونحوهما إلا وللشرع الاسلامي فيه حكم صحة أو فساد أودع الله جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء ، وعرفها النبي (ص) بالوحي ثم بينها حسب حدوث الوقائع وحصول الابتلاء مراعياً حكمة التدريج ثم أودع البقية عند أوصيائه (ع) وانتهى الأمر إلى الاجتهاد في الفروع

الذي يقضي كون الاسلام ديناً عاماً خالداً بلزوم فتح بابه دائماً .

وتعتقد الامامية كسائر المسلمين بوجوب الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبجميع ما قرره الدين الاسلامي من الحقوق المتبادلة والنظم الكافية ، وأنه الدين الوحيد الذي يتمشى مع الزمان في كل أطواره ، ويدور مع الدهر في جميع أدواره ، ويسد حاجات البشر في نظم معاشهم ومعادهم وجلب صلاحهم ودرء فسادهم .

الزعيم الصيني في زيارة الامام الزنجاني

(يتحدث عن المسلمين في الصين)(١)

اجتمع أحد مندوبي (الجهاد) بالسيد عبدالرحيم ماسونتين الزعيم الصيني وضيف مصر الآن وكان عند اجتماعه به يزور المجتهد الاكبر الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في الفندق الذي يقيم فيه الامام الزنجاني في مصر . فأخذ الامام الزنجاني يوجه أسئلة الى السيد عبدالرحيم عن حالة المسلمين في الصين وعن مهمته في مصر . فرد على أسئلة الامام رداً مفصلا نقله الينا مندوب الجهاد فيما يلي :

إن بلاد الصين تنقسم الى ٣٣ مقاطعة ، وعدد المسلمين فيها ٥٠ مليوناً وأكثرهم يقطن في الجهة الشمالية المتاخمة لبلاد التركستان ، ولقد كانت العلاقة بين المسلمين وبين حكومة الصين على أتم وفاق الى أن

(١) نقلا عن جريدة (الجهاد) ٢٠ شعبان ١٣٥٥ ٥ نوفمبر ١٩٣٦

جاء الحكم المنشوري فقلب للمسلمين ظهر المجن وتنكر لهم تنكراً كان من جرائه أن ضعفت حالتهم وخضدت شوكتهم ووهنت بحكم اضطهاد الحكومة جامعتهم – لكن لما كان الدين الاسلامي دين الفطرة وانه اذا تمكن من القلوب استعصي إنتزاعه منها بالقوة ، بقيت تعاليمه يتوارثها الأبن عن الأب الى أن شبت في بلاد الصين ثورة دموية كان من زعمائها القائد العظيم (سنوشيان) فناضل عن الاسلام والمسلمين نضالا سجله له التأريخ بمداد من الفخر وأعاد للمسلمين مكانتهم في تلك البلاد وبذا تحسنت حالتهم وبدأت تنتعش .

ومنذ ثلاثين سنة إجتمع كثير من زعماء المسلمين في تلك البلاد ففكروا في أن ينهضوا ببلادهم نهضة علمية دينية فأتجه نظرهم نحو دار الخلافة فأرسلوا العالم الكبير خاجة عبد الرحمان المفتي الى تركيا فلما عرض مهمته على السلطان عبد الحميد في ذلك الحين أمر بارسال بعثة الى بلاد الصين مكونة من اثنين من العلماء وقد استمر الحال على ذلك الى عهد السلطان محمد الخامس وبعد ذلك بقليل قامت فتن في غالب البلاد الشرقية صرفت الناس عن هذا المعنى السامي وجاءت الحرب العالمية فحالت بين المسلمين وبين إخوانهم في سائر أنحاء العالم الاسلامي ولما وضعت الحرب أوزارها واستتب الأمن نوعاً في ربوع الصين هب المسلمين لرأب هذا الرجوع ووجدوا من حكومة الصين الحاضرة خير معوان لاستكمال هذه النهضة وجمع شتات ما فرقته احداث الزمن . فاوفدتني – منذ أربع سنوات كبريات الجمعيات الاسلامية الى مصر

لأنها أصبحت في نظر العالم الاسلامي محط رحال زعماء الشرق وقادته فأكرمت مصر وفادتي ، ووجدت اخواناً وخلاناً ساعدوني على القيام بما جئت من أجله خير مساعدة ـ وقد نلت خطوة التحدث الى جلالة الملك الراحل فؤاد الأول فتفضل رحمه الله وأمر في ذلك الحين بارسال مجموعة من الكتب القيمة اعتزمت بحول الله ان اجعلها نواة المكتبة التي أريد انشاءها وتسميتها باسم (المكتبة الفؤادية) تخليداً لذكرى ذلك الرجل العظيم الذي كان عاملا من العوامل المهمة على بعث النهضة الدينية والثقافية في بلادنا من جديد .

مهمتي الثانيـــة

أما مهمتي اليوم في مصر فهي : أولا تقديم واجب العزاء باسم الجمعيات الصينية في المرحوم الملك فـؤاد . وتهنئة جلالة الملك فاروق بارتقائه عرش آبائه وأجداده وسأذهب غداً الى سراي عابدين للتشرف بمقابلة مجلس الوصاية الموقر وتحديد موعد لمقابلة جلالة الملك فاروق .

ثانياً : لمقابلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي لأتحدث الى فضيلته في شأن البعثات الأزهرية والاكثار منها لأن البعثة الأزهرية الاولى أفادت المتعلمين في بلادنا كثيراً ولقد تقابلت اليوم مع فضيلته فشملني بعطفـه وتفضل حفظه الله فوعدني ببذل ما يستطيعـه الازهر من أنواع المساعدات .

ثالثاً : لان مصر كانت آنفاً ملتقى الثقافات شرقيها وغربيهـا ، آية ذلك أني تمكنت من مقابلة إمام عظيم مثالك (يقصد الامام الزنجاني)

في مقدوره أن يمدّ الينا يد المساعدة خصوصاً وأن علاقة الصين ببلاد العرب والفرس علاقة قديمة ، وسأتشرف بحمل رسالتكم السامية الى بلادي ونرحب بدعوتكم ونضوي جميعاً تحت لوائكم لواء الوحدة الاسلامية فردّ عليه الامام الزنجاني بما ملخصه :

نحن يا أيها السيد على استعداد لمساعدتكم سواءاً كان من ناحية الكتب العلمية في الثقافتين العربية والفارسية وفي أي لغة تفهم في الصين وكذلك من ناحية ايفاد العلماء الذين يمكن ان تستفيد منهم بلادكم في الدين والثقافة ، وكم أكون سعيداً لو تفضل السيدماسونتين بزيارة النجف الاشرف عاصمة العلوم الدينية في الشرق ، تلك البلدة العريقة في المدنية ، فقد ازدهرت بالعلوم والمعارف منذ عهد هارون الرشيد وهذا كما تعلمون قبل أن يوجد الازهر المعمور بمراحل ، ففي بلادنا تدرس العلوم الدينية والدنيوية وتنتظم أقسام التخصص في العلوم ، ومعاهدها مستعدة لقبول بعثتكم النجفية .

فردّ السيد ماسونتين قائلا : ندعوالله أن يوفقنا .

الإمام الزنجاني في الاحتفال الرسمي

برؤية هلال رمضان (١)

إحتفلت المحكمة العليا الشرعية في مساء أمس إحتفالها المعتاد برؤية هلال شهر رمضان المبارك ، واحتشدت الجماهير بعد ظهر أمس على جانبي الطريق الموصل الى المحكمة الشرعية ، وبدأ موكب الطريق المعتاد تأليفه في كل عام من رجال الطرق والجنود في الساعة الرابعة مساءاً واخذ طريقه من دار محافظة العاصمة الى دار المحكمة الشرعية وأخذت وفود المدعوين تفد إلى السرادق الفخم الذي أقامته المحكمة الشرعية في فناء دارها يتقدمهم حضرات أصحاب الفضيله والسعادة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ومفتي الديار المصرية ، ورئيس المحكمة الشرعية العليا وأعضائها وشيوخ الكليات الأزهرية الثلاث ، وكبار رجال القضاء الشرعي ، ومدرسي الأزهر ، وطوائف العلماء والمدرسين وكبار الموظفين والشيخ فوزان معتمد الحكومة السعودية السابق ووزير إيران المفوض ومحمد حيدر باشا وعبدالرحيم فهمي باشا ويعقوب عبدالوهاب بيك .

«١» نقلا عن جريدة (الاهرام) ١٥-١١-١٩٣٦
وجريدة (المصري) الأحد ١ رمضان ١٣٥٥ — ١٥ نوفمبر ١٩٣٦
وجريدة (البلاغ) العدد ٤٣٥٥ مساء الأحد ١ رمضان ١٣٥٥
١٥ نوفمبر ١٩٣٦ وعن مذكرات السيد رشيد مرتضى شاهد العيان

وكان يستقبل حضراتهم فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمان حسن العضو بالمحكمة العليا والاستاذ محمد جوهر كبير كتاب المحكمة والاستاذ حسين الحنفاوي سكرتيرها .

وفي منتصف الساعة الخامسة وصل الموكب الرسمي يتقدمه مندوب المحافظة وكانت تصدح امامه الموسيقات المختلفة فقابلته الجماهير الحاشدة بالهتاف المتواصل . وبعدئذ إصطفت الجنود شاكية السلاح في الفناء الخاص بالمحكمة وخرج صاحبا الفضيلة رئيس المحكمة ونائبها فصافحا كبار الضباط وعادا بعدئذ الى السرادق .

وقد أخذت الموسيق تصدح بمختلف الأنغام حتى قبيل الغروب حيث قام الجميع وأدوا فريضة المغرب وجلسوا بعدئذ ينتظرون شهود الرؤية فترة وصل على أثرها موكب الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء النجف فنهض الاستاذ الاكبر المراغي ومن معه وخرج من السرادق لاستقبال الامام الزنجاني ووقف حتى نزل الامام من سيارته فصافحه ثم أخذ يده بيده ودخلا السرادق (وكان جميع الحاضرين واقفين اجلالا) ثم أتى به حتى أجلسه على الكرسي الرئيسي ﴿ وفي الصورة يرى الامام الزنجاني وهو يتصدر سرادق الاحتفال برؤية هلال رمضان المعظم ﴾ ثم حضر صاحبا الفضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي وحامد مكاوي القاضيان بمحكمة مصر الشرعية وهما المندوبان الشرعيان الرسميان واللذان ذهبا نائبين عن المحكمة الى سفح الاهرام لتلمس رؤية الهلال وذكرا انهما لم يرياه ، ولم يره كذلك مندوب مصلحة

المسافة الذي رافقهما رغم ما بذلوا جميعاً من جهد بسبب كثرة الغيوم وتلبد السحب وعقب ذلك حضر فضيلة الشيخ مصطفى الرحال وفضيلة



فضيلة الامام الشيخ عبد الكريم الزنجاني يتصدر سرادق الاحتفال برؤية هلال رمضان المعظم (بالقاهرة) وقد جلس الى يمينه فضيلة شيخ الازهر ورئيس المحاكم الدينية ومفتي الديار المصرية والشيخ مامون الشناوي .

الشيخ أحمد عباد القاضيان بالمحكمة وهما المندوبان الشرعيان اللذان ندبتهما رياسة المحكمة لتلمس رؤية الهلال في مرصد حلوان ، وقد ذكرا أنهما لم يريا الهلال وكذلك لم يره مندوب المرصد رغم كل المحاولات

بسبب تلبد السحب أيضاً .

وعندئذ قال الاستاذ الأكبر للامام الزنجاني : ياصاحب الفضيلة هل تحكمون بثبوت الهلال بالحساب وقول المنجم ؟ فاجاب الامام الزنجاني بالنفي ، فقال الأستاذ الأكبر : أليس خطأ الحساب أقل من خطأ البصر ؟ فاجاب الامام الزنجاني قائلا : يا فضيلة الشيخ ان المنجم يعرف بالحساب والقواعد الرياضية ولادة القمر وأما ظهوره للرؤية فيختلف حسب إختلاف الأفق ودرجات الارتفاع ويعينه المنجم بالحدس والتخمين وخطأ الحدس ليس بأقل من خطأ الرؤيه ، وشرح الامام هذا الموضوع شرحاً أدهش الحاضرين .

وتلق المجلس الشرعي بعد ذلك برقية من فضيلة قاضي محكمة الواسطي الشرعية يقول : انه تلمس رؤية الهلال فثبت له رؤيته وكذلك تلق المجلس برقية أخرى من بعض حضرات القضاة الشرعيين في الأقاليم بمعنى تلك البرقية وبعد أن اطلع عليها واستمع فضيلة الامام الرئيس الى أقوال بعض الفلكيين وإلى شهادات بعض الشهود أعلن ثبوت رؤية الهلال وأن أول يوم في شهر رمضان المعظم هو يوم الأحد (اليوم)

وقد أبلغ هذا النبأ الى وزارة الحربية فأمرت باطلاق ٢١ مدفعاً إعلاماً بحلول هذا الشهر الكريم ثم أبلغ الى السراي الملكية والى وزارة الداخلية ووزارة الأوقاف والى مختلف الدوائر الرسمية للعلم به وإعلانه

وقد أديرت أكواب المرطبات ووزعت الحلوى بعد ذلك على حضرات المدعوين وانصرفوا وهم يباركون بعضهم بعضا .

حديث مفصل مع الامام الزنجاني (١)

توحيد المذاهب الاسلامية ، الاستعداد لعقد مؤتمر من الأمم الاسلامية لبحث هذا الموضوع ، رأي سمو الأمير محمد علي ، رأي فضيلة شيخ الأزهر ، رأي سماحة الامام الزنجاني .

بمناسبة مغادرة سماحة الامام الزنجاني البلاد المصرية بعد أن قضى فيها مدة زار في خلالها كبار رجال الدولة والدين والعلم وقادتها وزاروه فقد رأينا أن نعرف أهم ما دار بينه وبينهم من أمور شتى فتحدث الينا بما يأتي :

رحلة دراسة

إن زيارتي لمصر كانت وليدة نهضة الأقطار العربية بصورة خاصة وفي الشرق بصورة عامة ، وكان من قصدي معرفة مقدار الروابط بين الأمتين العراقية والايرانية وبين الأمة المصرية ومعرفة مناهج أصول التدريس ومواد الدراسة في الأزهر والجامعة ودار العلوم . وقد رأيت (والحمد لله) فوق ما كنت أنتظره في جميع نواحي مقصدي ، وأعجبني ما أحسسته من الشعور الرقيق العام والعواطف السامية نحو الأمم الاسلامية والعناصر الشرقية من مختلف الطبقات في مصر التي أخذت تستغل هذه

(١) نقلا عن جريدة (الجهاد) ٢١ رمضان ١٣٥٥ ٦ نوفمبر ١٩٣٦

هذه النهضة القائمة .

الوحدة الاسلامية

وقد وقفت المذاكرة حول تحقيق وحدة اسلامية شاملة تعم جميع العناصر والأمم الاسلامية من جهات الثقافتين الزمنية والدينية والروابط الاجتماعية التي تستتبع تحسين الروابط السياسية أكثر مما هي عليه الآن فحصلت على موافقة أعلام الأمة المصرية وزعمائها وقادة الافكار فيها وأهل الحل والعقد في أمورها ، ووجدت ان الجميع قد اتضح لهم ضرورة الاتحاد والاتفاق على أسلوب مخصوص يضمن وضع الجبر على موضع الكسر حتى يلتئم وسررت من موافقتهم على كيان الشيعة ووضعنا معهم خططاً ناجحة في الناحيتين المذهبية والاجتماعية لا تستطيع الفوارق المذهبية أن تحول دون وصولنا بها الى مقصدنا الأهم .

مؤتمر إسلامي علمي لتوحيد المذاهب

وأهم ما حصلت عليه موافقة الاستاذ الاكبر المراغي على الدعوة الى مؤتمر إسلامي علمي لتوحيد المذاهب الاسلامية الخمسة الحنفي ، والمالكي والحنبلي ، والشافعي ، والشيعي . وتحرير التعاليم الاسلامية المطابقة لهذه المذاهب لازالة دواعي التفرق وبذلك يتحد المسلمون الذين يبلغ عددهم أربعمائة مليون مسلم انشاء الله تعالى – واعتقد انني حينما أحمل هذه الرغبات الى علماء النجف الأشرف – بالعراق – وعلماء سائر بلاد الشيعة فانهم سيوافقون عليه بكل السرور : وقد لمست عن كثب ان فضيلة الشيخ الاكبر عالم قدير يعمل لصالح الاسلام ويهتم باتمام هذا

المشروع الحيوي الديني ليكسب بذلك شكر الأجيال القادمة وثواب الله

٧٥ مليوناً من الشيعيين ينضمون الى اخوانهم المسلمين

وبهذه الموافقة على كيان مذهب الشيعة والعمل لتوحيد كلمة المسلمين سوف تسر الشيعة المنتشرين في جنبات العالم والذين يبلغ عددهم ٧٥ مليوناً أن ينضموا الى اخوانهم المسلمين فيعتصمون بحبل الله جميعاً.

فارق طفيف بين السنيين والشيعة

وقد كررنا الكلام في ان أصول الدين الاسلامي عند الشيعة والسنة كافة ثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد، واختلافهم في الامامة والخلافة إنما يعود الى أمر الآخرة فحسب وأما شؤونهم الدنيوية فمنصة حكمها شاغرة وامام الشيعة غائب عن الابصار ونوابه علماء الدين والخلافة منحلة وأمرها راجع الى عموم المسلمين فباتحاد كلمة علماء الدين مع طبقات المسلمين يتحقق مرام الفريقين .

وأما فروع الدين والاحكام الشرعية فهي عند الشيعة تستنبط من كتاب الله الكريم والحديث الصحيح والاجماع والعقل والاخيران مرجعهما الاولان ، وأما عند السنيين فتستنبط الاحكام : من كتاب الله والحديث الصحيح والاجماع والقياس . ومرجع الاخيرين هو الاولان فالفرق بين الطائفتين طفيف في الاستطاعة علاجه بالكتاب والسنة وايجاد التوحيد في الفروع واني اعتقد ان المؤتمر الاسلامي العلمي العام سينجح في مهمته انشاء الله .

متى يعقد المؤتمر

إنتهت مفاوضاتنا في مصر وسأحمل نتائجها الى بلادي معتقداً برغبتها في الموضوع وبعد التفاهم ووضع الخطط سيعقد المؤتمر بحول الله وقوته .

مع مجلس الوصاية

س – هل تستطيع سماحتكم أن تفضي الينا بشيء من الحديث الذي دار بين سماحتكم وبين صاحب السمو الملكي الامير محمد علي رئيس مجلس الوصاية .

ج – تكررت المقابلة والزيارة بيني وبين صاحب السمو رئيس المجلس وصاحبي المقام الرفيع العضوين ورحبوا بدعوتي وفكرتي حتى ظهر لي ان مجلس الوصاية الموقر في طليعة أنصار الوحدة الاسلامية ، ووجدت من سعة إطلاع سمو الأمير واحاطته بمميزات المذاهب والطوائف والإلمام ما حدا بنا الى الخوض في بيان بعض الزايا الدينية والمذهبية وكيفية استنباط المجتهد الشيعي للاحكام الشرعية ولزوم كونه متخصصاً في عدة علوم ولم نشعر في حديثنا أن المجلس كان رسمياً فكاننا صرنا في مجلس علمي ، وتجلى خلال المفاوضة شدة تمسك المجلس بالدين وتعظيمه لشعائره مع غزارة معلومات أعضائه في كل نواحي الحديث ، ودام حديثنا (وبالاحرى درسنا) في مجلس الوصاية مايزيد على الساعة ونصف الساعة .

في مسجد المنيل بالروضة

ولما رأيت من الاباقة أن انصرف تفضل سموه فدعانا الى قصره المعمور لظهر يوم الجمعة حتى نقيم صلاة الجمعة في جامع منيل الروضة وقد وفقنا في ذلك اليوم ورأينا من بناء الجامع ونظامه والمظاهر الدينية والملكية فيه مالم نر مثله .

وتفضل سموه واستصحبني بعد أداء الفريضة الى غرفته الخاصة وأخذ في أطراف الاحاديث الشائقة والموضوعات الطريفة بغزارة العلم وفصاحة البيان باللغتين العربية والتركية ما أبقى أثراً عميقاً في قلبي .

رأي الامير في الوحدة الاسلامية

أظهر الامير شدة رغبته في توحيد المسلمين وأخذ في تشجيعي بهمة فائقة حتى ان سموه عرض عليّ كمية كبيرة من النقود لأنفقها في نشر دعوتي ولكنني أبيت عن قبولها واعتذرت بأنني ما قبلت ولن أقبل في حياتي كل مال أو هدية من أي ملك أو أمير أو حكومة ، وأن قوة المبدأ تكفي لنشره بعون الله تعالى .

وبعد ذلك تفضل صاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ودعانا مرتين للافطار وفي الأولى كنت مرتبطاً بوعد سابق لزيارة بيت الأمة وضريح المغفور له سعد زغلول باشا الذي أعده من أبطال الوطنية الخالدة آثارهم . مما إقتنع به سعادة عزيز عزت باشا بوجودنا على الافطار فقط ولكنه دعانا لمرة أخرى بقينا فيها لديه الى الساعة التاسعة والنصف مساءاً وقد حضر معنا وزيرا إيران وتركيا والاستاذ

العلامة الكبير محمد فريد وجدي بك وجماعة من كبار الاساتذة وأنصار الوحدة الاسلامية واتخذنا بالاجماع قرارات هامة ، وكان إعجابي بآراء العلامة محمد فريد وجدي بك كبيراً .

﴿ دولة الرئيس ﴾

أبدى صاحب الدولة مصطفى نحاس باشا رئيس الوزراء في مجالس الزيارة المتبادلة بيني وبينه من العواطف الشريفه والمكارم العالية ما لا أستطيع أن أكيفه أو أصفه ، وأعجبني أن دولته أخذ يشرح لي القضية المصرية من بدء تكوينها الى نهايتها ، وذكر المجهودات الطيبة التي أتت بخير الثمرات . وقد حللها دولته تحليلا دقيقاً وعللها بأسبابها ومسبباتها باسلوب يقتنع به كل من يسمعه ، وتنازل فطلب مني ملاحظاتي وآرائي رغم إنني إكتسبت منه معلومات هامة لم أزل أشكر دولته عليها كما أشكره على ترحيبه بالوحدة الاسلامية وتشجيعه لدعوتي اليها .

﴿ سفر سماحته اليوم ﴾

وسيغادر سماحة الامام الزنجاني اليوم العاصمة بقطار الساعة الخامسة والنصف في طريقه الى فلسطين فبيروت فدمشق ثم الى وطنه .

﴿ الامام الزنجاني ﴾ (١)

ينوي صاحب الفضيلة الامام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني أن يغادر مصر في هذين اليومين الى فلسطين لزيارة بيت المقدس واعلامه العظيمة ويحل فيها ضيفاً كريماً لسماحة المفتي السيد أمين الحسيني الذي

---

(١) نقلا عن جريدة (المقطم) ٤ ديسمبر ١٩٣٦

أرسل برقية الى الامام الزنجاني واستدعاه الى القدس ، وبعد ما يقيم هناك أياماً يبرح فلسطين الى عمان إجابة لسمو أميرها ومنها الى بيروت فيقيم فيها قليلا ، ويغادرها الى دمشق فيقضي فيها أياماً قبل أن يعود الى وطنه .

وقد لقى الامام الزنجاني في مصر ماهو أهل لعلمه وفضله وسجاياه من الترحيب والحفاوة ، ومظاهر التكريم مما وقع أعظم وقع في نفسه وجهر به في جميع مجالسه ، وأعرب عن اغتباطه بما أحرزت مصر من رقي ومقام رفيع ، وشيد فيها أساساً قوياً للوحدة الاسلامية . رافقته السلامة في الحل والترحال .

وفى الصفحة المقابلة يرى في الوسط سماحة الامام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ساعة مغادرته القاهرة الى فلسطين يحيط به العلماء والأمراء والوجهاء .



الامام الزنجاني سفره اليوم عائداً الى وطنه (١)

يغادر مصر اليوم ضيفها الكبير صاحب السماحة الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير مجتهدي الشيعة ، وقد أقام بيننا بضعة أسابيع كان فيها موضع التقدير والتكريم لما تحلى به من علم وخلق ودين وسيعود الى بلاده ويجتمع برجالاتها من العلماء والمجتهدين والساسة فيذكر ما شهده في مصر وجماعاتها وأولي الرأي فيها ، وسيجد اخواننا الشيعة فيما يسمعونه منه أن ما تتحدث به الدهماء عن اختلاف الشيعة والسنيين ليس له أثر في نفوس المصريين وغيرهم من السنيين ، فمرجع كل شيء الى الكتاب والسنة ، وقد تقاربت وجوه النظر بين الشيعة والسنة بخطب الامام الزنجاني وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية وقد استنبطت من مذاهب متعددة منها مذهب الشيعة الامامية ، وهذا الاستنباط هو في الواقع اجتهاد ينتجه العقل الذي جعله الشيعه أحد مصادر التشريع عندهم .

وقد خطب سماحة الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في جمعية الشبان المسلمين فشرح مذهب الشيعة وأوضح كل ما فيه ، فاثبت ان

(١) نقلا عن جريدة (البلاغ) العدد ٤٣٧٥ مساء ديسمبر ١٩٣٦

الخلاف ليس في جوهر الدين ، وقال : إن ما يبدوا الآن من خلاف نتج أكثره عن تحكم بعض الملوك والحكام في الشعوب واستخدامهم الدين للسياسة وللغلبة على خصومهم ، وقد زالت هذه الظروف ولكن بقي أثرها بين أيدينا حتى اليوم فيجب أن ننظر فيه بعين العقل لنتبين حقيقته .

وما دمنا نسعى مجدين للوحدة الاسلامية فمن غير المعقول ان تظل هذه الخلافات تتحكم فينا ، وتحدث أثرها في وجودنا السياسي والاجتماعي فتفرق كلمتنا ، وتضعف شأننا وتجعلنا طعمة لكل طامع .

ولشدّ ما يؤلم النفس ، ان يحدث هذا بين أهل دين واحد يقوم على العقل المطلق ، ويحض اتباعه على الأئتلاف والاعتصام بحبل الله جميعاً . أجل لشدّ ما يؤلم النفس أن يحدث هذا وأن يكون علاجه بين أيدينا حاضراً . أوهيناً سهلا ومع هذا لا ترانا نعمل على دفعه الامتباطئين

ولقد فتح لنا سماحة الامام الشيخ عبدالكريم الزنجانى الباب ، ووضع أساس الوحدة الاسلامية ، فليكن لجماعاتنا الاسلامية في السنيين من تفكيره وآرائه ونفوذه بين المسلمين ما يسهل لنا التفاهم مع الجماعات الأخرى من المسلمين التي عرفت باسم الشيعة .

وأخيراً نودّع سماحة الامام الزنجانى وندعوا له بسلامة العودة الى البلادا الشقيقة ، وننشر بعد ذلك كلمة شكر صدرت عنه الى الأمة المصرية لمناسبة سفره وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الأمة المصرية الكريمة .

قد كانت زيارتي لمصر إستجابة لأمنية قديمة في نفسي وشوق مكين في فؤادي . فقد شاقني منذ أمد بعيد أن أسعد بزيارة اخواننا المصريين وأشهد عن قرب نهضة مصر المباركة التي عرفتها فيما تواتر من أخبارها وما قرأت من آثارها .

فلما قدمت مصر رأيت أكثر ممـا سمعت ، وخبرت أعظم مما أخبرت ، وزاد سروري وغبطتي بما شهدت في هذه الأمة العظيمة من مظاهر العمران والازدهار في العلوم والفنون والآداب .

ولست بمستطيع الابانة عما لقيت من حفاوة بي وإكرام لوفادتي وسعي الى مـودتي من كل من لقيت من المصريين ، أمراء ووزراء ، وعلماء ، وأدباء ، وكبراء ، وصحافيين ، فقد بالغـوا حفظهم الله في إكرامي وإيناسي حتى شعرت أنني في وطني وبين أهلي ، وتجلت لي الاخوة الاسلامية الصادقة في كل أقوالهم وأفعالهم .

وأخص بالذكر حضرة صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الوصاية وحضرتي صاحبي المقام الرفيع عضوي المجلس الموقر ، وحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالي زملائه الكرام ، وصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر وحضرات علماء الأزهر وأساتذة الجامعـه المصرية ودار العـلوم ، ولا أقصر في شكر من لا يتسع المقام لذكرهم من أعيان هذه الامة الكريمة .

أعود الى بلادي ناجحاً مسروراً شاكراً ذاكراً بالخير ما رأيت وما سمعت من مصر ، متحدثاً بتقدير أهلها لأواصر الأخوة الاسلامية مستجيباً لرغبتهم ورغبتي في التقريب بين الأمم الاسلامية ، داعياً لمصر بالتقدم والفلاح والسعادة في العهد المبارك عهد الاستقلال والحرية في رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله .

(عبدالكريم الزنجاني)



ولنجعل هـــذا آخر هذا الكتاب الذي ألجئتنا الظروف الى انجازه وسيتلوه الكتاب الثاني الذي سيبرز قريباً الى الوجـود

إنشاء الله تعالى حافلا ببقية كلمات الامام الزنجاني في مصر

وخطبه التأريخية في المسجد الأقصى بفلسطين

وفي دمشق ، وبيروت ، وعمان ، والهنـــد

والله تعالى ولي التوفيق والحمـــد لله

رب العالمـــين

